

كتاب
الاعجاز

لأبي الفرج الأصفهاني

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكرة عباس

دار طائر
بيروت

كتاب الأمان

لأنبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور احسان عباس

الدكتور ابراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الحادي والعشرون

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

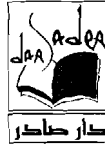
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهرومستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ يزوت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Ahu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[440] - أخبار المنخل¹ ونسبه

[نسبه]

هو المنخل بن عمرو ، ويقال : المنخل بن مسعود ، بن أفلت بن عمرو بن كعب بن سواء بن غنم بن حبيب بن يشكر بن بكر بن وائل . وذكر أبو محلم النسابة : أنه المنخل بن مسعود بن أفلت بن قطن بن سواء بن مالك بن ثعلبة بن حبيب بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر . وقال ابن الأعرابي : هو المنخل بن الحارث بن قيس بن عمرو بن ثعلبة بن عدي بن جشم بن حبيب بن كعب بن يشكر .

[اتهامه بالترحلة]

شاعر مقل من شعراء الجاهلية ، وكان النعمان بن المنذر قد آتاهم بامرأته المتجردة ، وقيل : بل وجده معها ، وقيل : بل سعي به إليه في أمرها فقتله ، وقيل : بل حبسه ، ثم غمض خبره ، فلم تعلم له حقيقة إلى اليوم . فيقال : إنه دفنه حياً ، ويقال : إنه غرقه . والعرب تضرب به المثل كما تضربه بالقارظ العنزي وأشباهه ممن هلك ولم يعلم له خبر . وقال ذو الرمة : [من الطويل]

تُقَارِبُ حَتَّى تَطْمِيعَ التَّابِعِ الصَّبَا وَلَيْسَتْ بِأَدْنَى مِنْ إِيَابِ الْمُنْخَلِ²

وقال النمر بن توكب :

وَقَوْلِي إِذَا مَا أَطْلَقُوا عَنْ بَعِيرِهِمْ تَلَاقُونَهُ حَتَّى يُوَوِّبَ الْمُنْخَلُ

[قصة قتله]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَان ، قال : أخبرني أحمد بن زهير قال : أخبرني عبد الله بن كُريم قال : أخبرني أبو عمرو الشيباني قال : كان سبب قتل المنخل أن المتجردة ، واسمها ماوية وقيل : هند بنت المنذر بن الأسود الكلبي ، كانت عند ابن عم لها يقال له : حُلم ، وهو الأسود بن المنذر بن حارثة الكلبي ، وكانت أجمل أهل زمانها ، فرآها المنذر بن المنذر الملك اللخمي فغشيها ، فجلس ذات يوم على شرابه ومعه حُلم وامرأته المتجردة ، فقال المنذر لحُلم : إنه لقبيح بالرجل أن يقيم على المرأة زمناً طويلاً حتى لا يبقى في رأسه ولا لحيته شعرة

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء 404/1-405 والمؤتلف 178 وشرح الحماسة 102/2-108 وشعراء الجاهلية 421-424 .

2 مثل : انظر المثل في كتاب جمهرة الأمثال للعسكري 341/1 ، 361 وفي كتاب المستقصى في الأمثال للزمخشري 2 : 58 وفي كتاب مجمع الأمثال للميداني 211/1 ، 212/2 وكتاب الأمثال للقاسم بن سلام

بيضاء إلا عرفتها ، فهل لك أن تطلقَ امرأتَكَ المتجرّدةَ وأطلقَ امرأتي سلمى ؟ قال : نعم ، فأخذ كل واحدٍ منهما على صاحبه عهداً . قال : فطلقَ المنذرُ امرأته سلمى ، وطلقَ حُلمَ امرأته المتجرّدةَ ، فتزوَّجها المنذر ولم يُطلقَ لسلمى أن تزوَّج حُلماً ، وحججها ، وهي أمُّ ابنه النُّعمان بن المنذر ، فقال النابغة الذبياني يذكر ذلك :

قد خادعوا حُلماً عن حرّة خريدٍ حتى تبطنها الخداعُ ذو الحُلُمِ
قال : ثم مات المنذر بن المنذر ، فتزوَّجها بعده النُّعمان بن المنذر ابنه ، وكان قصيراً دميماً أبرش ، وكان ممّن يجالسه ويشرب معه النابغةُ الذبياني ، وكان جميلاً عفيفاً ، والمُنخَلُ اليشكري ، وكان جميلاً ، وكان يُتهم بالمتجرّدة . فأما النابغة فإنَّ النُّعمان أمره بوصفها فقال قصيدته التي أولها :

أُمن آلِ مَيّةٍ رائحٍ أو مغتدي عجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مسرودٍ
ووصفها فأفحش فقال :

وإذا طعنتَ طعنتَ في مستهْدِفٍ رابي المَجسّةِ بالعَبيرِ مُقَرَمَدٍ¹
وإذا نرعتَ نرعتَ عن مستحِصِفٍ نزعَ الحَزورَ بالرشاءِ المحصَدِ²

[تخرّضه قومه على قاتله]

فغار المُنخَلُ من ذلك ، وقال : هذه صفة مُعابين ، فهم النُّعمان بقتل النابغة حتى هرب منه ، وخلا المُنخَلُ بمجالسته ، وكان يهوى المتجرّدة وتهواه ، وقد ولدت للنُّعمان غلامين جميلين يشبهان المُنخَلُ ، وكانت العرب تقول : إنهما منه . فخرج النُّعمان لبعض غزواته ، قال ابن الأعرابي : بل خرج متصيّداً ، فبعثت المتجرّدة إلى المُنخَلِ فأدخلته قبتها ، وجعلا يشربان ، فأخذت خلخالها وجعلته في رجله ، وأسدت شعرها فشددت خلخالها إلى خلخاله الذي في رجله من شدّة إعجابها به . ودخل النُّعمان بعقب ذلك فرأها على تلك الحال ، فأخذه فدفعه إلى رجل من حرسه من تغلب يقال له : عِكبّ ، وأمره بقتله ، فعذّبه حتى قتله . فقال المُنخَلُ يحرّض قومه عليه :

[من الوافر]

ألا من مبلغ الحيين عني بأنَّ القومَ قد قتلوا أبنياً
فإن لم تثاروا لي من عِكبٍّ فلا رويتم أبداً صدّاً

[من الخفيف]

وقال أيضاً :

1 مقرمَد : مطلي .

2 مستحِصِف : قبل البلولة ضيق . الحَزور : الرجل القوي . المحصد : الجبل الشديد الفتل .

ظَلَّ وَسَطَ النَّدَى قَتْلَى بِلَا جُرْ مِ وَقَوْمِي يُتَجَوْنَ السَّخَالَا¹

[من شعره في المتجرّدة]

وقال في المتجرّدة :

[من الوافر]

دِيَارٌ لَّتِي قَتَلْتِكَ غَضَبًا بِلَا سَيْفٍ يُعَدُّ وَلَا نِبَالٍ
بَطَرْفٍ مَيِّتٍ فِي عَيْنٍ حَيٍّ لَهُ خَبَلٌ يَزِيدُ عَلَى الْخَبَالِ

وقال أيضاً :

[من مجزوء الكامل]

ولقد دخلتُ على الفتا عِ الخِدرَ في اليومِ المطيرِ
الكاعبِ الحسناءِ تر فُلُ في الدَّمَقْسِ وفي الحريرِ
دافعتها فتدافعتُ مَشَى القِطَاةِ إِلَى الغديرِ²
ولثمتُها فتنفّست كَتَنَفَسَ الطَّبِييَ الْبَهِيرِ³
ورنتُ وقالت يا مُنَخَّ لُ هلْ بجسمك من فتورِ⁴
ما مسَّ جسمي غيرُ حُبِّ كَ فاهدئي عني وسيري⁵
يا هندُ هل من نائلٍ يا هندُ للعاني الأسيرِ⁶
وأحبّها وتُحبّني وَيُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِي
ولقد شربتُ من المدا مةَ بالكبيرِ وبالصغيرِ
فإذا سكرتُ فإنّني رَبُّ الخورنقِ والسريِرِ⁷
وإذا صحوتُ فإنّني رَبُّ الشُّوْهِةِ والبَعِيرِ
يا رَبُّ يومٍ - للمنخَّ لُ قد لها فيه - قصيرِ

1 في الشعر والشعراء : ظلّ وسط العباد قتلى . السخال : أولاد الغنم من الضأن والمعز ساعة يولد .

2 في الحماسة والشعر والشعراء : فدفعها فتدافعت .

3 البهير : المتتابع الأنفاس .

4 في الحماسة :

فدنت وقالت يا منخَّ - لُ ما بجسمك من حرورِ

5 في الحماسة والشعر والشعراء : ما شف .

6 في الحماسة : هل لميّم .

7 فإذا سكرت في الحماسة : فإذا انتشيت ، وفي ل : فإذا شربت . والخورنق : قصر للنعمان الأكبر . في الحماسة :

والسدّير ، والسدّير : نهر بناحية الحيرة .

[رواية أخرى عن المنخل مع المتجرّدة]

وأخبرني بخبر المنخل مع المتجرّدة أيضاً علي بن سليمان الأخفش قال : أخبرني أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : كانت المتجرّدة امرأة النعمان فاجرة ، وكانت تُتهم بالمنخل ، وقد ولدت للنعمان غلامين جميلين يشبهان المنخل ، فكان يقال : إنهما منه ، وكان جميلاً وسيماً ، وكان النعمان أحمر أبرش قصيراً دميماً . وكان للنعمان يوم يركب فيه فيطيل المكث ، وكان المنخل من ندمائه لا يفارقه ، وكان يأتي المتجرّدة في ذلك اليوم الذي يركب فيه النعمان فيطيل عندها ، حتى إذا جاء النعمان آذنتها بمجيئه وليدة لها موكلة بذلك فتخرجهُ .

فركب النعمان ذات يوم وأتاها المنخل كما كان يأتيها فلاعبته ، وأخذت قيداً ، فجعلت إحدى حلقتيه في رجله والأخرى في رجلها ، وغفلت الوليدة عن ترقب النعمان ؛ لأنّ الوقت الذي يجيء فيه لم يكن قَرُب بعد ، وأقبل النعمان حينئذٍ ولم يُطل في مكثه¹ كما كان يفعل ، فدخل إلى المتجرّدة ، فوجدها مع المنخل قد قيّدت رجلها ورجله بالقيد ، فأخذه النعمان فدفعه إلى عكبٍ صاحب سجنه ليعذّبه ، وعكبٌ رجل من لخم ، فعذّبه حتى قتله . وقال المنخل قبل أن يموت هذه الأبيات ، وبعث بها إلى ابنه :

ألا من مبلغ الحرّين عني بأنّ القوم قد قتلوا أيباً
وإن لم تثاروا لي من عكبٍ فلا أرويتما أبداً صدياً
يطوّف بي عكبٌ في معدٍّ ويطعن بالصملة في قفياً²

[قاتله هو النعمان لا عمرو بن هند]

قال ابن حبيب : وزعم ابن الجصاص أنّ عمرو بن هند هو قاتل المنخل ، والقول الأوّل أصحّ .

[قصيدته في المتجرّدة]

وهذه القصيدة التي منها الغناء يقولها في المتجرّدة ، وأولها قوله : [من مجزوء الكامل]

إن كنت عاذلتني فسيري نحو العراق ولا تحوري
لا تسألني عن جلّ ما لي واذكري كرمي وخيري
وإذا الرياح تناوحت بجوانب البيت الكسير³

1 ل : وجهه .

2 الصملة : الحربة .

3 الكسير : الذي له كسور ، وهي ما مسّ الأرض من هدايه .

أَفَيْتَنِي هَشَّ النَّدِيَّ بِمَرِّ قَدَحِي أَوْ شَجِيرِي¹
الشجير : القِدَح الذي لم يُصَلَح حسناً ، ويقال : بل هو القِدَح العارية .
وَنَهَى أَبُو أَفْعَى فَقَلَّ لَدُنِي أَبُو أَفْعَى جَرِيرِي²
وَجَلَالَةَ خَطَاة هُوَجَاءَ جَائِلَةَ الضُّفُورِ³
تَعْدُو بِأَشْعَثَ قَد وَهَى سِرْبَالُكَ بَاقِي الْمَسِيرِ⁴
فُضْلاً عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيدِ قِي إِلَيْكَ عُلْقَمَةَ بَنَ صَبِيرِ⁵
الوَاهِبُ الْكُومِ الصَّفَا يَا وَالْأَوَانِسُ فِي الْخُدُورِ⁶
يُصْفِيكَ حِينَ تَجِيئُهُ بِالْعَصَبِ وَالْحَلِيِّ الْكَثِيرِ⁷
وَفُورَسٍ كَأَوَارٍ حَرٌّ النَّارِ أَحْلَاسِ الذُّكُورِ⁸
شَدُّوا دَوَابِرَ بَيْضَهُمْ فِي كُلِّ مُحْكَمَةِ الْقَتِيرِ⁹
فَاسْتَلَامُوا وَتَلَبَّبُوا إِنَّ التَّلَبُّبَ لِلْمَغِيرِ¹⁰
وَعَلَى الْجِيَادِ الْمَضْمَرَا تِ فُورَسٌ مِثْلُ الصَّقُورِ¹⁰
يَخْرِجُنْ مِنْ خَلَلِ الْغَبَا رِ يَجِفُنْ بِالنَّعَمِ الْكَثِيرِ
فَشَفِيتُ نَفْسِي مِنْ أَوْلَ عَاكَ وَالْفَوَائِحِ بِالْعَبِيرِ
يَرْفُلُنْ فِي الْمَسْكِ الذَّكِيِّ وَصَائِكَ كَدَمِ النَّحِيرِ¹¹

- 1 في حماسة أبي تمام : أَفَيْتَنِي هَشَّ الْبَيْدِيَّ — من بمري قدحي أو شجيري والشجير : القريب .
- 2 الجرير : حُبْلُ الزَّمام .
- 3 جلالة : ناقة مسنة . خطارة : تضرب بذنبها يمينا وشمالاً . الضفُور : جمع ضَفْر ، وهو ما يشدُّ البعير به من مضفور .
- 4 باقي المسير : لم يستنفد القدرة على المسير .
- 5 فضلاً : متفضلاً في ثوب واحد .
- 6 الكوم : جمع كوماء ، وهي الناقة العظيمة السنام . الصفايا : النوق الغزيرة اللبن .
- 7 العصب : ضرب من البرود .
- 8 الحلس : الملازم .
- 9 القتير : رؤوس مسامير الدروع .
- 10 المضمرات في ل : المشتقات .
- 11 صائك : وصف من صاك به الطبيب يصيك : لُزق .

يعكفن مثل أسود الله نوم لم تعكف لزور¹
ولقد دخلت على الفتا الخدر في اليوم المطير
الكاعب الخساء تر قل في الدَّمَقْس وفي الحرير
فدفعته فتدافعت مشي القطاة إلى الغدير
ولثمتها فتنفست كتففس الظبي البهير
فدنت وقالت يا منخ ل ما بجسمك من حرور؟
ما شف جسمي غير حب لك فاهدني عني وسيري
ولقد شربت من المدا مة بالصغير والكبير
ولقد شربت الخمر بال خيل الإناث والذكور
ولقد شربت الخمر بال عبد الصحيح وبالأسير
فإذا سكرت فأنني رب الخورنق والسدير
وإذا صحت فأنني رب الشويهة والبعير
يا رب يوم للمنخ ل قد لها فيه قصير
يا هند هل من نائل يا هند للعاني الأسير
ومن الناس من يزيد في هذه القصيدة :
وأحبها وتحبني
ولم أجده في رواية صحيحة .

صوت

[من الوافر]

لمن شيخان قد نشدا كلابا كتاب الله لو قبل الكتابا
أناشده فيعرض في إباء فلا وأبي كلاب ما أصابا
الشعر لأمية بن الأسكر الليثي ، والغناء لعبد الله بن طاهر ، رمل بالوسطى . صنعه ونسبه
إلى لميس جاريته ، وذكر الهشامي أن اللحن لها ، وذكره غبيد الله بن عبد الله بن طاهر في
جامع أغانيهم ووقع إلي ، فقال : الغناء فيه للدَّار الكبيرة ، وكذلك كان يكني عن أبيه ، وعن
إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب وجواريهم ، ويكني عن نفسه وجاريته شاجي وما يصنع في
دور إخوته بالدَّار الصغيرة .

1 يعكفن : يمشطن أو يضفر . التنوم : شجر يسود كله .

[441] - أخبار أمية بن الأسكر ونسبه

[نسبه]

هو أمية بن حرثان بن الأسكر بن عبد الله بن سراييل الموت بن زهرة بن زينة بن جندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار .
شاعر فارس مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان من سادات قومه وفرسانهم ، وله أيام ماثورة مذكورة .

[استعمال ابنه كلاب على الأبله]

وكان له أخ يقال له : أبو لاقع الدم ، وكان من فرسان قومه وشعرائهم ، وابنه كلاب بن أمية أيضاً أدرك النبي ﷺ فأسلم مع أبيه ، ثم هاجر إلى النبي ﷺ فقال أبوه فيه شعراً ، ذكر أبو عمرو الشيباني أنه هذا الشعر ، وهو خطأ ، إنما خاطبه بهذا الشعر لما غزا مع أهل العراق لقتال الفرس ، وخبره في ذلك يذكر بعد هذا .

قال أبو عمرو في خبره : فأمره ﷺ بصلة أبيه وملازمته طاعته .

وكان عمر بن الخطاب استعمل كلاباً على الأبله¹ ، فكان أبواه يتتابانه ، يأتيه أحدهما في كل سنة ، ثم أبطأ عليه وكبرا فضعفا عن لقائه ، فقال أبياتا وأنشدها عمر ، فرق له ورده إليهما ، فلم يلبث معهما إلا مدة حتى نهشته أفعى ؛ فمات وهذا أيضاً وهم من أبي عمرو ، وقد عاش كلاب حتى ولي زياد الأبله ، ثم استعفى ، فأعفاه . وسأذكر خبره في ذلك وغيره هاهنا إن شاء الله تعالى .

[شعره في ابنه كلاب لما طالت غيبته في الغزو]

فأما خبره مع عمر فإن الحسن بن علي أخبرني به ، قال : حدثني الحارث بن محمد قال : حدثني المدائني عن أبي بكر الهذلي عن الزبير عن عروة بن الزبير قال : هاجر كلاب بن أمية بن الأسكر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب ، فأقام بها مدة ، ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، فسألهما : أي الأعمال أفضل في الإسلام ؟ فقالا : الجهاد ، فسأل عمر فأغراه في جيش ، وكان أبوه قد كبر وضعف ، فلما طالت غيبة كلاب عنه قال :

[من الوافر]

1 الأبله : بلدة غربي البصرة .

لَمَنْ شِيخَانِ قَدْ نَشَدَا كِلَابَا كِتَابَ اللَّهِ إِنْ قَبِلَ الْكِتَابَا¹
 أَنَادِيهِ فَيُعْرَضُ فِي إِبَاء فَلَا وَأَيَّ كِلَابٍ مَا أَصَابَا²
 إِذَا سَجَعَتْ حَمَامَةٌ بَطْنِ وَادٍ إِلَى يَبِضَاتِهَا دَعَا كِلَابَا³
 أَتَاهُ مَهَاجِرَانِ تَكْتَفَاهُ فَفَارَقَ شَيْخَهُ خَطِئًا وَخَابَا⁴
 تَرَكْتَ أَبَاكَ مُرْعَشَةً يَدَاهُ وَأَمَّا مَا تُسَيِّغُ لَهَا شَرَابَا⁵
 تُمَسِّحُ مُهْرَهُ شَفَقًا عَلَيْهِ وَتَجْنِبُهُ أَبَاغَرَهَا الصَّعَابَا⁶

قال : تَجْنِبُهُ وَتَجْنِبُهُ وَاحِدٌ ، مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾⁶
 قال :

فَإِنَّكَ قَدْ تَرَكْتَ أَبَاكَ شَيْخًا يَطَارِقُ أَيْنُقَا شُرْبًا طَرَابَا⁷
 فَإِنَّكَ وَالتَّمَّاسَ الْأَجَرَ بَعْدِي كَبَاغِي الْمَاءِ يَتَّبِعُ السَّرَابَا

[يَنشِدُ عَمْرَ شَعْرًا فَيَرِدُ كِلَابًا عَلَيْهِ]

فَبَلَغَتْ أَبْيَاتُهُ عَمْرَ ، فَلَمْ يَرُدِّدْ كِلَابًا وَطَالَ مَقَامُهُ فَاهْتَرَأُمِيَّةٌ وَخُلِطَ جَزَعًا عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ أَتَاهُ
 يَوْمًا وَهُوَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَوْلَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَنْشَأَ
 يَقُولُ :

أَعَاذَلْ قَدْ عَذَلْتِ بَغِيرٍ قَدِيرٍ وَلَا تَدْرِيْنَ عَاذَلْ مَا الْأَقْيِ
 فَإِنَّمَا كُنْتِ عَاذَلْتِي فَرْدِي كِلَابَا إِذْ تَوَجَّهَ لِلْعِرَاقِ
 وَلَمْ أَقْضِ اللَّبَانَةَ مِنْ كِلَابٍ غَدَاةً غَدٍ وَأُذْنَ بِالْفِرَاقِ
 فَتَى الْفَتَيَانِ فِي عُسْرٍ وَيُسْرٍ شَدِيدُ الرُّكْنِ فِي يَوْمِ التَّلَاقِ
 فَلَا وَاللَّهِ مَا بِالْيَتِ وَجَدِي وَلَا شَفَقِي عَلَيْكَ وَلَا اشْتِيَاقِي

- 1 ذكرت في الأمالي بترتيب مخالف وبرواية مخالفة في أكثر الأبيات .
 - 2 في الأمالي : أَنَادِيهِ وَوَلَانِي قَفَاه .
 - 3 سَجَعَتْ فِي الْأَمَالِي : هَتَفَتْ . إِلَى فِي الْأَمَالِي : عَلَى .
 - 4 أَتَاهُ مَهَاجِرَانِ فِي الْأَمَالِي : فَإِنَّ مَهَاجِرَيْنِ . فَفَارَقَ فِي الْأَمَالِي : لِيَتَرَكَ .
 - 5 رواية البيت في الأمالي :
 - 6 سورة إبراهيم ، الآية : 35 .
 - 7 يطارق : يطابق . شُرْبًا : ضَامِرَةٌ . وَفِي الْأَمَالِي :
- وَأَنْ أَبَاكَ حَيْثُ عَلِمْتَاهُ يُطَارِدُ أَيْنُقَا شِسْبًا طَرَابَا

وإبقائي عليك إذا شتونا وضمتك تحت نخري واعتناقني
فلو فلق الفؤادَ شديداً وجدٍ لهم سواد قلبي بانفلاق¹
سأستعدي على الفاروق رباً له دُفع الحجيحُ إلى بُساق²
وأدعو الله مجتهداً عليه يظن الأخشين إلى دُفاق
إن الفاروق لم يردد كلاباً إلى شيخين هاتهما زواق

[مبلغ برّه بأبيه]

قال : فبكى عمر بكاءً شديداً ، وكتب برّد كلاب إلى المدينة ، فلما قدِم دخل إليه ، فقال : ما بلغ من برك بأبيك ؟ قال : كنت أوثره وأكفيه أمره ، وكنت أعتد إذا أردت أن أحلب له لبناً أغزر ناقةً في إبله وأسمّنها فأريحها وأتركها حتى تستقرّ ، ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ثم أحتلب له فأسقيه . فبعث عمر إلى أُمّية من جاء به إليه ، فأدخله يتهدى وقد ضعف بصره وانحنى . فقال له : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ قال : كما تراني يا أمير المؤمنين . قال : فهل لك من حاجة ؟ قال : نعم ، أشتي أن أرى كلاباً فأشّمه شمةً ، وأضمّه ضمةً قبل أن أموت . فبكى عمر ، ثم قال : ستبلغ من هذا ما تحبّ إن شاء الله تعالى .

[عمر يأمره أن يلزم أبويه]

ثم أمر كلاباً أن يحتلب لأبيه ناقةً كما كان يفعل ، ويبعث إليه بلبنها ، ففعل فناوله عمرُ الإناء ، وقال : دونك هذا يا أبا كلاب . فلما أخذه وأدناه إلى فمه قال : لعمر : والله يا أمير المؤمنين ، إنني لأشّم رائحة يدي كلاب من هذا الإناء ، فبكى عمر ، وقال : هذا كلاب عندك حاضراً قد جئتاك به ، فوثب إلى ابنه وضمّه إليه وقبله ، وجعل عمر يبكي ومن حضره ، وقال لكلاب : الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا ، ثم شأنك بنفسك بعدهما ، وأمر له بعطائه ، وصرفه مع أبيه ، فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبوه .

[يخرجه قومه لأن إبله أصيبت بالهيام]

ونسختُ من كتاب أبي سعيد السكري أن أُمّية كانت له إبل هائمة ، أي أصابها الهيام وهو داء يصيب الإبل من العطش ، فأخرجته بنو بكر مخافة أن يصيب إبلهم ، فقال لهم : يا بني بكر ، إنما هي ثلاث ليال : ليلة بالبقعاء³ وليلة بالفرع⁴ ، وليلة بلقَف في سامرٍ من

1 شديد في ل : حطام .

2 بُساق : موضع .

3 البقعاء : ماء لعيس ، وقيل : مياه لبني السليط على مبعدة 24 ميلاً من المدينة .

4 الفرع : قرية ناحية المدينة .

بني بكر ، فلم ينفعه ذلك وأخرجوه ، فَأَتَى مُزَيْنَةَ فَأَجَارَوْه ، وَأَقَامَ عِنْدَهُمْ إِلَى أَنْ صَحَّتْ
إِلَيْهِ ، وَسَكَنْتْ ، فَقَالَ يَمْدَحُ مُزَيْنَةَ :

| | |
|--|---|
| تَكْنَفُهَا الْهَيْامُ وَأَخْرَجُوهَا | فَمَا تَأْوِي إِلَى إِيْلٍ صِحَاحٍ |
| فَكَانَ إِلَى مُزَيْنَةَ مَنَتَهَا | عَلَى مَا كَانَ فِيهَا مِنْ جُنَاحٍ |
| وَمَا يَكُنِ الْجُنَاحُ فَإِنَّ فِيهَا | خَلَائِقَ يَنْتَمِينَ إِلَى صِلَاحٍ |
| وَيَوْمًا فِي بَنِي لَيْثِ بْنِ بَكْرٍ | تُرَاعِي تَحْتَ قَعْقَعَةِ الرَّمَاحِ |
| فَإِمَّا أُصِيحَنُ شَيْخًا كَبِيرًا | وَرَاءَ الدَّارِ يُثْقَلَنِي سِلَاحِي |
| فَقَدْ أَتَى الصَّرِيخُ إِذَا دَعَانِي | عَلَى ذِي مَنَعَةٍ عَنَدِ وَقَاحٍ ¹ |
| وَشَرُّ أَخِي مُؤَامِرَةٍ خَدُولٍ | عَلَى مَا كَانَ مُؤْتَكِلٌ وَوَلَاحٍ ² |

[عَمَّرَ حَتَّى خَرَفَ]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَزَنِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرِو الشَّيْبَانِيِّ عَنْ
أَبِيهِ ، وَأَخْبَرَنِي بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ خُلْفٍ بْنِ الْمَرْزُبَانِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو تَوْبَةَ عَنْ أَبِي عَمْرِو قَالَ : عُمَرُ
أُمَيَّةُ بْنُ الْأَسْكَرِ عُمَرًا طَوِيلًا حَتَّى خَرَفَ ، فَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا فِي نَادِي قَوْمِهِ وَهُوَ يَحْدُثُ
نَفْسَهُ ، إِذْ نَظَرَ إِلَى رَاعِي ضَأْنٍ لِبَعْضِ قَوْمِهِ يَتَعَجَّبُ مِنْهُ ، فَقَامَ لِيَنْهَضَ فَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ ،
فَضَحِكَ الرَّاعِي مِنْهُ ، وَأَقْبَلَ ابْنَاهُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُمَا أَنْشَأَ يَقُولُ :

| | |
|--|--|
| يَا بَنِي أُمَيَّةُ إِنِّي عِنْدَمَا غَانِ | وَمَا الْغَنَى غَيْرَ أَنِّي مُرْعَشٌ فَإِنْ |
| يَا بَنِي أُمَيَّةُ إِلَّا تَحْفَظَا كِبَرِي | فَإِنَّمَا أَتَمَّمَا وَالثُّكُلُ سَيَّانِ |
| هَلْ لَكُمْ فِي تُرَاثٍ تَذْهَبَانُ بِهِ | إِنَّ التُّرَاثَ إِلَهِيَّانِ بَنِي بَيَّانِ |

يَقَالُ : هَيَّانُ بْنُ بَيَّانٍ ، وَهِيَ تَرَى لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ .

| | |
|---|--|
| أَصْبَحْتُ هَزْأً لِرَاعِي الضَّأْنِ يَسْخَرُ بِي | مَاذَا يَرِيبُكَ مِنِّي رَاعِي الضَّأْنِ ³ |
| اعْجَبْ لَغَيْرِي إِنِّي تَابِعُ سَلْفِي | أَعْمَامَ مُجَدِّ وَأَجْدَادِي وَإِخْوَانِي |
| وَانْعَقْ بِضَائِكَ فِي أَرْضٍ تُطَيِّفُ بِهَا | بَيْنَ الْأَسَافِ وَأَنْتَجَهَا بِجِلْدَانِ ⁴ |

1 عَتِدَ : أَيِ شَدِيدٍ تَامَ الْخَلْقِ . وَالْوَقَاحُ : الصَّلْبُ .

2 مُؤْتَكِلٌ : غَاضِبٌ هَائِجٌ .

3 هَزْأٌ فِي ل : قَرْدًا .

4 الْأَسَافُ : الْبَقَاعُ الَّتِي لَا تَنْتَبِ ، جَمْعُ أُسَافَةٍ . فِي الْأُمَالِي : بِجُمْدَانَ وَرَوَايَةُ الْبَيْتِ مُخْتَلَفَةٌ :

انْعَقَ بِضَائِكَ فِي نَجْمٍ تَحْقَرُهُ مِنْ الْأَبَاطِحِ وَاحْبَسَهَا بِجُمْدَانَ
وَجُمْدَانَ ، اسْمُ لَوَادٍ ، وَاسْمُ جَبَلٍ .

جلذان : موضع بالطائف .

بيلدة لا ينام الكالئان بها ولا يَقْرُ بها أصحابُ ألوان

[الإمام علي يمثل بشعر له]

وهذه الأبيات تمثل بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، في خطبة له على المنبر بالكوفة .

حدثنا بها أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قالوا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا محمد بن أبي رجاء ، قال : حدثنا إبراهيم بن سعد ، قال : قال عبد الله بن عدي بن الخير : شهدت الحكمين ، ثم أتيت الكوفة وكانت لي إلى علي عليه السلام حاجة ، فدخلت عليه ، فلما رأيته قال : مرحباً بك يا ابن أم قتال ، أزاراً جئتنا أم حاجة ؟ فقلت : كل جاء بي ؛ جئت لحاجة ، وأحببت أن أجدد بك عهداً ، وسألته عن حديث فحدثني علي ألا أحدث به واحداً . فبينما أنا يوماً بالمسجد في الكوفة إذا علي صلوات الله عليه متنكب قرناً له ، فجعل يقول : الصلاة جامعة . وجلس على المنبر ، فاجتمع الناس ، وجاء الأشعث بن قيس فجلس إلى جانب المنبر . فلما اجتمع الناس ، ورضي منهم قام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنكم تزعمون أن عندي من رسول الله ﷺ ، ما ليس عند الناس ، ألا وإنه ليس عندي إلا ما في قرني هذا ، ثم نكت كنانته ، فأخرج منها صحيفة فيها : «المسلمون تتكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم . من أحدث حديثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» . فقال له الأشعث بن قيس : هذه والله عليك لا لك ، دَعُها تترحل ، فخفَضَ علي صلوات الله عليه ، إليه بصره ، وقال : ما يدريك ما علي مما لي ! عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين ، حائك ابن حائك ، منافق ابن منافق ، كافر ابن كافر . والله لقد أسرك الإسلام مرة والكفر مرة ، فما فداك من واحدٍ منهما حسبك ولا مالك ، ثم رفع إلي بصره فقال : يا عبيد الله :

أصبحتُ قنّاً لراعي الضأن يلعبُ بي ماذا يريك مني راعي الضأن

فقلت : بأبي أنت وأمي ، قد كنتُ والله أحبُّ أن أسمع هذا منك . قال : هو والله ذلك ،

قال :

[من الطويل]

فَمَا قِيلَ لِي مِنْ بَعْدِهَا مِنْ مَقَالَةٍ وَلَا عَلِقْتُ مِنِّي جَدِيداً وَلَا دَرَسَا

[عودة كلاب إلى البصرة بعد موت أبيه]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَارِثُ ، عَنْ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ : لَمَّا مَاتَ أُمَيَّةُ بْنُ الْأُسْكُرِ عَادَ ابْنُهُ كِلَابٌ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَكَانَ يَغْزُو مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، مِنْهَا مَغَازِيهِمْ ، وَشَهِدَ فَتُوحَاتٍ كَثِيرَةً ، وَبَقِيَ إِلَى أَيَّامِ زِيَادٍ ، فَوَلَّاهُ الْأُبَلَةَ ، فَسَمِعَ كِلَابٌ يَوْمًا عِثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ يَحْدُثُ أَنَّ دَاوُدَ نَبِيَّ اللَّهِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَانَ يَجْمَعُ أَهْلَهُ فِي السَّحَرِ فَيَقُولُ : ادْعُوا رَبَّكُمْ فَإِنَّ فِي السَّحَرِ سَاعَةً لَا يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ إِلَّا غُفِرَ لَهُ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَشَارًا¹ أَوْ غَرِيفًا² . فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ كِلَابٌ كَتَبَ إِلَى زِيَادٍ ، فَاسْتَعْفَاهُ مِنْ عَمَلِهِ فَأَعْفَاهُ .

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : وَلَمْ يَزَلْ كِلَابٌ بِالْبَصْرَةِ حَتَّى مَاتَ ، وَالْمَرْبِعةُ الْمَعْرُوفَةُ بِمَرْبِعةِ كِلَابٍ بِالْبَصْرَةِ مَنْسُوبَةٌ إِلَيْهِ .

[شعر أُمَيَّةُ وَقَدْ ظَفَرَ بَنُو لَيْثَ بِقَوْمِهِ]

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ : كَانَ بَيْنَ بَنِي غِفَارٍ قَوْمِهِ وَبَنِي لَيْثَ حَرْبٌ فَظَفَرَتْ بَنُو لَيْثَ بِغِفَارٍ ، فَحَالَفَ رَحْضَةَ بْنَ خُزَيْمَةَ بْنَ خِلَافٍ بْنَ حَارِثَةَ بْنَ غِفَارٍ وَقَوْمَهُ ، جَمِيعاً بَنِي أَسْلَمَ بْنَ أَفْصَى بْنِ خُزَاعَةَ ، فَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ الْأُسْكُرِ فِي ذَلِكَ ، وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي جَنْدُعَ بْنِ لَيْثَ وَفَارَسَهُمْ :

لَقَدْ طَبِيتَ نَفْسًا عَنْ مَوَالِيكَ يَا رَحْضَا وَآثَرْتَ أَذْنَابَ الشَّوَالِ وَالْحَمْضَا³
تُعَلِّلُنَا بِالنَّصْرِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ وَكُلَّ رَيْعٍ أَنْتَ رَافِضُنَا رَفْضَا
فَلَوْلَا تَأْسِينَا وَحَدُّ رَمَاحِنَا لَقَدْ جَرَّ قَوْمٌ لَحْمَنَا تَرِبًا قَضَا
الْقَضَى وَالْقَضِيضُ : الْحَصَا الصَّغَارُ .

[عبد الله بن الزبير يتمثل بشعره]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زَهِيرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : افْتَعَلَ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ كِتَابًا عَنْ مَعَاوِيَةَ إِلَى مِرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِأَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ مَالًا ، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا عَرَفَ مَعَاوِيَةَ خَبَرَهُ كَتَبَ إِلَى مِرْوَانَ بِأَنْ يَجْبِسَ عَمْرًا حَتَّى يُوَدِّيَ الْمَالَ ، فَجَبَسَهُ مِرْوَانُ ، وَبَلَغَ الْخَبْرُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ، فَجَاءَ إِلَى مِرْوَانَ وَسَأَلَهُ عَنِ الْخَبْرِ ، فَحَدَّثَهُ بِهِ ، فَقَالَ : مَا لَكُمْ فِي ذِمَّتِي ، فَأُطْلِقَ عَمْرًا ، وَأَدَّى عَبْدُ اللَّهِ الْمَالَ عَنْهُ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأُوَدِّيهِ

1 العشار : جاني عشر الأموال .

2 العريف : الرئيس أو النقيب .

3 الشوائل : جمع شائلة ، وهي التي أتى على حملها سبعة أشهر . والحمض : نبت ترعاه الإبل .

عنه وإنِّي لأعلم أنَّه غير شاكر ، ثم تمثَّل قولُ أمية بن الأسكر الليثي : [من الطويل]
فلولا تأسَّينا وحدَّ رماحنا لقد جرَّ قوم لحمنا تراباً قَصّاً
[سيِّدان يخطبان بنتاً له]

وقال ابنُ الكلبي : حدَّثنا بعضُ بني الحارثِ بنِ كعبٍ قال : اجتمع يزيدُ بنُ عبدِ المَدانِ وعامرُ بنُ الطُّفَيْلِ بموسمِ عُكاظَ ، فقدمَ أميةُ بنُ الأسكر ، ومعه بنت له من أجمل أهل زمانها ، فخطبها يزيدُ وعامرٌ ، فقالت أُمُّ كلابِ امرأةُ أميةَ : مَنْ هذا الرجلان ؟ قال : قال : هذا ابنُ الديَّان ، وهذا عامرُ بنُ الطُّفَيْلِ . قالت : أعرف ابنَ الديَّان ، ولا أعرف عامراً . قال : هل سَمِعْتَ بملاعبِ الأسنَّةِ ؟ قالت : نعم والله . قال : فهذا ابنُ أخيه . وأقبلَ يزيدُ فقال : يا أميةُ أنا ابنُ الديَّان ، صاحبُ الكُتَيْبِ ، ورئيسُ مَذْحِجٍ ، ومكَلَّمُ العُقَابِ ، وَمَنْ كانَ يَصُوبُ أَصابعه فتنطِفِ دماً ، ويدلُّك راحتيه فتخرجان ذهباً . قال أميةُ : بَخِ بَخِ .

فقال عامر : جدِّي الأحزمُ ، وعمِّي أبو الأصبع ، وعمِّي ملاعبُ الأسنَّةِ ، وجدِّي الرَّحَّالُ ، وأبي فارسُ قُرْزُل . قال أميةُ : بَخِ بَخِ ، مَرَعى ولا كالسَّعدانِ¹ ، فأرسلها . مثلاً . فقال يزيد : يا عامرُ ، هل تعلم شاعراً من قومي رحَل بمدحِه إلى رجل من قومك ؟ قال : لا ، قال : فهل تعلم أنَّ شعراء قومك يرحلون بمدحهم إلى قومي ؟ قال : نعم . قال : فهل لك نجم يمانٍ أو برد يمانٍ أو سيف يمانٍ أو ركنٌ يمانٍ ؟ فقال : لا ، قال : فهل ملكناكم ولم تملكونا ؟ قال : نعم ، فنهض يزيد وقام ، ثم قال : [من الرجز]

أُمِّي يا ابنَ الأسكر بنِ مُدلج لا تجعلن هوازنا كمَذْحِجِ
إنَّكَ إن تلهج بأمر تلجج ما النِّبع في مغرِسِه كالعوَسَجِ
ولا الصَّرِيحُ المحضُ كالمُزَجِ

وقال مرةً بنُ دُودانِ العُقَيْليّ ، وكان عدواً لعامر بنِ الطُّفَيْلِ : [من الرجز]

1 انظر المثل في جمهرة الأمثال للعسكري 2/275 ، 325 ، 4/242 وفصل المقال لأبي عبيد البكري 199 وكتاب الأمثال للقاسم بن سلام 135 ، والفاخر للمفضل بن سلمة الضبي 64 وكتاب الأمثال للمفضل بن محمد الضبي 127 وكتاب الأمثال لمجهول 112 . السعدان : نبت من أفضل مراعي الإبل . مثل يضرب للشيء يفضل على أقرانه . وفي مجمع الأمثال للميداني : أنَّه للخنساء . وهو في فصل المقال : 199 مثل يضرب للرجل يحمد شأنه ثم يصير إلى أكثر منه وأعلى . وحكى المفضل أنَّ المثل لامرأة من طيء وكان تزوجها امرؤ القيس بن حجر الكندي وكان مفركاً ، فقال لها : أين أنا من زوجك الأول : فقالت : «مرعى ولا كالسَّعدان» .

يا ليت شعري عنك يا يزيدُ ماذا الذي من عامر تريدُ ؟
 لكل قوم فخرهم عتيْدُ أمطّاقون نحن أم عبيدُ ؟
 لا بل عبيدُ زادنا الهبيدُ¹

فزوج أُمّية يزيد فقال يزيد في ذلك : [من الكامل]

يا للرجال لطارق الأحزانِ ولعامر بن طفيل الوسنانِ
 كانت إتاوة قومهِ لحرق زمناً وصارت بعدُ للنعمانِ²
 عدّ الفوارس من هوازن كلّها كنفنا عليّ وجئتُ بالديانِ³
 فإذا ليّ الفضلُ المبين بوالدِ ضخم الدسيعة زانني ونماني⁴
 يا عامر إنك فارس متهورٌ غصُ الشباب أخو ندَى وقيان
 واعلم بأنك يا ابن فارس قُرْزُلُ دون الذي تسمو له وتُداني
 ليست فوارسُ عامر بمُقِرّة لك الفضيلة في بني عيلانِ
 فإذا لقيت بني الخميس ومالكاً وبني الضباب وحيّ آل قنانِ
 فاسأل من المرء المُنوّه باسمه والدافعُ الأعداء عن نجرانِ ؟
 يُعطى المَقادة في فوارس قومهِ كرمًا لعمرك والكريم يمانِ

فقال عامر بن الطفيل مجيباً له : [من الكامل]

يا للرجال لطارق الأحزانِ ولما يجيء به بنو الديانِ
 فخروا عليّ بحبوة لحرق وإتاوة سلفت من النعمانِ
 ما أنت وابن محرق وقبيله وإتاوة اللخميّ في عيلانِ ؟
 فاقصِدْ بذرعك قصْدُ أمرِك قصده ودع القبائل من بني قحطانِ
 إذ كان سالفنا إلتاوة فيهم أولى ففخرك فخر كلّ يمانِ
 وافخر برَهط بني الحماس ومالك وابن الضباب وزعبل وقيانِ
 وأنا المنخل وابن فارس قُرْزُلُ وأبو نزار زانني ونماني

1 الهبيد : الحنظل .

2 ممن يلقبون بالحرق : عمرو بن هند ، والحارث بن عمر .

3 الكنف : الكثرة والالتفاف .

4 الدسيعة : الجفنة والمائدة الكريمة .

وإذا تعاظمت الأمور موازنا كنت المنوة باسمه والثاني
فلما رجع القوم إلى بني عامر وثبوا على مرة بن دودان ، فقالوا : أنت شاعر بني عامر ولم
تهج بني الديان ، فقال :

تكلفني هوازنُ فخرَ قومٍ يقولون الأنامُ لنا عبيدُ
أبوهم مذحج وأبو أبيهم إذا ما عُدَّت الآباءُ هودُ
وهل لي إن فخرتُ بغير فخر مقال والأنامُ له شهودُ ؟
فإننا لم نزلْ لهم قطينا تجيء إليهم منا الوفودُ
فإننا نضرب الأحلام صفحا عن العلياء أو من ذا يكيدُ ؟
فقولوا يا بني عيلان كنّا لكم قنّا وما عنكم محيدُ

وهذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبي ، والتوليد فيه بين ، وشعره شعر ركيك
غث ، لا يشبه أشعار القوم . وإنما ذكرته لئلا يخلو الكتاب من شيء قد روي .
[شعره في يوم المريسع]

وقال محمد بن حبيب فيما روى عنه أبو سعيد السكري ، ونسخته من كتابه ، قال أبو
عمرو الشيباني : أصيب قوم من بني جندع بن ليث بن بكر بن هوازن رهط أمية بن
الأسكر يقال لهم : بنو زينة ، أصابهم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، يوم
المريسع² في غزوته بني المصطلق ، وكانوا جيرانه يومئذ ، ومعهم ناس من بني لحيان من
هذيل ، ومع بني جندع رجل من خزاعة يقال له : طارق ، فاتهمه بنو ليث بهم ، وأنه
دلّ عليهم . وكانت خزاعة مسلمها ومشركها يميلون إلى النبي ﷺ ، على قريش . فقال
أمية بن الأسكر لطارق الخزاعي :

لعمرك إنني والخزاعي طارقاً كنعجة عادٍ حتفها تحفرُ
أثارت عليها شفرة بكراعها فظلت بها من آخر الليل تُجزرُ
شمتَ بقومٍ هم صديقك أهلكوا أصابهم يوم من الدهر أعسرُ
كأنك لم تُنبأ يوم ذؤالة ويوم الرجيع إذ تنحر حبتُرُ
فهلاً أباكم في هذيل وعمكم ثارتُم وهم أعدى قلوباً وأوترُ

1 قطينا : أتباعاً .

2 المريسع : بئر أو ماء لخزاعة .

ويوم الأراك يوم أردف سبيكم
وسعد بن ليث إذا تسلّ نساؤكم
عجبت لشيخ من ربيعة مهتر¹
صميم سرّة الدّيل عبدٌ ويعمرُ
وكلب بن عوف نخروكم وعقروا
أمر له يوم من الدهر منكراً²

[شعر طارق الخزاعي يجيبه فيه]

فأجابه طارق الخزاعي فقال :

لعمرك ما أدري وإني لقائل
أعنف أن كانت زينة أهلك
إلى أيّ من يظنني أتعدّر²؟
ونال بنسي لحيان شرّ ونفروا

[ابن عباس ومعاوية يتمثلان بشعره وشعر صاحبه]

وهذه الأبيات : الابتداء ، والجواب تمثّل بابتدائها ابن عباس في رسالة إلى معاوية ، وتمثّل بجوابها معاوية في رسالة أجابه بها .

حدثني بذلك أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجليّ العطار بالكوفة ، قال : حدثنا الحسين بن نصر بن مزاحم المنقريّ قال : حدثنا زيد بن المعدّل النمرى ، قال : حدثنا يحيى بن شعيب الخزاز ، قال : حدثنا أبو مخنف ، قال : لما بلغ معاوية مصاب أمير المؤمنين عليّ ، عليه السلام ، دس رجلاً من بني القين إلى البصرة يتجسس الأخبار ويكتب بها إليه ، فذلّ على القينيّ بالبصرة في بني سليم ، فأخذ وقتل .

وكتب ابن عباس من البصرة إلى معاوية :

أما بعد ، فإنك ودسك أخا بني القين إلى البصرة تلتمس من غفلات قريش مثل الذي ظفرت به من يمانيتك لكما قال الشاعر :

[من الطويل]

لعمرك إني والخزاعيّ طارقاً
أثارت عليها شفرة بكرعها
شمتّ بقوم هم صديقك أهلكوا
كنعجة عاد حتفها تحفر
فظلت بها من آخر الليل تجزر
أصابهم يوم من الدهر أمعر³

فأجابه معاوية : أما بعد ، فإن الحسن قد كتب إليّ بنحو مما كتبت به وأنبني بما لم أجن ظناً وسوء رأي ، وإنك لم تصب مثلاً ، ولكن مثلاً ومثلكم كما قال طارق الخزاعي :

[من الطويل]

1 المهتر : الرجل يفقد عقله من الكبر أو المرض أو الحزن .

2 يظنني : يتهمني .

3 الأمعر : القليل الخير ، وفي ل : أصعر .

فوالله ما أدري وإنّي لصادق إلى أيّ من يظنّني أتعدّر ؟
أعنف أن كانت زينة أهليكت ونال بني لحيان شرّ ونفروا

صوت

[من الكامل]

أبنيّ إنّي قد كبرتُ ورأيتي بصري وفيّ لمُصلحٍ مستمعُ
فلئن كبرتُ لقد دنوتُ من البلى وحلّت لكم منّي خلائقُ أربع¹

عروضه من الكامل ، والشعر لعبد بن الطبيب ، والغناء لابن مُحَرِّز ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجراها ، عن إسحاق ، وفيه لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالبنصر في مجراها عنه أيضاً .

1 في رواية المفضليات (146) :

فلئن هلكتُ لقد بنيت مساعياً تبقى لكم منها مآثر أربع

[442] - نسب عبدة بن الطيب¹ وأخباره

[نسبه]

هو فيما ذكر ابن حبيب عن ابن الأعرابي ، وأبو نصر أحمد بن حاتم عن الأصمعي وأبي عمرو الشيباني وأبي فروة العُكيلي : عبدة بن الطيب ، والطيب اسمه يزيد بن عمرو بن وعلّة بن أنس بن عبد الله بن عبد تميم بن جُشم بن عبد شمس . ويقال : عبشُمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

وقال ابن حبيب خاصة : وقد أخبرني أبو عبيدة قال : تميم كلها كانت في الجاهلية يقال لها : عبد تميم ، وتيمم ، صنم كان لهم يعبدونه .

[شاعر مجيد]

وعبدة شاعر مجيد ليس بالكثير ، وهو مخضرم ، أدرك الإسلام فأسلم ، وكان في جيش النعمان بن المُقرن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن . وقد ذكر ذلك في قصيدته التي أولها :

هل حبلُ خَوَلَةٍ بعد الحجرِ موصولُ أم أنت عنها بعيدُ الدّارِ مشغولُ ؟
حلّت خَوِيلَةٌ في دارٍ مجاورةً أهلَ المدينة فيها الديك والفيلُ²
يقارعون رؤوس العُجُم ضاحيةً منهم فوارس لا عُزْل ولا ميلُ³

[أرثى بيت قالته العرب في شعره]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثني عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال : أرثى بيت قالته العرب قول عبدة بن الطيب :

فما كان قيس هلكه هلك واحدٍ ولكنه بُنيان قوم تهدما

1 انظر أخباره في : المفضليات (مفضلية 26 ص 134) ، والشعر والشعراء 727/2 ، والآلي 69-70 والإصابة 102-101/5 .

2 في المفضليات : المدائن ووردت كذلك في شعر عبدة بن الطيب : 58 .

3 ميل : جمع أميل ، وهو الجبان والسيء الركوب . أو من لا ترس معه ولا سيف ولا رمح .

وتمام هذه الأبيات : أنشدناه عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ عن السكريِّ والمبرِّدِ والأحول
لعبدة يرثي قيساً :

عليك سلامُ الله قيسَ بنَ عاصمٍ ورحمته ما شاء أن يترحمًا
تحيةً من أوليته منك نعمةً إذا زار عن شحطِ بلادك سلماً¹
وما كان قيسٌ هلكه هلكَ واحد ولكنه بُيانُ قوم تهدماً

[يرفع عن الهجاء]

أخبرني محمد بنُ الحسن بنِ دُرَيْدٍ قال : حدَّثنا أبو عثمانَ الأشنادانيُّ عن التوزيِّ عن
أبي عبيدة عن يونس قال : قال رجل لخالد بن صفوان : كان عبدة بنُ الطبيب لا يُحسن
أن يهجو ، فقال : لا تقل ذاك ، فوالله ما أتني من عيٍّ ، ولكنه كان يترفع عن الهجاء ويراه
ضعةً ، كما يرى تركه مروءة وشفراً ، قال :

وأجراً مَنْ رأيتُ بظَهْرٍ غيبٍ على عيب الرجالِ أولو العيوبِ

[عبد الملك بن مروان يروي أفضل ما ذكره في شعره له]

أخبرني محمد بنُ القاسم الأنباريُّ قال : حدَّثنا أحمد بنُ يحيى ثعلبٌ ، عن ابن الأعرابيِّ : أن
عبد الملك بن مروان قال يوماً لجلسائه : أيُّ المناديل أشرف ؟ فقال قائل منهم : مناديل مصر ،
كانتها غرقى² البيض . وقال آخرون : مناديل اليمن ، كانتها نور الربيع . فقال عبد الملك :
مناديل أخي بني سعد عبدة بن الطبيب ، قال :

لما نزلنا نصبنا ظلَّ أخبيةٍ وفارَ للقومِ باللحمِ المراجيل³
ورَدَّ وأشقرُ ما يؤثيه طابخه ما غيَّر الغليُّ منه فهو مأْكولُ⁴
ثُمَّتَ قمنا إلى جُردٍ مُسومةٍ أعرفهنَّ لأيدينا مناديلُ

يعني بالمراجيل : المراحل ، فزاد فيها الباء ضرورة .

1 في شعر عبدة بن الطبيب 88 : ألبسته .

2 الغرقى : القشرة المتزقة بياض البيض .

3 في المفضليات : 141 .

لما وردنا رغبنا ظلَّ أردية وفارَ باللحم للقوم المراجيل
وكذلك ورد في شعر عبدة بن الطبيب 73 .

4 في المفضليات :

ورداً وأشقر لم ينهته طابخه ما غيَّر الغلي منه فهو مأْكول
وكذلك ورد في شعر عبدة 73 يؤثيه : يمعله . ولم ينهته : أي ينضجه .

صوت

[من الرجز]

إِنَّ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي أَخَذَنْ بَعْضِي وَتَرَكَنْ بَعْضِي
 حَنِينٌ طُولِي وَطَوَيْنَ عَرْضِي أَقْعَدْنِي مِنْ بَعْدِ طَوْلِ نَهْضِ
 عروضه من الرّجز ، الشعر للأغلب العجلى ، والغناء لعمر بن بانه ، هزج بالبنصر .

[443] - أخبار الأغلب¹ ونسبه

[نسبه]

هو ، فيما ذكر ابن قتيبة ، الأغلبُ بن جُشم بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

[إسلامه واستشهاده]

وهو أحمد المعمرين ، عُمّر في الجاهلية عمراً طويلاً ، وأدرك الإسلام فأسلم ، وحسن إسلامه وهاجر ، ثم كان فيمن توجه إلى الكوفة مع سعد بن أبي وقاص ، فنزلها ، واستشهد في وقعة بنهاوند² ، فقبّره هناك في قبور الشهداء .

[هو أول من رجز الأراجيز الطوال]

ويقال : إنه أول من رجز الأراجيز الطوال من العرب ، وإياه عنى العجاج بقوله مفتخراً :

إني أنا الأغلبُ أمسى قد نشد

قال ابن حبيب : كانت العرب تقول الرجز في الحرب والحداء والمفاخرة وما جرى هذا المجرى ، فتأتي منه بآيات يسيرة ، فكان الأغلب أول من قصّد الرجز ، ثم سلك الناس بعده طريقته .

[كانت له سرحة يصعد عليها ويرتجز]

أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحي أبو خليفة في كتابه إلينا ، قال : أخبرنا محمد بن سلام ، قال : حدّثنا الأصمعي . وأخبرنا أحمد بن محمد أبو الحسن الأسدي ، قال : حدّثنا الرياشي ، قال حدّثنا معمر بن عبد الوارث عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : كانت للأغلب سرحة يصعد عليها ، ثم يرتجز :

1 انظر أخباره في : الجمحي : 148-149 والشعر والشعراء 613/2 . والاشتقاق 208 والمؤتلف 22 وأسد الغابة 105/1 والإصابة 56/1 والآلي 801-802 والخزانة 332-333 .

2 نهاوند : من بلاد الجبل ، جنوبي همدان .

قد عرَفْتَنِي سَرَحْتِي فَأُطَّتْ وقد شَمِطْتُ بعدها واشمَطْتُ¹

فاعترضه رجل من بني سعد ، ثم أحد بني الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد ، فقال له :

قُبَحَتْ مِنْ سَالِفَةٍ وَمِنْ قَفَا عبدٌ إذا ما رسب القوم طفا²
كما شرار الرُّعَى أطرافُ السَّفَى³

[ينقص عمر عطاءه لقبوله لإنشاد من شعره في الجاهلية]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثني محمد بن عباد بن حبيب المهلبی ، قال : حدثني نصر بن ناب عن داود بن أبي هند عن الشعبي ، قال : كتب عمر بن الخطاب إلى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة : أن استنشد من قبلك من شعراء قومك ما قالوا في الإسلام ، فأرسل إلى الأغلب العجلي فاستنشده فقال :

لقد سألت هيناً موجوداً أرجزاً تريد أم قصيدا ؟

ثم أرسل إلى لبید فقال له : إن شئت مِمَّا عفا الله عنه ، يعني الجاهلية ، فعلت . قال : لا ، أنشدني ما قلت في الإسلام . فانطلق لبید فكتب سورة البقرة في صحيفة ، وقال : أبدلني الله عز وجل بهذه في الإسلام مكان الشعر .

فكتب المغيرة بذلك إلى عمر ، فنقص عمر من عطاء الأغلب خمسمائة ، وجعلها في عطاء لبید ؛ فكتب إلى عمر : يا أمير المؤمنين ، أتقص عطائي أن أطعك ! فردّ عليه خمسمائة وأقرّ عطاء لبید على ألفين وخمسمائة .

أخبرني محمد بن عبد العزيز : قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنا محمد بن حاتم ، قال : حدثنا علي بن القاسم ، عن الشعبي قال : دخل الأغلب على عمر ، فلما رآه قال : هيه ، أنت القائل :

أرجزاً تريد أم قصيدا ؟ لقد سألت هيناً موجوداً

فقال : يا أمير المؤمنين إنما أطعك ، فكتب عمر إلى المغيرة : أن اردد عليه الخمس المائة ، وأقرّ الخمس المائة للبيد .

1 السرحة : الشجرة لا شوك فيها . أظت : صوتت .

2 أصل السالفة : مقدم عنق الفرس .

3 الرعي : ما يرعى .

[شعر في سجاح حين تزوجت مسيلمة]

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : قال الأغلب العجليّ في سجاح لما تزوجت
مُسَيْلَمَةَ الكَذَّاب :
[من الرجز]

| | |
|--|---------------------------------|
| مُلَوَّحاً في العين مجلود القرا ¹ | لقد لقيت سجاح من بعد العمى |
| من اللّجيمين أصحاب القرى ² | مثل الفنيق في شبابٍ قد أتى |
| نشا بلحم وبخيز ما اشترى ³ | ليس بذى واهنة ولا نسا |
| خاطي البضيع لحمه خطا بظا ⁴ | حتى شتا ينتح ذفراه الندى |
| إذا تمطى بين بُرديه صأى ⁵ | كأنما جمّع من لحم الخصى |
| حبلٌ عجوز ضفّرت سبع قوى ⁶ | كأنّ عرق أيّره إذا ودى |
| يرفع وُسطاهنّ من برد الندى ⁷ | يمشي على قوائم خمس زكا |
| قال حديثاً لم يغيّرني البلى | قالت : متى كنت أبا الخير متى ؟ |
| فانتسفت فيشّته ذات الشوى ⁸ | ولم أفارق خلة لي على قلى |
| ما زال عنها بالحديث والمنى ⁹ | كأن في أجدادها سبع كلى |
| قال : ألا ترينه قالت : أرى | والخلق السّفّاسف يُردى في الردى |
| فشام فيها مثل محراث الغضى ¹⁰ | قال : ألا أدخّله ؟ قالت : بلى |

1 القرا : الظهر .

2 الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى للكرامته على أهله ولا يركب .

3 الواهنة : ريح تأخذ في المنكبين ، أو في العضد ، أو في الأُخْدَعَيْن عند الكبر . النّسا : عرق من الورك إلى الكعبين .

4 ينتح : يخرج . الذّفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . خاطي : مكتنز . البضيع : ما انماز من لحم الفخذ ، جمع بضيعه . خطا : اكتنز وبظا ، توكيد لخطا .

5 صأى : صوّت .

6 ودى : المراد نعظ .

7 خمس زكا : خمس عدداً .

8 انتسّف اللون : التمع . وانتسفت الطائر الشيء : نقره . الشوى : قحف الرأس .

9 أجدادها : أصل الأجداد من الإنسان جسمه أو جملة شخصه ، وورد عند البكري : أجيادها . كلى : من معاني الكلية : معقد حمالة القوس .

10 ورد في فصل المقال : قال ألا ألحمه . محراث : ما تحرك به النار .

يقول لما غابَ فيها واستوى لِمِثْلِهَا كُنْتُ أَحْسَبُكَ الْحَسَا¹

[من أخبار سجاح]

وكان من خبر سجاح وأدعائها النبوة وتزويج مسيلمة الكذاب إياها ما أخبرنا به إبراهيم بن النسوي يحيى ، عن أبيه عن شعيب عن سيف : أنَّ سجاح التميمية ادَّعت النبوة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، واجتمعت عليها بنو تميم ، فكان فيما ادَّعت أنه أنزل عليها : يا أيها المؤمنون المتّقون ، لنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها ، ولكنّ قریشاً قوم ييغون .

واجتمعت بنو تميم كلّها إليها لتنصرها . وكان فيهم الأحنف بن قيس ، وحارثة بن بدر ، ووجوه تميم كلّها .

وكان مؤذنتها شُبث بن ربعي الرياحي ، فعمدت في جيشها إلى مسيلمة الكذاب وهو باليمامة ، وقالت : يا معشر تميم ، اقصدوا اليمامة ، فاضربوا فيها كلّ هامة ، وأضرموا فيها ناراً ملهامة ، حتى تتركوها سوداء كالحمامة .

وقالت لبني تميم ، إنّ الله لم يجعل هذا الأمر في ربيعة ، وإنما جعله في مضر ، فاقصدوا هذا الجمع ، فإذا فضضتموه كررتم على قریش . فسارت في قومها وهم الدّهم² الداهم . وبلغ مسيلمة خبرها ، فضاق بها ذرعاً ، وتحصّن في حجر حصن اليمامة . وجاءت في جيوشها فأحاطت به ، فأرسل إلى وجوه قومه وقال : ما ترون ؟ قالوا : نرى أن نسلم هذا الأمر إليها وتدعنا ، فإن لم نفعل فهو البوار .

وكان مسيلمة ذا دهاء ، فقال : سأنظر في هذا الأمر . ثم بعث إليها : إنّ الله ، تبارك وتعالى ، أنزل عليك وحياً ، وأنزل عليّ . فهلمّي نجتمع ، فتدارس ما أنزل الله علينا ، فمّن عرف الحقّ تبعه ، واجتمعنا فأكلنا العرب أكلاً بقومي وقومك .

فبعثت إليه : أفعّل ، فأمر بقبة آدم فضربت ، وأمر بالعود المندلي³ فسُجر فيها ، وقال :

1 مثل : ورد في باب «استعانة الرجل بإخوانه» «لمثل هذا كنت أحسبك الحسا» . وفي فصل المقال اختلف ترتيب الأَشْطَار فجاءت كما يأتي :

تقذف عينه بمثل المصطكى يقول لما غاب فيها واستوى
«لمثلها كنت أحسبك الحسا»

ورد المثل في كتاب جمهرة الأمثال للعسكري 178/2 ، 185 ، وكتاب الأمثال لمجهول 96 ، وفصل المقال 269 والمستقصى 295/2 .

2 الدهم : العدد الكثير .

3 العود المندلي : منسوب إلى مندل ، قرية بالهند .

أَكْثَرُوا مِنَ الطَّيِّبِ وَالْمَجْمَرِ¹ ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا شَمَّتْ رَائِحَةَ الطَّيِّبِ ذَكَرَتْ الْبَاهُ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ .

وجاءها رسوله يخبرها بأمر القُبَّةِ المضروبة للاجتماع ، فَأَتَتْهُ فَقَالَتْ : هَاتِ مَا أُنْزِلُ عَلَيْكَ . فَقَالَ : أَلَمْ تَرِ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِالْحَبْلِی ، أَخْرَجَ مِنْهَا نُطْفَةً تَسْعَى ، بَيْنَ صِفَاقٍ² وَحَشَا ، مِنْ بَيْنِ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَأَمْوَاتٍ وَأَحْيَا ، ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يَكُونُ الْمُنْتَهَى . قَالَتْ : وَمَاذَا ؟ قَالَ : أَلَمْ تَرِ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا أَفْوَاجًا ، وَجَعَلَ النِّسَاءَ لَنَا أَزْوَاجًا ، فَتَوْلَجَ فِيهِنَّ الْغَرَامِيلُ إِبْلَاجًا ، وَنَخَرَجَهَا مِنْهُنَّ إِذَا شِئْنَا إِخْرَاجًا . قَالَتْ : فَبِأَيِّ شَيْءٍ أَمْرُكَ ؟ قَالَ : [مِنْ الْمَهْزَجِ]

أَلَا قَوْمِي إِلَى النَّيْكِ فَقَدْ هَيَّيْ لَكَ الْمَضْجَعُ
فَإِنْ شِئْتِي فِي الْبَيْتِ وَإِنْ شِئْتِي فِي الْمَخْدَعِ
وَإِنْ شِئْتِي سَلْقِنَاكَ وَإِنْ شِئْتِي عَلَى أَرْبَعٍ³
وَإِنْ شِئْتِي بِثَلَاثِهِ وَإِنْ شِئْتِي بِهِ أَجْمَعُ

قَالَ : فَقَالَتْ : لَا ، إِلَّا بِهِ أَجْمَعُ . قَالَ : فَقَالَ : كَذَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ ، فَوَاقِعُهَا . فَلَمَّا قَامَ عَنْهَا قَالَتْ : إِنَّ مِثْلِي لَا يَجْرِي أَمْرُهَا هَكَذَا ، فَيَكُونُ وَصْمَةً عَلَى قَوْمِي وَعَلَيَّ ، وَلَكِنِّي مُسْلِمَةٌ النَّبِوَةِ إِلَيْكَ ، فَاخْطُبْنِي إِلَى أَوْلِيَائِي يَزُوجُوكَ ، ثُمَّ أَقُوذُ تَمِيمًا مَعَكَ .

فَخَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ ، فَاجْتَمَعَ الْحَيَّانُ مِنْ حَنِيفَةٍ وَتَمِيمٍ ، فَقَالَتْ لَهُمْ سَجَاحٌ : إِنَّهُ قَرَأَ عَلَيَّ مَا أُنْزِلُ عَلَيْهِ ، فَوَجَدْتُهُ حَقًّا ، فَاتَّبَعْتُهُ ، ثُمَّ خَطَبْتُهَا ، فَزَوَّجُوهُ إِيَّاهَا ، وَسَلَّوْهُ عَنِ الْمَهْرِ ، فَقَالَ : قَدْ وَضَعْتُ عَنْكُمْ صَلَاةَ الْعَصْرِ ، فَبَنُوا تَمِيمَ إِلَى الْآنَ بِالرَّمْلِ لَا يَصِلُونَهَا ، وَيَقُولُونَ : هَذَا حَقٌّ لَنَا ، وَمَهْرُ كَرِيمَةٍ مِنَّا لَا نَرُدُّهُ . قَالَ : وَقَالَ شَاعِرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يَذْكُرُ أَمْرَ سَجَاحٍ فِي كَلِمَةٍ لَهُ :

أَضَحَّتْ نَبِيَّتُنَا أَنْثَى نُطِيفَ بِهَا وَأَصْبَحَتْ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ ذُكْرَانَا

قَالَ : وَسَمِعَ الزَّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرِ الْأَحْنَفُ يَوْمَئِذٍ ، وَقَدْ ذَكَرَ مَسِيلِمَةَ وَمَا تَلَاهَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَقَّ مِنْ هَذَا النَّبِيِّ⁴ قَطَّ . فَقَالَ الزَّبْرَقَانُ : وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ بِذَلِكَ مَسِيلِمَةَ . قَالَ : إِذَا وَاللَّهِ أَحْلَفَ أَنَّكَ كَذَبْتَ فَيَصَدِّقَنِي وَيَكْذِبُكَ . قَالَ : فَأَمْسَكَ الزَّبْرَقَانُ ،

1 المجرم : ما يوضع فيه الجمر .

2 الصفاق : الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشاعر .

3 سلقها : بسطها فجامعها .

4 ل : هذه الأنبياء .

وعلم أنه قد صدق .

قال : وحُدِّثَ الحسنُ البصريُّ بهذا الحديث ، فقال : أَمِنَ واللَّهِ أبو بحر من نزول الوحي .
قال : فأُسلِمَت سجاح بعد ذلك وبعد قتل مسيلمة ، وحسُن إسلامها .

صوت

[من السريع]

| | |
|--------------------------------|--------------------------------------|
| كم ليلةً فيكِ بَتُّ أسهرها | ولوعةٍ من هواك أضمرها |
| وخرقةٍ والدموعُ تُطفئها | ثم يعودُ الجوى فيُسعِرُها |
| بيضاء رُودَ الشباب قد غُمِسَتْ | في خَجَلٍ دائبٍ يعصفرها ¹ |
| اللَّهُ جار لها فما امتلأت | عيناها إلا من حيث أبصرها |

الشعر للبحرِيِّ ، والغناء لعَرِيب ، رَمَلٌ مطلق من مجموع أغانيها ، وهو لحن مشهور في أيدي الناس ، واللَّهُ أعلم .

[444] - أخبار البحري¹ ونسبه

[نسبه]

هو الوليدُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ يحيى بنِ عبيد بن شُمْلَال بن جابر بن سَلَمَةَ بن مُسْهَر بن الحارث بن خيثم بن أبي حارثة بن جَدِّي بن تدول بن بُحتر بن عَتود بن عَثَمَة بن سَلَامان بن ثَعْلَ بن عمرو بن الغوث بن جُلْهُمَة وهو طَيِّئٌ بنُ أَدَدَ بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَان .

[شاعريته وندرة هجائه]

ويكنى أبا عُبَادَة ، شاعر فاضل فصيح حسن المذهب ، نقيّ الكلام ، مطبوع ، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء ، وله تصرف حسن فاضل نقيّ في ضروب الشعر ، سوى الهجاء ، فإنّ بضاعته فيه نزرّة ، وجيّدُه منه قليل . وكان ابنه أبو الغوث يزعم أنّ السبب في قلة بضاعته في هذا الفنّ أنّه لما حضره الموتُ دعا به ، وقال له : اجمع كلّ شيء قلته في الهجاء . ففعل ، فأمره بإحراقه ، ثم قال له : يا بني ، هذا شيء قلته في وقت ، فشفيتُ به غيظي ، وكافأت به قبيحاً فعل بي ، وقد انقضى أربي في ذلك ، وإن بقي رُوي ، وللناس أعقاب يورثونهم العدا والمودة ، وأخشى أن يعودَ عليك من هذا شيء في نفسك أو معاشك لا فائدة لك ولي فيه ، قال : فعلمت أنّه قد نصّحتني وأشفق عليّ ، فأحرقته .

أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن أبي الغوث .

وهذا ، كما قال أبو الغوث ، لا فائدة لك ولا لي فيه ، لأنّ الذي وجدناه وبقي في أيدي الناس من هجائه أكثره ساقط ، مثل قوله في ابن شيرزاد :

نفقتُ نَفُوقَ الحمارِ الذَّكَرَ وبان ضُرَاطُكَ عَنَّا فَمُرْ

ومثل قوله في عليّ بن الجهم :

ولو أعطاك ربُّكَ ما تَمَنَّى لزدك منه في غِلَظِ الأيُورِ

1 انظر أخباره في الفهرست : 190 وتاريخ بغداد 13 : 476 والمنظّم 6 : 11 ومعجم البلدان (منبج) وابن خلكان 6 : 21 ومعجم الأدباء 6 : رقم (1216) : 2796 وعبر للذهبي 2 : 73 وسير الذهبي 13 : 486 والبداية والنهاية 11 : 76 والنجوم الزاهرة 3 : 99 والشذرات 2 : 186 وأخبار البحري للصولي (دمشق 1957) والموازنة للآمدي ، ويونس السامرائي : البحري في سامراء (1-2) بغداد 1971 وخليفة الوقيان : شعر البحري ، بيروت 1985 .

عَلَامَ طَفِقْتَ تهجوني ملياً بما لفقت من كذبٍ وزورٍ
وأشبه لهذه الأبيات ، ومثلها لا يُشاكل طبعه ، ولا تليق بمذهبه ، وتنبئ بركاكتها
وغثائفة ألفاظها عن قِلَّةِ حَظِّه في الهجاء . وما يُعرف له هجاءٌ جيِّدٌ إلا قصيدتان إحداهما قوله في
ابن أبي قماش :

مَرَّتْ عَلَى عَزْمِهَا وَلَمْ تَقِفْ مُبْدِيَةً لِلشَّانِ وَالشَّنْفِ
يقول فيها لابن أبي قماش :

قد كان في الواجبِ المُحَقِّقُ أَنْ تعرفَ ما في ضميرها النطفِ
بما تَعَاطَيْتَ في العيوبِ وما أوتيت من حكمة ومن لطفِ
أما رأيت المَرِيخَ قد مازج الزَّ هرة في الجدِّ منه والشرفِ
وأخبرتكَ النُّحُوسُ أَنْكَمَا في حالتي ثابت ومُنْصَرَفِ
من أين أَعْمَلْتَ ذا وَأَنْتِ على التَّقْوِيمِ والزَّيْجِ جِدَّةٌ مُنْعَكِفِ
أما زجرتَ الطَّيْرَ العَلا أَوْ تَعَيَّ فُتْ مَها أَوْ نظرت في الكَتِفِ
رذُلْتَ في هذه الصَّنَاعَةِ أَوْ أَكْدَيْتَ أَوْ رَمَتْها على الخَرْفِ
لم تَخْطُ بابَ الذَّهْلِيزِ مُنْصَرِفاً إِلَّا وَخَلْخَلَهَا مع الشَّنْفِ¹

وهي طويلة ، ولم يكن مذهبي ذكرها إلا للإخبار عن مذهبه في هذا الجنس ، وقصيدته
في يعقوب بن الفرج النصراني ، فإنها ، وإن لم تكن في أسلوب هذه وطريقتها ، تجري مجرى
التَّهَكُّمِ باللفظ الطَّيِّبِ الخبيث المعاني ، وهي :

تَظُنَّ شُجُونِي لَمْ تَعْتَلِجْ وَقَدْ خَلِجَ الْبَيْنُ مِنْ قَدْ خَلِجَ
وكان البحرنيّ يشبّه بأبي تمام في شعره ، ويحذو مَذْهَبَهُ ، وَيَنْحُو نَحْوَهُ في البديع الذي
كان أبو تمام يستعمله ، ويراه صاحباً وإماماً ، ويُقدِّمه على نفسه ، ويقول في الفرق بينه وبينه
قول مُنْصِفٍ : إِنَّ جَيْدَ أَبِي تَمَامٍ خَيْرٌ مِنْ جَيْدِهِ ، وَوَسْطَهُ وَرَدِيَّتُهُ خَيْرٌ مِنْ وَسْطِ أَبِي تَمَامٍ
ورديته ، وكذا حكم هو على نفسه .

[مع أبي تمام]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ : قال : حدَّثني الحسين بن علي الياقُطانيّ : قال : قلت
للبحرنيّ : أيُّما أشعر أنتَ أو أبو تمام ؟ فقال : جيده خير من جيدي ، ورديتي خير من رديته .

حدَّثني محمد بن يحيى قال : حدَّثني أبو الغوث يحيى بن البحري : قال : كان أبي يُكنى أبا الحسن ، وأبا عبادة ، فأشير عليّ في أيام المتوكل بأن أقصر على أبي عبادة ، فإنها أشهر ، فاقصرت عليها .

حدَّثني محمد قال : سمعتُ عبدَ الله بن الحسين بن سعد يقول للبحريّ - وقد اجتمعنا في دار عبد الله بالخلد ، وعنده المبرد في سنة ستّ وسبعين ومائتين ، وقد أنشد البحريّ شعراً لنفسه قد كان أبو تمام قال في مثله - : أنت والله أشعرُ من أبي تمام في هذا الشعر ، قال : كلاّ والله ، إن أبا تمام للرئيس والأستاذ ، والله ما أكلتُ الخبزَ إلّا به ، فقال له المبرد : لله درك يا أبا الحسن ، فإنك تأبى إلّا شرفاً من جميع جوانبك .

حدَّثني محمد : قال : حدَّثني الحسين بن إسحاق : قال : قلت للبحريّ : إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبي تمام ، فقال : والله ما ينفعني هذا القول ، ولا يضرّ أبا تمام ، والله ما أكلتُ الخبزَ إلّا به ، ولوددتُ أنّ الأمر كان كما قالوا : ولكنّي والله تابعٌ له أخذ منه لائذ به ، نسيمي يركدُ عند هوائه ، وأرضي تنخفُض عند سمائه .

حدَّثني محمد بن يحيى : قال : حدَّثني سوار بن أبي شراة ، عن البحريّ : قال : وحدَّثني أبو عبد الله الألوسيّ ، عن عليّ بن يوسف¹ ، عن البحريّ : قال : كان أولُ أمري في الشعر ونباهتي أنّي صيرتُ إلى أبي تمام ، وهو بِحمص ، فعرضتُ عليه شعري ، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم ، فأقبل عليّ ، وترك سائرَ مَنْ حضر ، فلما تفرّقوا قال لي : أنت أشعرُ مَنْ أنشدني ، فكيف بالله حالك ؟ فشكوتُ خلةً² فكتب إلى أهل مَعرة النعمان ، وشهد لي بالخذق بالشعر ، وشفع لي إليهم وقال : امتدحهم ، فصرتُ إليهم ، فأكرموني بكتابه ، ووظّفوا لي أربعة آلاف درهم ، فكانت أولَ مالٍ أصبته . وقال عليّ بن يوسف في خبره : فكانت نسخة كتابه : « يصل كتابي هذا على يد الوليد أبي عبادة الطائيّ ، وهو ، على بذاذته³ ، شاعر ، فأكرموه » .

[يعشق غلاماً فيلتحي]

حدَّثني جَحْظَةُ : قال : سمعتُ البُحْريّ يقول : كنتُ أتعشّقُ غلاماً من أهل مَنبج يقال له شُقران ، واتفق لي سفرٌ ، فخرجت فيه ، فأطلت الغيّبة ، ثم عدتُ ، وقد التحى ، فقلت فيه ، وكان أولَ شعر قلته :

[من مجزوء الرمل]

1 ل : علي بن سيف .

2 الخلة : الحاجة .

3 بذاذته : سوء حاله ، وراثثة هيئته .

نَبَتَ لِحَيَّةٍ شُقْرَا نَ شَقِيقِ النَّفْسِ بَعْدِي
حَلِقتُ ، كَيْفَ أَتَه قَبْلَ أَنْ يُنْجِزَ وَعْدِي !

وقد روى في غير هذه الحكاية أن اسم الغلام شندان .

[بدء التعارف بينه وبين أبي تمام]

حدَّثني علي بن سليمان : قال : حدَّثني أبو الغوث بن البحرّي عن أبيه ، وحدَّثني عمّي :
قال : حدَّثني علي بن العباس النُّوبختيّ عن البحرّي ، وقد جمعت الحكايتين ، وهما قريبتان :
قال : أول ما رأيتُ أبا تمامٍ أني دخلتُ على أبي سعيد محمد بن يوسف ، وقال مدحته
بقصيدتي :

أَأَفَاقُ صَبٌّ مِنْ هَوًى فَأُفَيْقَا أَوْ خَانَ عَهْدًا أَوْ أَطَاعَ شَفِيقَا ؟

فسرّ بها أبو سعيد ، وقال : أحسنت والله يا فتى وأجدت ، قال : وكان في مجلسه رجل
نبيلٌ رفيع المجلس منه ، فوق كلّ من حضر عنده ، تكاد تمسُّ ركبته ركبته ، فأقبل عليّ ثم قال :
يا فتى ، أما تستحي مني ! هذا شِعْرٌ لي تنتحلّه ، وتنشده بحضرتي ! فقال له أبو سعيد : أحقّاً
تقول ! قال : نعم ، وإنما علّقه مني ، فسبقني به إليك ، وزاد فيه ، ثم اندفع فأنشد أكثر هذه
القصيدة ، حتى شكّكتني ، علم الله ، في نفسي ، وبقيت متحيراً ، فأقبل عليّ أبو سعيد ، فقال : يا
فتى ، قد كان في قرابتك منّا ووُدّك لنا ما يُغنيك عن هذا ، فجعلتُ أُحِلِّفُ له بكلّ مُخرِجةٍ من
الأيمانِ أنّ الشعر لي ما سبقني إليه أحدٌ ، ولا سمعته منه ، ولا اتحلّته ، فلم ينفع ذلك شيئاً ،
وأطرق أبو سعيد ، وقطع بي ، حتى تمنيتُ أني سُخْتُ في الأرض ، فقمّت منكسر البال أجزّ
رجليّ ، فخرجت ، فما هو إلّا أن بلغتُ بابَ الدّارِ حتى خرج الغلمان فردّوني ، فأقبل عليّ
الرجل ، فقال : الشعرُ لك يا بنيّ ، والله ما قلّته قطّ ، ولا سمعته إلّا منك ، ولكنني ظننتُ أنّك
تهاونتَ بمَوْضِعي ، فأقدمتُ على الإنشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا ، تُريد بذلك
مُضاهاتي ومُكاثرتي ، حتى عرّفني الأميرُ نسبَكَ وموضعَكَ ، ولَوَدِدْتُ ألاّ تلد أبداً طائِفةً إلّا
مثلك ، وجعل أبو سعيد يضحك ، ودعاني أبو تمام ، وضمّني إليه ، وعانقني ، وأقبل يُقرّظني ،
ولزمته بعد ذلك ، وأخذتُ عنه ، واقتديتُ به ، هذه رواية من ذكرت .

[إشادته بأبي سعيد محمد بن يوسف الثغري]

وقد حدَّثني علي بن سليمان الأخفش أيضاً : قال : حدَّثني عبد الله بن الحسين بن سَندٍ
القطرُبُليّ : أنّ البحرّي حدّثه أنّه دخل على أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري ، وقد مدحه
بقصيدة ، وقصّده بها ، فألفى عنده أبا تمامٍ وقد أنشده قصيدة له فيه ، فاستأذنه البحرّي في
الإنشاد وهو يومئذٍ حديث السنّ ، فقال له : يا غلام أنشدني بحضرة أبي تمام ؟ فقال : تأذن

ويستمع ، فقام ، فأنشده إياها ، وأبو تمام يسمع ويهتز من قرنه إلى قدمه استحساناً لها ، فلمّا فرغ منها قال : أحسنت والله يا غلام ، فممن أنت ؟ قال : من طيّء ، فطرب أبو تمام وقال : من طيّء ، الحمد لله على ذلك ، لو ددّت أن كل طائية تلد مثلك ، وقبّل بين عينيه ، وضمّه إليه وقال لمحمد بن يوسف : قد جعلتُ له جائزتي ، فأمر محمد بها ، فضمّت إلى مثلها ، ودفعت إلى البحري ، وأعطى أبا تمام مثلها ، وخصّ به ، وكان مداحاً له طول أيامه ولابنه بعده ، ورثاهما بعد مقتليهما ، فأجاد ، ومرأته فيهما أجود من مدائحه ، وروي أنّه قيل له في ذلك فقال : من تمام الوفاء أن تفضّل المراثي المدائح لا كما قال الآخر ، وقد سئل عن ضعف مراثيه فقال : كنّا نعمل للرجاء ، نحن نعمل اليوم للوفاء . وبينهما بُعد .

[كان بخيلاً زري الهيئة]

حدثني حكيم بن يحيى الكنتحي قال : كان البحريّ من أوسخ خلق الله ثوباً وآلة وأبخلهم على كلّ شيء ، وكان له أخ وغلام معه في داره ، فكان يقتلها جوعاً ، فإذا بلغ منهما الجوع أتياه يكيان ، فيرمي إليهما بثمرن أقواتهما مضيقاً مقترراً ، ويقول : كلا ، أجاع الله أكبادكم ، وأعرى أجلاذكما وأطال إجهادكم .

قال حكيم بن يحيى : وأنشدته يوماً من شعر أبي سهل بن نوبخت ، فجعل يُحرّك رأسه ، فقلت له : ما تقول فيه ؟ فقال : هو يشبه مضغ الماء ، ليس له طعم ولا معنى .

وحدثني أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهانيّ الكاتب ، قال : دخلت على البحريّ يوماً فاحتبسني عنده ، ودعا بطعام له ، ودعاني إليه ، فامتنعت من أكله ، وعنده شيخ شاميّ لا أعرفه ، فدعاه إلى الطعام ، فتقدّم ، وأكل معه أكلاً عفيفاً ، فغاظه ذلك ، والتفت إليّ ، فقال لي : أتعرف هذا الشيخ ؟ فقلت : لا ، قال : هذا شيخ من بني الهجيم الذين يقول فيهم الشاعر :

وبنو الهجيم قبيلة ملعونة^١ حصّ اللحي متشابهو الألوان^٢

لو يسمعون بأكلة أو شرّبة^٣ بعمان أصبح جمعهم بعمان

قال : فجعل الشيخ يشتمه ، ونحن نضحك .

[ماء من يد حسناء]

وحدثني جحظة : قال : حدثني عليّ بن يحيى المنجّم : قال : اجتازت جارية بالمتوكّل معها كوز ماء ، وهي أحسن من القمر ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : برهان ، قال : ولمن هذا الماء ؟ قالت : لستيّ قبيحة ، قال : صبيّه في حلقي ، فشربه عن آخره ، ثم قال للبحريّ : قلّ

في هذا شيئاً ، فقال البحرى : [من البسيط]

ما شربة من رحيق كأسها ذهبٌ جاءت بها الحور من جناتِ رضوانِ
يوماً بأطيب من ماءٍ بلا عطش شربه عبثاً من كف بُرْهانِ

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، وأحمد بن جعفر جحظة : قال : حدثنا أبو الغوث بن البحرى : قال : كتبتُ إلى أبي يوماً أطلب منه نبذاً ، فبعث إلي بنصف قنينةٍ دُردي¹ ، وكتب إلي : دونكها يا بني ، فإنها تكشف القحط ، وتضبط الرهط . قال الأخفش ، وتقيتُ الرهط . [قصته مع أحمد بن علي الإسكافي]

حدثني أبو الفضل عباس بن أحمد بن ثوبة قال : قدم البحرى النبل² على أحمد بن علي الإسكافي مادحاً له ، فلم يُشبه ثوباً يرضاه بعد أن طالت مدته عنده ، فهجاه بقصيدته التي يقول فيها :

ما كسبنا من أحمد بن عليٍّ ومن النبل غير حُمى النبل

وهجاه بقصيدة أخرى أولها : [من الخفيف]

قصّة النبل فاسمعوها عجباه

فجمع إلى هجائه إياه هجاء أبي ثوبة ، وبلغ ذلك أبي ، فبعث إليه بألف درهم وثياب ودابة بسرجهما ولجامها ، فردّه إليه ، وقال : قد أسلفتكم إساءة لا يجوز معها قبولُ رَفْدِكُم ، فكتب إليه أبي : أمّا الإساءة فمَغْفُورَةٌ وأمّا المَعْدرة فمَشْكُورَةٌ ، والحَسَناتُ يُذهِبُ السيئات ، وما يأسو جراحك ، مثلُ يدك وقد رددتُ إليك ما رددته عليّ ، وأضعفته ، فإن تلافيتَ ما فرط منك أثبتنا وشكرنا ، وإن لم تفعل احتملنا وصبرنا . فقبل ما بعث به ، وكتب إليه : كلامك والله أحسن من شعري ، وقد أسلفتني ما أحجَلَنِي ، وحمَلتني ما أثقلني ، وسيأتيك ثنائي . ثم غدا إليه بقصيدة أولها :

ضلالٌ لها ماذا أرادت إلى الصّدّ

وقال فيه بعد ذلك :

برق أضاء العقيق من ضرمه

وقال فيه أيضاً :

دان دعا داعي الصبا فأجابه

قال : ولم يزل أبي يصله بعد ذلك ، ويتابع برّه لديه حتى افترقا .

1 الدُرديّ : ما رسب أسفل من كلّ شيء مائع .

2 النبل : بليدة في سواد الكوفة ، ونهر من أنهار الرقة (ياقوت) .

[شعره في نسيم غلامه]

أخبرني جمحظة قال : كان نسيمٌ غلامٌ البحريّ الذي يقول فيه : [من الطويل]

دَعَا عُبْرَتِي تَجْرِي عَلَى الْجَوْرِ وَالْقَصْدِ أَظُنُّ نَسِيمًا قَارَفَ الْهَمِّ مِنْ بَعْدِي¹
خَلَا نَاطِرِي مِنْ طَيْفِهِ بَعْدَ شَخْصِهِ فَيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ فَقَدْ عَلَى فَقْدِ

غلاماً رومياً ليس بحسن الوجه ، وكان قد جعله باباً من أبواب الحيل على الناس ، فكان يبيعه ويعتمد أن يُصيرَه إلى ملك بعض أهل المروءات ومن ينفق عنده الأدب ، فإذا حصل في ملكه شَبَب به ، وتشوّقه ، ومدح مولاه ، حتى يهبه له ، فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم ، فكفّي الناس أمره .

[خبره مع محمد بن علي القمي و غلامه]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : كتب البحريّ إلى أبي محمد بن عليّ القميّ يستهديه نبذاً ، فبعث إليه نبذاً مع غلام له أمرد ، فجَمَّشَه² البحريّ ، فغضب الغلام غضباً شديداً ، دلّ البحريّ على أنّه سيخبر مولاه بما جرى ، فكتب إليه : [من المتقارب]

أَبَا جَعْفَرٍ كَانَ تَجْمِيشُنَا غَلَامَكَ إِحْدَى الْهَنَاتِ الدِّيَّةِ
بَعَثَ إِلَيْنَا بِشَمْسِ الْمَدَامِ تَضِيءُ لَنَا مَعَ شَمْسِ الْبَرِيَّةِ
فَلَيْتَ الْهَدِيَّةَ كَانَ الرَّسُولُ وَلَيْتَ الرَّسُولَ إِلَيْنَا الْهَدِيَّةَ

فبعث إليه محمد بن عليّ الغلامَ هَدِيَّةً ، فانقطع البحريّ عنه بعد ذلك مدّة ، خجلاً ممّا جرى ، فكتب إليه محمد بن عليّ :

هَجَرْتَ كَأَنَّ الْبِرَّ أَعْقَبَ حِشْمَةً وَلَمْ أَرْ وَصْلاً قَبْلَ ذَا أَعْقَبَ الْهَجْرَا
فَقَالَ فِيهِ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلَهَا : [من الطويل]

فَتَى مَذْحِجٍ غَفْرًا فَتَى مَذْحِجٍ غَفْرًا³

وهي طويلة . وقال فيه أيضاً :

أَمْوَاهِبٌ هَاتِيكَ أَمْ أَنْوَاءُ هُطُلٌ وَأَخَذَ ذَاكَ أَمْ إِعْطَاءُ
إِنْ دَامَ ذَا أَوْ بَعْضُ ذَا مَنْ فَعَلَ ذَا ذَهَبَ السَّخَاءُ فَلَا يُعَدُّ سَخَاءُ⁴

1 قارف في ل : قارن .

2 التجميش : المغازلة والملاعبة .

3 مذحج : أكمة ، ولدت مالكا وطيباً أمهما عندها ، فسمّوا مذحجاً .

4 فلا يعدّ سخاء في الديوان : « فلا يُحسّ سخاء » .

ليس الذي حَلَّتْ تَمِيمٌ وَسَطَهُ الدَّهْ
ملكٌ أَغْرَّ لآلَ طَلْحَةَ مَجْدُهُ
وشريفٌ أَشْرَافٌ إِذَا احْتَكَّتْ بِهِمْ
أُمِّمُ بْنُ عَلِيٍّ اسْمَعُ عُذْرَةَ
مَالِي إِذَا ذُكِرَ الْكَرَامُ رَأَيْتَنِي
يُضْفُو عَلَيَّ الْعَذْلُ وَهُوَ مُقَارِبُ
إِنِّي هَجَرْتُكَ إِذَا هَجَرْتُكَ حِشْمَةً
أَحْجَلْتَنِي بِنْدَى يَدَيْكَ فَسَوَّدَتْ
وَقَطَعْتَنِي بِالْبَرِّ حَتَّى إِنَّنِي
صِلَّةٌ غَدَتْ فِي النَّاسِ وَهِيَ قَطِيعَةٌ
لِيُوَاصِلَنَّكَ رَكْبُ شِعْرِي سَائِرًا
حَتَّى يَتِمَّ لَكَ الثَّنَاءُ مُخَلَّدًا
فَنَظَلَ تَحْسُدُكَ الْمُلُوكُ الصَّيْدُ بِي

[موته بالسكنة]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ : قَالَ : سَأَلَنِي الْقَاسِمُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ خَبَرِ الْبُحْتَرِيِّ ، وَقَدْ كَانَ أُسْكِتَ ، وَمَاتَ مِنْ تِلْكَ الْعِلَّةِ ، فَأَخْبِرْتُهُ بِوَفَاتِهِ ، وَأَنَّهُ مَاتَ فِي تِلْكَ السَّكْنَةِ ، فَقَالَ : وَيَجْهَ رُمِي فِي أَحْسَنِهِ .

[أبو تمام يعلم البحتري الاستطراد]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى : قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَنْبَارِيُّ : قَالَ : سَمِعْتُ الْبُحْتَرِيَّ يَقُولُ : أَنَشِدَنِي أَبُو تَمَّامٍ يَوْمًا لِنَفْسِهِ :
وسابح هطل التَّعْدَاءُ هَتَانِ على الجراء أَمِينٍ غَيْرِ خَوَّانٍ
[من البسيط]

1 وسطه الدهناء ، لكن صدرُكَ في الديوان : وسطها الدهناء لكن صدرها .

2 مجده في الديوان : نَجْرُهُ .

3 وأساءوا في الديوان : دواء .

4 الشطر الأول في الديوان : إِنِّي هَجَرْتُكَ إِذْ هَجَرْتُكَ حِشْمَةً .

5 متوهم في الديوان : متوهم .

6 الشطر الثاني في الديوان : تهدي به في مدحك الأعداء .

7 كما دامت في الديوان : كما دافعت .

أَظْمَى الْفُصُوصَ وَلَمْ تَظْمَأْ قَوَائِمُهُ فَخَلَّ عَيْنِكَ فِي ظَمَانَ رَيَانٍ¹

فَلَوْ تَرَاهُ مُشِيحاً وَالْحَصَى زَيْمٌ بَيْنَ السَّنَابِكِ مِنْ مِثْنَى وَوُحْدَانٍ²

أَيَقْنَسْتَ إِنْ لَمْ تَثْبِتْ أَنَّ حَافِرَهُ مِنْ صَخَرٍ تَذْمُرُ أَوْ مِنْ وَجْهِ عَثْمَانٍ³

ثم قال لي : ما هذا الشعر ؟ قلت : لا أدري ، قال : هذا هو المستطرد ، أو قال الاستطراد . قلت : وما معنى ذلك ؟ قال : يُرِيكَ أَنَّهُ يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان ، وقد فعل البحري ذلك ، فقال في صفة الفرس : [من الكامل]

مَا إِنْ يَعَافُ قَدَى وَلَوْ أوردته يوماً خلأثقَ حَمْدَوِيهِ الْأَحُولَ

وكان حمدويه الأحول عدوًّا لمحمد بن علي القمي المتمدح بهذه القصيدة فهجاه في عرض مدحه محمداً . والله أعلم .

[أبو تمام يشيد به]

حدثني علي بن سليمان الأحفش : قال : حدثني أبو الغوث بن البحري : قال : حدثني أبي : قال : قال لي أبو تمام : بلغني أن بني حميد أعطوك مالا جليلاً فيما مدحتهم به ، فأنشدني شيئاً منه ، فأنشدته بعض ما قلته فيهم ، فقال لي : كم أعطوك ؟ فقلت : كذا وكذا ، فقال : ظلموك ، والله ما وفوك حقك ، فلم استكثرت ما دفعوه إليك ؟

والله كبت منها خيراً مما أخذت ، ثم أطرق قليلاً ، ثم قال : لعمري لقد استكثرت ذلك ، واستكثرت لك لما مات الناس وذهب الكرام ، وغاضت المكارم ، فكسدت سوق الأدب ، أنت والله يا بني أمير الشعراء غداً بعدي ، فقمْتُ فقبَلْتُ رأسه ويديه ورجليه ، وقلت له : والله لهذا القول أسرُّ إلى قلبي وأقوى لنفسي مما وصل إلي من القوم .

[أبو تمام ينعي نفسه]

حدثني محمد بن يحيى عن الحسن بن علي الكاتب : قال : قال لي البحري : أنشدت أبا تمام يوماً شيئاً من شعري ، فتمثل بيت أوس بن حجر :

إِذَا مُقَرَّمٌ مَنَا ذَرَا حَدُّ نَابِهِ تَخَمَّطَ فِينَا نَابُ آخَرِ مُقَرَّمٍ⁴

ثم قال لي : نعت والله إلي نفسي ، فقلت : أعيدك بالله من هذا القول ، فقال : إن عمري لن يطول ، وقد نشأ في طيء مثلك ، أما علمت أن خالد بن صفوان رأى شبيب بن شيبة ،

1 الفصوص : المفاصل . تظمأ : تضمر .

2 زيم : جمع زيمة ، وهي القطعة من الشيء .

3 عثمان بن إدريس .

4 المُقَرَّم : السيد المقدم ، تشبيهاً بالمقرم من الإبل . وذرا حد نابه : انكسر . والتخمط : الأخذ والقهر بغلبة .

وهو من رَهْطه يتكَلَّم ، فقال : يا بُنَيَّ ، لقد نَعَى إليَّ نفسي إحسانك في كلامك ، لأنَّ أهل بيت ما نشأ فينا خطيبٌ قطَّ إلَّا مات من قبله ، فقلت له : بل يُبْقِيكَ الله ، ويجعلني فداءك . قال : ومات أبو تمام بعد سنة .

[يضجر المتوكل من عُجبه بنفسه فيغري به الصيمري]

حدَّثني أحمد بن جعفر لحظة : قال : حدَّثني أبو العنْبَس الصَّيْمَرِيّ قال : كنتُ عند المتوكل والبَحْرِيّ يُشِدُّه : [من مجزوء الكامل]

عن أيِّ ثغر تبَسِّمُ وبأيِّ طرفٍ تحتكم ؟

حتى بلغ إلى قوله :

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ جَعْفَرِ الْـ متوكل بن المعتصم
المُبْتَدِي لِلْمُجْتَدِي والمنعم بن المنتقم
اسْلَمْ لِلدِّينِ مُحَمَّدٍ فإذا سلمت فقد سلّم

قال : وكان البَحْرِيّ من أبغض النَّاس إنشاداً ، يتشادق ويتزاور¹ في مشيه مرّة جانباً ، ومرّة القَهْقَرَى ، وبهزّ رأسه مرّة ، ومنكبيه أخرى ، ويشير بكُمّه ، ويقف عند كل بيت ، ويقول : أحسنتُ والله ، ثم يُقْبِل على المستمعين ، فيقول : ما لكم لا تقولون أحسنت ؟ هذا والله ما لا يُحْسِن أحدٌ أن يقول مثله ، فضجر المتوكل من ذلك وأقبل عليّ ، وقال : أما تسمع يا صَيْمَرِيّ ما يقول ؟ فقلت : بلى يا سيّدي ، فمُرني فيه بما أحببت ، فقال : بحياتي اهجه على هذا الرّوْي الذي أنشدنيّه ، فقلت : تأمر ابنَ حمدون أن يكتب ما أقول ، فدعا بدواة وقرطاسٍ ، وحضّرني على البديهة أن قلت :

أدخلتَ رأسك في الرّحم وعلمتَ أنَّكَ تنهزمُ
يا بحترِيّ حَذَارٍ وَيَحَ لك من قُضَائِقِضَةٍ ضُغْمُ²
فلقد أسَلْتُ بَوَادِييَ لك من الهِجَا سَيْلَ العَرَمِ
فبأيِّ عِرْضٍ تَعْتَصِمُ وبهتَكَه جَفَّ القَلَمُ ؟
والله حِلْفَةٌ صَادِقٍ وبقبرِ أحمد والحَرَمِ
وبحقّ جعفرِ الإمامِ مِ ابنِ الإمامِ المعتصمِ

1 يتزاور : ينحرف .

2 القضاقض : الأسد ، وجمعه قضاقضة . وضغمه : عضه بملء فيه . فهو ضاغم والجمع ضُغْم .

لأَصِيرَنَّكَ شُهْرَةً بين المسيل إلى العلم
حَيَّ الطَّلُولُ بذى سَلَمٍ حيث الأراكَةُ والخَيْمُ
يا ابنَ الثَّقِيلَةِ والثَّقِيهِ ل على قُلُوبِ ذَوِي النِّعَمِ
وعلى الصغير مع الكب ير من الموالى والحشمِ
في أَيِّ سَلَحٍ ترتطمُ وبأيِّ كَفٍّ تلتقِمُ ؟
يا ابنَ المُباحَةِ للورى أَمِنَ العُفَافُ أَمِ التُّهَمُ
إِذ رَحَلُ أَخْتِكَ لِلعَجَمِ وفراشُ أَمَلِكِ في الظُّلَمِ
وباب دارِكَ حائَةً في بَيْتِهِ يُوتى الحَكَمُ¹

قال : فغَضِبَ ، وخرج يعدو ، وجعلت أصبح به :

أدخلت رأسك في الرَّجِمِ وعلمت أَنَّكَ تنهَزِمُ
والمُتَوَكِّلُ يضحك ، ويصفق حتى غاب عن عينه .
هكذا حدثني جحظة عن أبي العَبَسِ .

ووجدت هذه الحكاية بعينها بخط الشاهيني حكاية عن أبي العَبَسِ ، فرأيتها قريبة اللفظ ، موافقة المعنى لما ذكره جحظة ، والذي يتعارفه الناس أَنَّ أبا العَبَسِ قال هذه الأبيات ارتجالاً ، وكان واقفاً خلف البحرى ، فلما ابتداء وأنشد قصيدته : [من مجزوء الكامل]

عن أَيِّ ثَغَرٍ تبتسِمُ وبأيِّ طَرَفٍ تختكِمْ
صاح به أبو العَبَسِ من خلفه :

في أَيِّ سَلَحٍ ترتطمُ وبأيِّ كَفٍّ تلتقِمُ
أدخلت رأسك في الرَّجِمِ وعلمت أَنَّكَ تنهَزِمُ

فغضب البحرى ، وخرج ، فضحك المتوكل حتى أكثر ، وأمر لأبي العَبَسِ بعشرة آلاف درهم والله أعلم .

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن يحيى الصَّوَلِيّ ، وحدثني عبد الله بن أحمد بن حمدون عن أبيه : قال : وحدثني يحيى بن علي عن أبيه : أَنَّ البحرى أنشد المتوكل ، وأبو العَبَسِ الصَّيْمَرِيّ حاضر ، قصيدته :

1 مثل ورد في فصل المقال 76 وكتاب الأمثال لأبي فيد 47 ، وجمهرة الأمثال للعسكري 368/1 ، و89/2 ، 101 والدرّة الفاخرة لحمزة الأصبهاني 456/2 ، ومجمع الأمثال 72/2 والمستقصى في الأمثال للزمخشري 183 ، وكتاب الأمثال للقاسم بن سلام 54 وكتاب الأمثال لمجهول 80 .

عن أَيِّ ثَغْرٍ تَبْتَسِمُ وبأيِّ طَرْفٍ تَحْتَكِمُ ؟
إلى آخرها ، وكان إذا أنشد يختال ، ويعجب بما يأتي به ، فإذا فرغ من القصيدة ردّ البيت الأوّل ، فلما رده بعد فراغه منها . وقال :

عن أَيِّ ثَغْرٍ تَبْتَسِمُ وبأيِّ طَرْفٍ تَحْتَكِمُ
قال أبو العَبَسِ وقد غمزه المتوكّل أن يولع به :

في أَيِّ سَلَحٍ تَرْتَطِمُ وبأيِّ كَفٍّ تَلْتَقِمُ
أدخلت رأسك في الرّحم وعلمت أنّك تنهزم
فقال نصف البيت الثاني ، فلما سمع البحريّ قوله ولّى مُغَضِّباً ، فجعل أبو العَبَسِ يصيح

به :

وعلمت أنّك تنهزم

فضحك المتوكّل من ذلك حتى غلب ، وأمر لأبي العَبَسِ بالصّلّة التي أُعِدّت للبحريّ .
قال أحمد بن زياد : فحدّثني أبي : قال : جاءني البحريّ ، فقال لي : يا أبا خالد أنت عشريني وابن عمّي وصديقي ، وقد رأيت ما جرى عليّ ، أفأذن لي أن أخرج إلى منبج بغير إذن ، فقد ضاع العلم ، وهلك الأدب ، فقلت : لا تفعل من هذا شيئاً ، فإن الملوك تمزح بأعظم مما جرى ، ومضيت معه إلى الفتح ، فشكا إليه ذلك ، فقال له نحوه من قولي ، ووصله ، وخلع عليه ، فسكن إلى ذلك .

[الصيمريّ وسخرته بعد موت المتوكّل]

حدّثني جحظة عن عليّ بن يحيى المنجم : قال : لما قُتِلَ المتوكّل قال أبو العَبَسِ الصيمريّ :

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| يا وحشة الدنيا على جَعْفَرٍ | على الهمام الملك الأزهر |
| على قتيل من بني هاشم | بين سرير الملك والمنبر |
| والله ربّ البيت والمشعر | والله أن لو قُتِلَ البحري |
| لشار بالشام له ثائر | في ألف نعل من بني عض خري |
| يقدمهم كلُّ أخٍ ذلّة | على حمارٍ دابر أعور |

فشاعت الأبيات حتى بلغت البحريّ ، فضحك ثم قال : هذا الأحق يرى أنّي أجيبه على مثل هذا ، فلو عاش امرؤ القيس ، فقال ، من كان يجيبه ؟

[445] - ذكر نتف من أخبار عريب مستحسنة

[منزلتها في الغناء والأدب]

كانت عَرِيبَ مَغْنِيَّةً مُحَسَّنَةً ، وشاعرةً صالحة الشعر ، وكانت مليحة الخط والمذهب في الكلام ، ونهايةً في الحسن والجمال والظرف ، وحسن الصورة وجودة الضرب ، وإتقان الصنعة والمعرفة بالنغم والأوتار ، والرواية والشعر والأدب ، لم يتعلّق بها أحدٌ من نظرائها ، ولا رُؤي في النساء بعد القيانِ الحجازيّاتِ القديمات ، مثل جميلة وعزة الميلاء وسلامة الزرقاء ومن جرى مجراهن ، على قلة عددهنّ ، نظير لها ، وكانت فيها من الفضائل التي وصفناها ما ليس لمنّ مما يكون لمثلها من جوارى الخلفاء ، ومن نشأ في قصور الخلافة وغدّي برقيق العيش ، الذي لا يدانيه عيش الحجاز ، والنشء بين العامة والعرب الجفاة ، ومن غلظ طبعه ، وقد شهد لها بذلك من لا يحتاج مع شهادته إلى غيره .

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، عن حمّاد بن إسحاق : قال : قال لي أبي : ما رأيتُ امرأةً أضرب من عريب ، ولا أحسن صنعة ولا أحسن وجهاً ، ولا أخفّ روحاً ، ولا أحسن خطاباً ، ولا أسرع جواباً ، ولا ألبّ بالشطرنج والنرد ، ولا أجمع لخصلة حسنة لم أر مثلاً في امرأة غيرها . قال حمّاد : فذكرت ذلك ليحيى بن أكنم في حياة أبي ، فقال : صدق أبو محمد ، هي كذلك ، قلت : أفسمعتها ؟ قال : نعم هناك ، يعني في دار المأمون ، قلت : أفكانت كما ذكر أبو محمد في الحذق ؟ فقال يحيى : هذه مسألة الجواب فيها على أبيك ، فهو أعلم مني بها ، فأخبرت بذلك أبي ، فضحك ، ثم قال : ما استحييت من قاضي القضاة أن تسأله عن مثل هذا .

[هي وإسحاق والخليفة المعتصم]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى : قال : حدّثني أبي ، قال : قال لي إسحاق : كانت عندي صنّاجة¹ كنت بها معجباً ، واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون ، فبينما أنا ذات يوم في منزلي ، إذ أتاني إنسان يدقّ الباب دقّاً شديداً ، فقلت : انظروا من هذا ؟ فقالوا : رسول أمير المؤمنين ، فقلت : ذهبت صنّاجتي ، تجده ذكرها له ذاكرٌ ، فبعث إليّ فيها . فلما مضى بي الرسول انتهيت إلى الباب ، وأنا مثخن ، فدخلت ، فسلمت ، فردّ عليّ السلام ، ونظر إلى تعيّر وجهي ، فقال لي : اسكن ، فسكنت ، فقال لي : غنّ صوتاً² وقال لي : أتدري لمن هو ؟

1 الصنّاجة : آلة موسيقية ذات أوتار .

2 ل : فسألني عن صوت .

فقلت : أسمع ، ثم أخبر أمير المؤمنين إن شاء الله بذلك ، فأمر جارية من وراء الستارة ، فغنته وضربت ، فإذا هي قد شبّهته بالغناء القديم ، فقلت : زدني معها عوداً آخر ، فإنه أثبت لي ، فزادني عوداً آخر ، فقلت : هذا الصوت مُحدث لامرأة ضاربة ، قال : من أين قلت ذلك ؟ قلت : لما سمعت لينه عرفت أنه مُحدث من غناء النساء ، ولما رأيت جودة مقاطعه علمت أن صاحبه ضاربة ، وقد حفظت مقاطعه وأجزائه ، ثم طلبت عوداً آخر ، فلم أشك ، فقال : صدقت ، الغناء لعريب .

قال ابن المعتز : وقال يحيى بن عليّ : أمرني المعتمد على الله أن أجمع غنائها الذي صنعتّه ، فأخذت منها دفاترها وصُحفها التي كانت قد جمعت فيها غنائها فكتبته فكان ألف صوت .

[أصواتها]

وأخبرني عليّ بن عبد العزيز ، عن ابن خرداذبه : أنه سأل عريب عن صنعتها ، فقالت : قد بلغت إلى هذا الوقت ألف صوت .

وحدثني محمد بن إبراهيم¹ قريض أنه جمع غنائها من ديواني ابن المعتز ، وأبي العباس بن حمدون ، وما أخذه عن بدعة جارتها التي أعطها إياها بنو هاشم ، فقابل بعضه ببعض ، فكان ألفاً ومائة وخمسة وعشرين صوتاً .

وذكر العنابي أن أحمد بن يحيى حدّثه : قال : سمعت أبا عبد الله الهشامي يقول ، وقد ذُكرت صنعة عريب : صنعتها مثل قول أبي دُلف في خالد بن يزيد حيث يقول : [من مجزوء الكامل]

يا عينُ بكّي خالداً ألفاً ويدعى واحداً

يريد أن غنائها ألف صوت في معنى واحد ، فهي بمنزلة صوت واحد .

وحكى عنه أيضاً هذه الحكاية ابن المعتز .

وهذا تحامل لا يحلّ ، ولعمري إن في صنعتها لأشياء مردولة ليّنة ، وليس ذلك ممّا يضعها ولا عري كبير أحدي من المغنين القدماء والمتأخرين من أن يكون في صنعته النادر والمتوسط سوى قوم معدودين مثل ابن محرز ومُعبد في القدماء ، ومثل إسحاق وحده في المتأخرين ، وقد عيبَ بمثل هذا ابن سريج في محله ، فبلغه أن المغنين يقولون : إنما يغني ابن سريج الأرمال والخفاف ، وغناؤه يصلح للأعراس والولائم ، فبلغه ذلك فتغنى بقوله :

[من الطويل]

لقد حببتُ نَعْمَ إلينا بوجهها مساكنَ ما بين الوتائر فالنفع¹

ثم توفي بعدها ، وغناؤه يجري مجرى المعيب عليه ، وهذا إسحاق يقول في أبيه : على عظيم محلّه في هذه الصناعة وما كان إسحاق يُشيد به من ذكره وتفضيله على ابن جامع وغيره ، ولأبي سُمائة صوت ، منها مائتان تشبّه فيها بالقديم ، وأتى بها في نهاية من الجودة ، ومائتان غناءً وسط مثل أغاني سائر الناس ، ومائتان فلسية ودِدْتُ أنّه لم يُظهرها وينسبها لنفسه ، فأسترها عليه ، فإذا كان هذا قولُ إسحاق في أبيه فمن يعتذر بعده من أن يكون له جيّد ورديء ، وما عَرِيَ أحد في صناعة من الصناعة من حال ينقصه عن الغاية ، لأنّ الكمال شيء تفرّد الله العظيم به ، والنقصان جبلة طبع بني آدم عليها ، وليس ذلك إذا وُجد في بعض أغاني عريب ممّا يدعو إلى إسقاط سائرها ، ويلزمه اسم الضعف واللّين ، وحسب المحتجّ لها شهادةُ إسحاق بتفضيلها ، وقلمّا شهد لأحد ، أو سلّم خلق ، وإن تقدّم وأجمع على فضله ، من شئنه² إياه وطعنه عليه ، لنفاسته في هذه الصناعة ، واستصغاره أهلها ، فقد تقدّم في أخباره مع علوّه ، ومُخارق ، وعمرو بن بانه ، وسليم بن سلام ، وحسين بن محرز ، ومن قبلهم ، ومن فوقهم مثلُ ابن جامع وإبراهيم بن المهديّ وتهجينه إياهم ، وموافقته لهم على خطئهم فيما غنّوه وصنّعه ممّا يُستغنى به عن الإعادة في هذا الموضع ، فإذا انضاف فعله هذا بهم ، وتفضيله إياها ، كان ذلك أدلّ دليل على التحامل ممّن طعن عليها ، وإبطاله فيما ذكرها به ، ولقائل ذلك ، وهو أبو عبد الله الهشاميّ ، سببُ كان يصطنعه عليها ، فدعاه إلى ما قال ، نذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى .

وممّا يدلّ على إبطاله أنّ المأمون أراد أن يمتحن إسحاق في المعرفة بالغناء القديم والحديث ، فامتحنه بصوت من غنائها من صنعتها ، فكاد يجوز عليه ، لولا أنه أطال الفكر والتلّوم واستثبت ، مع علمه بالمذاهب في الصنعة ، وتقديره في معرفة النغم وعِلَلِها ، والإيقاعات ومجاريها .

وأخبرنا بذلك يحيى بن عليّ بن يحيى : قال : حدّثني أبي عن إسحاق : فأما السبب الذي كان من أجله يعاديه الهشاميّ : فأخبرني به يحيى بن محمد بن عبد الله بن طاهر قال : ذكر لأبي أحمد عبّيد الله بن عبد الله بن طاهر عمي أنّ الهشاميّ زعم أنّ أحسن صوت صنّعه عريب :

[من مجزوء الخفيف]

1 الوتائر : موضع بين مكّة والطائف .

2 ل : ثلّبه .

صاح قد لمت ظالماً

وَأَنْ غَنَاءَهَا بِمَنْزِلَةِ قَوْلِ أَبِي دُلْفٍ فِي خَالِدٍ :

يَا عَيْنُ بَكِّي خَالِدًا أَلْفًا وَيُدْعَى وَاحِدًا

فَقَالَ : لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرَ ، وَلَعَرِيبَ صِنْعَةً فَاضِلَةٌ مُتَقَدِّمَةٌ ، وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا فِيهَا ظُلْمًا وَحَسَدًا ، وَغَمَطَهَا مَا تَسْتَحِقُّهُ مِنَ التَّفْضِيلِ ، بِخَبَرِهَا مَعَهُ طَرِيفٌ ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : أَخْرَجْتُ الْهَشَامِيَّ مَعِيَ إِلَى سُرٍّ مَنْ رَأَى ، بَعْدَ وَفَاةِ أَخِي ، يَعْنِي أَبَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، فَأَدْخَلْتُهُ عَلَى الْمُعْتَزِّ ، وَهُوَ يَشْرَبُ ، وَغَرِيبٌ تَغْنِي ، فَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ هَشَامٍ ، غَنِّ ، فَقَالَ : تُبْتُ مِنَ الْغَنَاءِ مَذْقُوبٌ سَيِّدِي الْمُتَوَكِّلُ ، فَقَالَتْ لَهُ غَرِيبٌ : قَدْ وَاللَّهِ أَحْسَنْتَ حَيْثُ تُبْتُ ، فَإِنَّ غَنَاءَكَ كَانَ قَلِيلَ الْمَعْنَى ، لَا مُتَقَنَّ وَلَا صَحِيحٌ وَلَا مُطَرَّبٌ ، فَأَضْحَكْتَ أَهْلَ الْمَجْلِسِ جَمِيعًا مِنْهُ ، فَخَجِلَ ؛ فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَبْسُطُ لِسَانَهُ فِيهَا ، وَيَعِيبُ صِنْعَتَهَا ، وَيَقُولُ : هِيَ أَلْفُ صَوْتٍ فِي الْعَدَدِ ، وَصَوْتُ وَاحِدٍ فِي الْمَعْنَى .

وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَهُ ، إِنَّ لَهَا لَصِنْعَةً تَشَبَّهَتْ فِيهَا بِصِنْعَةِ الْأَوَائِلِ ، وَجَوَّدَتْ ، وَبَرَزَتْ فِيهَا ، مِنْهَا :

أَنْ سَكَنْتَ نَفْسِي وَقَلَّ عَوِيلُهَا

ومنها : [من السريع]

تَقُولُ هَمِّي يَوْمَ وَدَّعْتُهَا

ومنها : [من البسيط]

إِذَا أَرَدْتَ انْتِصَافًا كَانَ نَاصِرُكَ

ومنها : [من مجزوء الرمل]

بِأَبِي مَنْ هُوَ دَائِي

ومنها : [من المديد]

أَسْلَمُوها فِي دِمَشْقَ كَمَا

ومنها : [من الوافر]

فَلَا تَتَعَتَّى ظُلْمًا وَزُورًا

ومنها : [من الطويل]

لَقَدْ لَامَ ذَا الشُّوقِ الْخَلِيَّ مِنَ الْهُوَى

وَنَسَخْتُ مَا أَذْكَرُهُ مِنْ أَخْبَارِهَا ، فَأَنْسَبُهُ إِلَى ابْنِ الْمُعْتَزِّ مِنْ كِتَابِ دَفْعِهِ إِلَيَّ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْجَرَّاحِيِّ الْمَعْرُوفِ بِقَرِيضٍ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُعْتَزِّ دَفَعَهُ إِلَيْهِ ، مِنْ جَمْعِهِ وَتَأْلِيفِهِ ،

فذكرت منها ما استحسنته من أحاديثها ، إذ كان فيها حشو كثير ، وأضفت إليه ما سمعته ووقع إلي غير مسموع مجموعاً ومتفرقاً ، ونسبت كل رواية إلى راويها .
[برمكية النسب]

قال ابن المعتز : حدثني الهشامي أبو عبد الله وأخبرني علي بن عبد العزيز ، عن ابن خرداذبه قالا : كانت عريب لعبد الله بن إسماعيل صاحب مراكب الرشيد ، وهو الذي ربّاه ، وأدّبها ، وعلمها الغناء .

قال ابن المعتز : وحدثني غير الهشامي ، عن إسماعيل بن الحسين خال المعتصم : أنها بنت جعفر بن يحيى ، وأن البرامكة لما انتهبوا سرقت وهي صغيرة .

قال : فحدثني عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد بن الخصيب : قال : حدثني من أثق به ، عن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي : أن أم عريب كانت تسمى فاطمة ، وكانت قيمة لأُم عبد الله بن يحيى بن خالد ، وكانت صبيّة نظيفة ، فراها جعفر بن يحيى ، فهويها ، وسأل أم عبد الله أن تزوجه إياها ، ففعلت ، وبلغ الخبر يحيى بن خالد ، فأنكره ؛ وقال له : أتزوج من لا تعرف لها أم ولا أب ؟ اشتر مكانها مائة جارية وأخرجها ، فأخرجها ، وأسكنها داراً في ناحية باب الأنبار سرّاً من أبيه . ووكل بها من يحفظها ، وكان يتردد إليها ، فولدت عريب في سنة إحدى وثمانين ومائة ، فكانت سنوها إلى أن ماتت ستاً وتسعين سنة ، قال : وماتت أم عريب في حياة جعفر ، فدفعها إلى امرأة نصرانية ، وجعلها داية لها ، فلما حدثت الحادثة بالبرامكة باعته من سنيس النخاس ، فباعها من المراكبي .

قال ابن المعتز : وأخبرني يوسف بن يعقوب : أنه سمع الفضل بن مروان يقول : كنت إذا نظرت إلى قدمي عريب شبهتهما بقدمي جعفر بن يحيى ، قال : وسمعت من يحكي أن بلاغتها في كتبها ذكرت لبعض الكتاب فقال : فما يمنعها من ذلك وهي بنت جعفر بن يحيى ؟

وأخبرني جحظة قال : دخلت إلى عريب مع شروين المغني وأبي العنّس بن حمدون ، وأنا يومئذ غلام عليّ قباء ، ومنطقة ، فأنكرتني وسألت عني ، فأخبرها شروين ، وقال : هذا فتى من أهلك ، هذا ابن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد ، وهو يغني بالطنبور ، فأدنتني ، وقربت مجلسي ، ودعت بطنبور ، وأمرتني بأن أغني ، فغنيت أصواتاً ، فقالت : قد أحسنت يا بُني ولتكونن مغنياً ، ولكن إذا حضرت بين هذين الأسدین ضيغت أنت وطنبورك بين عوديهما ، وأمرت لي بخمسين ديناراً .

قال ابن المعتز ، وحَدَّثني ميمونُ بنُ هارون : قال : حَدَّثتني عَرِيبٌ قالت : بعثَ الرشيدُ إلى أهلها ، تَعْنِي البرامكة ، رسولاَ يسألهم عن حالهم ، وأمره ألا يعلمهم أَنَّهُ من قبله ، قالت : فصار إلى عَمِّي الفضل ، فسأله ، فأنشأ عَمِّي يقول :
[من الخفيف]

صوت

سألونا عن حالنا كيف أنتمُ مَنْ هوى نجمه فكيف يكون ؟
نحن قومُ أصابنا عنتُ الدهر رَ فظَلْنَا لربِّه نستكينُ

ذكرت عَرِيبٌ أَنَّ هذا الشعرَ للفضل بنِ يحيى ، ولها فيه لحنان : ثاني ثَقِيل وخفيف
ثَقِيل ، كلاهما بالوُسْطَى ، وهذا غَلَطٌ من عَرِيبٍ ، ولعلَّه بلغها أَنَّ الفضلَ تمثَّلَ بشعرٍ غير
هذا ، فأنسيتَه وجعلت هذا مكانه .

فأمَّا هذا الشعرُ فللحُسَيْن بنِ الضحَّاك ، لا يُشكُّ فيه ، يرثي به محمداً الأَمِينَ بعد
قوله :

نحن قومُ أصابنا حادثُ الدهر رَ فظَلْنَا لربِّه نستكينُ
نتمنَّى من الأَمِينَ إياباً كلَّ يومٍ وأينَ ممَّا الأَمِينُ ؟
وهي قصيدة .

[تهرب إلى معشوقها]

قال ابن المعتز : وحَدَّثني الهشاميُّ : أَنَّ مولاها خرج إلى البصرة ، وأدبها وخرَّجها
وعَلَّمها الخطَّ والنَّحوَ والشَّعرَ والغناء ، فبرعت في ذلك كلَّه ، وتزايدت حتى قالت الشعرَ ،
وكان لمولاها صديقٌ يُقال له حاتم بن عديٍّ من قَوَاد خُرَّاسان ، وقيل : إِنَّه كان يكتبُ لِعَجِيفٍ
على ديوان الفرض ، فكان مولاها يدعوه كثيراً ، ويخالطه ، ثم ركبهُ دَيْنٌ فاستترَ عنده ، فمدَّ
عينه إلى عَرِيبٍ ، فكاتبها ، فأجابته ، وكانت المُواصلةَ بينهما ، وعَشِيقته عَرِيبٌ ، فلم تزل
تَحْتال حتى اتخذتْ سُلماً من عَقَبٍ¹ ، وقيل : من خيوط غلاظ ، وسَترته ، حتى إذا هَمَّت
بالهرب إليه بعد انتقاله عن منزل مولاها بمَدَّة ، وقد أعدَّ لها موضعاً ، لَفَّت ثيابها وجعلتها في
فراشها بالليل ، ودَثَرَتْها بِدِثَارِها ، ثم تسوَّرت من الحائط ، حتى هَرَبَتْ ، فمَضَتْ إليه ،
فمكثت عنده زمناً ، قال : وبلغني أَنَّها لما صارت عنده بعثَ إلى مولاها يستعير منه عوداً
تُغْنِيه به ، فأعاره عودها ، وهو لا يعلم أَنَّها عنده ، ثقةً به ، ولا يَتَّهمه بشيءٍ من أمرها ، فقال

1 العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار .

عيسى بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي ، وهو عيسى ابن زَيْنَب يهجو أباه ويُعَيِّرُه بها ، وكان كثيراً ما يهجوهُ :

[من مجزوء الرمل]

| | |
|------------------------------------|---|
| قاتلَ الله عَرِيباً | فَعَلْتَ فِعْلاً عَجِيباً |
| رَكِبْتَ وَاللَّيْلُ دَاجٍ | مَرْكَباً صَغْباً مَهْوِياً |
| فَارْتَقَتْ مُتَصِلاً بِالنَّجْجِ | مِمْ أَوْ مِنْهُ قَرِيباً |
| صَبِرْتُ حَتَّى إِذَا مَا | أَقْصَدَ النَّوْمُ الرَّقِيباً ¹ |
| مَثَلْتُ بَيْنَ حَشَايَا | هَا لِكَيْلَا تَسْتَرِيباً |
| خَلَفْتُ مِنْهَا إِذَا نَوَى | دِيَّ لَمْ يُلْفَ مُجِيباً |
| وَمَضَتْ يَحْمِلُهَا الْخَوْ | فُ قَضِيْباً وَكَثِيباً |
| مُحَةً لَوْ حُرِّكَتْ خِفْ | تَ عَلَيْهَا أَنْ تَذُوباً ² |
| فَتَدَلَّتْ لِمُحِبِّ | فَتَلَقَّاهَا حَبِيباً |
| جَذِلاً قَدْ نَالَ فِي الدُّنْ | يَا مِنْ الدُّنْيَا نَصِيباً |
| أَيَّهَا الظُّبْيُ الَّذِي تَسَحَّ | رُ عَيْنَاهُ الْقُلُوبَا |
| وَالَّذِي يَأْكُلُ بَعْضَا | بَعْضُهُ حُسْناً وَطِيباً |
| كُنْتَ نَهْياً لَذْثَابٍ | فَلَقَدْ أَطْعَمْتَ ذِيّاً |
| وَكَذَا الشَّاةُ إِذَا لَمْ | يَكُ رَاعِيَهَا لَبِيباً |
| لَا يُبَالِي وَبِأُ الْمَرْ | عَى إِذَا كَانَ خَصِيباً |
| فَلَقَدْ أَصْبَحَ عَبْدُ اللَّهِ | كَشْخَانَ حَرِيباً ³ |
| قَدْ لَعَمْرِي لَطَمَ الْوَجْهَ | وَقَدْ شَقَّ الْجُيُوبَا |
| وَجَرَتْ مِنْهُ دُمُوعٌ | بَلَّتْ الشُّعْرَ الْخَضِيبَا |

وقال ابن المعتز : حدَّثنا محمد بن موسى بن يونس : أنها ملَّته بعد ذلك ، فهربت منه ، فكانت تُغْنِي عند أقوام عَرَفَتْهُمْ بِبَغْدَاد ، وهي متسترة متخفية ، فلما كان يوم من الأيام اجتاز ابن أخ للمراكبي بِيَسْتَانَ كانت فيه مع قوم تُغْنِي ، فسمع غناءها ، فعرفه ،

1 أقصده : أي أصابه سهمه .

2 المحّة : صفرة البيض .

3 الكشخان : الديوث ، والحريب : المسلوب المال .

فبعث إلى عمه من وقته ، وأقام هو بمكانه ، فلم يرح حتى جاء عمه ، فليَّها¹ وأخذها ، فضربها مائة مِرْقَعَة ، وهي تصيح : يا هذا لِمَ تقتلني ! أنا لستُ أُصبر عليك ، أنا امرأة حُرَّةٌ إن كنتُ مملوكةً فبِيعني ، لستُ أُصبر على الضَّيْقَة ، فلمَّا كان من غد ندم على فعله ، وصار إليها فقبَّلَ رأسها ورجلها ، ووهب لها عشرة آلاف درهم ، ثم بلغ محمداً الأمين خبرها ، فأخذها منه ، قال : وكان خبرها سَقَطَ إلى محمد في حياة أبيه ، فطلبها منه ، فلم يجبه إلى ما سأل ، وقبل ذلك ما كان طلب منه خادماً عنده ، فاضطَّعَنَ لذلك عليه ، فلمَّا وليَ الخلافةَ جاء المراكبيّ ، ومحمد راكب ، لِيُقَبِّلَ يده ، فأمر بِمَنَعِهِ ودفعه ، ففعل ذلك الشَّاكِرِيُّ ، فضربه المراكبيّ وقال له : أتمنعني من يدِ سيِّدي أنْ أقبلها ؟ فجاء الشَّاكِرِيُّ لَمَّا نزل محمد فشكاه ، فدعا محمداً بالمراكبيّ ، وأمر بضرب عنقه ، فسُئِلَ في أمره ، فأعفاه ، وحبسه ، وطلبه بخمسمائة ألف درهم ممَّا اقتطعه من نفقات الكُراع ، وبعث ، فأخذَ عَرِيبَ من منزله مع خَدَمَ كانوا له ، فلمَّا قُتِلَ مُحمد هَرَبَتْ إلى المراكبيّ ، فكانت عنده ، قال : وأنشدني بعض أصحابنا لحاتم بن عديّ الذي كانت عنده لَمَّا هَرَبَتْ إليه ، ثم ملَّته فهرت منه ، وهي أبيات عدَّة ، هذان منها :

ورُشُوا على وَجْهي من الماء واندبُوا قَتِيلَ عَرِيبٍ لا قَتِيلَ حُرُوبٍ
فليتُكْ إنْ عَجَلْتَنِي فقتلتَنِي تَكُونِينَ من بعد الممات نصيبِي

قال ابن المعتز : وأمَّا رواية إسماعيل بن الحسين ، خالِ المعتصم فإنَّها تخالف هذا ، وذكر أنَّها إمَّا هربت من دارِ مؤلاها المراكبيّ إلى محمد بن حامد الخاقاني المعروف بالخشن ، أحدِ قوَادِ خُرَاسان قال : وكان أشقر أصهب الشعر أزرق ، وفيه تقول عَرِيب ، ولها فيه هزج ورمل من روايتي الهشامي وأبي العباس :

بأبي كلَّ أزرقٍ أصهب اللون أشقرٍ
جُنَّ قلبي به ولي من جُنُونِي بِمُنْكَرٍ

[تذكر ناسيا]

قال ابن المعتز : وحدثني ابن المدبر قال : خرجتُ مع المأمون إلى أرض الروم ، أطلب ما يطلبه الأحداث من الرزق ، فكنا نسير مع العَسْكَر ، فلمَّا خرجنا من الرِّقَّة رأينا جماعة من الحَرَمِ في العماريات على الجمَّازات² وكنا رُفْقَةً ، وكنا أترابا ، فقال لي أحدهم : على بعض

1 ليَّها : أخذ يتلايها ، وهي مجتمع ثيابها عند العنق . وفي ل : فكبسها .

2 العماريات : الهودج . والجمَّازات جمع جمَّاز وتوصف بها النِّياق السَّريعة .

هذه الجمّازات غريب ، فقلت : مَنْ يراهنني أمراً في جنبات هذه العماريات ، وأنشد أبيات عيسى بن زئب :

قاتل الله غريباً فعلت فعلاً عجيباً

فراهنني بعضهم وعدّل الرّهان¹ وسيرت إلى جانبها فأنشدت الأبيات رافعاً صَوْتِي بها ، حتى أتممتها ، فإذا أنا بامرأة قد أخرجت رأسها فقالت : يا فتى أنسيّت أجود الشعر وأطيبه ؟ أنسيّت قوله :

وغريبٌ رَطْبَةُ الشَّفِّ رَرِينٌ قد نيكت ضروباً

أذهبُ فخذ ما بأيّعت فيه ، ثم أَلَقْتُ السَّجْفَ ، فعَلِمْتُ أَنَّهَا غَرِيبٌ ، وبادرتُ إلى أصحابي خوفاً من مكروه يلحقني من الخدم .
[رقيب يحتاج إلى رقيب]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : قال لنا عمر بن شبّة : كانت للمراكبيّ جارية يُقال لها مظلومة ، جميلة الوجه ، بارعةُ الحسن ، فكان يبعث بها مع غريب إلى الحَمَام ، أو إلى مَنْ تزوره من أهله ومعارفه ، فكانت ربّما دخلت معها إلى ابن حامد الذي كانت تميل إليه ، فقال فيها بعضُ الشعراء وقد رآها عنده :

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| لقد ظلموك يا مظلومَ لما | أقاموك الرّقيبَ على غريب |
| ولو أوّلوك إنصافاً وعدلاً | لما أخلوك أنت من الرّقيب |
| أتنهّن المريبَ عن المعاصي | فكيف وأنت من شأن المريب |
| وكيف يُجانِبُ الجاني ذنوباً | لديك وأنت داعيةُ الذنوب |
| فإن يَسْتَرْقُبوك على غريب | فما رَقُبوك من غيب القلوب |

وفي هذا المعنى ، وإن لم يكن من جنس ما ذكرته ما أنشدني عليُّ بنُ سليمان الأَحْضَش في رَقِيبَةٍ مُغْنِيَةٍ اسْتُحْسِنَتْ وأظنّه للنّاشيء :

[من المتقارب]

| | |
|--------------------------|--------------------------------|
| فديتك لو أنّهم أنصفوا | لقد منعوا العينَ عن ناظرِك |
| ألم يقرءوا ويجهّم ما يرو | ن من وحي طَرْفِك في مُقَلَّتِك |
| وقد بعثوك رَقِيباً لنا | فمن ذا يكون رَقِيباً عليك |
| تصدّين أعيننا عن سواك | وهل تنظر العينُ إلّا إليك |

[من بلاط الأمين إلى بلاط المأمون]

قال ابن المعتز: وحدثني عبد الواحد بن إبراهيم، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، وعن محمد بن إسحاق البغوي، عن إسحاق بن إبراهيم: أن خبر عريب لما نُمي إلى محمد الأمين بعث في إحضارها وإحضار مولاها، فأحضروا، وغنت بحضرة إبراهيم بن المهدي تقول:

لكل أناسٍ جَوهر متنافسٍ وأنتِ طرازُ الأنسِ الملائحِ

فطرب محمد، واستعاد الصوت مراراً، وقال لإبراهيم، يا عم كيف سمعت؟ قال: يا سيدي، سمعت حسناً، وإن تطاولت بها الأيام، وسكن زوعها ازداد غناؤها حسناً، فقال للفضل بن الربيع: خذها إليك، وساوٍ بها، ففعل، فاشتط مولاها في السوم، ثم أوجبها له بمائة ألف دينار، وانتقض أمر محمد، وشغل عنها، وشغلت عنه، فلم يأمر لمولاها بثمنها حتى قُتل بعد أن افتضها، فرجعت إلى مولاها، ثم هربت منه إلى حاتم بن عدي، وذكر باقي الخبر كما ذكره من تقدم.

وقال في خبره: إنها هربت من مولاها إلى ابن حامد، فلم تزل عنده حتى قدم المأمون بغداد، فتظلم إليه المراكبي من محمد بن حامد، فأمر بإحضاره فأحضر، فسأله عنها فأنكر، فقال له المأمون: كذبت قد سقط إلي خبرها. وأمر صاحب الشرطة أن يجرده في مجلس الشرطة، ويضع عليه السياط حتى يردّها، فأخذه، وبلغها الخبر فركبت حماراً مكاراً، وجاءت وقد جرد ليضرب، وهي مكشوفة الوجه، وهي تصيح: أنا عريب، إن كنت مملوكةً فليعني، وإن كنت حرةً فلا سبيل له عليّ، فرُفع خبرها إلى المأمون، فأمر بتعديلها عند قتيبة بن زياد القاضي، فعُدلت عنده، وتقدم إليه المراكبي مطالباً بها، فسأله البيّنة على ملكه إياها، فعاد متظلماً إلى المأمون، وقال: قد طولت بما لم يُطالب به أحد في رقيق، ولا يوجد مثله في يد من اتباع عبداً أو أمة.

وتظلمت إليه زبيدة، وقالت: من أغلظ ما جرى عليّ بعد قتل محمد ابني هجوم المراكبي على داري، وأخذه عريباً منها. فقال المراكبي: إنما أخذت ملكي، لأنه لم ينقذني الثمن، فأمر المأمون بدفعها إلى محمد بن عمر الواقدي، وكان قد ولّاه القضاء بالجانب الشرقي، فأخذها من قتيبة بن زياد، فأمر ببيعها ساذجة، فاشترها المأمون بخمسين ألف درهم، فذهبت به كلّ مذهب ميلاً إليها ومحبة لها.

قال ابن المعتز: ولقد حدثني علي بن يحيى المنجم أن المأمون قُبِلَ في بعض الأيام رجلاًها ، قال : فلمّا مات المأمون بيعت في ميراثه ، ولم يُبَّعْ له عبدٌ ولا أمةٌ غيرها ، فاشترها المعتصم بمائة ألف درهم ، وأعتقها ، فهي مولاته .

وذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أنها لما هربت من دار محمد حين قتل تدلّت من قصر الخلد بجبل إلى الطريق ، وهربت إلى حاتم بن عدي .

وأخبرني جحظة ، عن ميمون بن هارون : أن المأمون اشتراها بخمسة آلاف دينار ، ودعا بعبد الله بن إسماعيل ، فدفعها إليه ، وقال : لولا أنني حلفت ألا أشتري مملوكاً بأكثر من هذا لزدتك ، ولكنني سأوليك عملاً تكسب فيه أضعافاً لهذا الثمن مضاعفة ، ورمى إليه بخاتمين من ياقوت أحمر ، قيمتهما ألفا دينار ، وخلع عليه خلعاً سنّية ، فقال : يا سيدي ، إنما يتنفع الأحياء بمثل هذا ، وأما أنا فإنني ميت لا محالة ، لأن هذه الجارية كانت حياتي ، وخرج عن حضرته ، فاختلط وتغيّر عقله ، ومات بعد أربعين يوماً .

قال ابن المعتز : فحدثني علي بن يحيى قال : حدثني كاتب الفضل بن مروان : قال : حدثني إبراهيم بن رباح قال : كنت أتولّى نفقات المأمون ، فوصف له إسحاق بن إبراهيم الموصلي عريب ، فأمره أن يشتريها ، فاشترها بمائة ألف درهم ، فأمرني المأمون بحملها ، وأن أحمل إلى إسحاق مائة ألف درهم أخرى ، ففعلت ذلك ، ولم أدر كيف أثبتتها ، فحكيت في الديوان أن المائة الألف خرجت في ثمن جوهرة ، والمائة الألف الأخرى خرجت لصائغها ودلالها ، فجاء الفضل بن مروان إلى المأمون ، وقد رأى ذلك ، فأنكره ، وسألني عنه ، فقلت : نعم هو ما رأيت ، فسأل المأمون عن ذلك ، وقال : أوجب وهب لدلال وصائغ مائة ألف درهم ، وغلظ القصة ، فأنكرها المأمون ، فدعاني ، ودنوت إليه ، وأخبرته أنه المال الذي خرج في ثمن عريب وصلة إسحاق ، وقلت : أيما أصوب يا أمير المؤمنين : ما فعلت أو أثبت في الديوان أنها خرجت في صلة مومن وثمن موعنة ؟ فضحك المأمون ، وقال : الذي فعلت أصوب ، ثم قال للفضل بن مروان : يا نبطي ، لا تعترض على كاتبني هذا في شيء .

وقال ابن المكّي : حدثني أبي عن نحرير الخادم : قال : دخلت يوماً قصر الحرم ، فلمحت عريب جالسة على كرسي ناشرة شعرها تغتسل ، فسألت عنها ، فقيل : هذه عريب دعا بها سيدها اليوم ، فافضّها .

قال ابن المعتز : فأخبرني ابن عبد الملك البصري : أنها لما صارت في دار المأمون احتالت حتى وصلت إلى محمد بن حامد ، وكانت قد عشقته وكاتبته بصوت قالته ، ثم احتالت في

الخروج إليه ، وكانت تلقاه في الوقت بعد الوقت ، حتى حَبِلَتْ منه وولدت بنتاً ، وبلغ ذلك المأمون فزَوَّجَه إِيَّاهَا .

وأخبرنا إبراهيم بن القاسم بن زررور ، عن أبيه ، وحدثني به المظفر بن كيغلغ عن القاسم بن زررور ، قال : لَمَّا وَقَفَ المأمون على خبرها مع محمد بن حامد أمر بإلباسها جُبَّةً صوف وختم زيقها¹ وحَبَسَهَا في كَيْفٍ مَظْلَمٍ شهراً لا ترى الضوء ، يُدْخَلُ إليها خبزٌ وملحٌ وماءٌ من تحت الباب في كلِّ يوم ، ثم ذكرها ، فَرَقَّ لها ، وأمر بإخراجها ، فلَمَّا فُتِحَ البابُ عنها ، وأُخْرِجَتْ لم تتكَلَّمْ بكلمة حتى اندفعت تغني : [من الكامل]

حجبه عن بصري فمُثِّلَ شَخْصُهُ في القلبِ فهو مُحجَّبٌ لا يُحجَّبُ
فبلغ ذلك المأمون ، فعجب منها ، وقال : لن تَصْلُحَ هذه أبداً ، فزَوَّجَهَا إِيَّاهُ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

لو كان يَقْدِرُ أَنْ يَبْثُكَ ما به لرأيتَ أحسنَ عاتبٍ يَتَعَتَّبُ
حجبه عن بَصْرِي فمُثِّلَ شَخْصُهُ في القلبِ فهو مُحجَّبٌ لا يُحجَّبُ
الغناء لعَرِيبٍ ثَقِيلٍ أَوَّلُ بالوسطى .

[رقعة منها في تركة]

قال ابن المعتز : وحدثني لؤلؤُ صديقُ علي بن يحيى المنجم : قال حدثني أحمدُ بنُ جعفر بن حامد : قال : لَمَّا تَوَفَّى عَمِّي محمد بن حامد صار جدِّي إلى منزله ، فنظر إلى تركته ، وجعل يُقَلِّبُ ما خَلَّفَ ، ويُخْرِجُ إليه منها الشيء بعد الشيء إلى أن أُخْرِجَ إليه سَفَطٌ مختوم ، ففَضَّ الخاتمَ ، وجعل يَفْتَحُه ، فإذا فيه رِقَاعٌ غَرِيبٌ إليه ، فجعل يتصَفَّحُها وَيَتَنَسَّمُ ، فوقعَت في يده رقعةٌ ، فقرأها ، ووضعها من يده وقام لحاجة ، فقرأتها فإذا فيها قوله : [من المجث]

صوت

ويلي عليكَ وَمِنْكَ أوقعت في الحقِّ شَكَا
زعمتُ أَنِّي خَمُونٌ جَوْرًا عَلَيَّ وإفْكََا

1 زيق القميص : ما أحاط منه بالعنق .

[ولم يكن ذاك مني إلا مجوناً وفكاً]
 إن كان ما قلت حقاً أو كنت أزمعتُ ترَكَا
 فأبدل الله ما بي من ذلة الحب نسكا

لعريب في هذه الأبيات رمل وهزج ، عن الهشامي والشعر لها .

[تجيب على قبلة بطعنة]

قال ابن المعتز : وحدّثني عبد الوهاب بن عيسى الخراساني ، عن يعقوب الرخامي : قال : كنّا مع العباس بن المأمون بالرقّة وعلى شرطته هاشم ، رجل من أهل خراسان ، فخرج إليّ ، وقال : يا أبا يوسف ، ألقى إليك سيراً لثقتي بك ، وهو عندك أمانة ، قلت : هايتّه ، قال : كنت واقفاً على رأس الأمين وبني حرّ شديد ، فخرجت عريب ، فوقفت معي ، وهي تنظر في كتاب فما ملكت نفسي أن أومأت إليها بقبلة ، فقالت : كحاشية البرد . فوالله ما أدري ما أردت ، فقلت ، قالت لك : طعنة .

قال : وكيف ذاك ؟ قلت : أردت قول الشاعر :

رمى ضرع ناب فاستمرّ بطعنة كحاشية البرد اليماني المسهم¹
 وحكى هذه القصّة أحمد بن أبي طاهر ، عن بشر بن زيد ، عن عبد الله بن أيّوب بن أبي شمر ، أنّهم كانوا عند المأمون ومعهم محمد بن حامد ، وعريب تغنيهم ، فغنت تقول :

رمى ضرع ناب فاستمرّ بطعنة كحاشية البرد اليماني المسهم
 فقال لها المأمون : من أشار إليك بقبلة ، فقلت له طعنة ؟ فقالت له : يا سيدي ، من يشير إليّ بقبلة في مجلسك ؟ فقال : بحياتي عليك ! قالت : محمد بن حامد ، فسكت .

[نحب أميراً ونزوّج خادماً]

قال ابن المعتز : وحدّثني محمد بن موسى : قال : اصطبح المأمون يوماً ومعه ندماءه ، وفيهم محمد بن حامد وجماعة من المغنين ، وعريب معه على مُصلاّه ، فأومأ محمد بن حامد إليها بقبلة ، فاندفعت تغني ابتداء :

رمى ضرع ناب فاستمرّ بطعنة كحاشية البرد اليماني المسهم
 تريد بغنائها جواب محمد بن حامد بأن تقول له : طعنة ، فقال لها المأمون ، أمسكي ، فأمسكت ، ثم أقبل على النّدماء ، فقال : من فيكم أوماً إلى عريب بقبلة ؟ والله لئن لم يصدّقني

لأُضْرِبَنَّ عُنُقَهُ ، فقام محمد ، فقال : أنا يا أمير المؤمنين أومأتُ إليها ، والعفو أقرب للتقوى ، فقال : قد عفوتُ .

فقال : كيف استدللَّ أمير المؤمنين على ذلك ؟ قال : ابتدأتُ صوتاً ، وهي لا تغني ابتداءً إلاّ لمعنى ، فعلمتُ أنّها لم تبتدئ بهذا الصوت إلاّ لشيء أومئ به إليها ، ولم يكن من شرط هذا الموضع إلاّ إيماء بقبلة ، فعلمت أنّها أجابت بطعنة .

قال ابن المعتز : وحدّثني عليّ بن الحسين : أنّ عَرِيبَ كانت تتعشّقُ أبا عيسى بن الرشيد وروى غيره أنّها كانت لا تضرب المثلّ إلاّ بحُسن وجه أبي عيسى وحسن غنائها ، وكانت تزعم أنّها ما عَشِيتُ أحداً من بني هاشم وأصفتها الحجة من الخلفاء وأولادهم سواه .

قال ابن المعتز : وحدّثني بعضُ جوارينا : أنّ عَرِيبَ كانت تتعشّقُ صالحاً المنذريّ الخادم ، وتزوّجته سرّاً ، فوجّه به المتوكّل إلى مكان بعيد في حاجة له ، فقالت فيه شعراً ، وصاغت لحنه في خفيف الثقل وهو :

صوت

أماً الحبيبُ فقد مضى بالرغم مني لا الرضا
أخطأتُ في تركي لمن لم ألق منه مَوْضاً

قال : فغنته يوماً بين يدي المتوكّل ، فاستعاده ، وجعل جواريه يتغامزن ويضحكن ، فأصغت إليهن سرّاً من المتوكّل ، فقالت : يا سَحَاقَات ، هذا خير من عملكن .

قال : وحدّثت عن بعض جواري المتوكّل ، أنّها دخلت يوماً على عَرِيب ، فقالت لها : تعالني ويحك إليّ ، فجاءت . قال : فقالت : قبلي هذا الموضع مني فإنك تجدين ريح الجنة فأومأت إلى سالفيتها¹ ، ففعلت ، ثم قالت لها : ما السبب في هذا ؟ قالت : قبّلني صالح المنذريّ في ذلك الموضع .

[ليس وقت ملام]

قال ابن المعتز : وأخبرني أبو عبد الله الهشاميّ قال : حدّثني حمدون بن إسماعيل ، قال : حدّثني محمد بن يحيى الوائقيّ ، قال : قال لي محمد بن حامد ليلة : أحبُّ أن تُفرِّغ لي مَضْرِبَكَ ، فإنني أريد أن أجيعك ، فأقيم عندك ، ففعلتُ ، ووافاني ، فلمّا جلس جاءت عَرِيب ، فدخلت .

وقد حدّثني به جحظة : قال : حدّثني أبو عبد الله بن حمدون : أنّ عَرِيبَ زارت

1 السّالفة : ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط إلى نقرة الترقوة .

محمد بن حامد ، وجَلَسَا جميعاً ، فجعل يُعَاتِبُهَا ، ويقول : فعلتِ كذا ، وفعلتِ كذا ، فقالت لي : يا محمد ، هذا عندك رأي ؟ ثم أقبلت عليه ، فقالت : يا عاجز خذُ بنا فيما نحن فيه وفيما جئنا إليه .

وقال جحظة في خبره : اجعل سراويلي مِخْنَقَتِي ، وألصق خَلْخَالِي بِقُرْطِي ، فإذا كان غدٌ فاكتب إليَّ بِعَتَابِكَ في طومارٍ حتى أكتب إليك بعذري في ثلاثة ، ودع هذا الفضول ، فقد قال الشاعر :

صوت

دَعِيَ عَدَّ الذَّنُوبِ إِذَا التَّقِينَا تَعَالَى لَا أَعْدُ وَلَا تَعُدِّي
وتمام هذا قوله :

فَأَقْسِمَ لَوْ هَمَمْتُ بِمَدِّ شِعْرِي إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ لَقُلْتُ مُدِّي
الشعر للمؤمل ، والغناء لعريب ، خفيف رمل ، وفيه لعلويه رَمَلٌ بِالْبِنْصَرِ من رواية عمرو بن بانة .

[مع ثمانية من الخلفاء]

أخبرني أبو يعقوب إسحاق بن الضحَّاك بن الخَصِيب : قال : حدَّثني أبو الحسن علي بن محمد بن الفُرات قال : كنت يوماً عند أخي أبي العباس ، وعنده عريب جالسة على دَسْتٍ مفرد لها ، وجواربها يَغْنِين بين يدينا وخلف ستارتنا ، فقلت لأخي ، وقد جرى ذكر الخلفاء : قالت لي عريب : نَاكَنِي منهم ثمانية ما اشتَهيت منهم أحداً إِلَّا المَعْتَزَّ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَشْبَهُ أَبَا عَيْسَى بن الرَشِيد . قال ابن الفرات : فَأَصْغَيْتُ إِلَى بَعْضِ بَنِي أَخِي ، فقلت له : فكيف ترى شهوتها الساعة ، فضحك وَلَمَحَتْهُ ، فقالت : أَيُّ شَيْءٍ قُلْتُمْ ؟ فجحدتها . فقالت لجواربها : أُمْسِكْنَ ، ففعلن ، فقالت : هُنَّ حَرَائِرُ لَنْ لَمْ تَخْبِرَانِي بِمَا قُلْتُمَا لَيَنْصَرِفَنَّ جَمِيعاً ، وَهُنَّ حَرَائِرُ إِنْ حَرِذْتُ مِنْ شَيْءٍ جَرَى ، وَلَوْ أَنَّهَا تَسْفِيلُ ، فَصَدَّقْتُهَا . فقالت : وَأَيُّ شَيْءٍ فِي هَذَا ؟ أَمَّا الشَّهْوَةُ فَبَحَالُهَا ، وَلَكِنْ الْآلَةُ قَدْ بَطَلَتْ أَوْ قَالَتْ : قَدْ كَلَّتْ ، عُودُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ .

[شرطان لها]

وحدَّثني الحسن بن علي بن مودَّة : قال : حدَّثني إبراهيم بن أبي العَبَّاس : قال : حدَّثنا أبي : قال : دخلنا على عريب يوماً مُسَلِّمِينَ ، فقالت : أَقِيمُوا الْيَوْمَ عِنْدِي حَتَّى أَطْعَمَكُم لَوْزَنِيَّةً صَنَعْتُهَا بِذَعَةِ يَيْدِهَا مِنْ لَوْزِ رَطْبٍ ، وَمَا حَضَرَ مِنَ الْوُظَيْفَةِ ، وَأَغْنِيَكُم أَنَا وَهِيَ ، قال : فقلت لها على شريطة ، قالت : وما هي ؟ قلت : شيء أريد أن أسألك عنه منذ سنين ، وأنا أهأبك ، قالت : ذاك لك ، وأنا أقدم الجواب قبل أن تسأل ، فقد علمت ما

هو ، فعجبت لها ، وقلت : فقولي ، فقالت : تريد أن تسألني عن شرطي أي شرط هو ؟ فقلت : إي والله ذاك الذي أردت . قالت : شرطي أُرِّثُ صُلْبَ ، وَنَكْهَةً طَيِّبَةً ، فَإِنْ انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ حَسَنٌ يُوصَفُ ، وَجَمَالٌ يُحْمَدُ فَقَدْ زَادَ قَدْرُهُ عِنْدِي ، وَإِلَّا فَهَذَانِ مَا لَا بَدَّ لِي مِنْهُمَا .

[حبيبها والهدية]

وَحَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ ذِي السَّيْفَيْنِ إِسْحَاقَ بْنَ كَنْدَاجِيقَ ، عَنْ أَبِيهِ : قَالَ : كَانَتْ عَرِيبٌ تَوَلَّعَ بِي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ ، فَقَالَتْ لِي يَوْمًا : يَا إِسْحَاقُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ عِنْدَكَ دَعْوَةٌ فَابْعَثْ إِلَيَّ نَصِيبِي مِنْهَا ، قَالَ : فَاسْتَأْنَفْتُ طَعَامًا كَثِيرًا ، وَبَعَثْتُ إِلَيْهَا مِنْهُ شَيْئًا كَثِيرًا ؛ فَأَقْبَلَ رَسُولِي مِنْ عِنْدِهَا مُسْرِعًا ، فَقَالَ لِي : لَمَّا بَلَغْتُ إِلَى بَابِهَا ، وَعَرَفْتُ خَبْرِي أَمَرْتُ بِالطَّعَامِ فَأُتِيبَ وَقَدْ وَجَّهَتْ إِلَيْكَ بَرَسُولٍ ، وَهُوَ مَعِي ، فَتَحَيَّرْتُ وَظَنَنْتُ أَنَّهَا قَدْ اسْتَقْصَرَتْ فِعْلِي ، فَدَخَلَ الْخَادِمُ وَمَعَهُ شَيْءٌ مَشْدُودٌ فِي مَنْدِيلٍ وَرَقْعَةٍ ، فَقَرَأَتْهَا ، فَإِذَا فِيهَا : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، يَا عَجْمِي يَا غَبِيٍّ ، ظَنَنْتَ أَنَّي مِنَ الْأَتْرَاكِ وَوَحْشُ¹ الْجَنْدِ ، فَبَعَثْتَ إِلَيَّ بِخَبْزٍ وَلَحْمٍ وَحُلْوَاءَ ، اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيْكَ ، يَا فَدْتُكَ نَفْسِي ، قَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ زَلَةً² مِنْ حَضْرَتِي ، فَتَعَلَّمْ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَنَحْوِهِ مِنَ الْأَفْعَالِ ، وَلَا تَسْتَعْمَلْ أَخْلَاقَ الْعَامَّةِ ، فِي رَدِّ الظَّرْفِ ، فَيَزِدَادَ الْعَيْبُ وَالْعَنْبُ عَلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَكَشَفْتُ الْمَنْدِيلَ ، فَإِذَا طَبَقٌ وَمَكْبَةٌ مِنْ ذَهَبٍ مَنسُوجٌ عَلَى عَمَلِ الْخِلَافِ ، وَفِيهِ زَبْدِيَّةٌ فِيهَا لَقِمَتَانِ مِنْ رَقَاقٍ ، وَقَدْ عَصَبَتْ طَرَفَيْهِمَا وَفِيهَا قِطْعَتَانِ مِنْ صَدْرِ دَرَّاجٍ مَشْوِيٍّ وَنَقْلٍ وَطَلْعٌ³ وَمِلْحٌ ، وَانْصَرَفَ رَسُولُهَا .

[أخذ الخليفة واعطني صاحب]

قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : حَدَّثَنِي الْهَشَامِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ رَجُلٍ ذَكَرَهُ ، عَنْ عَلْوِيَّةَ قَالَ : أَمَرَنِي الْمَأْمُونُ وَسَائِرُ الْمَغْنِيِّينَ فِي لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي أَنْ نَصِيرَ إِلَيْهِ بُكْرَةً لِيَصْطَبِخَ ، فَغَدَوْنَا وَلَقِينِي الْمَرَاكِبِيُّ مَوْلَى عَرِيبٍ ، وَهِيَ يَوْمئِذٍ عِنْدَهُ ، فَقَالَ لِي : يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الظَّالِمُ الْمُعْتَدِي ، أَمَا تَرَقَّ وَلَا تَرْحَمَ وَلَا تَسْتَحِي ؟ عَرِيبٌ هَائِمَةٌ تَحْلُمُ بِكَ فِي النَّوْمِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ، قَالَ عَلْوِيَّةَ : فَقُلْتُ : أُمُّ الْخِلَافَةِ زَانِيَةٌ . وَمَضَيْتُ مَعَهُ ، فَحِينَ دَخَلْتُ قُلْتُ : اسْتَوْثِقْ مِنَ الْبَابِ ، فَإِنِّي أَعْرِفُ خَلْقَ اللَّهِ بِفَضُولِ الْبَوَّالِينَ وَالْحُجَّابِ ، وَإِذَا عَرِيبٌ جَالِسَةٌ عَلَى كُرْسِيِّ تَطْبِخَ ، وَبَيْنَ يَدَيْهَا ثَلَاثُ قَدُورٍ مِنْ دَجَاجٍ ، فَلَمَّا رَأَتْنِي قَامَتْ تَعَانِقُنِي وَتَقْبَلُنِي ، ثُمَّ

1 الوحش : الرديء من كل شيء .

2 الزلة : ما يحمل إلى الصديق من مائدة صديقه .

3 الطَّلْع : ثمر النخل أول ظهوره .

قالت : أيما أحب إليك أن تأكل من هذه القدور ، أو تشتهي شيئاً يطبخ لك ، فقلت : يل قدر من هذه تكفيني ، فغرفت قدراً منها ، وجعلتها بيني وبينها ، فأكلنا ودعونا بالبئذ ، فجلسنا نشرب حتى سكرنا ، ثم قالت : يا أبا الحسن ، صنعت البارحة صوتاً في شعر لأبي العتاهية ، فقلت : وما هو ؟ فقالت هو : [من الطويل]

عذيري من الإنسان لا إن جفوته صفا لي ولا إن كنت طوعاً يديه
وقال لي : قد بقي فيه شيء ، فلم نزل نردده أنا وهي حتى استوى ، ثم جاء الحجاب فكسروا باب المراكبي واستخرجوني ، فدخلت على المأمون ، فلما رأيته أقبلت أمشي إليه برقص وتصفيق ، وأنا أغني الصوت ، فسمع وسمع من عنده ما لم يعرفوه واستظرفوه ، وسألني المأمون عن خبره ، فشرحته له . فقال لي : ادن وردده ، فرددته عليه سبع مرّات . فقال في آخر مرة : يا علويّه . خذ الخلافة واعطني هذا الصاحب .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

عذيري من الإنسان لا إن جفوته صفا لي ولا إن كنت طوعاً يديه
وإني لمشتاق إلى قرب صاحب يروق ويصفو إن كدرت عليه
الشعر من الطويل وهو لأبي العتاهية ، والغناء لعريب ، خفيف ثقيل أول بالوسطى ، ونسبه عمرو بن بانة في هذه الطريقة والأصبع إلى علويّه .
[لماذا غضب الوراق والمعتصم عليها]

قال ابن المعتز : وحدثني القاسم بن زرّور : قال : حدثتني عريب قالت : كنت في أيام محمد ابنة أربع عشرة سنة ، وأنا حينئذ أصوغ الغناء .
قال القاسم : وكانت عريب تكايد الوراق فيما يصوغه من الألحان وتصوغ في ذلك الشعر بعينه لحناً فيكون أجود من لحنه ، فمن ذلك : [من البسيط]

لم آتِ عامدةً ذنباً إليك بلى أقرّ بالذنب فاعفُ اليوم عن زلي
لحنها فيه خفيف ثقيل ، ولحن الوراق رمل ، ولحنها أجود من لحنه ، ومنها : [من البسيط]
أشكو إلى الله ما ألقى من الكمد حسبي برّبي ولا أشكو إلى أحد
لحنها ولحن الوراق جميعاً من الثقيل الأول ، ولحنها أجود من لحنه .

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من البسيط]

لم آتِ عامدةً ذنباً إليك بلى أقرّ بالذنبِ فاعفُ اليوم عن زلي
فالصفح من سيّدٍ أولى لمعتذرٍ وقالك ربك يوم الخوفِ والوجل
الغناء للوائح رمل ، ولعريب خفيف ثقيل وذكر ذكاء وجه الرزة أن لطالب بن يزداد فيه
هزجاً مطلقاً .

صوت

[من البسيط]

أشكو إلى الله ما ألقى من الكمدِ حسبي بربي ولا أشكو إلى أحدٍ
أين الزمان الذي قد كنت ناعمةً في ظلّه بدنويّ منك يا سندي
وأسالُ الله يوماً منك يُفرحني فقد كحلتُ جفونَ العينِ بالسَّهْدِ
شوقاً إليك وما تدري بما لقيت نفسي عليك وما بالقلبِ من كمدٍ
الغناء لعريب ثقيل أول بالوسطى ، وللوائح ثقيل أول بالنصر .
قال ابن المعتز : وكان سببَ انحرافِ الوائح عنها ، وكيادها إياها ، وانحرافِ المعتصم عنها أنه
وجد لها كتاباً إلى العباس بن المأمون بيلد الروم : اقتُل أنت العِلجُ ثم ، حتى أقتل أنا الأعور الليلي
هاهنا . تعني الوائح ، وكان يسهر بالليل ، وكان المعتصم استخلفه ببغداد .

[تغضب على جارية تشبهها في شبابها]

قال : وحدّثني أبو العنّس بنُ حَمْدُون قال : غَضِبْتَ عَرِيبَ على بَعْضِ جوارِها
المذكورات ، وسماها لي ، فجئتُ إليها يوماً ، وسألتُها أن تعفو عنها ، فقالت في بعض ما
تقوله ، ممّا تعدد به عليها من ذنوبها : يا أبا العنّس إن كنت تشتهي أن ترى زنايَ وصفاقةَ
وَجْهِي وجراءتي على كلّ عَظيمةِ أيامِ شبابي فانظر إليها ، واعرف أخبارها .
[كانت تجيد ركوب الخيل]

قال ابن المعتز : وحدّثني القاسم بن زُرْزُور قال : حدّثني المعتمد ، قال : حدّثني عَرِيبُ
أنّها كانت في شبابها يُقدّم إليها برّدُون ، فتطفر عليه بلا ركاب .
[لا تبالي بلدغ العقب وهي في الصوت]

قال : وحدّثني الأسديّ : قال : حدّثني صالح بن عليّ بن الرشيد المعروف بزغفرانة : قال :

تمارى خالي أبو علي مع المأمون في صوت ، فقال المأمون : أين عريب ؟ فجاءت وهي محمومة ، فسألها عن الصوت فقالت فيه بعلمها ، فقال لها : غنيه ، فولّت لتجيء بعود ، فقال لها : غنيه بغير عود ، فاعتمدت على الحائط للحُمى وغنّت ، فأقبلت عقرب ، فرأيتها قد لسعت يدها مرتين أو ثلاثاً ، فما نَحَّتْ يدها ، ولا سككت ، حتى فرغت من الصوت ، ثم سقطت وقد غشي عليها .
[كيف تغسل رأسها]

قال ابن المعتز : وحَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْفَرَاتِ : قال : قالت لي تحفة جارية عريب : كانت عريب تجد في رأسها برّداً ، فكانت تغلّف شعرها مكان العلة بستين مثقالاً مسكاً وعنبراً ، وتغسله من جُمُعة إلى جمعة ، فإذا غَسَلَتْهُ أعادته ، وتتقَسَّم الجوّاري غُسالَةَ رأسها بالقوارير وما تُسَرِّحه منه بالميزان .
[ترتجل معارضة لصوت]

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ جِحْظَةَ ، عن عليّ بن يحيى المنجم : قال : دخلتُ يوماً على عريب مسلماً عليها ، فلما اطمأنت جالساً هطلت السماء بمطر عظيم ، فقالت : أقم عندي اليوم حتى أغنيك أنا وجوّاري ، وابعثْ إلى مَنْ أَحْبَبْتَ من إخوانك ، فأمرت بدوابي فردّت ، وجلسنا نتحدّث ، فسألتنني عن خبرنا بالأمس في مجلس الخليفة ، ومن كان يغني ، وأي شيء استحسنا من الغناء ، فأخبرتها أنّ صوت الخليفة كان لَحْناً صنعه بنان من الماخوري ، فقالت : وما هو ؟ فأخبرتها أنّه :

صوت

تُجَافِي ثُمَّ تَنْطَبِقُ جَفَوْنَ حَشَوُهَا الْأَرْقُ
وَذِي كَلَفٍ بِكِي جَزَعًا وَسَفَرُ الْقَوْمِ مُنْطَبِقُ
بِهِ قَلَقٌ يُمْلِمِلُهُ وَكَانَ وَمَا بِهِ قَلَقُ
جَوَانِحُهُ عَلَى خَطَرٍ بِنَارِ الشَّقِّ تَحْتَرِقُ

فوجّهت رسولاً إلى بنان ، فحضر من وقته . وقد بلّته السماء ، فأمرت بخلع فاخرة ، فخلعت عليه ، وقُدِّمَ له طعام فاخر ، فأكل وجلس يشرب معنا ، وسألته عن الصوت ، فغناها إياه فأخذت دَوَاةً ورُقعةً وكتبت فيها :

أَجَابَ الْوَابِلُ الْغَدِقُ وَصَاحَ النَّرْجَسُ الْغَرَقُ
وَقَدْ غَنَى بِنَانُ لَنَا : جَفَوْنَ حَشَوُهَا الْأَرْقُ
فَهَاتِ الْكَاسَ مُرَعَةً كَانَ حُبَابُهَا حَذَقُ

قال عليّ بن يحيى : فما شربنا بقيّة يومنا إلّا على هذه الأبيات .

[رموز برموز]

حدثني محمد بن خلف بن المرزبان ، عن عبد الله بن محمد المروزي : قال : قال لي الفضل بن العباس بن المأمون : زارتي عريب يوماً ومعهما عِدَّةٌ من جواربها ، فوافتنا ونحن على شراينا ، فتحدثنا ساعة ، وسألناها أن نُقيم عندي ، فأبَت وقالت : دَعَانِي جماعة من إخواني من أهل الأدب والظرف ، وهم مجتمعون في جزيرة المُوَيْد ، فيهم إبراهيم بن المُدَبِّر وسعيد بن حُمَيْد ويحيى بن عيسى بن منارة ، وقد عزمْتُ على المسير إليهم ، فحلفت عليها ، فأقامت عندنا ، ودعَت بدواة وقرطاس فكتبت :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وكتبت بعد ذلك في سطر واحد ثلاثة أحرفٍ متفرقة لم تزد عليها ، وهي :

أردتُ ، ولولا ، ولعلي .

ووجهت به إليهم ، فلما وصلت الرقعة عَيُّوا بجوابها ، فأخذ إبراهيم بن المدبر الرقعة ، فكتب تحت أردت : ليت ، وتحت لولا : ماذا ، وتحت لعلِّي : أرجو . ووجهوا بالرقعة فصفقت ونعرت¹ وشريت رطلاً وقالت لنا : أترك هؤلاء وأقعِد عندكم ؟ إذا تركني الله من يديه ، ولكنني أخلف عندكم من جواربي مَنْ يكفيكم ، وأقوم إليهم ، ففعلت ذلك وخلفت عندنا بعض جواربها ، وأخذت معها بعضهن ، وانصرفت .

[بلاغتها]

أخبرنا محمد بن خلف ، عن سعيد بن عثمان بن أبي العلاء ، عن أبيه قال : عتب المأمون على عريب ، فهجرها أياماً ، ثم اعتلت فعادها ، فقال لها : كيف وجدت طعم المهجر ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ، لولا مرارة الهجر ما عرفت حلاوة الوصل ، ومن دَمَّ بدء الغضب أحمد عاقبة الرضا ، قال : فخرج المأمون إلى جلسائه ، فحدثهم بالقصة ، ثم قال : أترى هذا لو كان من كلام النظام ألم يكن كبيراً ؟

[لا تريد مَنْ يتدخل بينها وبين المأمون]

حدثني محمد بن خلف ، عن أبي العيناء ، عن أحمد بن أبي داود ، قال : جرى بين عريب وبين المأمون كلامٌ ، فكلمها المأمون بشيء غَضِبَتْ منه ، فهجرته أياماً ، قال أحمد بن أبي داود : فدخلت على المأمون ، فقال لي : يا أحمد ، اقض بيننا ، فقالت عريب : لا حاجة لي في قضائه ودخوله فيما بيننا ، وأنشأت تقول :

[من المنسرح]

1 نعرت نعيراً ونعاراً : صاحت وصوتت بخيشومها .

وتخلِط الهجرَ بالوصلِ ولا يدخُل في الصلح بيننا أحدٌ

[خلوتها مع محمد بن حامد]

حدثني محمد بن خلف قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن ، عن أحمد بن حمدون ، عن أبيه ، قال : كنتُ حاضراً مجلس المأمون ببلاد الرُّوم بعد صلاة العشاء الآخرة في ليلة ظلماء ذات رُعود وبروق ، فقال لي المأمون : اركب الساعة فرسَ النوبة وسِرْ إلى عسكر أبي إسحاق ، يعني المعتصم ، فأدِّ إليه رسالتي في كيت وكيت ، قال : فركبتُ ولم تثبت معي شمعة ، وسمعت وقع حافر دابة ، فرهبتُ ذلك ، وجعلت أتوقاه ، حتى صكَّ ركابي ركابَ تلك الدابة ، وبرقت بارقة فأضاءت وجهه الراكب ، فإذا عريب ، فقلت : عريب ؟ قالت : نعم ، حمدون ؟ قلت : نعم . ثم قلت : من أين أقبلت في هذا الوقت ؟ قال : من عند محمد بن حامد ، قلت : وما صنعت عنده ؟ قالت عريب : يا تكش ، عريب تجيء من عند محمد بن حامد في هذا الوقت خارجة من مضرب الخليفة وراجعة إليه ، تقول لها : أي شيء عملت عنده ؟ صليتُ معه التراويح ؟! أو قرأتُ عليه أجزاء من القرآن ، أو دارسته شيئاً من الفقه ، يا أحمق تعاتبتنا ، وتحادثنا ، واصطلحنا ، ولعينا ، وشربنا ، وغنينا ، وتنايكنا ، وانصرفنا ، فأخرجلتني وغازلتني ، وافترقنا ، ومضيتُ فأدبت الرسالة ، ثم عدتُ إلى المأمون وأخذنا في الحديث وتناشد الأشعار ، وهممتُ والله أن أُحدثه حديثها ، ثم هبته فقلت : أقدم قبل ذلك تعريضاً بشيء من الشعر ، فأنشدته :

ألا حيَّ أطلالا لواسعة الحبل ألوف تسوي صالح القوم بالردل¹
فلو أن من أمسى بجانب تلعة إلى جبلي طي فساقطه الحبل
جلوس إلى أن يقصر الظل عندها لراحوا وكل القوم منها على وصل

فقال لي المأمون : اخفيض صوتك لا تسمعك عريب فتغضب ، وتظن أننا في حديثها ، فأمسكتُ عما أردت أن أخبره ، وخار الله لي في ذلك .

حدثني محمد بن أحمد الحكيمي ، قال : أخبرني ميمون بن هارون : قال : قال لي ابن اليزيدي : حدثني لأبي قال : خرجنا مع المأمون في خروجه إلى بلد الرُّوم ، فرأيت عريب في هودج ، فلما رأته قالت لي : يا يزيد ، أنشدني شعراً قلته حتى أصنع فيه لحناً فأنشدتها :

ماذا بقلبي من دوام الخفق إذا رأيت لمعان البرق

1 واسعة الحبل : أي لا ترد يد لأمس .

من قِيلَ الأَرْدُنُّ أَوْ دِمَشْقُ لَأَنَّ مَنْ أَهْوَى بِذَاكَ الْأَفْقِ
فَإِنَّ فِيهِ وَهُوَ أَعَزُّ الْخَلْقِ عَلَيَّ وَالزَّوْرُ خِلَافُ الْحَقِّ
ذَاكَ الَّذِي يَمْلِكُ مِنِّي رَقِي وَلَسْتُ أَبْغِي مَا حَيَّيْتُ عِتْقِي

قال : فتنفستُ تنفساً ظننتُ أنَّ ضُلُوعَهَا قد تقصَّفتُ منه ، فقلتُ : هذا والله تنفَّسَ عاشقُ ، فقالت : اسكت يا عاجز أنا أعشَقُ ، والله لقد نظرت نظرة مربية في مجلس ، فادعاهَا من أهل المجلس عشرون رئيساً طريفاً .

[بيتا عباس بن الأحنف يصلحان بينها وبين حبيبها]

حدَّثني محمد بن خلف : قال : حدَّثني أحمد بن أبي طاهر : قال : حدَّثني أحمد بن حمدون : قال : وقَعَ بين عَرِيب وبين محمد بن حامد شرٌّ ، وكان يجِدُ بها الوجدَ كُلَّهُ ، فكادَا يَخْرُجَان من شرَّهما إلى القطيعة ، وكان في قلبها منه أكثرُ ممَّا في قلبه منها ، فلقيته يوماً ، فقالت له : كيف قلبُك يا محمد ؟ قال : أشقى والله ما كان وأقرُّهُ ، فقالت له : استبدل تسلياً ، فقال لها : لو كانت البلوى باختيار لفعلت ، فقالت : لقد طال إذا تعبك ، فقال : وما يكون ؟ أصبِرْ مُكْرَهَا ، أما سَمِعْتَ قَوْلَ العَبَّاسِ بن الأحنف :

تَعَبٌ يَطُولُ مَعَ الرَّجَاءِ بِذِي الْهَوَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ رَاحَةٍ فِي الْيَاسِ
لَوْلَا كَرَامَتُكُمْ لَمَا عَاتَبْتُكُمْ وَلَكُنْتُ عِنْدِي كِبْفُضِ النَّاسِ

قال : فذرفت عينها ، واعتذرت إليه وأعتبته ، واصطلحا ، وعادا إلى أفضل ما كانا عليه .

[اختلاف في فن عَرِيب]

حدَّثني أحمد بن جعفر جحظة : قال : قال لي أبو العباس بن حمدون ، وقد تعاذبنا غناء عَرِيب : ليس غناؤها ممَّا يعتدُّ بكثرة ، لأنَّ سقطه كثير ، وصنعتهَا ساذجة ، فقلت له : ومَنْ يُعْرِفُ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ مِنْ مُغْنِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ سَلِمَتْ صَنَعَتُهُ كُلُّهَا حَتَّى تَكُونَ مِثْلَهُ ! ثُمَّ جَعَلْتُ أَعِدُّ مَا أَعْرِفُهُ مِنْ جَيِّدِ صَنَعَتِهَا وَمُقَدَّمِهَا وَهُوَ يَعْتَرِفُ بِذَلِكَ ، حَتَّى عَدَدْتُ نَحْواً مِنْ مِائَةِ صَوْتٍ مِثْلَ لَحْنِهَا فِي :

يَا عَزَّ هَلْ لَكَ فِي شَيْخٍ فَتَى أَبَدَا

[من الطويل]

و :

سَيْسَلِيكَ عَمَّا فَاتَ دَوْلَةً مَفْضُلَ

[من مجزوء الخفيف]

و :

صَاحٍ قَدْ لَمَسَ ظَالِمَا

و :

[من مجزوء الكامل]

ضحك الزمان وأشرق

ونحو هذا ، ثم قال لي : ما خلّفتُ عَرِيبُ بعدها امرأةً مثلها في الغناء والرواية والصنعة ،
فقلت له : لا ، ولا كثيراً من الرجال أيضاً .

[قصة لمن في بيت يتيماً]

ولعريب في صنعتها :

[من البسيط]

يا عزّ هل لك في شيخٍ فتى أبداً

خبرٌ أخبرني ببعضه أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، عن ميمون بن هارون .

وذكر ابن المعتز أنّ عبد الواحد بن إبراهيم بن الخصيب حدّثه عمّن يثق به ، عن أحمد بن
عبد الله بن إسماعيل المراكبيّ : قال : قالت لي عريب : حجّ بي أبوك وكان مضعوفاً ، فكان
عدلي ، وكنت في طريقي أطلب الأعراب فأستشدهم الأشعار ، وأكتب عنهم النوادر وسائر
ما أسمعهم منهم ، فوقف شيخٌ من الأعراب علينا يسأل ، فاستشدته ، فأنشدني : [من البسيط]

يا عزّ هل لك في شيخٍ فتى أبداً وقد يكون شبابٌ غيرُ فتیان

فاستحسنته ، ولم أكن سمعته قبل ذلك ، قلت : فأنشدني باقي الشعر ، فقال لي : هو
يتيم ، فاستحسنتُ قوله وبرّرتُه ، وحفظت البيت وغنّيت فيه صوتاً من الثقل الأول ،
ومولاي لا يعلم بذلك لضعفه . فلمّا كان في ذلك اليوم عشيّاً قال لي : ما كان أحسن
ذلك البيت الذي أنشدك إياه الأعرابيّ ، وقال لك : إنه يتيم . أنشدنيّه إن كنت حفظته ،
فأنشدته إياه ، وأعلمته أنّي قد غنّيت فيه ، ثم غنّيته له ، فوهب لي ألف درهم بهذا
السبب ، وفرح بالصوت فرحاً شديداً .

قال ابن المعتز : قال ابن الخصيب : فحدّثني هذا المحدث أنّه قد حضر بعد ذلك بمجلس
أبي عيسى بن المتوكّل ، ومن هاهنا تتصل رواية ابن عمّار ، عن ميمون ، وقد جمعتُ
الروایتين ، إلّا أنّ ميمون بن هارون ذكر أنّهم كانوا عند جعفر بن المأمون ، وعندهم أبو
عيسى ، وكان عندهم علي بن يحيى ، وبدعة جارية عريب تغنيهم ، فذكر علي بن يحيى أنّ
الصنعة فيه لغير عريب ، وذكر أنّها لا تدعي هذا وكأبرّ فيه ، فقام جعفر بن المأمون ، فكتب
رُفعة إلى عريب ، ونحن لا نعلم ، يسألها عن أمر الصوت وأن تكتب إليه بالقصة ، ففعلت ،
فكتبت إليه بخطها :

بسم الله الرحمن الرحيم :

هَنِيئاً لأربابِ البيوتِ يُبوتُهُمْ وللعزَبِ المسكينِ ما يَتَلَبَّسُ
أنا المسكينة ، وحيدة فريدة بغير مؤنس ، وأنتم فيما أنتم فيه ، وقد أخذتم أنسي ومن كان
يلهيني ، تعني جاريتهما : بدعة وتحفة ، فأنتم في القصف والعزف ، وأنا في خلاف ذلك ،
هناكم الله وأبقاكم ، وسألت ، مد الله في عمرك ، عما اعترض فيه فلان ، والقصة في هذا
الصوت كذا وكذا ، وقصت قصتها مع الأعرابي كما حدثت به ، ولم تحرم حرفاً منها ، فجاء
الجواب إلى جعفر بن المأمون فقراه وضحك ، ثم رمى به إلى أبي عيسى ، ورمى به أبو عيسى
إليّ ، وقال : اقراه ، وكان عليّ بن يحيى جالساً إلى جنبي ، فأراد أن يستلب الرقعة ، فمنعته
وقمت ناحية ، فقرأتها : فأنكر ذلك ، وقال : ما هذا ؟ فورينا الأمر عنه لئلا تقع عريدة ،
وكان ، عفا الله عنا وعنّه ، فعلاً لها .

[قصة غرامية عن أبي محم]

قال ابن المعتز : وحدثني أبو الخطاب العباس بن أحمد بن الفرات ، قال : حدثني
أبي ، قال : كنا يوماً عند جعفر بن المأمون نشرب وعريب حاضرة إذ غنى بعض من كان
هناك :

يا بدرُ إنك قد كُسيْتَ مشابهاً من وجهِ ذاك المستنير اللائح
وأراك تمصّح بالحاق ، وحسنها باقٍ على الأيام ليس ببارح¹
فضحكت عريب وشفقت وقالت : ما على وجه الأرض أحدٌ يعرف خبر هذا الصوت
غيري ، فلم يُقدم أحدٌ منّا على مسألته عنه غيري ، فسألته ، فقالت : أنا أخبركم بقصته ،
ولولا أن صاحب القصة قد مات لما أخبرتكم ، إن أبا محم قديم بغداد ، فنزل بقرب دار
صالح المسكين في خانٍ هناك ، فاطلعت أم محمد ابنة صالح يوماً ، فرآته يبول ، فأعجبها
متاعه ، وأحبت مواصلته ، فجعلت لذلك علة بأن وجهت إليه تقترض منه مالاً ، وتعلمه
أنها في ضيقة وأنها تردّه إليه بعد جمعة ، فبعث إليها عشرة آلاف درهم ، وحلف أنه لو
ملك غيرها لبعث به ، فاستحسنّت ذلك وواصلته ، وجعلت القرض سبباً للوصلة ، فكانت
تدخله إليها ليلاً ، وكنت أنا أغني لهم ، فشرينا ليلة في القمر ، وجعل أبو محم ينظر إليه ، ثم
دعا بدواة ورقعة ، وكتب فيها قوله :

[من الكامل]

1 مصح : ذهب وانقطع .

يا بدرُ إنَّك قد كُسيْتَ مشابهاً من وَجْهِ أُمِّ محمد ابنةِ صالحٍ
والبيت الآخر ، وقال لي : غَنِّي فيه ، ففعلتُ واستحسنَّاهُ وشربنا عليه ، فقالتُ لي أُمُّ محمد
في آخر المجلس : يا أختي ، قد تنبَّلت في هذا الشعر إلاَّ أَنَّهُ سيبقى عليَّ فضيحةُ آخر الدهر ،
فقال أبو مُحَلِّم : وأنا أُغَيِّرُهُ ، فجعل مكان أُمِّ محمد ابنةِ صالح ، « ذاك المستنير اللائح » .
وغَنِّيَتْه كَمَا غَيَّرَهُ ، وأخذهُ الناسُ عَنِّي ، ولو كانت أُمُّ محمد حيَّةً لما أخبرتكم بالخبر .
[فأما نسبة هذا الصوت]

فإنَّ الشعر لأبي مُحَلِّم النَّسَّابة ، والغناء لعريب ثَقِيلٌ أَوَّلُ مُطْلَقٌ في مَجْرَى الوُسْطَى من
رواية الهشامي وغيره ، وأبو مُحَلِّم اسمه عوف بن مُحَلِّم .
[تطلب من جيبها أن يزورها]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، عن ميمون بن هارون : قال : كتبتُ عَرِيبَ إلى
محمد بن حامد ، الذي كانت تهواه ، تستزيره ، فكتب إليها : إني أخاف على نفسي ،
فكتبتُ إليه :

صوت

إذا كنتَ تحذِرُ ما تحذِرُ وترعُمُ أَنَّكَ لا تجسُرُ
فما لي أُقِيمُ على صَبَوَتِي ويومُ لِقَائِكَ لا يُقدِرُ
فصار إليها من وقته .

لعريب في هذين البيتين وبيتين آخرين بعدهما لم يذكرنا في الخبر رمل ، ولشارية خفيف
رمل ، جُمعا من رواية ابن المعتز ، والبيتان الآخران :

تبَيَّنَتْ عذري وما تَعَذِّرُ وأبليتُ جسمي وما تشعُرُ
أَلْفَتْ السُّرُورَ وخالِيتَنِي ودَمَعِي من العينِ ما يَفْتَرُ

وذكر ميمون في هذا الخبر أنَّ محمد بن حامد كتب إليها يُعاتبها في شيء كَرِهَهُ ، فكتبتُ
إليه تعتذر ، فلم يقبل ، فكتبتُ إليه بهذين البيتين الآخرين اللذين ذكرتهما بعد نسبة هذا
الصوت :

صوت

أَحْبَبْتُ مَنْ شِعْرِ بَشَّارٍ لِحَبِّكُمْ يَبْتَأُ ، كَلِفْتُ بِهِ مِنْ شِعْرِ بَشَّارٍ
يا رَحْمَةَ اللَّهِ حُلِّيَ فِي مَنَازِلِنَا وَجَاوَرِنَا فَذَكَرْتُكَ النَّفْسُ مِنْ جَارٍ¹

إذا ابتهلْتُ سألتُ اللهَ رحمتَه كُنيتُ عنكَ وما يَعْدُوكَ إضماري
الشعرُ لأبي نواسٍ منه البيتُ الأوَّلُ ، والثاني لبشارٍ ضمَّنَه أبو نواس ، والغناء لَعَرِيبٍ ثَقِيلٍ
أوَّلُ بالبَنْصَرِ ، ولعمرو بن بانه في الثاني والثالث رمل .
وهذا الشعر يقوله أبو نواس في رحمة بن نجاح عمَّ نجاح بن سَلَمَةَ الكاتب .
[رحمة حبيبة بشار ورحمة حبيب أبي نواس]

أخبرني بخبره عليُّ بنُ سليمان الأَحْفَشُ ، عن محمد بن يزيد النحويِّ : قال : كان
بَشَّارٌ يُشَبَّبُ بامرأة يقال لها رحمة ، وكان أبو نواس يتعشَّقُ غلاماً اسمه رحمة بن نجاح ، عمَّ
نَجَاحَ بنِ سَلَمَةَ الكاتب ، وكان متقدِّماً في جماله ، وكان أبوه قد ألزمه وأخاه رجلاً
مدنيّاً ، وكان معهم كأحدهم ، وأكثر أبو نواس التَّشْيِيبَ برحمة في إقامته ببغداد
وشخصه عنها ، وكان بَشَّارٌ قد قال في رحمة المرأة التي يهواها :
[من البسيط]

يا رحمة الله حُلِّي في منازلنا حَسْبِي برائحة الفِرْدَوْس من فيك
يا أَطْيَبَ النَّاسِ ريقاً غيرَ مُخْتَبِرٍ إلَّا شِهادَةَ أَطرافِ المساويلِ
فقال أبو نواس ، وضمَّن بيتَ بَشَّارٍ :
أحببت من شعر بشارٍ لِحُبِّكم
الآيات الثلاثة . . .

وقال فيه :

يا مَنْ تَأَهَّبَ مُزْمِعاً لِرِواحِ مُتِمِّمًا بَغْدَادَ غيرَ مُلاحِ
في بَطْنٍ جارِيَةٍ كَفَّتَكَ بِسِيرِها رَمَلاً وَكُلَّ سِياحَةِ السَّبَّاحِ¹
بُنيت على قَدَرٍ ولاءٍ بينها صِنْفانٍ من قارٍ ومن ألواحِ
وكانَّها ، والماء ينضح صدرها والخِيزُرانة في يَدِ المَلَّاحِ²
جُونٌ من الغُرَبانِ يبتدرِ الدَّجى يَهْوِي بصَوْتٍ واصطِفاقِ جَناحِ
سَلَّمَ على شاطِئِ الصَّراةِ وأهلِها واخصَّصَ هناك مَدِينَةَ الوَضَّاحِ³
واقصدْ ، هُدَيْتَ ، ولا تكن متحيراً في مقصِدٍ عن طَبْيِ آلِ نَجَاحِ

1 جارية : أي السفينة . والرَّمَلُ : ضرب من السير وهو الهرولة .

2 الخيزرانة : مجداف السفينة .

3 الصَّراة : نهر بالعراق .

عن رحمة الرحمن وأسأل مَنْ تَرَى سيماء سيماء شاربٍ للراح
فإذا دُفِعتَ إلى أغْبَنِّ وأثْنِ ومنعم ومكحل ورداح
وكشمسينا وكبدرنا حاشي التي سميتها منه بنور أقاحي
فاقصد لوقت لقائه في خلوة لتبوح عني ثم كلّ مباح
واخبر بما أحببت عن حالي التي مساي فيها واحدٌ وصباحي

قال : فافتدى أبو رحمة من أبي نواس ذكر ابنه بأن عقد بينه وبينه حرمة ، ودعاه إلى منزله ، فجاءه أبو نواس والمديني لا يعرفه ، فمازحه مزاحاً أسرف عليه فيه ، فقام إليه رحمة ، فعرفه أنه أبو نواس ، فأشفق المديني من ذلك ، وخاف أن يهجوه ويشهر اسمه ، فسأل رحمة أن يكلمه في الصفح له والإغضاء عن الانتقام ، فأجابه أبو نواس وقال : [من الكامل]

أذهب سلمت من الهجاء ولذعه وأما ولغية رحمة بن نجاح
لولا فتور في كلامك يُستهى وترفقي لك بعد واستملاحي
وتكسر في مقتلتيك هو الذي عطف الفؤاد عليك بعد جماح
لعلمت أنك لا تمازح شاعراً في ساعة ليست بحين مزاح

صوت

[من المتقارب]

أبكاك بالعرف المنزل وما أنت والطلل المحول ؟
وما أنت ويك ورسم الديار وسنك قد قارت تكمل ؟

عروضه من المتقارب ، والشعر للكميت بن زيد الأسدي ، والغناء لمعقل بن عيسى أخي أبي دلف العجلي ، ولحنه من التقيّل الأول بالنصر ، وهذان البيتان من قصيدة مدح الكميت بهما عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاصي بن أمية .

أخبرني الحسن بن علي : قال : حدثني الحسن بن عليل العنزي ، عن علي بن هشام ، عن محمد بن عبد الأعلى بن كناسة : قال : كان بين بني أسد وبين طيء بالحصر ، وهي قرية من قادية الكوفة ، حرب ، فاصطلحوا وبقي لطيء دماء رجلين ، فاحتمل ذلك رجل من بني أسد ، فمات قبل أن يؤديه ، فاحتمله الكميت بن زيد ، فأعانه فيه عبد الرحمن بن عنبسة ، فمدحه بقوله :

[من المتقارب]

أَبْكَاكَ بِالْعُرْفِ الْمَنْزَلُ وَمَا أَنْتَ وَالطَّلُّ الْمَحْوُلُ

فَأَعَانَهُ الْحَكَمُ بْنُ الصَّلْتِ الثَّقَفِيُّ ، فَمَدَحَهُ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلَهَا : [من المتقارب]

رَأَيْتَ الْغَوَانِيَّ وَحِشًا نَفُورًا

وَأَعَانَهُ زِيَادُ بْنُ الْمُغَفَّلِ الْأَسَدِيُّ ، فَمَدَحَهُ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلَهَا : [من البسيط]

هَلْ لِلشَّبَابِ الَّذِي قَدْ فَاتَ مِنْ طَلَبِ ؟

ثُمَّ جَلَسَ الْكَمَيْتُ وَقَدْ خَرَجَ الْعِطَاءُ ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلَ يُعْطِي الْكَمَيْتَ الْمَائَتَيْنِ ، وَالثَّلَاثَ الْمِائَةَ ، وَأَكْثَرَ وَأَقَلَّ ، قَالَ : وَكَانَتْ دِيَّةُ الْأَعْرَابِيِّ حِينَئِذٍ أَلْفَ بَعِيرٍ وَدِيَّةُ الْحَضِرِيِّ عَشْرَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، وَكَانَتْ قِيَمَةُ الْجَمَلِ عَشْرَةَ دِرْهَمٍ ، فَأَدَّى الْكَمَيْتُ عِشْرِينَ أَلْفًا عَنْ قِيَمَةِ أَلْفِي بَعِيرٍ .

نسبة ما في أشعار الكميت هذه من الأغاني

منها :

صوت

[من البسيط]

هَلْ لِلشَّبَابِ الَّذِي قَدْ فَاتَ مِنْ طَلَبِ أَمْ لَيْسَ غَابِرُهُ الْمَاضِي بِمُنْقَلَبِ

دَعِ الْبُكَاءَ عَلَى مَا فَاتَ مِنْ طَلَبِ فَالذَّهْرُ يَأْتِي بِالْوَانِ مِنَ الْعَجَبِ

غَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ خَفِيفَ رَمْلٍ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى مِنْ رِوَايَةِ إِسْحَاقَ .

[446] - ذكر معقل بن عيسى

[شاعر مغن]

كان معقلُ بن عيسى فارساً شاعراً جَوَاداً ، مغنياً فهِماً بالنِّعم والوتر ، وذكره الجاحظ مع
ذكر أخيه أبي دُلْف وتَقْرِيطَه في المعرفة بالنِّعم ، وقال : إِنَّهُ من أحسن أهل زمانه وأجود طبقة
صَنَعَةٍ ؛ إذ سَلِمَ ذلك له أخوه مَعْقِل ، وإنما أُحْمِلَ ذكره ارتفاعُ شأن أخيه ، وهو القائل
لأبي دُلْف في عَتَب عَتَبه عليه :

أُخِيَّ مَا لَكَ تَرْمِينِي فَتَقْصِدَنِي وَإِنْ رَمَيْتُكَ سَهْمًا لَمْ يَجْزُ كَبْدِي
أُخِيَّ مَا لَكَ مَجْبُولًا عَلَى تَرْتِي كَأَنَّ أَجْسَادَنَا لَمْ تُغَذَّ مِنْ جَسَدِي

وهو القائل لمخارق ، وقد كان زار أبا دُلْف إلى الجبل ، ثم رجع إلى العراق ، أخبرني
بذلك علي بن سليمان الأنخس عن أبي سَعِيدٍ السَّكْرِيِّ :

صوت

لعمري لئن قَرَرْتُ بِقُرْبِكَ أَعِينُ لَقَدْ سَخِنْتُ بِالْبَيْنِ مِنْكَ عُيُونُ
فَسِرُّ أَوْ أَقِمْ وَقِفْ عَلَيْكَ مَحَبَّتِي مَكَانُكَ مِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ مَصُونُ
فَمَا أَوْحَشَ الدُّنْيَا إِذَا كُنْتَ نَازِحًا وَمَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا بَحِثُ تَكُونُ

عروضه من الطويل ، والشعر لمعقل بن عيسى ، والغناء لمخارق ، ولحنه من الثَّقِيلِ
الأَوَّلِ بالوسطى ، وفيه لحن لمعقل بن عيسى خفيف رمل ، وفيه ثاني ثَقِيلٍ يقال : إِنَّهُ
لمخارق ، ويقال : إِنَّهُ لمعقل .

ومن شعر معقل قوله يمتدح المعتصم ، وفيه غناء للزُّبَيْرِ بن دَحْمَانَ من الثَّقِيلِ الأَوَّلِ
بالبنصر :

الدَّارُ هَاجَكَ رَسْمُهَا وَطَلُولُهَا أَمْ بَيْنَ سُعْدَى يَوْمَ جَدَّ رَحِيلُهَا
كُلُّ شَجَاكَ فَقُلْ لَعِينِكَ أَعُولِي إِنْ كَانَ يُغْنِي فِي الدِّيَارِ عَوِيلُهَا
وَمُحَمَّدٌ زَيْنُ الْخَلَائِفِ وَالَّذِي سَنَّ الْمَكَارِمَ فَاسْتَبَانَ سَبِيلُهَا

صوت

[من الطويل]

أَلَيْسَ إِلَى أَجْبَالِ شَمْعٍ إِلَى اللَّوَى لَوْى الرَّمْلُ يَوْمًا لِلنُّفُوسِ مَعَادُ ؟

بِلَادُ بَهَا كُنَّا ، وَكُنَّا مِنْ أَهْلِهَا إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالْبِلَادُ بِلَادُ

الشعر لرجل مَن عاد فيما ذكروا ، والغناء لابن محرز ، ولحنه من الثقليل الأول بالبنصر عن ابن المكيّ ، وقيل : إنّه من منحوله إليه .

[رجل من عاد]

أخبرني ابن عمّار عن أبي سعد ، عن محمد بن الصَّبَّاح : قال : حدَّثنا يحيى بن سلمة بن أبي الأشهب التيميّ عن الهيثم بن عديّ : قال : أخبرني حماد الراوية : قال : حدَّثني ابنُ أخت لنا من مراد : قال : وليتُ صدقاتِ قوم من العرب ، فبينما أنا أقسمها في أهلها إذ قال لي رجل منهم : ألا أريك عجباً ؟ قلت : بلى ، فأدخلني في شعب من جبل ، فإذا أنا بسهم من سهام عاد ، من فتى قد نشب في ذروة الشَّعب وإذا على الجبل تجاهي مكتوب : [من الطويل]

أَلَا هَلْ إِلَى أُبَيَاتِ شَمَخٍ إِلَى اللَّوَى لَوَى الرَّمْلُ يَوْمًا لِلنَّفُوسِ مَعَادُ ؟
بِلَادُ بَهَا كُنَّا وَكُنَّا مِنْ أَهْلِهَا إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالْبِلَادُ بِلَادُ

ثم أخرجني إلى ساحل البحر ، وإذا أنا بحجر يعلوه الماء طوراً ، ويظهر تارة ، وإذا عليه مكتوب : يا ابن آدم يا ابن عبد ربّه ، اتقِ الله ، ولا تعجل في أمرِك ، فإنك لن تسبق رزقك ، ولن تُرزق ما ليس لك ، ومن البصرة إلى الدليل ستمائة فرسخ ، فمن لم يصدق بذلك فليمش الطريق على الساحل حتى يتحقَّقه ، فإن لم يَقْدِر على ذلك فليَنطَحْ برأسه هذا الحجر .

صوت

[من الكامل]

يَا بَيْتَ عَاتِكَةِ الَّذِي أَتَعَزَّلُ حَذَرَ الْعِدَا وَبِهِ الْفُؤَادُ مَوْكَلُ
إِنِّي لَأَمْنُحُكَ الصَّدُودَ وَإِنِّي قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصَّدُودِ لَأَمِيلُ

أتعزله : أتجنّبه واكون بمعزل عنه . العدا : جمع عدوّ ، ويقال عدا بالضمّ وعدا بالكسر ، وأمْنُحُك : أعطيك . والمنيحة : العطية . وفي الحديث أن رجلاً منح بعض ولده شيئاً من ماله ، فقال له النبي ﷺ : أَكَلْ وَلَدٌ مَنَحْتَ مِثْلَ هَذَا ؟ قال : لا ، قال : فارجعه .

الشعر للأحوص بن محمد الأنصاريّ ، من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز ، والغناء لمبعد ثاني ثقليل بالخنصر في مجرى البنصر ، عن إسحاق ويونس وغيرهما ، وفيه لابن سُرَيْج خفيف ثقليل الأول بالبنصر عن الهشاميّ وابن المكيّ وعلي بن يحيى .

[447] - الأحوص¹ وبعض أخباره

[الأحوص يعارض ابن أبي دُباك]

أخبرني بخبر الأحوص في هذا الشعر الحُرْمِيَّ عن الزُّبَيْرِ قال : حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمَّلِي ، وأخبرنا به الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، عن مُصْعَبِ الزُّبَيْرِيِّ ، عن المؤملي ، عن عمر بن أبي بكر الموصلي ، عن عبد الله بن أبي عبيدة بن عمار بن ياسر : قال : خرجت أنا والأحوص بن محمد مع عبد الله بن الحسن بن الحسن إلى الحج ، فلما كنا بقديد قلنا لعبد الله بن الحسن : لو أرسلت إلى سليمان بن أبي دُباك ، فأنشدنا شيئاً من شعره ، فأرسل إليه فاتاناً ، فاستنشدناه ، فأنشدنا قصيدته التي يقول فيها : [من الكامل]

| | |
|------------------------------|--|
| يا بيتَ خنساء الذي أتجنب | ذهب الشباب وحبها لا يذهب |
| أصبحت أمتحك الصدود وإنني | قسماً إليك مع الصدود لأجُب |
| ما لي أحنَّ إلى جمالك قُربت | وأصدُّ عنك وأنت مني أقرب |
| لله درك هل لديك مَعولٌ | لَمَتِمَّ أم هل لودك مطلبٌ ؟ |
| فلقد رأيتك قبل ذاك وإنني | لموكل بهواك أو مُتقرب |
| إذ نحن في الزمن الرخي وأنتم | متجاورون كلامكم لا يُرَقَب ² |
| تبكي الحمامة شجوها فتَهيجني | ويروح عازب همي المتأوب |
| وتهبُّ جارية الرياح من أرضكم | فأرى البلاد لها تُطلُّ وتُخصِب |
| وأرى السَّمية باسمكم فيزيدني | شوقاً إليك رجائك المتنسب |
| وأرى العدوَّ يودكم فأودّه | إن كان يُنسب منك أولاً يُنسب |
| وأخالف الواشين فيك تجملاً | وهم عليّ ذوو ضغائن دُوب |
| ثم اتخذتهم عليّ وليجة | حتى غَضِيت ومثل ذلك يُغَضِب ³ |

قال : فلما كان من قابل حجَّ أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان ، فقدم المدينة ، فدخل عليه

1 انظر أخباره في : الجمعي 137-140 والشعر والشعراء 518/1-521 والمؤتلف 47-48 والآلي 73

والخزانة 231/1-234 .

2 كلامكم في ل : كلام .

3 وليجة : أصدقاء وأعوان .

الأحوصُ ، واستصحبه فأصبحه ، فلما خرج الأحوصُ قال له بعض مَنْ عنده : ماذا تريد بنفسك ؟ تقدّم بالأحوص الشام ، وبها مَنْ يُنافسك من بني أبيك ، وهو من الأفنّ والسّفه على ما قد علمت فيعيّونك به . فلما رجع أبو بكر من الحجّ دخل عليه الأحوص متنجّزاً لما وعده من الصحابة فدعا له بمائة دينار وأثواب وقال : يا خال ، إني نظرت فيما سألتني من الصحابة فكرهت أن أهجم بك على أمير المؤمنين من غير إذنه ، فيجبهك فيشمت بك عدوّي من أهل بيتي ، ولكن خذ هذه الثياب والدنانير ، وأنا مستأذن لك أمير المؤمنين ، فإذا أذن لك كتبت إليك ، فقدمت عليّ ، فقال له الأحوص : لا ولكن قد سبغت¹ عندك ، ولا حاجة لي بعطيتك ، ثم خرج من عنده ، فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز ، فأرسل إلى الأحوص ، وعمر يومئذ أمير المدينة ، فلما دخل عليه أعطاه مائة دينار ، وكساه ثياباً فأخذ ذلك ، ثم قال له : يا أخي هب لي عرّض أبي بكر ، قال : هو لك ، ثم خرج الأحوص ، فقال في عروض قصيدة سليمان بن أبي دُبّاكل قصيدة مدح بها عمر بن عبد العزيز .

وقال حماد : قال أبي : سرق أبيات سليمان بأعيانها ، فأدخلها في شعره ، وغير قوافيها

[من الكامل]

فقط ، فقال :

| | |
|---------------------------------|--|
| يا بيتَ عاتكة الذي أتعزّل | حذر العدا وبه الفؤاد موكّل |
| أصبحتُ أمْنُحُك الصّدودَ وإنّني | قسماً إليك مع الصّدود لأُمِيلُ |
| فصددتُ عنك وما صددتُ لبغضةٍ | أخشى مقالةً كاشحٍ لا يعْقِلُ |
| هل عيشنا بك في زمانك راجعٌ | فلقد تفاحش بعدك المتعلّل ² |
| إنّي إذا قلتُ استقام يحطّه | خلفٌ كما نظر الخلاف الأقبل ³ |
| لو بالذي عالجت لينَ فؤاده | فأبى يُلان به لَلانَ الجندلُ |
| وتجنّبي بيتَ الحبيبِ أودّه | أرضي البغيضَ به ، حديثٌ مُعْضِلُ |
| ولئن صددتُ لأنّ لولا رِقْتي | أهوى من اللائي أزورُ وأدْخُلُ |
| إنّ الشّبابَ وعيشنا اللذّ الذي | كنا به زمناً نُسرُّ ونجذُلُ ⁴ |
| ذهبت بشاشتُهُ وأصبحَ ذكره | حُزناً يُعلُّ به الفؤاد وينهلُ |

1 سبع فلان فلاناً : شتمه ووقع فيه .

2 تفاحش في الديوان 167 : تقاعس .

3 القبل : الحول ، أو إقبال نظر كل من العينين على الأخرى .

4 اللذّ : اللذيذ .

إِلَّا تَذْكُرَ مَا مَضَى وَصَبَابَهُ
أَوْ دَى الشَّبَابُ وَأَخْلَقْتُ لِدَاتِهِ
يَكِي لِمَا قَلَبَ الزَّمَانُ جَدِيدَهُ
وَالرَّأْسُ شَامِلُهُ الْبَيَاضُ كَأَنَّهُ
وَسْفِيهِةٌ هَبَّتْ عَلَيَّ بِسُحْرَةٍ
فَأَجَبْتُهَا أَنَّ قَلْتُ لَسْتُ مُطَاعَةً
إِنِّي كَفَانِي أَنْ أَعَالِجَ رِحْلَةً
بِنَوَالِ ذِي فَجَرٍ تَكُونُ سِجَالَهُ
مَاضٍ عَلَى حَدَثِ الْأُمُورِ كَأَنَّهُ
تُبْدِي الرِّجَالَ إِذَا بَدَأَ إِعْظَامَهُ
فَيُرُونَ أَنَّ لَهُ عَلَيْهِمْ سُورَةً
مُتَحَمِّلٍ ثِقَلِ الْأُمُورِ حَوَى لَهُ
وَلَهُ إِذَا نُسِيتَ قَرِيشٌ مِنْهُمْ
وَلَهُ بِمَكَّةَ إِذْ أُمِيَّةٌ أَهْلُهَا
أَعْيَتْ قَرَابَتَهُ وَكَانَ لُرُومُهُ
وَسَمُوتَ عَنْ أَخْلَاقِهِمْ فَتَرَكْتَهُمْ
وَلَقَدْ بَدَأْتُ أُرِيدُ وَدَّ مَعَاشِرٍ
حَتَّى إِذَا رَجَعَ الْيَقِينُ مَطَامِعِي
زَايَلْتُ مَا صَنَعُوا إِلَيْكَ بِرِحْلَةٍ
وَوَعَدْتَنِي فِي حَاجَةٍ فَصَدَّقْتَنِي
وَشَكُوتُ غُرْمًا فَادِحًا فَحَمَلْتَهُ

مُنِيَتْ لِقَلْبٍ مَتِيٍّ لَا يَذْهَلُ
وَأَنَا الْحَزِينُ عَلَى الشَّبَابِ الْمُعُولُ
خَلَقًا وَلَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ مُعُولُ
بَعْدَ السَّوَادِ بِهِ الثَّغَامُ الْمُحْجِلُ¹
جَهْلًا تَلْسُومَ عَلَى الثَّوَاءِ وَتَعْذِلُ²
فَذَرِي تَنْصَحُكَ الَّذِي لَا يُقْبَلُ
عُمَرُ وَنَبُوءَةُ مَنْ يَضُنُّ وَيَخْلُ
عَمَمًا إِذَا نَزَلَ الزَّمَانُ الْمَحْجِلُ
ذُو رَوْنَقٍ عَضْبٌ جَلَاهُ الصِّقْلُ
حَذَرَ الْبُغَاثِ هَوَى لَهْنَ الْأَجْدَلِ³
وَفُضِيلَةً سَبَقَتْ لَهُ لَا تُجْهَلُ
سَبَقَ الْمَكَارِمِ سَابِقُ مُتَمَهِّلُ
مَجْدُ الْأُرُومَةِ وَالْفَعَالِ الْأَفْضَلُ
إِرْثُ إِذَا عُدَّ الْقَدِيمُ مُؤَثَّلُ
أَمْرًا أَبَانَ رَشَادَهُ مَنْ يَعْقِلُ⁴
لِنَدَاكَ إِنَّ الْحَازِمَ الْمُتَحَوِّلُ
وَعَدُّوا مَوَاعِدَ أَخْلَفَتْ إِنْ حُصِّلُوا
يَأْسًا وَأَخْلَفَنِي الَّذِينَ أُؤْمَلُ
عَجَلَى وَعِنْدَكَ عَنْهُمْ مُتَحَوِّلُ
وَوَفِيَتْ إِذْ كَذَّبُوا الْحَدِيثَ وَبَدَّلُوا
عَنِّي وَأَنْتَ لِمَثَلِهِ مُتَحَمِّلُ

1 الثغام : نبت أبيض ، وأنغم الرأس : صار كالثغام بيباضاً . والمحجل من الحجل ، وهو البياض في رجل الفرس ونحوه ، وفي الديوان 168 وفي ل : المحول .

2 سُحْرَةٌ : في وقت السحر .

3 الأجْدَل : الصقر .

4 أَعْيَتْ في الديوان 169 : أغت . قرأته في ل : قرأته . أمراً في ل : أثراً .

فَلَا شُكْرَ لَكَ الَّذِي أَوْلَيْتَنِي شُكْرًا تُحِلُّ بِهِ الْمَطِيَّ وَتُرْحَلُ
مِدْحًا تَكُونُ لَكُمْ غَرَائِبُ شَعْرَهَا مَبْدُولَةً وَلَغَيْرِكُمْ لَا تُبْذَلُ
فَإِذَا تَنَحَّلْتُ الْقَرِيضَ فَإِنَّهُ لَكُمْ يَكُونُ خِيَارُ مَا أُتَنَحَّلُ
وَلَعَمْرُ مَنْ حَجَّ الْحَجِيجُ لِبَيْتِهِ تَهْوِي بِهِ قُلُوصُ الْمَطِيِّ الذَّمْلُ
إِنَّ امْرَأً قَدْ نَالَ مِنْكَ قَرَابَةً يَنْغِي مَنَافِعَ غَيْرِهَا لِمُضَلَّلُ
تَعْفُو إِذَا جَهَلُوا بِحِلْمِكَ عَنْهُمْ وَتُبِيلُ إِنْ طَلَبُوا النَّوَالَ فَتُجْرَلُ
وَتَكُونُ مَعْقِلَهُمْ إِذَا لَمْ يُنْجِهِمْ مِنْ شَرِّ مَا يَخْشَوْنَ إِلَّا الْمَعْقِلُ
حَتَّى كَأَنَّكَ يَتَّقِي بِكَ دُونَهُمْ مِنْ أَسَدٍ بَيْشَةَ خَادِرٍ¹ مُتَبَسِّلُ
وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ مَذِيقُ الْحَدِيثِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ²
وَأَرَى الْمَدِينَةَ حِينَ صِرْتَ أَمِيرَهَا أَمِنْ الْبَرِيِّ بِهَا وَنَامَ الْأَعْرَلُ

فقال عمر : ما أراك أعفيتني مما استعفيت منه ، قال : لأنه مدح عمر وعرض بأخيه أبي

بكر .

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

[من الكامل]

مَا لِي أَجِنُّ إِذَا جِمَالُكَ قُرِبْتُ وَأَصَدَّ عَنْكَ وَأَنْتَ مِنِّْي أَقْرَبُ ؟
وَأَرَى الْبِلَادَ إِذَا حَلَلْتَ بِغَيْرِهَا وَحَشًا وَإِنْ كَانَتْ تُظَلُّ وَتُخَصِبُ
يَا بَيْتَ خَنَسَاءٍ الَّذِي أَتَجَنَّبُ ذَهَبَ الشَّبَابَ وَحُبُّهَا لَا يَذْهَبُ
تَبْكِي الْحَمَامَةَ شَجْوَهَا فَتَهَيِّجُنِي وَيَرُوحُ عَازِبُ هَمِّي الْمَتَاوَبُ

الشعر لسليمان بن أبي ذباكل ، والغناء لمعبد خفيف ثقیل أول بالبصرة ، عن عمرو . وقال ابن المكي : فيه خفيف ثقیل آخر لابن محرز ، وأوله :

تبكي الحمامة شجوها فتهيجني

1 بيشة : مكان اشتهر بأسده . والخادر : الذي لزم عربيه . ومتبسل : عابس غضباً أو شجاعة . وقد تضمن البيت مثلاً هو : من أسد بيشة خادر .

2 مذاق الحديث : مخلوط غير خالص . من مذاق اللبن : إذا خلطه بالماء .

[التعريف بعاتكة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حماد : قرأت على أبي ، وقال محمد بن كُناسة : حدثني أبو ذكين بن زكريا بن محمد بن عمار بن ياسر : قال : رأيت عاتكة التي يقول فيها الأحوص :

يا بيت عاتكة الذي أتزل

وهي عمجوز كبيرة وقد جعلت بين عينيها هلالاً من نيلج¹ تتملح به .
أخبرني الحرّمي عن الزبير ، عن محمد بن محمد بن محمد العمري : قال : عاتكة التي يُشَبَّب بها الأحوص عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية .

أخبرني الحرّمي ، عن الزبير ، عن إسحاق بن عبد الملك : أن الأحوص كان ليئناً ، وأن عاتكة التي يُنسب بها ليست عاتكة بنت عبد الله بن زيد بن معاوية ، وإنما هو رجل كان ينزل قرى كانت بين الأشراف كنى عنه بعاتكة .

أخبرني الحرّمي عن الزبير عن يعقوب بن حكيم : قال : كان الأحوص ليئناً ، وكان يلزم نازلاً بالأشراف ، فنهاه أخوه عن ذلك ، فتركه فرقاً من أخيه ، وكان يمرّ قريباً من خيمة النازل بالأشراف ويقول :

يا بيت عاتكة الذي أتزل حذر العدا وبه الفؤاد مُوَكَّل

يكني عنه بعاتكة ولا يقدر أن يدخل عليه .

[الفرزدق وكثير يزوران الأحوص]

أخبرني الحرّمي ، عن الزبير ، عن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم : قال : حدثني عبد العزيز بن عمران : قال : قدم الفرزدق المدينة ، فقال لكثير ؟ هل لك بنا في الأحوص نأتيه ونتحدث عنده ؟ فقال له : وما نصنع به ؟ إذا والله نجد عنده عبداً حالكاً أسود حلوكاً يؤثره علينا ، ويبيت مضاجعه ليلته حتى يصبح ، قال الفرزدق : فقلت : إن هذا من عداوة الشعراء بعضهم لبعض ، قال : فانهض بنا إليه إذا ، لا أب لغيرك ، قال الفرزدق : فأردفت كثيراً ورائي على بعلتي ، وقلت : تلف يا أبا صخر ، فمثلك لا يكون رديفاً ، فحمر رأسه وأصق في وجهه ، فجعلت لا أجتاز بمجلس قوم إلا قالوا : من هذا وراءك يا أبا فراس ؟ فأقول : جارية وهبها لي الأمير ، فلمّا أكثرت عليه من ذلك ، واجتاز على بني زريق ، وكان يُغيضهم ، فقلت لهم ما كنت أقول قبل ذلك ، كشف عن رأسه وأومض² وقال : كذب ،

1 النيلج : دخان الشحم يعالج به الوشم ليخضر .

2 أومض : أشار إشارة خفية رمزاً أو غمراً .

ولكنني كرهتُ أن أكونَ له رديفاً وكان حديثه لي مُعجباً ، فركبت وراءه ، ولم تكن لي دابة أركبها إلا دابته ، فقال : لا تعجل يا أبا صخر ، ههنا دوابٌ كثيرة تركبُ منها ما أردت ، فقال : دوابكم والله أبغضُ إليَّ من ردفه ، فسكّتوا عنه . وجعل يتغشّم¹ عليهم ، حتى جاوز أبصارهم ، فقلت : والله ما قالوا لك بأساً ، فما الذي أغضبك عليهم ؟ فقال : والله ما أعلم نفراً أشدَّ تعصباً للقرشيّين من نفر اجتزّت بهم ، قال : فقلت له : وما أنت ، لا أم لك ولقريش ، قال : أنا والله أحدهم ، قلت : إن كنت أحدهم فأتنا والله دعيّهم ، قال : دعيّهم خيرٌ من صحيح نسب العرب ، وإلا فأتنا والله من أكرم بيوتهم ، أنا أحد بني الصلت بن النضر ، قلت : إنما قریش ولد فهر بن مالك ، فقال : كذبت . فقال : ما علمك يا ابن الجعراء بقریش ؟ هم بنو النضر بن كنانة ، ألم تر إلى النبي ﷺ انتسب إلى النضر بن كنانة ، ولم يكن ليجاوز أكرم نسبه ، قال : فخرجنا حتى أتينا الأحوص ، فوجدناه في مشربة له ، فقلنا له : أترقى إليك أم تنزل إلينا ؟ قال : لا أقدر على ذلك ، عندي أم جعفر ، ولم أرها منذ أيام ، ولي فيها شغل ، فقال كثيرٌ : أم جعفر والله بعضُ عبيد الزرانيق² فقلنا له : فأنشيدنا بعض ما أحدث به ، فأنشدنا قوله :

يا بيتَ عاتكة الذي أتعزلُ حذر العدا وبه الفؤادُ موكلُ

حتى أتى على آخرها ، فقلت لكثير : قاتله الله ، ما أشعره ، لولا ما أفسد به نفسه ، قال : ليس هذا إفساداً ، هذا خَسْفٌ إلى التَّخُوم ، فقلت : صدقت ، وانصرفنا من عنده ، فقال : أين تريد ؟ فقلت : إن شئت فمنزلي ، وأحملك على البغلة ، وأهب لك المطرف ، وإن شئت فمنزلك ولا أرزؤك شيئاً ، فقال : بل منزلي ، وأبدلُ لك ما قدرت عليه ، وانصرفنا إلى منزله ، فجعل يحدثني ويُشدني حتى جاءت الظَّهر ، فدعا لي بعشرين ديناراً وقال : استعن بهذه يا أبا فراس على مقدمك ، قلت : هذا أشدَّ من حُمْلان بني زُرَيْق ، قال : والله إنك ما تأنف من أخذ هذا من أحد ، غير الخليفة ، قال الفرزدق : فجعلت أقول في نفسي : تالله إنه لمن قریش ، وهممتُ ألا أقبل منه . فدعتني نفسي ، وهي طَمِعَةٌ ، إلى أخذها منه ، فأخذتها .

[من هي الجعراء ؟]

معنى قول كثير للفرزدق : يا ابن الجعراء : يُعَيِّرُه بِدُعَاة ، وهي أم عمرو بن تميم ، وبها

1 يتغشّم : يتجنّى .

2 الزرنيق : النهر الصغير ، وترنق : استقى على الزرنيق بالأجرة .

يُضْرَبُ المثل في الحمافة ، فيقال : هي أحمق من دُعَّة¹ ، وكانت حاملاً ، فدخلت الخلاء ، فولدت ، وهي لا تعلم ما الولد ، وخرجت وسلاها² بين رجلها ، وقد استهل ولدها ، فقالت : يا جارتا ، أَيْفُتَحَ الجعر³ فاه فقالت جارتها : نعم يا حمقاء ، ويدعو أباه ، فبنو تميم يُعَيِّرُونَ بذلك ، ويقال للمنسوب منهم : يا ابن الجعراء .

[ملاحظة بينه وبين السري]

أخبرني الحرْمِيُّ ، عن الزُّبَيْرِ قال : حَدَّثَنِي سليمان بن داود المجمعِيّ : قال : اجتاز السريّ بن عبد الرحمن بن عتبة بن عُثَيْمِر بن ساعدة الأنصاريّ بالأحوص وهو ينشد قوله :

يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزَّل

فقال السريّ :

[من الكامل]

اقْعُدْ عَلَى مَنْ تَحْتَ سَقْفِكَ واعْجَلْ

يا بيتَ عاتكةَ المُنَوَّةَ بِاسْمِهِ

[من الطويل]

فَوَائِبُهُ الْأَحْوَصُ ، وقال في ذلك :

وسبّي به كالكلبِ إذ ينبح النّجما⁴
تحقُّ أباً إلاّ الولاء ولا أمّا
وأيامها فيها ولم تنطق الرّجما
تلمسُ في حيٍّ سوى مالك جذما
ولا بالمسمّى ثم يلتزم الاسما
توسّطَ منها العزّ والحسب الضخما

فأنت وشتي في أكارس مالك
تداعى إلى زيد وما أنت منهم
وإنك لو عدّدت أحساب مالك
أعادتك عبداً أو تنقلت كاذباً
وما أنا بالمحسوس في جذم مالك
ولكن أبي لو قد سألت وجدته

[من الوافر]

فأجابه السريّ فقال :

متى كان الأحيوص من رجالي

سألت جميعَ هذا الخلق طراً

1 مثل ورد في مجمع الأمثال للميداني 219/1 والأمثال للمفضل بن محمد الضبي 172 وكتاب الأمثال لأبي عكرمة الضبي 29 والدرّة الفاخرة للأصبهاني 133/1 ، 145 ، وجمهرة الأمثال للعسكري 54/1 ، 342 ، 389 ، والمستقصى في الأمثال للزمخشري 79/1 ، وفي فضل المقال 183 ، 485 ، وكتاب الأمثال للقاسم بن سلام 366 .

2 السّلا : جلدة يكون فيها الولد من النّاس والمواشي .

3 الجعر : ما ييس من العذرة .

4 الأكارس : جمع أكراس . وهي جمع كرس بمعنى الجماعة .

وهي أبيات ليست بجيدة ولا مختارة ، فالغيتُ ذكرها .

[شعره يسعف دليل المنصور]

أخبرني محمد بن أحمد بن الطَّلَّاس أبو الطَّيِّب ، عن أحمد بن الحارث الخَرَّاز ، عن المدائني ، وأخبرني به الحرَّمي ، عن الزُّبير : قال : حدَّثني عمِّي ، وقد جمعت روايتيهما ، أن المنصورَ أمرَ الرَّبيعَ لما حجَّ أن يُسايِرَه برجلٍ¹ يعرف المدينة وأهلها وطرقها ودورها وحيطانها ، فكان رجل من أهلها قد انقطع إلى الرَّبيع زماناً ، وهو رجل من الأنصار ، فقال له : تهياً فإنِّي أظنَّ جدَّكَ قد تحرَّك ، إنَّ أمير المؤمنين قد أمرني أن أسايِرَه برجل يعرف المدينة وأهلها وطرقها وحيطانها ودورها فتحسَّس موافقته ولا تبتدئه بشيء حتى يسألك ، ولا تكتمه شيئاً ، ولا تسأله حاجة ، فغدا عليه بالرجل ، وصَلَّى المنصورُ الفجر فقال : يا ربيعُ ، الرجل ، فقال : ها هو ذا ، فسار معه يخبره عما سأل حتى ندر² من أبيات المدينة ، فأقبل عليه المنصور ، فقال : مَنْ أَنْتَ أَوَّلًا ؟ فقال : مَنْ لا تَبْلُغُه معرفتُكَ ، هكذا ذكر الخَرَّاز وليس في رواية الزُّبير ، فقال : ما لك من الأهل والولد ؟ فقال : والله ما تزوجتُ ، ولا لي خادمٌ ، قال : فأين منزلك ؟ قال : ليس لي منزل ، قال : فإنَّ أمير المؤمنين قد أمَرَ لك بأربعة آلاف درهم ، فرمى بنفسه فقَبِلَ رجله ، فقال له : اركب ، فركب ، فلما أراد الانصراف قال للرَّبيع : يا أبا الفضل ، قد أمَرَ لي أمير المؤمنين بصلة ، قال : إيه ، قال : إن رأيت أن تنجِّرها لي ، قال : هيهات ، قال : فأصنع ماذا ؟ قال : لا أدري والله ، وفي رواية الخَرَّاز أنَّه قال : ما أمَرَ لك بشيء ، ولو أمَرَ به لدعاني ، فقال : أعطه أو وقَّع إليَّ ، فقال الفتى : هذا همُّ لم يكن في الحساب ، فليثُ أَيْاماً ، ثم قال المنصور للرَّبيع : ما فعلَ الرجل ؟ قال : حاضر ، قال : سايِرنا به الغداة ، ففعل ، وقال له الرَّبيع : إنَّه خارج بعد غد ، فاحتلَّ لنفسك ، فإنَّه والله إن فاتك فإنَّه آخرُ العهد به ، فسار معه ، فجعل لا يمكنه شيء حتى انتهى إلى مسيره ، ثم رجع وهو كالْمُعْرَض عنه ، فلما خاف فوَّته أقبِل عليه فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا بيتُ عاتكة ، قال : وما بيتُ عاتكة ؟ قال : الذي يقول فيه الأحوصُ :

يا بيتَ عاتكة الذي أتعزَّل

قال : فَمَهْ ، قال : إنَّه يقول فيها :

إنَّ امرءاً قد نال منك وسيلةً يرجو منافعَ غيرِها المضلَّل

1 ل : يغيه رجلاً .

2 ندر : خرج .

وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ مَذِقُ الْحَدِيثِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ

فقال الزبير في خبره : فقال له : لقد رأيتك أذكرت بنفسك ، يا سليمان بن مخلد ، أعطه أربعة آلاف درهم ، فأعطاه إياها ، وقال الخزاز في خبره : فضحك المنصور ، وقال : قاتلك الله ، ما أظرفك ، يا ربيع أعطه ألف درهم ، فقال : يا أمير المؤمنين إنها كانت أربعة آلاف درهم ، فقال : ألف يُحصّل خير من أربعة آلاف لا تُحصّل .
[ابن المقفع يتمل بمطلع لاميته]

وقال الخزاز في خبره : حدّثني المدائني : قال : أخذ قوم من الزنادقة ، وفيهم ابن لابن المقفّع ، فمرّ بهم على أصحاب المدائن ، فلما رأهم ابن المقفّع خشي أن يُسلم عليهم فيؤخذ ، فتمثّل :

يَا بَيْتَ عَاتِكَةَ الَّذِي أَتَعَزَّلُ حَذَرَ الْعِدَا وَبِهِ الْفَوَاضِلُ مُوَكَّلُ

الآيات ، ففطنوا لما أراد ، فلم يُسلموا عليه ، ومضى .

[الأحوص ومعبد وجارية]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن ابن شبة : قال : بلغني أن يزيد بن عبد الملك كتب إلى عامله أن يُجهز إليه الأحوص الشاعر ومعبد المغني : فأخبرنا محمد بن خلف وكيع : قال : حدّثنا عبد الله بن شبيب : قال : حدّثني إسماعيل بن أبي أويس : قال : حدّثني أبي : قال : حدّثنا سلمة بن صفوان الزرقني ، عن الأحوص الشاعر ، وذكر إسماعيل بن سعيد الدمشقي : أن الزبير بن بكار حدّثه عن ابن أبي أويس ، عن أبيه ، عن مسلمة بن صفوان ، عن الأحوص ، وأخبرني به الحرّمي ، عن الزبير ، عن عمّه ، عن جرير المديني المغني ، وأبو مسكين : قالوا جميعاً : كتب يزيد بن عبد الملك في خلافته إلى أمير المدينة ، وهو عبد الواحد بن عبد الله النصري ، أن يحمل إليه الأحوص الشاعر ومعبد المغني مولى ابن قطن قال : فجّهزنا وحملنا إليه ، فلما نزلنا عُمان أبصرنا غديراً وقصوراً ، فقعنا على الغدير وتحدّثنا وذكرنا المدينة ، فخرجت جارية من بعض تلك القصور ، ومعها جرة تريد أن تستقي فيها ماء ، قال الأحوص : فتغنّت بمدحني في عُمر بن عبد العزيز :

[من الكامل]

يَا بَيْتَ عَاتِكَةَ الَّذِي أَتَعَزَّلُ

فتغنّت بأحسن صوت ما سمعته قطّ ، ثم طرّبت ، فألقت الجرة فكسرتها ، فقال معبد : غنائي والله ، وقلت : شعري والله ، فوثبنا إليها ، وقلنا لها : لمن أنت يا جارية ؟ قالت : لآل سعيد بن العاص ، وفي خبر جرير المغني : لآل الوليد بن عقبة ، ثم اشتراي رجل من آل الوحيد بخمسين ألف درهم ، وشغف بي ، فغلبته بنت عمّ له طرأت عليه ، فتزوجها على أمري ،

فَعَاقَبْتُ مَنْزِلَتَهَا مَنْزِلَتِي ، ثُمَّ عَلَا مَكَانُهَا مَكَانِي ، فَلَمْ تَزِدْهَا إِلَّا ارْتِفَاعًا ، وَلَمْ تَزِدْنِي إِلَّا اتِّضَاعًا ، فَلَمْ تَرْضَ مِنْهُ إِلَّا بِأَنْ أُخْدَمَهَا ، فَوَكَّلْتَنِي بِاسْتِقَاءِ الْمَاءِ ، فَأَنَا عَلَى مَا تَرَيَانِ ، أُخْرَجُ أَسْتَقِي الْمَاءَ ، فَإِذَا رَأَيْتَ هَذِهِ الْقُصُورَ وَالْغُدْرَانَ ذَكَرْتُ الْمَدِينَةَ ، فَطَرِبْتُ إِلَيْهَا ، فَكَسَرْتُ جَرَّتِي ، فَيَعِزِّلْنِي أَهْلِي ، وَيُلَوِّمُونَنِي . قَالَ : فَقُلْتُ لَهَا : أَنَا الْأَحْوَصُ ، وَالشَّعْرُ لِي ، وَهَذَا مَعْبُدٌ ، وَالْغِنَاءُ لَهُ ، وَنَحْنُ مَاضِيَانِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسَنَذْكُرُكَ لَهُ أَحْسَنَ ذِكْرٍ . وَقَالَ جَرِيرٌ فِي خَبْرِهِ وَوَافِقِهِ وَكَيْعٍ ، وَرَوَايَةِ عَمْرِ بْنِ شَبَّةٍ : قَالُوا : فَأَنْشَأْتُ الْجَارِيَةَ تَقُولُ :

إِنْ تَرَوْنِي الْغَدَاةَ أَسْعَى بِجَرٍّ أَسْتَقِي الْمَاءَ نَحْوَ هَذَا الْغَدِيرِ
فَلَقَدْ كُنْتُ فِي رِخَاءٍ مِنَ الْعِيْدِ شَوْ فِي كُلِّ نَعْمَةٍ وَسُرُورِ
ثُمَّ قَدْ تَبَصَّرَانِ مَا فِيهِ أُمْسِي تَ وَمَاذَا إِلَيْهِ صَارَ مَصِيرِي
فَإِلَى اللَّهِ أَشْتَكِي مَا أَلَاقِي مِنْ هَوَانٍ وَمَا يُجِنُّ ضَمِيرِي
أَبْلَغَا عَنِّي الْإِمَامَ وَمَا يَعِ رَفَ صِدْقَ الْحَدِيثِ غَيْرُ الْخَبِيرِ
أَنْتَنِي أَضْرَبُ الْخَلَائِقَ بِالْعَوِي دَ وَأَحْكَاهُمْ بِبِسْمِ وَزِيرِ
فَاعِلٌ إِلَّا لَهَ يُنْقِذُ مِمَّا أَنَا فِيهِ فَإِنِّي كَالْأَسِيرِ
لَيْتَنِي مِتَّ يَوْمَ فَارَقْتُ أَهْلِي وَبِلَادِي فَزُرْتُ أَهْلَ الْقُبُورِ
فَاسْمَعَا مَا أَقُولُ لِقَاكَ اللَّهُ نَجَاحًا فِي أَحْسَنِ التَّيْسِيرِ

فَقَالَ الْأَحْوَصُ مِنْ وَقْتِهِ :

صوت

إِنَّ زَيْنَ الْغَدِيرِ مِنْ كَسْرِ الْجَرِّ رَ وَعَنَى غِنَاءَ فَحْلٍ مُجِيدِ
قُلْتُ : مَنْ أَنْتَ يَا طَعِينُ فَقَالَتْ : كُنْتُ فِيمَا مَضَى لَالِ الْوَلِيدِ

وَفِي رَوَايَةِ الدَّمَشْقِيِّ :

قُلْتُ : مَنْ أَنْتَ يَا خَلُوبُ فَقَالَتْ : كُنْتُ فِيمَا مَضَى لَالِ سَعِيدِ
ثُمَّ أَصْبَحْتُ بَعْدَ حَيٍّ قَرِيشٍ فِي بَنِي خَالِدِ لَالِ الْوَحِيدِ
فَغِنَائِي لِمَعْبُدٍ وَنَشِيدِي لَفَتِي النَّاسَ الْأَحْوَصَ الصَّنْدِيدِ
فَنَبَاكَيْتُ ثُمَّ قُلْتُ : أَنَا الْأَحْ حُوصُ وَالشَّيْخَ مَعْبُدٌ فَأَعِيدِي
فَأَعَادَتْ لَنَا بِصَوْتٍ شَجِيٍّ يَتْرُكُ الشَّيْخُ فِي الصَّبَا كَالْوَلِيدِ

وَفِي رَوَايَةِ أَبِي زَيْدٍ :

فَأَعَادَتْ فَأَحْسَنْتُ ثُمَّ وَلَّتْ تَتَهَادَى فَقُلْتُ قَوْلَ عَمِيدٍ
يَعِجْزُ الْمَالُ عَنْ شِرَاكِ وَلَكِنْ أَنْتِ فِي ذِمَّةِ الْهَمَامِ يَزِيدِ
وَلَكَ الْيَوْمَ ذِمَّتِي بِوَفَاءِ وَعَلَى ذَاكَ مِنْ عِظَامِ الْعَهْدِ
أَنْ سَيَجْرِي لَكَ الْحَدِيثُ بِصَوْتِ مَعْبِدِي يَرُدُّ حَبْلَ الْوَرِيدِ¹
يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ فَظَنُّنِي كُلُّ خَيْرٍ بِنَا هُنَاكَ وَزَيْدِي
قَالَتِ الْقَيْنَةُ الْكَعَابُ : إِلَى الْـ لَهُ أُمُورِي وَأُرْتَجِي تَسْدِيدِي

غَنَاهُ مَعْبِدُ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ مِنْ رَوَايَةِ حَبِشٍ وَالْهَشَامِيِّ وَغَيْرِهِمَا ، وَهِيَ طَرِيقَةُ هَذَا الصَّوْتِ ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ بِالْغَنَاءِ لَا يَصَحِّحُونَهُ لِمَعْبِدٍ .

قال الأحوص : وضع فيه معبداً لحناً فأجاده ، فلما قدِمنا على يزيد قال : يا معبداً أَسْمِعْنِي أحدثَ غناءً غَنَيْتَ وَأَطْرَاهُ ، فغناه معبد : [من الخفيف]

إِنَّ زَيْنَ الْغَدِيرِ مَنْ كَسَرَ الْعَجْرَ رَ وَغَنَى غِنَاءَ فَحْلٍ مُجِيدٍ

فَقَالَ يَزِيدُ : إِنَّ لِهَذَا لَقِصَّةً فَأَخْبِرَانِي بِهَا ، فَأَخْبَرَاهُ ، فَكَتَبَ لِعَامِلِهِ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ : إِنَّ لَالَ فُلَانٍ جَارِيَةً ، مِنْ حَالِهَا «ذِيْتُ وَذِيْتُ» ، فَاشْتَرَاهَا بِمَا بَلَغَتْ ، فَاشْتَرَاهَا بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَبَعَثَ بِهَا هَدِيَّةً ، وَبَعَثَ مَعَهَا بِالطَّافِ كَثِيرَةً ، فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَى يَزِيدَ رَأَى فَضْلاً بَارِعاً فَأَعْجَبَ بِهَا ، وَأَجَازَهَا ، وَأَخْدَمَهَا ، وَأَقْطَعَهَا ، وَأَفْرَدَ لَهَا قَصِراً ، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا بَرَحْنَا حَتَّى جَاءَتْنَا مِنْهَا جَوَازِرٌ وَكُسَاً وَطُرُفٌ .

[يزيد بن عمر بن هبيرة يتمثل بشعره]

وَقَالَ الزُّبَيْرُ فِي خَبَرِهِ عَنْ عَمِّهِ ، قَالَ : أَظُنُّ الْقِصَّةَ كُلَّهَا مَصْنُوعَةً ، وَلَيْسَ يَشْبَهُ الشَّعْرُ شَعْرَ الْأَحْوَصِ ، وَلَا هُوَ مِنْ طَرَايِزِهِ ، وَكَذَلِكَ ذَكَرَ عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ فِي خَبَرِهِ .

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ ، عَنْ الزُّبَيْرِ قَالَ : سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِكْرِمَةَ يَحْدِثُ عَنْ عَتَبَةَ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ : قَالَ : كُنْتُ مَعَ يَزِيدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ هَبِيرَةَ لَيْلَةَ الْفَرَاتِ ، فَلَمَّا انْهَزَمَ النَّاسُ التَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ : يَا أَبَا الْحَارِثِ ، أُمَسِّنَا وَاللَّهِ وَهُمْ كَمَا قَالَ الْأَحْوَصُ :

أُبْكِي لَمَّا قَلَبَ الزَّمَانُ جَدِيدَهُ . خَلَقْنَا وَلَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ مُعَوَّلٌ

[يتأول الناس شعره بزوال دولة الأمويين]

أخبرني الحرّميّ عن الزبير عن محمد بن محمد بن محمد العُمريّ : أنَّ عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية رُئيتُ في النَّوم قبل ظُهورِ دولة بني العباس على بني أمية كأنّها غريانة ناشيرة شعرها تقول :

أين الشبابُ وعيشنا اللذُّ الذي كنّا به زَمناً نُسرُّ ونُجذَلُ
ذهبتْ بشاشته وأصبح ذكره حُزناً يُعلُّ به الفؤادُ ويُنهَلُ

فتأول الناس ذلك بزوال دنيا بني أمية ، فكان كما قالوا .

أخبرني بهذا الخبر الحسن بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، عن الجمحيّ ، عن شيخ من قریش : أنّه رأى في النَّوم امرأة من ولد عثمان بن عفّان على منائم على دار عثمان المقبلة على المسجد ، وهي حاسرة في يديها عود وهي تضرب به وتغني :

أين الشبابُ وعيشنا اللذُّ الذي كنّا به يوماً نُسرُّ ونُجذَلُ
ذهبتْ بشاشته وأصبح ذكره حُزناً يُعلُّ به الفؤادُ ويُنهَلُ

قال : فما لبثنا إلّا يسيراً حتى خرج الأمر عن أيديهم ، وقتل مروان .

قال إسحاق : المنامة : الدكان¹ وجمعها منائم .

صوت

[من مجزوء الكامل]

يا هندُ إنَّك لو علمت ستِ بعاذلَيْنِ تتابعا
قالا فلمْ أَسْمَعْ لِمَا قالوا وقلتُ بلِ اسْمَعَا
هندُ أحبُّ إليّ من مالي وروحي فارْجِعَا
ولقد عَصَيْتُ عَوَازِلِي وأطعتُ قلباً مُوجِعَا

الشعر لعبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام ، والغناء لابن سُرَيْج ، ولحنه فيه لحنان أحدهما من القدر الأوسط من الثقيل ، الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق والآخر رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو ، وفيه خفيف ثقيل ، ذكر أبو العنيس أنّه لابن سريج وذكر الهشاميّ وابنُ المكّيّ أنّه للغريض ، وذكر حبّش أن لإبراهيم فيه رملًا آخر بالبصر ، وقال أحمد بن عُبَيْد : الذي صحّ فيه ثقيل الأوّل وخفيفه ورملة ، وذكر إبراهيم أن فيه لحنًا لابن عبّاد .

[448] - ذكر عبد الله بن الحسن بن الحسن

عليهم السلام ونسبه وأخباره وخبر هذا الشعر

[نسبه]

عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، عليهم السلام ، وقد مضى نسبه في أخبار عمه الحسين صلوات الله عليه في شعره الذي يقول فيه : [من الوافر]

لعمركُ إنني لأحبُّ داراً تحلُّ بها سُكينةُ والربابِ

ويكنى عبد الله بن الحسن أبا محمد ، وأمُّ عبد الله بن الحسن بن الحسن فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، وأمُّها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله ، وأمُّها الجرباء بنت قسامة بن رومان من طيء .

[سميت الجرباء حسنها]

أخبرني أحمد بن سعيد : قال : حدثنا يحيى بن الحسن قال : إنما سُميت الجرباء لحسنها ، كانت لا تقف إلى جنبها امرأة ، وإن كانت جميلة إلا استُقبِحَ منظرُها لجمالها ، وكان النساء يتحامين أن يقفن إلى جنبها ، فشُبِّهت بالناقة الجرباء التي تتوقاها الإبلُ مخافة أن تعديها .

وكانت أم إسحاق من أجمل نساء قريش وأسوئهن خلقاً ، ويقال : إن نساء بني تميم كانت لهن خطوة عند أزواجهن على سوء أخلاقهن ، ويروى أن أم إسحاق كانت ربما حملت وولدت وهي لا تكلم زوجها .

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمه بذلك : قال : وقد كانت أم إسحاق عند الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قبل أخيه الحسين عليه السلام ، فلما حضرته الوفاة دعا بالحسين صلوات الله عليه فقال له : يا أخي إني أَرْضَى هذه المرأة لك . فلا تخرجن من بيوتكم ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها . فلما توفي الحسن عنها تزوجها الحسين عليه السلام ، وقد كانت ولدت من الحسن عليه السلام ، ابنه طلحة بن الحسن ، فهو أخو فاطمة لأمها وابن عمها ، وقد درج طلحة ولا عقب له .

[جمال وسوء خلق]

ومن طرائف أخبار التَّيَمِّيَّات من نساء قريش في حظوتهن وسوء أخلاقهن ما أخبرنا به الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن محمد بن عبد الله ، قال : كانت أم سلمة بنت

محمد بن طلحة عند عبد الله بن الحسن وكانت تقسو عليه قسوة عظيمة وتغلظ له ، ويفرق منها ولا يخالفها ، فرأى يوماً منها طيبَ نفس ، فأراد أن يشكو إليها قسوتها ، فقال لها : يا بنتَ محمد ، قد أحرقتُ الله قلبي . . . فحددتُ له النظر ، وجمعت وجهها وقالت له : أحرقتُ قلبك ماذا ؟ فخافها فلم يقدر على أن يقول لها : سوء خلقك ، فقال لها : حُبُّ أبي بكر الصديق ، فأمسكتُ عنه .

وتزوج الحسن بن الحسن فاطمة بنتَ الحسين في حياة عمِّه ، وهو - عليه السلام - زوجةً إياها .

[زواجه فاطمة بنت الحسين]

أخبرني الطوسي والحرمي ، عن الزبير ، عن عمِّه بذلك ، وحدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن عن إسماعيل بن يعقوب : قال : حدثني جدِّي عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن ، قال : خطب الحسن بن الحسن إلى عمِّه الحسين ، صلوات الله عليه ، وسأله أن يزوجه إحدى ابنتيه ، فقال له الحسين عليه السلام . اختر يا بني أحبهما إليك ، فاستخيا الحسن ، ولم يُخر جواباً ، فقال له الحسين عليه السلام : فإني اخترت منهما لك ابنتي فاطمة ، فهي أكثر شَبهاً بأُمِّي فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

أخبرني الطوسي والحرمي عن الزبير عن عمِّه مصعب : أنَّ الحسن لما خيره عمُّه اختار فاطمة ، وكانوا يقولون : إن امرأة ، سَكينة مردودتها ، لمنقطعة القرن في الجمال .

أخبرني الطوسي والحرمي بن أبي العلاء ، عن الزبير بن بكار ، وأخبرني محمد بن العباس البزدي ، عن أحمد بن يحيى وأحمد بن زهير ، عن الزبير ، وأخبرني أحمد بن سعيد ، عن يحيى بن الحسن ، عن الزبير بن بكار واللفظ للحسن بن علي ، وخبره أتم : قال : قال الزبير : حدثني عمِّي مصعب ولم يذكر أحداً .

[ليس لخضوب البنان عَيْن]

وأخبرني محمد بن يحيى عن أيوب ، عن عمر بن أبي الموالى قال الزبير : وحدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن يوسف بن الماجشون ، وقد دخل حديث بعضهم في بعض حديث الآخرين : أنَّ الحسن بن الحسن لما حضرته الوفاة جَزِع ، وجعل يقول : إني لأجد كَرَباً ليس إلا هو كرب الموت ، وأعاد ذلك دفعات ، فقال له بعض أهله : ما هذا الجزع ، تُقدم على رسول الله ﷺ وهو جدُّك وعلى عليٍّ والحسن والحسين ، صلوات الله عليهم ، وهم آباؤك ؟ فقال : لعمرى إن الأمر لكذلك ، ولكن كَأَنِّي بعبد الله بن عمرو بن عثمان حين أموت وقد جاء في مُضَرَّجَتَيْن¹ أو

مُصَرَّتَيْنِ وهو يُرَجَّلُ جُمُعَتَهُ يقول : أنا من بني عبد مناف جئتُ لأشهد ابنَ عَمِّي ، وما به إلا أن يخطبَ فاطمة بنتَ الحُسَيْنِ ، فإذا جاء فلا يَدْخُلُ عليَّ ، فصاحت فاطمة : أسمع ؟ قال : نعم ، قالت : أَعْتَقْتُ كُلَّ مَمْلُوكٍ لي ، وَتَصَدَّقْتُ بِكُلِّ مِلْكٍ لي إن أنا تزَوَّجْتُ بعدك أحداً أبداً ، قال : فسكن الحسن وما تنفَسَ ولا تحرَّكَ حتى قَضَى ، فلَمَّا ارتفع الصَّياحُ أَقبلَ عبد الله على الصَّفَةِ التي ذكرها الحسن ، فقال بعضُ القومِ : نُدْخِلْهُ ، وقال بعضهم : لا يَدْخُلُ ، وقال قوم : لا يضرَّ دُخُولُهُ ، فدخل فاطمة تَصُكُّ وجهها ، فأرسل إليها وصيفاً كان معه ، فجاء يتخطى النَّاسَ حتى دنا منها فقال لها : يقول لك مولاي أبقني على وجهك فإن لنا فيه أرباباً ، قال : فأرسلت يدها في كُمِّها واختمرت وعُرفَ ذلك منها ، فما لَطَمَتْ وجهها حتى دُفِنَ صلوات الله عليه . فلَمَّا انقضت عِدَّتُهَا خَطَبَهَا فقالت : فكيف لي بِنَذْرِي ويميني ؟ فقال : نخلف عليك بكلَّ عبد عبدَيْنِ ، وبكلِّ شيءٍ شَيْئَيْنِ ، ففعل وتزوَّجته ، وقد قيل في تزويجه إياها غيرُ هذا .

أخبرني به أحمدُ بن محمد بن إسماعيل الهمداني ، عن يحيى بن الحسن العلوي ، عن أخيه أبي جعفر ، عن إسماعيل بن يعقوب ، عن محمد بن عبد الله البكري : أنَّ فاطمة لما خطبها عبدُ الله أَبَتْ أن تزوجه ، فحلفتُ عليها أمُّها لتزوجه ، وقامت في الشَّمْسِ ، وآلت لا تَبْرَحَ حتى تزوجه ، فكرهت فاطمة أن تُحرَّجَ ، فتزوَّجته .

وكان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخَ أهله وسيِّداً من ساداتهم ومقدِّماً فيهم فَصَلاً وعِلْماً وكرماً ، وحجسه أبو جَعْفَرُ المنصور في الهاشمية بالكوفة لمَّا خرج عليه ابنه محمدُ وإبراهيمُ فمات في الحبس ، وقيل : إنَّه سقط عليه ، وقيل غير ذلك .

[كان أجمل الناس وأفضلهم]

أخبرني أحمدُ بنُ محمد بن سعيد ، عن يحيى بن الحسن عن علي بن أحمد الباهلي : قال : سمعتُ مُصْعَباً الزُّبَيْرِيَّ يقول : انتهى كلُّ حُسْنٍ إلى عبدِ الله بنِ حسن ، وكان يقال : مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ ؟ فيقال : عبدُ الله بنُ الحسن ، ويقال : مَنْ أَفْضَلُ النَّاسِ ؟ فيقال : عبدُ الله بن الحسن .

حدَّثني محمد بن الحسن الخُثْعَمِيُّ الأَشْثَانِيُّ والحسن بن علي السلوليَّ قالا : حدَّثنا عباد بن يعقوب قال : حدَّثنا تلميذُ بن سليمان ، قال : رأيت عبدَ الله بن الحسن ، وسمعتُه يقول : أنا أَقْرَبُ النَّاسِ إلى رسولِ الله ﷺ ، ولدتني بنتُ رسولِ الله ﷺ مرَّتين .

حدَّثني أحمدُ بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن ، عن إسماعيل بن يعقوب ، عن عبد الله بن موسى ، قال : أوَّلُ مَنْ اجْتَمَعَتْ لَهُ وَلَادَةُ الحسن عليه السلام والحسين ، صلوات الله عليهما ، عبدُ الله بن الحسن عليه السلام .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَشْنَانِيُّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَعْقُوبَ ، عَنْ بُنْدُقَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حِجَازَةَ الدَّهَانَ قَالَ : رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحُسَيْنِ ، فَقُلْتُ : هَذَا وَاللَّهِ سَيِّدُ النَّاسِ ، كَانَ مَكْسُورًا نَوْرًا مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَقَدْ رَوَى ذَلِكَ فِي أَخْبَارِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأُمُّهُ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بِنْتُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ : قَالَ : جَاءَ مَنْظُورُ بْنُ زُبَانَ الْفَزَارِيُّ إِلَى حَسَنِ بْنِ حَسَنِ ، وَهُوَ جَدُّهُ أَبُو أُمِّهِ ، فَقَالَ لَهُ : لَعَلَّكَ أَحْدَثْتَ بَعْدِي أَهْلًا ، قَالَ : نَعَمْ ، تَزَوَّجْتَ بِنْتَ عَمِّي الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - قَالَ : بِئْسَمَا صَنَعْتَ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْأَرْحَامَ إِذَا التَّقَّتْ أَضُوتٌ¹ ، كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَتَزَوَّجَ فِي الْغُرْبِ ، قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ قَدْ رَزَقَنِي مِنْهَا وَلَدًا ، قَالَ : أُرْنِيهِ ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحُسَيْنِ فَسَرَّ بِهِ ، وَقَالَ : أَنْجَبْتَ ، هَذَا وَاللَّهُ لَيْثٌ غَابَ وَمَعَدُوٌّ عَلَيْهِ ، قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ رَزَقَنِي مِنْهَا وَلَدًا ثَانِيًا ، قَالَ : فَأُرْنِيهِ ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ حَسَنُ بْنُ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ ، فَسَرَّ بِهِ ، وَقَالَ : أَنْجَبْتَ ، وَهَذَا دُونَ الْأَوَّلِ ، قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ رَزَقَنِي مِنْهَا وَلَدًا ثَالِثًا ، قَالَ : فَأُرْنِيهِ . فَأَرَاهُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْحُسَيْنِ .

[عمر بن عبد العزيز يرجو شفاعَةَ الرَّسُولِ]

حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الصَّيرَفِيُّ : قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ خَلْفٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْغَفَّارِ قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي الْقُرْشِيِّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ شَابٌ فِي إِزَارٍ وَرِدَاءٍ ، فَرَحَّبَ بِهِ وَأَدْنَاهُ وَحْيَاهُ ، وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ وَضَاحَكُهُ ، ثُمَّ غَمَزَ عُكْنَةَ مِنْ بَطْنِهِ ، وَلَيْسَ فِي الْبَيْتِ حِينَئِذٍ إِلَّا أُمُويٌّ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى غَمَزِ بَطْنِ هَذَا الْفَتَى ؟ قَالَ : إِنِّي لِأَرْجُو بِهَا شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ .

[ينالُ جائزة]

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَمِيلِ الْعَتَكِيِّ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ شَيْبَةَ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ الْجَعْفَرِيِّ : قَالَ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ عَقْبَةَ الْجُهَنِيِّ قَالَ : إِنِّي لِعِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ إِذْ أَتَانِي آتٍ ، فَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ يَدْعُوكَ ، فَخَرَجْتُ ، فَإِذَا أَنَا بِأَبِي عَدِيِّ الشَّاعِرِ الْأُمُويِّ ، فَقَالَ : أَعْلِمَ أَبَا مُحَمَّدٍ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ ، وَهُمْ خَائِفُونَ ، فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَهِنْدٍ² بِمِائَتِي دِينَارٍ ، فَخَرَجَ بِسِتِّمِائَةِ دِينَارٍ . وَقَدْ رَوَى مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْحَدِيثَ .

1 أضوت : دَقَّتْ وَضَعَتْ .

2 الهند : المائة من الإبل .

[كان يسدل شعره]

حدَّثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن قال : حدَّثنا علي بن أحمد الباهلي عن مُصعب بن عبد الله قال : سئل مالك عن السِّدْلِ¹ قال : رأيت مَنْ يَرْضَى بِفِعْلِهِ ؛ عبد الله بن الحسن يفعلُهُ ، والسبب في حبس عبد الله بن الحسن وخروج أبنيه وقتلها يطولُ ذِكْرُهُ . وقد أتى عُمر بن شُبَّة منه بما لا يزيدُ عليه أحدٌ إلاَّ اليسير ، ولكن من أخباره ما يحسنُ ذكره ها هنا فنذكرُهُ .

[السبب في حبسه وقتل ابنه]

أخبرني عُمر بن عبد الله العتكي عن عُمر بن شُبَّة ، قال : حدَّثني موسى بن سعيد بن عبد الرحمن وأيوب بن عُمر عن إسماعيل بن أبي عمرو قالوا : لمَّا بنى أبو العباس بناءه بالأندلس الذي يدعى الرُّصَافَةَ : رصافة أبي العباس قال لعبد الله بن الحسن : ادخل فانظر ودخل معه ، فلمَّا رآه تمثَّل :

أَلَمْ تَرَ حَوْشَبًا أُمْسَى يُنِّي بِنَاءَ نَفْعِهِ لِبَنِي نَفِيلَةٍ²
يُؤْمَلُ أَنْ يُعَمَّرَ عُمرُ نُوحٍ وَأَمْرُ اللَّهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلَةٍ

فاحتَمَلَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ وَلَمْ يُكَيِّتْهُ بِهَا .

أخبرني عمِّي عن ابن شُبَّة عن يعقوب بن القاسم عن عمرو بن شهاب ، وحدَّثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن عن الزبير عن محمد بن الضحَّاك عن أبيه قالوا : إِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ فِي تَغْيِبِ ابْنِهِ :

أُرِيدَ حَيَاتُهُ وَرُيِدَ قَتْلِي عَذِيرُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ

قال عُمر بن شُبَّة : وَإِنَّمَا كَتَبَ بِهَا إِلَى مُحَمَّدٍ ، قال عمر بن شُبَّة : فبعثوا إلى عبد الرحمن بن مسعود مَوْلى أَبِي حَنِينٍ ، فَأَجَابَهُ :

وَكَيْفَ يُرِيدُ ذَاكَ وَأَنْتَ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ النَّيَاطِ مِنَ الْفَوَادِ
وَكَيْفَ يُرِيدُ ذَاكَ وَأَنْتَ مِنْهُ وَزَنْدُكَ حِينَ تَقْدَحُ مِنْ زِنَادِ
وَكَيْفَ يُرِيدُ ذَاكَ وَأَنْتَ مِنْهُ وَأَنْتَ لِهَاشِمٍ رَأْسٌ وَهَادِ

أخبرني عُمر بن عبد الله بن شُبَّة عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليهم السلام عن الحسن بن زيد عن عبد الله بن الحسن قال : بينا أنا في سَمَرٍ أَبِي

1 السِّدْلُ : إرخاء الشعر .

2 حَوْشَب : اسم رجل .

العبّاس ، وكان إذا تشاءب أو ألقى المِرْوَحة من يده قمنا ، فألقاها ليلة فقمنا ، فأمسكني فلم يبقَ غيري ، فأدخل يده تحت فراشه ، وأخرج إضْبارَةً كُتِبَ وقال : اقرأ يا أبا محمد ، فقرأت فإذا كتابٌ من محمد بن هشام بن عمرو التَّغْلِييِّ يدعوهُ إلى نفسه ، فلَمَّا قرأته قلت له : يا أمير المؤمنين ، لك عهدُ الله وميثاقه ألا ترى منهما شيئاً تكرهه ما كانا في الدنيا .

أخبرنا العتكي عن ابن شَبَّة عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمر ، عن عبد الله بن عبدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال : لما استُخِلَفَ أبو جعفر ألح في طلب مُحَمَّدٍ والمسألة عنه ، وعَمَن يُؤْوِيهِ ، فدعا بني هاشم رجلاً رجلاً ، فسألهم عنه ، فكلهم يقول : قد عَلِمَ أمير المؤمنين أنك قد عَرَفْتَهُ بطلب هذا الشأن قبل اليوم ، فهو يخافك على نفسه ، ولا يريد لك خلافاً ، ولا يحبّ لك معصية ، إلا الحسن بن زيد فإنه أخبره خبره ، فقال : والله ما آمنُ وثوبه عليك ، وأنه لا يَنَامُ فيه فَرَأَيْكَ فيه قال ابن أبي عبيدة : فَأَيَقِظَ مَنْ لا ينام .

أخبرني عمر بن عبد الله بن شَبَّة عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن محمد بن عمران بن عُقْبَةَ بن سَلَم : أن أبا جَعْفَرٍ دعا ، فسأله عن اسمه ونسبه ، فقال : أنا عُقْبَةُ بن سَلَم بن نافع من الأزد ، قال : إني أرى لك هيئةً وموضعاً ، وإنني لأريدك لأمرٍ أنا به معني ، قال : أرجو أن أُصَدِّقَ ظَنَّ أمير المؤمنين ، قال : فأخفِ شخصك ، واثني في يوم كذا وكذا ، فأتيته ، فقال : إن بني عَمَنًا هؤلاء قد أبوا إلا كَيْدًا بِمُلْكِنَا ، ولهم شِيعَةٌ بخراسانٍ بقرية كذا وكذا ، يُكاتبونهم ، ويرسلون إليهم بصدقات وأنطاف ، فاذهب حتى تأتيهم مُتَنَكِّراً بكتاب تكتبه عن أهل تلك القرية ، ثم تسير ناحيتهم ، فإن كانوا نزعوا على رأيهم علمت ذلك ، وكنت على حذر منهم حتى تلقى عبد الله بن الحسن متخشعاً ، وإن جَبَّهَكَ ، وهو فاعل ، فاصبر وعاوده أبداً حتى يأنسَ بك ، فإذا ظهر لك ما في قلبه فاعجل إلي ، ففعل ذلك ، وفعل به حتى أنس عبد الله بناحيته ، فقال له عُقْبَةُ : الجواب ، فقال له : أمّا الكتاب فإنني لا أكتب إلى أحد ، ولكن أنت كتابي إليهم ، فأقرئهم السلام ، وأخبرهم أن ابني خارج لوقت كذا وكذا ، فشخص عُقْبَةُ حتى قَدِمَ على أبي جعفر ، فأخبره الخبر .

أخبرني العتكي عن عمر بن محمد بن يحيى بن الحارث بن إسحاق ، قال : سأل أبو جعفر عبد الله بن الحسن عن ابنه لما حَجَّ ، فقال : لا أعلم بهما حتى تغالطا ، فأمضه² أبو جعفر ، فقال له : يا أبا جعفر ، بأيّ أمهاتي تُمَضِّنِي ؟ أبخديجة بنت خويلد أم بفاطمة

1 أيقظ من لا ينام : أي سلب عليه الخليفة العيون والأرصاد .

2 أمضه : أحزنه وأحفظه .

بنت رسول الله ﷺ ، أم بفاطمة بنت الحسين ، عليهم السلام ، أم بأم إسحاق بنت طلحة ؟ قال : لا ولا بواحدة منهن ، ولكن بالجرباء بنت قسامة فوثب المسيب بن زهير ، فقال : يا أمير المؤمنين ، دعني أضرب عنق ابن الفاعلة ، فقام زياد بن عبيد الله ، فألقى عليه رداءه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، هبه لي ، فأنما المستخرج لك ابني ، فتخلصه منه .

قال ابن شبة : وحدثني بكر بن عبد الله مولى أبي بكر ، عن علي بن رباح أخيه إبراهيم بن رباح ، عن صاحب المصلى : قال : إني لواقف على رأس أبي جعفر وهو يتغذى بأوطاس¹ ، وهو متوجه إلى مكة ، ومعه على مائدته عبد الله بن الحسن وأبو الكرام الجعفري وجماعة من بني العباس ، فأقبل على عبد الله بن الحسن ، فقال : يا أبا محمد ؛ محمد وإبراهيم أراهما قد استوحشا من ناحيتي ، وإنني لأحب أن يأنسا بي ويأتياني فأصلهما ، وأزوجهما ، وأخلطهما بنفسي ، قال : وعبد الله يطرق طويلاً ، ثم يرفع رأسه ويقول : وحقك يا أمير المؤمنين ما لي بهما ولا بموضعهما من البلاد علم ، ولقد خرجا عن يدي ، فيقول : لا تفعل يا أبا محمد ، اكتب إليهما وإلى من يوصل كتابك إليهما ، قال : وامتنع أبو جعفر عن عامة غدائه ذلك اليوم إقبالاً على عبد الله ، وعبد الله يحلف أنه لا يعرف موضعهما ، وأبو جعفر يكرر عليه : لا تفعل يا أبا محمد .

قال ابن شبة : فحدثني محمد بن عباد عن السدي بن شاهك : أن أبا جعفر قال لعقبه بن سلم : إذا فرغنا من الطعام فلحظتلك فامثل بين يدي عبد الله ، فإنه سيصرف بصره عنك ، فدر حتى تغمر ظهره بإيهام رجلك ، حتى يملأ عينيه منك ، ثم حسبك وإياك أن يراك ما دام يأكل ، ففعل ذلك عقبه ، فلما رآه عبد الله وثب حتى جثا بين يدي أبي جعفر ، وقال : يا أمير المؤمنين أقلني أقالك الله ، قال : لا أقالني الله إن أقلتك ، ثم أمر بحبسه .

قال ابن شبة ، فحدثني أيوب بن عمر : عن محمد بن خلف المخزومي قال : أخبرني العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال : لما حج أبو جعفر في سنة أربعين ومائة أتاه عبد الله وحسن ابنا حسن ، فإنيهما وإياي لعنده ، وهو مشغول بكتاب ينظر فيه إذ تكلم المهدي فلحن ، فقال عبد الله : يا أمير المؤمنين ، ألا تأمر بهذا من يعدل لسانه ، فإنه يفعل فعل الأمة ، فلم يفهم ، وغمرت عبد الله فلم ينتبه ، وعاد لأبي جعفر فأحفظ من ذلك ، وقال له : أين ابنك ؟ قال : لا أدري ، قال : لتأتينني به ، قال : لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه ،

1 أوطاس : اسم ولد .

قال : يا ربيعُ فمُرْ به إلى الحبس .

[زوجه هند بنت أبي عبيدة]

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد ، عن يحيى بن الحسن قال : توفي عبد الله في مَحْبَسِه بالهاشمية وهو ابن خمس وسبعين سنة في سنة خمس وأربعين ومائة وهند التي عَنَاهَا عبدُ الله في شعره الذي فيه الغناء زوجته هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وأمها قرينة بنت يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود بن المطلب .

وكان أبو عبيدة جواداً سيّداً مُمدّحاً ، وكانت هندُ قبلَ عبد الله بن الحسن تحتَ عبدِ الله بن عبد الملك بن مروان ، فمات عنها .

فأخبرني الحرّميّ عن الزبير عن سليمان بن عيَّاش السعديّ قال : لما توفي أبو عبيدة وَجِدَتْ ابنته هندُ وجداً شديداً ، فكَلَّمَ عبدُ الله بن الحسنُ مُحمد بن بشير الخارجي أن يدخل على هندَ بنتِ أبي عبيدة ، فيُعزِّيها ويُوسِّئها عن أبيها ، فدخل معه عليها ، فلَمَّا نظر إليها صاح بأبعد صوته :

قومي اضربي عينيك يا هندُ لن تَرَيَّ أباً مثله تسمو إليه المفاخرُ
وكنْتَ إذا أُسبِلت أُسبِلت والدا يزينُ كما زان اليدين الأساورُ

فصكَّت وجهها ، وصاحت بحربها وجهدها ، فقال له عبد الله بن الحسن : ألهذا دخلت ؟ فقال الخارجي : وكيف أعزّي عن أبي عبيدة وأنا أعزّي به !

أخبرني العتكيّ ، عن ابن شُبّة : قال : حدّثني عبد الرحمن بن جعفر بن سليمان ، عن عليّ بن صالح ، قال : زوج عبد الملك بن مروان ابنه عبد الله هنداً بنتَ أبي عبيدة وريطة بنت عبد الله بن عبد المدان لما كان يقال إنّه كائنٌ في أولادهما ، فمات عنهما عبد الله أو طلّقهما ، فتزوج هنداً عبدُ الله بن الحسن ، وتزوج ريطه مُحمد بن عليّ ، فجاءت بأبي العباس السفّاح .

أخبرني العتكيّ عن عمر بن شُبّة عن ابن داحية عن أبيه قال : لما مات عبد الله بن عبد الملك رجعت هندُ بميراثها منه ، فقال عبد الله بن حسن لأُمّه فاطمة : اخطبي عليّ هنداً ، فقالت : إذا ترّدك ، أتطمع في هند وقد ورثت ما ورثته ، وأنت ترَبُّ لا مالَ لك ؟ فتركها ومضى إلى أبي عبيدة أبي هند ، فخطبها إليه ، فقال : في الرُحْبِ والسَّعة ، أمّا منّي فقد زوجتك ، مكانك لا تَبْرَحْ ، ودخل على هند ، فقال : يا بنية ، هذا عبد الله بن حسن ، أتاك خاطباً ، قالت : فما قلت له ؟ قال : زوجته . قالت : أحسنت . قد أجزتُ ما صنعتُ ،

وأرسلت إلى عبد الله : لا تبرح حتى تدخل على أهلك . قال : فتزيت¹ له فبات بها ممرساً من ليلته ، ولا تشعر أمه ، فأقام سبعا ، ثم أصبح يوم سابعه غادياً على أمه وعليه رذع² الطيب ، وفي غير ثيابه التي تعرف ، فقالت له : يا بني ، من أين لك هذا ؟ قال : من عند التي زعمت أنها لا تريدني .

أخبرني حبيب بن نصر المهلبى وعمي عبد العزيز بن أحمد بن بكار : قالوا : حدثنا الزبير : قال : حدثني ظبية مولاة فاطمة : قالت : كان جدك عبد الله بن مصعب يستنشدني كثيراً أبيات عبد الله بن حسن ويعجب بها :

إن عيني تعودت كحل هندٍ جمعت كفها مع الرفق لينا

صوت

[من البسيط]

يا عيدُ ما لك من شوقٍ وإبراقٍ ومرّ طيفٍ على الأهوالِ طراقٍ
يسري على الأينِ والحياتِ مُحْتَفِياً³ نفسي فداؤك من سارٍ على ساقٍ³
عروضه من البسيط . العيد : ما اعتاد الإنسان من همٍّ أو شوقٍ أو مرضٍ أو ذكرٍ . والأين
والأيم : ضرب من الحيات . والأين : الإعياء أيضاً ، وروى أبو عمرو :

يا عيد قلبك من شوق وإبراق

الشعر لتأبط شراً ، والغناء لابن محرز ثقیل أول بالوسطى من رواية يحيى المكيّ وحش ، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى إلى ابن محرز .

1 ل : فتيسرت .

2 الردع : أثر الطيب في الجسد .

3 محتفياً في ل : محتفلاً .

[449] - أخبار تأبط¹ شراً ونسبه

[نسبه ولقبه]

هو ثابت بن جابر بن سُفيان بن عُمَيْثِل بن عديّ بن كعب بن حزن . وقيل : حرب بن تميم بن سعد بن فَهْم بن عمرو بن قيس عيلان بن مُضر بن نزار .
وأُمّه امرأة يقال لها أُميمة ، يقال : إنها من بني القَيْن بَطْن مَن فَهْم ، ولدت خمسة نَفَر :
تأبط شراً ، وریش بَلْغَب ، وریش نسر ، وكعب جُدِر ، ولا بواكي له² ، وقيل : إنها ولدت
سادساً اسمه عمرو .

وتأبط شراً لقب لُقّب به ، ذكر الرّواة أنّه كان رأى كبشاً في الصحراء ، فاحتمله تحت
إبطه ، فجعل يبول عليه طُول طريقه ، فلَمّا قُرُب من الحيّ ثَقُل عليه الكبش ، فلم يُقلّه فرمى
به فإذا هو الغول ، فقال له قومه : ما تأبطت يا ثابت ؟ قال : الغول . قالوا : لقد تأبطت شراً
فسمّي بذلك .

وقيل : بل قالت له أمّه : كلّ إخوتك يأتيني بشيء إذا راح غيرك ، فقال لها : سأتيك
الليلة بشيء ، ومضى فصاد أفاعي كثيرة من أكبر ما قدر عليه ، فلَمّا راح أتى بهنّ في
جراب متأبطاً له ، فألقاه بين يديها ، ففتحته فتساعين في بيتها ، فوثبت ، وخرجت ،
فقال لها نساء الحيّ : ماذا أتاكِ به ثابت ؟ فقالت : أتاني بأفاعٍ في جراب . قلن : وكيف
حَمَلها ؟ قالت : تأبطها . قلن : لقد تأبط شراً ، فلزمه تأبط شراً .

حدّثني عمّي قال حدّثني عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى عن أبي مُحمّل بمثل هذه الحكاية
وزاد فيها : أنّ أمّه قالت له في زمن الكمأة : ألا ترى غِلْمانَ الحيّ يجتنون لأهلهم الكمأة ،
فيروحون بها ؟ فقال أعطيني جرابك ، حتى أجتني لك فيه ، فأعطته ، فملأه لها أفاعي ،
وذكر باقي الخبر مثل ما تقدّم .

ومن ذكر أنّه إنّما جاءها بالغول محتجّ بكثرة أشعاره في هذا المعنى فإنّه يصف لقاءه إيّاها
في شعره كثيراً ، فمن ذلك قوله :
[من المتقارب]

1 انظر أخباره في : المفضليات : 27 والشعر والشعراء 312/1-314 ، والأنباري 1-2 و195-196 ،
والاشتقاق 162-163 والخزانة 66/1-67 واللاي 158-159 .
2 ولا بواكي له : هو الاسم الخامس لأولاد أم تأبط شراً .

فَأَصْبَحْتُ الْغُولُ لِي جَارَةٌ فَيَا جَارَتَا لَكَ مَا أَهْوَلَا¹
 فَطَالِبْتُهَا بُضْعَهَا فَالْتَوَتْ عَلَيَّ وَحَاوَلْتُ أَنْ أَفْعَلَا²
 فَمَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنْ جَارَتِي فَإِنَّ لَهَا بِاللَّوَى مَنَزَلَا³

[كان أعدى ذي رجلين]

أخبرني عمّي عن الحزنبيل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني قال : نزلت على حيّ من فهم إخوة بني عدوان من قيس ، فسألتهم عن خبر تأبط شرّاً ، فقال لي بعضهم : وما سؤالك عنه ، أتريد أن تكون لصّاً ؟ قلت : لا ، ولكن أريد أن أعرف أخبار هؤلاء العدائين ، فأحدثت بها ، فقالوا : نحدثك بخبره : إنّ تأبط شرّاً كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين ، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة ، فكان ينظر إلى الظباء فينتقي على نظره أسنمها ، ثم يجري خلفه فلا يفوته ، حتى يأخذه ، فيذبّحه بسيّفه ، ثم يشويه فيأكله . وإنما سُمّي تأبط شرّاً لأته ، فيما حُكي لنا ، لَقِيَ الْغُولَ فِي لَيْلَةِ ظُلُمَاءٍ فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ رَحَى بَطْحَانَ فِي بِلَادِ هَذِيلٍ ، فَأَخَذَتْ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ فَلَمْ يَزَلْ بِهَا ، حَتَّى قَتَلَهَا ، وَبَاتَ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَمَلَهَا تَحْتَ إِطْبِهِ وَجَاءَ بِهَا إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالُوا لَهُ : لَقَدْ تَأَبَّطْتَ شَرّاً ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

تَأَبَّطُ شَرّاً ثُمَّ رَاحَ أَوْ اغْتَدَى يُوَائِمُ غُنْماً أَوْ يَشِيفُ عَلَى دَحْلٍ

يوائم : يوافق ، ويشيف : يقتدر . وقال أيضاً في ذلك :

[من الوافر]

أَلَا مَنْ مُبْلَغُ فِتْيَانٍ فَهَمٌّ بِمَا لَاقَيْتُ عِنْدَ رَحَى بَطَانٍ⁴
 وَأَنْتَ قَدْ لَقَيْتُ الْغُولَ تَهْوِي بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانٍ⁵
 فَقُلْتُ لَهَا : كَلَانَا نِضْوَايْنِ أَخُو سَفَرٍ فَخَلِي لِي مَكَانِي
 فَشَدَّتْ شِدَّةً نَحْوِي فَأَهْوَى لَهَا كَفِّي بِمِصْقُولٍ يَمَانِي
 فَأَضْرَبَهَا بِلَا دَهْشٍ فَخَرَّتْ صَرِيْعاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ⁶

1 لك في الديوان 164 : أنت .

2 البضع : الفرج . الشطر الثاني في الديوان 164 : بوجه تهوّل فاستغولاً .

3 الشطر الأول في الديوان : فمن سال : أين ثوت جارتني .

4 فهم : قبيلة الشاعر ، وحي بطان : اسم موضع .

5 السهب : الفلاة . والصحصحان : ما استوى من الأرض .

6 الدهش : التحير . والجران : مقدم العنق .

فَقَالَتْ : عُدْ ؛ فَقُلْتُ لَهَا : رُوَيْدًا
فَلَمْ أَنْفُكْ مُتَكَبِّمًا عَلَيْهَا
إِذَا عَيْنَانِ فِي رَأْسٍ قَبِيحِ
وَسَاقَا مُخْدَجٍ وَشَوَاةٍ كَلْبِ
مَكَانِكَ إِنِّي ثَبَّتَ الْجَنَانِ
لَأَنْظُرَ مُصْبِحًا مَاذَا أَتَانِي¹
كَرَأْسَ الْهَرِّ مَشْقُوقِ اللِّسَانِ
وَثُوبٍ مِنْ عَبَاءٍ أَوْ شِنَانِ²

[لا تنهشه الحيات]

أخبرنا الحسين بن يحيى : قال : قرأت على حماد : وحدثك أبوك عن حمزة بن عتبة اللّهيّ : قال : قيل لتأبّط شرّاً : هذه الرجال غلبتها ، فكيف لا تنهشك الحيات في سرّك ؟ فقال : إنّي لأسري البرّدين . يعني أوّل الليل وآخره ، لأنّها تمور³ خارجة من حُجرتها ، وآخر الليل تمورُ مُقبلةً إليها .
[يبيع أحمق اسمه بطيلسانة]

قال حمزة : ولقي تأبّط شرّاً ذات يوم رجلاً من ثقيف يقال له أبو وهب ، كان جباناً أهوجاً ، وعليه حلّة جيّدة ، فقال أبو وهب لتأبّط شرّاً ، بم تغلب الرجال يا ثابت ، وأنت كما أرى دميمٌ ضئيل ؟ قال : باسمي ، إنّما أقول ساعة ما ألقى الرّجل : أنا تأبّط شرّاً ، فينخلع قلبه حتى أنال منه ما أردت ، فقال له الثّقفي : أقط⁴ قال : قطّ ، قال : فهل لك أن تبيعني اسمك ؟ قال : نعم ، فيم تباعه ؟ قال : بهذه الحلّة وبكثيتك قال له : أفعل ، ففعل ، وقال له تأبّط شرّاً : لك اسمي ولي كثيتك ، وأخذ حلّته وأعطاه طمريّة ، ثم انصرف ، وقال في ذلك يخاطب زوجة الثّقفي :

أَلَا هَلْ أَتَى الْحَسَاءُ أَنَّ حَلِيلَهَا
تَأَبَّطَ شَرّاً وَاكْتَنَيْتُ أَبَا وَهَبٍ
فَهَبَهُ تَسَمَّى اسْمِي وَسُمِّيتُ بِاسْمِهِ
فَأَيْنَ لَهُ صَبْرِي عَلَى مُعْظَمِ الْخُطْبِ ؟⁵
وَأَيْنَ لَهُ بَأْسٌ كَبَاسِي وَسَوْرَتِي
وَأَيْنَ لَهُ فِي كُلِّ فَادِحَةٍ قَلْبِي ؟

[يعجز عن الجماع]

قال حمزة : وأحبّ تأبّط شرّاً جارية من قومه ، فطلّبها زماناً لا يقدر عليها ، ثم لقيته

1 أناني في ل : دهاني .

2 أخذجت الناقة : ألقت ولدها لغير تمام . والشوأة : قحف الرأس وفي ل : وسراة كلب . الشنان : جمع شن ، وهو القرية البالية .

3 ل : تدب .

4 أقط : أي بهذا فقط ، وقط هنا بمعنى فحسب .

5 في الديوان 64 : وسناني اسمه .

ذاتَ ليلة فاجأته وأرادها ، فعجز عنها ، فلماً رأت جَزَعَه من ذلك تناومت له فأنسته وهذا ،
ثم جعل يقول :

مالك من أيرٍ سُلِبَتِ الخلّةُ عجزت عن جارية رِفْلَةٍ¹
تمشي إليك مشيةً خوزلّةً كمشية الأرخ تريد العلّة²

الأرخ : الأنتى من البقر التي لم تُنتج . العلّة تريد أن تُعل بعد النهل ، أي أنها قد رويت
فمشتيتها ثقيلة . والعلّ : الشرب الثاني .

لو أنّها راعيّة في ثُلّة تحمل نعلين لها قبلّة³
تضرب كالهراوة العبلّة

العبل : ورق الأرطى .

[قصته مع بجيلة]

أخبرني الحسن بن عليّ عن عبد الله بن أبي سعد عن أحمد بن عمر عن أبي بركة
الأشجعيّ قال : أغار تأبط شرّاً ، وهو ثابت بن العمّيثل الفهميّ ، ومعه عمرو بن براق
الفهميّ على بجيلة ، فأطردا لهم نَعَمًا ، ونذرت بهما بجيلة ، فخرجت في آثارهما ومضيا
هاربين في جبال السّراة ، وركبا الحزن ، وعارضتهما بجيلة في السهل فسبقوهما إلى
الوَهْط ، وهو ماء لعمر بن العاص بالطائف ، فأدخلوا لهما في قصبة العين ، رجلاً
وجاءا ، وقد بلغ العطش منهما ، إلى العين ، فلماً وقفا عليها قال تأبط شرّاً لابن براق :
أقلّ من الشرّاب فإنّها ليلة طرد ، قال : وما يدريك ؟ قال : والذي أعدو بطيره ، إني
لأسمع وجيبَ قلوب الرّجال تحت قدميّ . وكان من أسمع العرب وأكيدهم . فقال له ابنُ
براق : ذلك وجيب قلبك . فقال له تأبط شرّاً : والله ما وجبَ قطّ ، ولا كان وجاباً ،
وضرب بيده عليه ، وأصاخ نحو الأرض يستمع فقال : والذي أعدو بطيره ، إني لأسمع
وجيبَ قلوب الرّجال ، فقال له ابنُ براق : فأنا أنزل قبلك ، فنزل فبرك وشرب وكان أكلّ
القوم عند بجيلة شوكة⁴ ، فتركوه وهم في الظّلمة ، ونزل ثابت ، فلماً توسّط الماء وثبوا
عليه ، فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفاً ، وابنُ براق قريب منهم لا يطمعون فيه لِمَا
يَعْلَمون من عدوّه ، فقال لهم ثابت : إنّه من أصلّف النّاس وأشدّهم عُجْباً بعدوّه ، وسأقول

1 رفلة : سميّة .

2 الخيزلي : نوع من المشي . وفي الديوان 199 : هرولة .

3 التلة : جماعة الغنم . وقبلة : مأخوذة من القبل بمعنى الحول .

4 أكل القوم عند بجيلة شوكة ، يريد صغر شأنه عند بجيلة .

له : استأسرُ معي ، فسيدعوه عُجبه بعدوه إلى أن يَعْدُو من بين أيديكم ، وله ثلاثة أطلاق : أولها كالرَّيح الهابّة ، والثاني كالفرس الجواد ، والثالث يَكبو فيه ويعثر ، فإذا رأيتم منه ذلك فخذوه فإنّي أحبُّ أن يصير في أيديكم كما صيرت إذ خالفني ولم يقبل رأيي ونُصحي له ، قالوا : فافعل ، فصاح به تَأَبَّطُ شراً : أنت أخي في الشدّة والرّخاء ، وقد وعدني القوم أن يَمُنُوا عليك وعليّ ، فاستأسرُ ، وواسني بنفسك في الشدّة ، كما كنتَ أخي في الرّخاء ، فضحك ابنُ بَرّاق ، وعلم أنّه قد كادهم ، وقال : مهلاً يا ثابت ، أيسْتَأثر من عنده هذا العدوّ ؟ ثم عدا فعدا أول طَلَق مثل الريح الهابّة كما وصف لهم ، والثاني كالفرس الجواد ، والثالث جعل يَكبو ويَعْتُر ويقع على وجهه . فقال ثابت : خذوه ، فعدوا بأجمعهم ، فلمّا أن نَفَسَهم عنه شيئاً عدا تَأَبَّطُ شراً في كتافه ، وعارضه ابنُ بَرّاق ، فقطع كتافه ، وأفلتا جميعاً ، فقال تَأَبَّطُ شراً قصيدته القافية في ذلك ، وذكرها ابن أبي سعد في [من البسيط] :
 الخبر إلى آخرها :

| | |
|------------------------------------|--|
| يا عيدُ ما لك من شوقٍ وإبراقٍ | ومرّ طيفٍ على الأهوالِ طرّاقٍ |
| يسرى على الأُين والحياتِ محتفياً | نفسى فداؤك من سارٍ على ساقٍ ¹ |
| طيف ابنة الحرِّ إذ كنّا نواصلها | ثم اجْتَنَيْتُ بها من بعد تَفراقٍ ² |
| لتَقْرِعَنَّ عليّ السنَّ من نَدَمٍ | إذا تذكّرت يوماً بعضَ أخلاقي |
| تالله آمنُ أنثى بعدما حَلَفْتُ | أسماءُ بالله من عهدٍ وميثاقٍ |
| مزموجة الدودِ بينا واصلتُ صرّمتُ | الأوّلُ اللدّ مَضَى والآخِرُ الباقي |
| فالأوّلُ اللدّ مَضَى قال مودّتها | واللدّ منها هُذاءٌ غيرِ إحقاقٍ ³ |
| تُعْطِيكَ وعداً أمانيّ تغرُّ به | كالقَطْرِ مرّاً على صَخْبَانِ بَرّاقٍ ⁴ |
| إنّي إذا خُلّة ضنّتُ بنائلها | وأُمسَكَتُ بضِعيفِ الحبلِ أحذاقٍ ⁵ |
| نَجَوْتُ منها نجائي من بجيلةٍ إذ | ألقيْتُ للقوم يوم الرّوع أرواقٍ ⁶ |

1 الأين : الحية أو الذكر من الحيات . ومحتفياً : حافياً .

2 بعد تفراق في الديوان 127 : بعد التفراق .

3 اللدّ : بمعنى الذي . والهذاء : الهذيان .

4 الصخبان : الشديد الصخب وفي الديوان 128 : ضجنان وهو جبل بناحية مكّة .

5 جبل أحذاق : قطع وفي المفضليات 28 : ضعيف الوصل .

6 ألقى أرواقه : أسرع في عدوه وفي المفضليات 28 : ألقى ليلة حبّ الرّهط ، وفي الديوان أيضاً 129 .

وذكرها ابن أبي سعيد في الخبر إلى آخرها .

وأما المفضل الضبيّ فذكر أنّ تأبط شراً وعمرو بن براق والشنفرى ، وغيره يجعل مكان الشنفرى السليك بن السلّكة ، غزوا بجيلة فلم يظفروا منهم بغرة ، وثاروا إليهم فأسروا عمراً ، وكتّفوه ، وأفلتتهم الآخران عدوّاً ، فلم يقدروا عليهما ، فلما علما أنّ ابن براق قد أسير قال تأبط شراً لصاحبه : امض فكن قريباً من عمرو ، فإنني سأترأى لهم وأطمعهم في نفسي حتى يتباعدوا عنه ، فإذا فعلوا ذلك فحلّ كتافه وأنجوا ، ففعل ما أمره به ، وأقبل تأبط شراً ، حتى ترأى لبجيلة ، فلما رأوه طمعوا فيه ، فطلبوه ، وجعل يطمعهم في نفسه ، ويعدو عدوّاً خفيفاً يُقرب فيه ، ويسألهم تخفيف الفدية¹ وإعطائه الأمان ، حتى يستأسر لهم ، وهم يُجيبونه إلى ذلك ، ويطلبونه وهو يُحضر إحضاراً خفيفاً ، ولا يتباعد ، حتى علا تلعة أشرف منها على صاحبيه ، فإذا هما قد نجوا ، ففطنت لهما بجيلة ، فألحقتهما طلباً ففاتاهم ، فقال : يا معشر بجيلة أعجبكم عدوّ ابن براق اليوم ، والله لأعدون لكم عدوّاً أنسيكم به عدوّه ، ثم عدا عدوّاً شديداً ، ومضى وذلك قوله :

يا عيّد ما لك من شوق وإبراق

وأما الأصمعيّ فإنّه ذكر فيما أخبرني به ابن أبي الأزهر عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عمّه : أنّ بجيلة أمهلتهم حتى وردوا الماء وشربوا وناموا ، ثم شدّوا عليهم ، فأخذوا تأبط شراً ، فقال لهم : إنّ ابن براق دلائني في هذا ، وإنّه لا يقدر على العدو لعقر في رجله ، فإن تبعتموه أخذتموه ، فكتّفوا تأبط شراً ، ومضوا في أثر ابن براق ، فلما بعدوا عنه عدا في كتافه ففاتهم ، ورجعوا .

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا أبو سعيد السكريّ قال : حدّثنا ابن الأثرم ، عن أبيه . وحدّثنا محمد بن حبيب ، عن أبي عمرو ، قال : كان تأبط شراً يعدّو على رجله ، وكان فاتكاً شديداً ، فبات ليلة ذات ظلمة وبرق ورعد في قاع يقال له رحي بطن ، فلقيته الغول فما زال يُقاتلها ليلته إلى أن أصبح وهي تطلبه ، قال : والغول : سُبُع من سباع الجنّ ، وجعل يراوغها ، وهي تطلبه ، وتلمس غرّة منه ، فلا تقدّر عليه ، إلى أن أصبح ، فقال تأبط شراً : شرّاً :

ألا من مبلغ فيّان فهم بما لاقيت عند رحي بطن

بأنِّي قد لقيت الغولَ تهوي
فقلت لها : كلانا نضو أين
فشدت شدةً نحوي فأهوى
فأضربها بلا دهشٍ فخرت
فقلت عُذُّ ، فقلتُ لها : رويداً
فلم أنفك متكئاً عليها
إذا عيان في رأسٍ قبيحٍ
وساقاً مُخدجٍ وشواةً كلب

بسهبٍ كالصحيفةٍ صحصحانٍ
أخو سقرٍ فخلّي لي مكاني
لها كفي بمصقولٍ يمانِي
صريعاً لليدين وللجِرانِ
مكانك إنني ثبْتُ الجنانِ
لأنظرَ مُصبحاً ماذا أتاني
كرأسٍ الهَرِّ مشقوق اللسانِ
وثوبٌ من عباءٍ أو شينانِ

[يفرّ من أعدائه.]

قالوا : وكان من حديثه أنّه خرج غازياً يريد بجيلة هو ورجل معه ، وهو يريد أن يغترّهم ، فيصيب حاجته ، فأتى ناحية منهم ، فقتل رجلاً ، ثن استاق غنماً كثيرة ، فنذروا به ، فتبعه بعضهم على خيل ، وبعضهم رجالة ، وهم كثير ، فلما رآهم ، وكان من أبصر الناس عرف وجوههم ، فقال لصاحبه : هؤلاء قوم قد عرفتهم ، ولن يُفارقونا اليوم حتى يُقاتلونا أو يُظفروا بحاجتهم ، فجعل صاحبه ينظر ، فيقول : ما أتيت أحداً ، حتى إذ دهموها قال لصاحبه : اشتدّ فإنّي سأمنعك ما دام في يدي سهم ، فاشتدّ الرجل ، ولقيهم تابّط شراً ، وجعل يرّمهم حتى نفدت نبله ، ثم إنّه اشتدّ فمرّ بصاحبه فلم يطق شدّه ، فقتل صاحبه ، وهو ابن عمّ لزوجته ، فلما رجع تابّط شراً وليس صاحبه معه عرفوا أنّه قد قُتل ، فقالت له امرأته : تركت صاحبك وجئت متباطئاً ، فقال تابّط شراً في ذلك : [من الطويل]

ألا تلكما عرسي منيعه ضمنت
تقول : تركت صاحباً لك ضائعاً
إذا ما تركت صاحبي لثلاثة
وما كنت أباءً على الخيل إذ دعا
وكرّتي إذا أكرهت رهطاً وأهله

من الله إثمًا مُستسيراً وعالنا
وجئت إلينا فارقاً متباطئاً¹
أو اثنتين مثليتنا فلا أبنت آمنا
ولا المرء يدعوني مُمرّاً مُداهناً²
وأرضاً يكون العوص فيها عجائناً³

1 فارقاً متباطئاً : فارقه وجئت متخفياً .

2 إمرار الخيل : إحكام فتله . والمداهن : من دهنه بمعنى ضربه .

3 رهط : اسم موضع . والعوص : اسم قبيلة . والعجائن : من معانيه القنفذ .

ولما سمعت العوص تدعو تنفرت
ولم أنتظر أن يدهموني كأنهم
ولا أن تُصيب النافذات مقاتلي
فأرسلتُ مثنيّاً عن الشدّ واهناً
فأدبرت لا ينجو نجائي نقنق
من الحصّ هزروف يطير عفاؤه
أزج زلوج هذرني زفافز
فزحزحت عنهم أو تجنني ميني
كأنني أراها الموت لا درّ درّها
وقالت لأخرى خلفها وبناتها
أخاليج وراد على ذي محافل
عصافير رأسي من غواة فرأتنا¹
ورائي نحل في الخلية واكنا²
ولم أك بالشدّ الذليق مُداينا³
وقلت ترحزح لا تكونن حائنا⁴
يادر فرخيّه سيمالاً وراجنا⁵
إذا استدرج الفيّفا ومدّ المغابنا⁶
هزف يذّ الناجيات الصوافنا⁷
بغبراء أو عرفاء تقرّي الدفائنا⁸
إذا أمكنت أنيابها والبرائنا
حتوف تنقي مخّ من كان واهنا
إذا نزعوا مدّوا الدلاء الشواطنا⁹

وقال غيره : بل خرج تأبط شرّاً هو وصاحبان له ، حتى أغاروا على العوص من بجيلة ، فأخذوا نعماً لهم ، واتبعتهم العوص ، فأدركوهم ، وقد كانوا استأجروا لهم رجالاً كثيرة ، فلما رأى تأبط شرّاً ألا طاقة لهم بهم شمرّ وتركهما ، فقتل صاحبه ، وأخذت النعم ، وأفلت ، حتى أتى بني القمين من فهم ، فبات عند امرأة منهم يتحدث إليها ، فلما أراد أن يأتي قومه دهنته ورجلته ، فجاء إليهم وهم يكون ، فقالت له امرأته : لعنك الله

- 1 تنفرت عصافير رأسي : كتابة عن الغضب والثورة . غواة في ل : بواء ؛ وفي الديوان 214 : بوى فغوا بنا . والفراتن : جمع فرتنى وهي المرأة الزانية أو الأمة .
- 2 وكن الطائر : دخل عشّه .
- 3 الشد الذليق : الحديد الماضي .
- 4 الشطر الأول في الديوان 215 : فأرسلتُ مثنيّاً من الشدّ والها . حائن : هالك .
- 5 السمال : ماء في الحوض وفيه دود . راجنا : ماء مختلطاً .
- 6 الحص : جمع أحص ، وطائر أحص : قليل الريش . هزروف : سريع . العفاء : الشعر والوبر . يطير عفاؤه في ل : كأن عفاؤه . المغابن : بواطن الأفخاذ .
- 7 أزج : بعيد الخطو . زلوج : سريع العدو . هزرفي : كثير الحركة . زفافز : جمع زرف بمعنى الريح . الهزف : السريع أو النافر ، وفي ل : وقارب . الناجيات : الجياد السريعة . الصوافن : جمع صافن وهو الحصان يقف على ثلاث قوائم .
- 8 غبراء : اسم أنثى الذئب . وعرفاء : اسم الضيع .
- 9 أخاليج : جمع أخلج وهو الحبل . ذو المحافل : البئر . والشوطن : الجبال .

تركت صاحبيك وجئت مُدْهَنًا . وإنَّه إنَّما قال هذه القصيدة في هذا الشأن ، وقال تَابَّطُ
شراً يرثيهما وكان اسمُ أحدهما عَمراً : [من الطويل]

| | |
|-----------------------------------|--|
| أبعد قتيل العوص آسى على فتى | وصاحبه أو يأملُ الرّاذ طارق ؟ |
| أطردُ فهما آخرَ الليل أبغي | غلالة يوم أن تعوق العوائق ¹ |
| لعمرو فتى نلتهم كأنّ رداءه | على سرحية من سرح دومة سامق ² |
| لأطردُ نهياً أو نرودَ بفتية | بأيمانهم سُمِرَ القنا والعقائق ³ |
| مَسَاعِرَة شعثُ كأنّ عيونهم | حريقُ الغضا تُلقى عليها الشقائق ⁴ |
| فعدُّوا شهورَ الحُرْمِ ثم تعرّفوا | قتيل أناسٍ أو فتاة تعانق |

[نعرض لمحاولة قتله بالسم]

قال الأثرم : قال أبو عمرو في هذه الرواية : وخرج تَابَّطُ شراً يريد أن يغزو هذيلًا في رهط ،
فنزل على الأحلّ بن قنصل ، رجُلٍ من بجيلة ، وكان بينهما حِلْفٌ ، فأنزلهم ورَحَّبَ بهم ، ثم إنَّه
ابتغى لهم الذراريح⁵ ليسقيهم فيستريح منهم ، ففطن له تَابَّطُ شراً ، فقام إلى أصحابه ، فقال : إني
أحبُّ ألاَّ يعلم أنا قد فطنا له ، ولكن سأبؤه حتى نحلف ألا نأكل من طعامه ، ثم أغتره فأقتله لأنَّه
إن عِلِمَ حَدْرَني ، وقد كان مالا ابن قنصل رجُلٌ منهم يقال له لُكَيْزٌ قتلتَ فهُمَّ أخاه ، فاعتلَّ عليه
وعلى أصحابه فسبُّوه وحلفوا ألا يذوقوا من طعامه ولا من شرايه ، ثم خرج في وجهه ، وأخذ في
بَطْنٍ وادٍ فيه التَّمور ، وهي لا يكاد يسلم منها⁶ أحد ، والعرب تسمي النمر ذا اللونين ، وبعضهم
يسميه السَّبَّتي ، فنزل في بطنه وقال لأصحابه : انطلقوا جميعاً فتصيّدوا ، فهذا الوادي كثير
الأروى ، فخرجوا وصادوا ، وتركوه في بطن الوادي فجاءوا فوجدوه قد قتل نمرًا وحده ،
وغزا هذيلًا فغَنِمَ وأصاب ، فقال تَابَّطُ شراً في ذلك : [من الطويل]

| | |
|------------------------------|--------------------------------|
| أقسمتُ لا أنسى وإن طال عيشنا | صنيع لُكَيْزٍ والأحلّ بن قنصل |
| نزلنا به يوماً فسَاءَ صباحنا | فإنك عَمْرِي قد ترى أيَّ منزلٍ |

1 طرد القوم : أتاها ، وفي ل : أطرد نهياً .

2 لعمرو في ل : لنعم . السرحية : الشجرة . دومة : مكان . سامق : طويل ، وسامق في الديوان شائق .

3 نرود في ل : أروى ، وفي الديوان 123 : نزور . العقائق : جمع عقبة بمعنى السيف الشبيه بالبرق ، وفي ل :
العقائق .

4 مساعرة : جمع مسعر بمعنى موقد لنار الحرب ، وشعث : جمع أشعث بمعنى أغبر .

5 الذراريح : جمع ذرّاح كزَنار : دوية حمراء منقطة بسواد تطير ، وهي من السَّموم .

6 ل : عليها .

بَكَى إِذْ رَأَى نازِلِينَ بِيَابِهِ وَكَيْفَ بُكَاءُ ذِي الْقَلِيلِ الْمُعِيلِ¹
فَلا وَأَيْبِكَ مَا نَزَلْنَا بِحَاتِمٍ وَلَا عَامِرٍ وَلَا الرَّئِيسِ ابْنَ قَوْفَلٍ²
عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ أَبُو بَرَاءٍ مُلَاعِبُ الْأُسَيْنَةِ ، وَعَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ ، وَابْنُ قَوْفَلٍ³ مَالِكُ بْنُ ثَعْلَبَةَ
أَحَدُ بَنِي عَوْفٍ بْنِ الْخَزْرَجِ .

وَلَا بِالْشَّلِيلِ رَبٌّ مِرْوَانَ قَاعِدًا بِأَحْسَنِ عَيْشٍ وَالنُّفَاسِيِّ نَوْفَلَ
رَبِّ مِرْوَانَ : جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِي . وَنَوْفَلُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ صَخْرٍ بْنِ يَعْمَرَ
أَحَدُ بَنِي الدَّيْلِ بْنِ بَكْرٍ .

وَلَا ابْنَ وَهَيْبٍ كَاسِبِ الْحَمْدِ وَالْعُلَا
وَلَا ابْنَ حُلَيْسٍ قَاعِدًا فِي لِقَاحِهِ
وَلَا ابْنَ رِيَّاحٍ بِالزَّلَيْفَاتِ دَارُهُ
أُولَئِكَ أُعْطِيَ لِلْوَلَدِ خِلْفَةً
وَلَا ابْنَ ضُبَيْعٍ وَسَطَ آلِ الْمُخَيْلِ
وَلَا ابْنَ جُزَيٍّْ وَسَطَ آلِ الْمُغْفَلِ⁴
رِيَّاحُ بْنُ سَعْدٍ لَا رِيَّاحُ بْنُ مَعْقِلٍ
وَأُدْعَى إِلَى شَحْمِ السَّدِيدِ الْمُرْعَبِلِ⁵

[يَتَّخِذُ مِنَ الْعَسَلِ مَزْلَقًا عَلَى الْجَبَلِ فَيَنْجُو مِنْ مَوْتٍ مُحَقَّقٍ]

وَقَالَ أَيْضًا فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ : كَانَ تَابُطٌ شَرًّا يَشْتَارُ عَسَلًا فِي غَارٍ مِنْ بِلَادِ هَذِيلَ ، يَأْتِيهِ كُلَّ
عَامٍ ، وَأَنْ هَذِيلًا ذَكَرْتَهُ ، فَرَصَدُوهُ لِابْنَانِ ذَلِكَ ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ هُوَ أَصْحَابُهُ تَدَلَّى ، فَدَخَلَ الْغَارَ ،
وَقَدْ أَغَارُوا عَلَيْهِمْ فَأَنْفَرُوهُمْ ، فَسَبَقُوهُمْ وَوَقَفُوا عَلَى الْغَارِ ، فَحَرَكُوا الْحَبْلَ ، فَأُطْلِعَ تَابُطٌ شَرًّا
رَأْسَهُ ، فَقَالُوا : اصْعَدْ ، فَقَالَ : أَلَا أَرَأَيْكُمْ ، قَالُوا : بَلَى قَدْ رَأَيْنَا . فَقَالَ : فَعَلَامَ أَصْعَدَ ، أَعْلَى
الطَّلَاقَةِ أَمْ الْفِدَاءِ ؟ قَالُوا : لَا شَرَطَ لَكَ ، قَالَ : فَأَرَأَيْكُمْ قَاتِلِيَّ وَأَكْلِي جَنَائِي ، لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ، قَالَ :
وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ نَقَبَ فِي الْغَارِ نَقَبًا أَعَدَّهُ لِلْهَرَبِ ، فَجَعَلَ يُسِيلُ الْعَسَلَ مِنَ الْغَارِ وَيُهِرِّقُهُ ، ثُمَّ عَمِدَ
إِلَى الزَّقِّ فَشَدَّهُ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ لَصَقَ بِالْعَسَلِ فَلَمْ يَبْرَحْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ سَلِيمًا وَفَاتَهُمْ ، وَبَيْنَ
مَوَاضِعِهِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ وَبَيْنَ الْقَوْمِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَ ، فَقَالَ تَابُطٌ شَرًّا فِي ذَلِكَ : [مِنْ الطَّوِيلِ]
أَقُولُ لِلْحَيَانِ وَقَدْ صَفِيرَتْ لَهُمْ وَطَائِي وَيَوْمِي ضَيَّقَ الْحَجَرُ مُعَوَّرًا⁶

1 المعِيل : ذو العيال .

2 قوفل في ل : نوفل .

3 قوفل : أبو بطن من الأنصار .

4 اللقاح : النوق الحوامل .

5 السديف : لحم السنام . والمرعبل : المقطع .

6 صفرت : خلعت . والوطاب : جمع وطب ؛ وهو سقاء يتخذ من الجلد . ومعور أي بين العور . والحجر : الناحية .

1. هَمَّا خُطَّتَا إِمَّا إِسَارٌ وَمِئَةٌ وَإِمَّا دَمٌ وَالْقَتْلُ بِالْحَرِّ أَجْدَرُ¹
 2. وَأُخْرَى أَصَادِي النَّفْسِ عَنْهَا وَإِنَّهَا لَمُورِدُ حَزَمٍ إِنْ ظَفِيرَتْ وَمَصْدَرُ²
 3. فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَرَلٌ عَنِ الصِّفَا بِهِ جَوْجُوٌّ صَلْبٌ وَمَتْنٌ مُخَصَّرُ³
 4. فَخَالَطَ سَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصِّفَا بِهِ كَذْحَةُ وَالْمَوْتُ خَزِيَانُ يَنْظُرُ⁴
 5. فَأُبْتُ إِلَى فَهْمٍ وَمَا كُنْتُ آتِبًا وَكَمْ مِثْلَهَا فَارَقْتُهَا وَهِيَ تَصْفُرُ⁵
 6. إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْتَلْ وَقَدْ جَدَّ جِدَّهُ أَضَاعَ وَقَاسَى أَمْرَهُ وَهُوَ مُدِيرُ⁶
 7. وَلَكِنْ أَخُو الْحَزَمِ الَّذِي لَيْسَ نَازِلًا بِهِ الْأَمْرُ إِلَّا وَهُوَ لِلْحَزَمِ مُبْصِرُ⁷
 8. فَذَاكَ قَرِيعُ الدَّهْرِ مَا كَانَ حَوْلًا إِذَا سُدَّ مِنْهُ مَنَخَرٌ جَاشَ مَنَخَرُ⁸
 9. فَإِنَّكَ لَوْ قَايَسْتَ بِاللَّصْبِ حِيلَتِي بَلْقَمَانٍ لَمْ يُقْصِرْ بِي الدَّهْرُ مُقْصِرُ⁹

[غارة ينتصر فيها على العوص]

وقال أيضاً في حديث تَابَّطُ شَرًّا : إِنَّهُ خَرَجَ فِي عِدَّةٍ مِنْ فَهْمٍ ، فِيهِمْ عَامِرُ بْنُ الْأَخْنَسِ ، وَالشَّنْفَرَى ، وَالْمُسَيَّبُ ، وَعَمْرُو بْنُ بَرَّاقٍ ، وَمُرَّةُ بْنُ خَلِيفٍ ، حَتَّى يَبِيتُوا الْعَوْصَ وَهُمْ حَيٌّ مِنْ بَجِيلَةٍ ، فَفَقَتَلُوا مِنْهُمْ نَفَرًا ، وَأَخَذُوا لَهُمْ إِبِلًا ، فَسَاقَوْهَا حَتَّى كَانُوا مِنْ بِلَادِهِمْ عَلَى يَوْمٍ وَليْلَةٍ ، فَاعْتَرَضَتْ لَهُمْ خَتْعَمٌ وَفِيهِمْ ابْنُ حَاجِزٍ ، وَهُوَ رَئِيسُ الْقَوْمِ ، وَهُمْ يَوْمَئِذٍ نَحْوُ مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِمْ صَعَالِيكَ فَهَمُّ قَالُوا لِعَامِرِ بْنِ الْأَخْنَسِ : مَاذَا تَرَى ؟ قَالَ : لَا أَرَى لَكُمْ إِلَّا صَدَقَ الضَّرْبُ ، فَإِنْ ظَفَرْتُمْ فَذَاكَ ، وَإِنْ قُتِلْتُمْ كُنْتُمْ قَدْ أَخَذْتُمْ ثَأْرَكُمْ ، قَالَ تَابَّطُ شَرًّا : أَبَايَ أَنْتَ وَأُمِّي ، فَنَعَمْ رَئِيسُ الْقَوْمِ أَنْتَ إِذَا جَدَّ الْجَدُّ ، وَإِذَا كَانَ قَدْ أَجْمَعَ رَأْيَكُمْ عَلَى هَذَا فَإِنِّي أَرَى لَكُمْ أَنْ تَحْمِلُوا عَلَى الْقَوْمِ حَمَلَةً وَاحِدَةً فَإِنَّكُمْ قَلِيلٌ وَالْقَوْمُ كَثِيرٌ ، وَمَتَى افْتَرَقْتُمْ كَثُرَ الْقَوْمُ ، فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ فَفَقَتَلُوا مِنْهُمْ فِي حَمَلَتِهِمْ ، فَحَمَلُوا ثَانِيَةً فَانْهَزَمَتْ خَتْعَمٌ وَتَفَرَّقَتْ ، وَأَقْبَلَ ابْنُ حَاجِزٍ فَاسْتَدَّ فِي الْجَبَلِ فَأَعْجَزَ ، فَقَالَ تَابَّطُ شَرًّا فِي ذَلِكَ :

جَزَى اللَّهُ فِتْيَانًا عَلَى الْعَوْصِ أَمْطَرَتْ سَمَاوُهُمْ تَحْتَ الْعَاجَاجَةِ بِالْدَمِّ

1 في الديوان 89 : لكم خصلة إما فداء ومئة . بالحر في الديوان 89 : المرء .

2 أصادي النفس عنها : أي أحدثها بها . لمورد في ل : لفرصة . وفي الديوان 141 : لخطه حزم إن فعلت .

3 زل : انزلق . والجوجو : عظام الصدر .

4 وهي تصفر : كناية عن الندم .

5 اللصب : الشعب في الجبل . لقمان : صاحب قصة النسر المشهورة ، وفي ل وفي الديوان 88 : لحيان .

وقد لاح ضوء الفجر عرضاً كأنه
فإن شفاء الداء إدراك ذحلة¹
وضاربتهم بالسفح إذ عارضتهم²
ضرباً عدا منه ابن حاجر فارتقى³
وقال الشنفرى في ذلك :

دعيني وقولي بعد ما شئت إنني
خرجنا فلم نعهد وقلت وصاتنا
سراحين فتيان كان وجوههم⁴
نمر برهو الماء صفحاً وقد طوت⁵
ثلاثاً على الأقدام حتى سما بنا
فثاروا إلينا في السواد فهجهجوا⁶
فشن عليهم هزة السيف ثابت⁷
وظلت بفتيان معي أتقيهم⁸
وقد خر منهم راجلان وفارس⁹
يشق إليه كل ربع وقلعة¹⁰
فلما رانا قوما قيل أفلحوا

سِغْدَى بِنَعْشِي مَرَّةً فَاغَيْبُ¹
ثَمَانِيَّةٌ مَا بَعْدَهَا مُتَعَبُ²
مَصَابِيحُ أَوْ لَوْنٌ مِنَ الْمَاءِ مَذْهَبُ³
ثَمَائِلُنَا وَالزَّادُ ظَنُّ مُعَيَّبُ⁴
عَلَى الْعَوْصِ شَعْشَاعٌ مِنَ الْقَوْمِ مِخْرَبُ⁵
وَصَوْتُ فِينَا بِالصَّبَاحِ الْمُثَوَّبُ⁶
وَصَمَمَ فِيهِمْ بِالْحُسَامِ الْمُسَيَّبُ⁷
بِهِنَّ قَلِيلاً سَاعَةً ثُمَّ جَنَّبُوا⁸
كَمَيٍّ صَرَعْنَاهُ وَحَوْمٍ مَسْلَبُ⁹
ثَمَانِيَّةٌ وَالْقَوْمُ رَجُلٌ وَمِقْنَبُ¹⁰
فَقَلْنَا : اسْأَلُوا عَنْ قَائِلٍ لَا يُكَذِّبُ

- 1 أقرب المهر : دنا وفي الديوان 208 أقارب أي الخواصر . والأبلق : ما فيه بياض وسواد ، والأدهم : الأسود .
- 2 الذحلة : الثأر . الحوم : الجماعة . والعرمم : الكثير .
- 3 قسر وخنعم : قبيلتان .
- 4 الوجين : شط الوادي . المديم : المطور وفي الديوان 208 : خذر الرجل يدل : جوف الوجين .
- 5 رهوا : يسير سيراً هيناً . والثمائل : جمع ثميلة ، وهي الحب أو السوق أو التمر .
- 6 الشعشاع : الطويل . والمخرب : المدرب على الحرب .
- 7 الهججة : صياح الجيش عند القتال . وثوب : رجع .
- 8 جنبوا : انكشفوا .
- 9 حوم : جمع . ومسلب : عليه سلب كثير أي مدجج بالسلاح .
- 10 يشق إليه في الطرائف الأدبية وديوان الشنفرى 32 : يُشَنُّ إليه . ورجل : جمع راجل . والمقنب : الخيل يبلغ عددها أربعين .

وقال تَأَبَّطُ شَرًّا فِي ذَلِكَ : [من الوافر]

أَرَى قَدَمَيَّ وَقَعَهُمَا خَفِيفٌ كَتَحْلِيلِ الظَّلِيمِ حَدَا رِثَالَهُ¹
أَرَى بِهِمَا عَذَاباً كُلَّ يَوْمٍ بِخَنْعَمٍ أَوْ بَجِيلَةٍ أَوْ ثِمَالَهُ²

فَفَرَّقَ تَأَبَّطُ شَرًّا أَصْحَابَهُ ، وَلَمْ يَزَالُوا يَقَاتِلُونَهُمْ حَتَّى انْهَزَمَتْ خَنْعَمٌ ، وَسَاقَ تَأَبَّطُ شَرًّا وَأَصْحَابُهُ الْإِبِلَ حَتَّى قَدَمَ بِهَا عُليًّا مَكَّةَ .

[عود إلى سبب تسميته]

وقال غيره : إِنَّمَا سَمِّيَ تَأَبَّطُ شَرًّا بَيْتَ قَالَهُ ، وَهُوَ : [من الطويل]

تَأَبَّطُ شَرًّا ثُمَّ رَاحَ أَوْ اغْتَدَى يُوَأَمُّ غُنْمًا أَوْ يَشِيفُ عَلَى ذَحَلٍ

[غارته على مراد]

قال : وَخَرَجَ تَأَبَّطُ شَرًّا يَوْمًا يَرِيدُ الْغَارَةَ ، فَلَقِيَ سَرْحًا لِمَرَادٍ فَاطْرَدَهُ ، وَنَذَرَتْ بِهِ مَرَادٌ ، فَخَرَجُوا فِي طَلْبِهِ ، فَسَبَقَهُمْ إِلَى قَوْمِهِ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ : [من الوافر]

إِذَا لَاقَيْتَ يَوْمَ الصَّدَقِ فَارْبِعَ عَلَيْهِ وَلَا يَهْمُكَ يَوْمٌ سَوٌّ
عَلَى أَنِّي بِسَرْحِ بَنِي مَرَادٍ شَجَوْتُهُمْ سِياقًا أَيْ شَجَوُ
وَأَخْرَ مِثْلَهُ لَا عَيْبَ فِيهِ بَصَرْتُ بِهِ لِيَوْمٍ غَيْرِ زَوْ³
خَفَضْتُ بِسَاحَةِ تَجْرِي عَلَيْنَا أَبَارِيْقُ الْكِرَامَةِ يَوْمَ لَهْوٍ⁴

[مع غلام من خنعم]

أَغَارَ تَأَبَّطُ شَرًّا وَحْدَهُ عَلَى خَنْعَمٍ ، فَبَيْنَا هُوَ يَطُوفُ إِذْ مَرَّ بِغُلَامٍ يَتَصَيَّدُ الْأَرَانِبَ ، مَعَهُ قَوْسُهُ وَنَبْلُهُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ تَأَبَّطُ شَرًّا أَهْوَى لِأَخْذِهِ ، فَرَمَاهُ الْغُلَامُ فَأَصَابَ يَدَهُ الْيَسْرَى وَضَرَبَهُ تَأَبَّطُ شَرًّا فَقَتَلَهُ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ : [من الطويل]

وَكَادَتْ وَيْتَرِ اللَّهُ أَطْنَابُ ثَابِتٍ تَقَوَّضُ عَنْ لَيْلٍ وَتَبْكِي النَّوَائِحُ
تَمَنَّى فَنَى مَنَا يَلَاقِي وَلَمْ يَكْدِ غُلَامٌ نَمَتَهُ الْمُحْصَنَاتِ الصَّرَائِحُ⁵

1 التحليل : ضرب من المشي . والرأل : ولد النعامة . وفي البيتين في الديوان 198 رأى بدل أرى ودعا بدل حدا .

2 خنعم وبجيلة وثمانية : قبائل . وكل عام في الديوان 198 بدل كل يوم .

3 الزو : القرينان .

4 الكرامة : غطاء رأس الحب .

5 الصرائح : الخالصات النسب .

غلام نَمَى فوق الخماسي^١ قدره ودون الذي قد تَرْتَجِيهِ النَّوَاحُ^١
 فإنْ تَكُ نالته خطاطيف كَفَّه بَابِضُ قَصَالِ نَمَى وهو فَادِحُ^٢
 فقد شد في إحدى يديه كِنَانَه يُدَاوِي لها في أَسود القلب قَادِحُ^٣
 هذه الأبيات أن تكون لقوم المقتول أشبه منها بتأبط شرّاً .

[قالوا لها لا تنكحيه]

قال : وخطب تأبط شرّاً امرأة من هذيل من بني سَهْم فقال لها قاتل : لا تنكحيه فإنه
 لأوّل نصل غداً يُفقد فقال تأبط شرّاً :

وقالوا لها : لا تنكحيه فإنه لأوّل نَصُل أن يُلاقِي مَجْمَعاً
 فلم تَرَ مِنْ رَأْيٍ فِتِيلاً وحاذرت تَأَيَّمها من لابس الليلِ أَرْوَعاً^٤
 قليل غِرارِ النَّومِ أَكْبَرُ هَمِّه دُمُ الثَّأْرِ أو يلقى كَمِيّاً مُقْنَعاً^٥
 قليل ادْخَارِ الزَّادِ إِلَّا تَعَلَّه وقد نَشَرَ الشُّرُوفُ والتصق المعى^٦
 تُناضِلُه كلٌّ يشجّع نفسه وما طُبَّه في طَرْقَه أن يُشجَّعاً
 بيت بمغنى الوحش حتى أَلْفَنَه ويصبح لا يحمي لها الدهرَ مرتعا
 رأينَ فَتَى لا صَيْدُ وحش يهَمُّه فَلَوْ صافحت إنساً لصافحَنه معا
 ولكنَّ أربابَ المخاض يشقُّهم إذا افتقدوه أو رأوه مُشَيَّعاً^٧
 وإني ، ولا عِلْمُ ، لأَعْلَمُ أنِّي سألقي سِنانَ الموت يرشُقُ أضلعاً^٨
 على غِرَّةٍ أو جَهْرَةٍ من مُكائِرٍ أطالَ زِوالَ الموت حتى تَسْعَسَعاً^٩

تسعسع : فنى وذهب . يقال : قد تسعسع الشَّهْرُ ، ومنه حديثُ عُمَرُ رضي الله عنه حين
 ذكر شهر رمضان فقال : «إِنَّ هذا الشهر قد تَسْعَسَعَ» .

1 الخماسي : الغلام طوله خمسة أشبار .

2 الخطاطيف : جمع خطاف ، وهو الحديد الحجناء . والقصّال : السيف القاطع .

3 الكنانة : جعبة السهام .

4 الفتيل : الخيط في شق النواة . ولايس الليل : كثير الغارات ليلاً . وأروع : ذكي الفؤاد .

5 غرار النوم : النوم الخفيف .

6 الشرسوف : الطرف اللين من الضلع ممّا يلي البطن .

7 يشقُّهم : يؤزِّقهم .

8 يرشق أضلعاً : كناية عن الموت .

9 مكائر : كثير الغارات .

وكنْتُ أَظُنُّ الموتَ فِي الحَيِّ أَوْ أَرَى أَلَدَّ وَأَكْرَى أَوْ أَمُوتَ مُقْنَعًا¹
ولستُ أَيْتُ الدَّهْرَ إِلَّا عَلَى فِتْي أَسْلَبَهُ أَوْ أَذْعِرُ السَّرْبَ أَجْمَعَا
وَمَنْ يَضْرِبُ الْأَبْطَالَ لَا بَدَّ أَنَّهُ سَيَلْقَى بِهِمْ مِنْ مَضْرَعِ الموتِ مَضْرَعَا

[فراره بعد أن خلف صاحبيه]

قال : وخرج تَأَبَّطُ شَرًّا ومعه صاحبان له : عمرو بن كلاب أخو المسيب ، وسعد بن الأشرس وهم يريدون الغارة على بجيلة فنذروا بهم ، وهم في جبل ليس لهم طريق عليهم فأحاطوا بهم وأخذوا عليهم الطريق ، فقاتلوهم فَقُتِلَ صاحباً تَأَبَّطُ شَرًّا ونجاً ، ولم يكد حتى أتى قومه . فقالت له امرأته وهي أخت عمرو بن كلاب إحدى نساء كعب بن علي بن إبراهيم بن رياح : هَرَبْتَ عَن أَخِي وتركته وغررت ، أما والله لو كنت كريماً لما أسلمته ، فقال تَأَبَّطُ شَرًّا في ذلك :

أَلَا تِلْكَمَا عَرْسِي مَنِيعَةٌ ضُمِنَتْ مِنْ اللَّهِ خِزْيًا مُسْتَسِيرًا وعاهنا
وذكر باقي الأبيات .

وإنما دعا امرأته إلى أَنْ عَيَّرْتَهُ أَنَّهُ لَمَّا رَجَعَ بعد مقتل صاحبيه انطلق إلى امرأة كان يتحدث عندها ، وهي من بني القَيْن بن فهم ، فبات عندها ، فلَمَّا أَصْبَحَ غدا إلى امرأته وهو مُدْهَن مُتَرْجَل ، فلَمَّا رَأَتْهُ في تلك الحال علمت أين بات ، فغارت عليه فعيَّرته .

[يغير على خنعم]

وذكروا أَنَّ تَأَبَّطُ شَرًّا أَغار على خنعم ، فقال كاهن لهم : أَرُونِي أثره حتى آخذه لكم فلا يبرح حتى تأخذوه ، فكفأوا على أثره جَفَنَةً ، ثم أرسلوا إلى الكاهن فلَمَّا رَأَى أثره قال : هذا ما لا يجوز في صاحبه الْأُخَذُ ، فقال تَأَبَّطُ شَرًّا :

أَلَا أَبْلُغُ بَنِي فَهْمٍ بَنَ عمرو عَلَى طُولِ التَّنَائِي والمَقَالَةِ
مَقَالَ الكاهنِ الجَامِي لَمَّا رَأَى أَثَرِي وَقَدْ أَنهَيْتُ مَالَهُ
رَأَى قَدَمَيَّ وَقَعُهما حَيْثُ كَتَحْلِيلِ الظَّلِيمِ دَعَا رِثَالَهُ
أَرَى بِهِمَا عَذَابًا كُلَّ عامٍ لَخْتَعَمَ أَوْ بِجِيلَةٍ أَوْ ثُمَالَهُ
وَشَرُّ كَانَ صُبًّا عَلَى هذِيلِ إِذَا عُلِقَتْ حِيَالُهُمْ حِيَالَهُ
وَيَوْمُ الْأَزْدِ مِنْهُمْ شَرُّ يَوْمٍ إِذَا بَعُدُوا فَقَدْ صَدَّقْتُ قَالَهُ

1 أكرى : أزيد . المقنع : مَنْ يلبس البيضة على رأسه .

فزعموا أنّ ناساً من الأزديّين لتأبط شرّاً ربيعة¹ وقالوا : هذا مضيق ليس له سبيل إليكم من غيره ، فأقيموا فيه حتى يأتيكم ، فلما دنا من القوم توجّس ، ثم انصرف ، ثم عاد فنهضوا في أثره حين رآوه لا يجوز ، ومرّ قريباً فطمعوا فيه ، وفيهم رجل يقال له حاجز ؛ ليث من ليوثهم سريع ، فأغروه به فلم يلحقه ، فقال : تأبط شرّاً في ذلك : [من الطويل]

تَتَعَتَّ حِضْنِي حَاجِزٌ وَصَحَابِي وَقَدْ نَبَذُوا خُلُقَانَهُمْ وَتَشَنَّعُوا²
أُظُنُّ وَإِنْ صَادَفْتُ وَعَثًّا وَأَنْ جَرَى بِي السَّهْلُ أَوْ مَتْنٌ مِنَ الْأَرْضِ مَهْبِيعُ
أُجَارِي ظِلَالَ الطَّيْرِ لَوْ فَاتَ وَاحِدٌ وَلَوْ صَدَقُوا قَالُوا لَهُ هُوَ أَسْرَعُ
فَلَوْ كَانَ مِنْ فَيَّانٍ قَيْسٍ وَخِنْدِفٍ أَطَافَ بِهِ الْقَنَاصُ مِنْ حَيْثُ أَفْرَعُوا
وَجَابَ بِلَاداً نِصْفَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَأَبَّ إِلَيْهِمْ وَهُوَ أَشْوَسُ³ أَرْوَعُ³
فَلَوْ كَانَ مِنْكُمْ وَاحِدٌ لَكُفَيْتُهُ وَمَا ارْتَجَعُوا لَوْ كَانَ فِي الْقَوْمِ مَطْمَعُ
فَأَجَابَهُ حَاجِزٌ :

فَإِنْ تَكُ جَارَيْتَ الظَّلَالَ فَرَبَّمَا سُبِقْتَ وَيَوْمُ الْقِرْنِ عُريَانُ⁴ أَسْنَعُ⁴
وَحَلَيْتَ إِخْوَانَ الصَّفَاءِ كَأَنَّهُمْ ذَبَائِحُ عَنَزٍ أَوْ فَحِيلُ مُصْرَعُ⁵
تَبَكَّيْهُمْ شَجْوُ الْحَمَامَةِ بَعْدَمَا أَرَحْتَ وَلَمْ تُرْفَعْ لَهُمْ مِنْكَ إِصْبَعُ
فَهَـذِي ثَلَاثٌ قَدْ حَوَيْتَ نَجَاتَهَا وَإِنْ تَسْجُ أُخْرَى فَهِيَ عِنْدَكَ أَرْبَعُ

[خير أيامه]

أخبرني عمي قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيُّ ، عَنْ ابْنِ دُأْبٍ قَالَ : سئل تأبط شرّاً : أيّ يوم مرّ بك خير ؟ قال : خرجت حتى كنت في بلاد بَجِيلَةَ ، أَضَاءَتْ لِي النَّارُ رَجُلًا جَالِسًا إِلَى امْرَأَةٍ . فَعَمَدْتُ إِلَى سَيْفِي فَذَفَنْتُهُ قَرِيبًا ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ حَتَّى اسْتَأْنَسْتُ ، فَنَبَحَنِي الْكَلْبُ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقُلْتُ : بَائِسٌ . فَقَالَ : ادْنُ ، فَدَنَوْتُ ، فَإِذَا رَجُلٌ جُلْحَابِ آدَمَ⁶ ، وَإِذَا أَضْوَى⁷ النَّاسَ إِلَى جَانِبِهِ ، فَشَكُوتُ إِلَيْهِ الْجَوْعَ وَالْحَاجَةَ ، فَقَالَ :

1 ربوا ربيعة : أقاموا عليه جاسوساً .

2 شَنَعَ الخرقه : شعنها .

3 أشوس هنا أي ينظر بمؤخر عينه غيظاً .

4 القرن : القرنين المنافس . عريان : صحو لا غيم فيه . أسنع : أفضل .

5 الفحل : فحل الإبل إذا كان كريماً .

6 جلحاب : ضخم ، آدم : أستر .

7 أضوى : الضوى دقة العظم وقلة اللحم .

اَكْشِفْ تِلْكَ الْقَصْعَةَ ، فَأَتَيْتُ قَصْعَةَ إِلَى جَنْبِ إِبِلِهِ ، فَإِذَا فِيهَا تَمْرٌ وَلَبَنٌ ، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى شَبِعْتُ ، ثُمَّ خَرَرْتُ مُتَنَاوِمًا ، فَوَاللَّهِ مَا شِئْتُ أَنْ أَضْطَجَعَ حَتَّى اضْطَجَعَ هُوَ وَرَفَعَ رِجْلَهُ عَلَى رِجْلِهِ ثُمَّ انْدَفَعَ يُغْنِي وَهُوَ يَقُولُ :

خَيْرُ اللَّيَالِي إِنْ سَأَلْتُ بَلِيلَةَ لَيْلُ بِخَيْمَةٍ بَيْنَ بَيْشَ وَعَثْرٍ¹
لِضْجِيعِ آنَسَةٍ كَأَنَّ حَدِيثَهَا شَهِدْتُ يُشَابُ بِمَزْجَةٍ مِنْ عَثَرٍ
وَضْجِيعِ لَاهِيَةِ الْأَعْبِ مِثْلَهَا بِيضَاءَ وَاضِحَةٍ كَطَلِيزِ الْمُنْزَرِ
وَلَأَنْتَ مِثْلُهُمَا وَخَيْرٌ مِنْهُمَا بَعْدَ الرُّقَادِ وَقَبْلَ أَنْ لَمْ تُسْجِرِي

قال : ثم انْحَرَفَ فَنَامَ ، وَمَالَتْ فَنَامَتْ : فَقُلْتُ : مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ فِي الْغُرَّةِ ، فَإِذَا عَشْرُ عَشْرَاوَاتٍ² بَيْنَ أَثَلَاتٍ فِيهَا عَبْدٌ وَاحِدٌ وَأَمَةٌ ، فَوَثِبْتُ فَانْتَضَيْتُ سَيْفِي ، وَانْتَحَيْتُ لِلْعَبْدِ فَقَتَلْتُهُ وَهُوَ نَائِمٌ ، ثُمَّ انْحَرَفْتُ إِلَى الرَّجُلِ فَوَضَعْتُ سَيْفِي عَلَى كَبِدِهِ حَتَّى أَخْرَجْتُهُ مِنْ صُلْبِهِ ، ثُمَّ ضَرَبْتُ فَخِذَ الْمَرْأَةِ فَجَلَسَتْ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ مَقْتُولًا جَرَعَتْ ، فَقُلْتُ : لَا تَخَافِي ، أَنَا خَيْرُ لَكَ مِنْهُ . قَالَ : وَقُمْتُ إِلَى جُلٍّ مَتَاعِهَا فَرَحَلْتُهُ عَلَى بَعْضِ الْإِبِلِ أَنَا وَالْأَمَةُ فَمَا حَلَلْتُ عَقْدَهُ حَتَّى نَزَلْتُ بِصَعْدَةِ بَنِي عَوْفٍ بْنِ فِهْرٍ ، وَأَعْرَسْتُ بِالْمَرْأَةِ هُنَاكَ وَحِينَ اضْطَجَعْتُ فَتَحَتُ عَقِيرَتِي وَغَنَيْتُ :

بَحْلِيلَةَ الْبَحْلِيِّ بَسْتُ مِنْ لَيْلِهَا بَيْنَ الْإِزَارِ وَكَشْحِهَا ثُمَّ الصَّقِ
بِأَنْيسَةٍ طُوِيَتْ عَلَى مَطْوِيَّهَا طَيِّ الْحِمَالَةِ أَوْ كَطِيِّ الْمِنْطَقِ³
فَإِذَا تَقُومُ فَصَعْدَةً فِي رَمَلَةٍ لَبَدْتُ بِرَيْقٍ دِيمَةٍ لَمْ تُغْدِقِ⁴
وَإِذَا تَجِيءُ تَجِيءُ شَحْبٌ خَلْفَهَا كَالْأَيْمِ أَصْعَدَ فِي كَيْبٍ يَرْتَقِي⁵
كَذَبَ الْكُؤَاهِنُ وَالسَّوَاخِرُ وَهَنَا أَنْ لَا وَفَاءَ لِعَاجِزٍ لَا يَتَّقِي
قال : فَهَذَا خَيْرٌ يَوْمَ لَقَيْتُهُ .

[شُرَائِمُهُ]

وَشَرُّ يَوْمٍ لَقَيْتُ أَنْتِي خَرَجْتُ ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي بِلَادِ ثُمَالَةَ أَطُوفُ ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ

1 خيمة وبيش وعثر : أماكن .

2 عشراوات : جمع عشراء .

3 الحمالة : حمالة السيف ، والمنطق : ما يتمنطق به .

4 الصَّعْدَةُ : القناة المستوية . لبدت : تلبدت .

5 الشحب : العمود .

من الفقير¹ عشيًّا إذا أنا بسبع خِلَفَات² فيهن عُبْد ، فَأَقْبَلْتُ نَحْوَهُ وَكَأَنِّي لَا أُرِيدُهُ وَحَذَرُنِي فَجَعَلَ يَلُودُ بِنَاقَةٍ فِيهَا حَمْرَاء ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَثِقُ بِهَا . فَأَفُوقُ لَهُ ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي أَرْجُلِهَا وَجَعَلَ يَدُورُ مَعَهَا ، فَإِذَا هُوَ عَلَى عَجْرُهَا . وَأَرَمِيهِ حِينَ أَشْرَفَ فَوَضَعْتُ سَهْمِي فِي قَلْبِهِ فَخَرَّ ، وَنَدَّتِ النَّاقَةُ شَيْئًا وَاتَّبَعْتُهَا فَرَجَعَتْ فَسَقَتْنَهُنَّ شَيْئًا ثُمَّ قُلْتُ : وَاللَّهِ لَوْ رَكِبْتُ النَّاقَةَ وَطَرَدْتَهُنَّ ، وَأَخَذْتُ بُعْثُونَ³ الْحَمْرَاءَ فَوَثِيتُ ، فَسَاعَةَ اسْتَوَيْتُ عَلَيْهَا كَرَرْتُ نَحْوَ الْحَيِّ تَرِيحَ وَتَبِعْتُهَا الْخِلَفَات ، وَجَعَلْتُ أُسْكِنُهَا وَذَهَبَتْ ، فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ تَطْرَحَنِي فِي أَيْدِي الْقَوْمِ رَمَيْتُ بِنَفْسِي عَنْهَا ، فَانْكَسَرَتْ رِجْلِي ، وَانْطَلَقْتُ وَالذَّودُ⁴ مَعَهَا . فَخَرَجْتُ أَعْرَجَ ، حَتَّى انْخَسَسْتُ فِي طَرَفِ كَثِيبٍ وَجَارِزِي الطَّلَبِ ، فَمَكُنْتُ مَكَانِي حَتَّى أَظْلَمْتُ ، وَشَبَّتْ لِي ثَلَاثَةُ أَنْوَارٍ فَإِذَا نَارٌ عَظِيمَةٌ ظَنَنْتُ أَنَّهَا أَهْلًا كَثِيرًا ، وَنَارٌ دُونَهَا ، وَنُورَةٌ صَغِيرَةٌ ، فَهَوَيْتُ لِلصُّغْرَى ، وَأَنَا أَجْمِرٌ⁵ ، فَلَمَّا نَبَحَنِي الْكَلْبُ نَادَى رَجُلٌ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : بَائِسٌ ، فَقَالَ : ادْنُهُ ، فَدَنَوْتُ وَجَلَسْتُ وَجَعَلَ يُسَائِلُنِي ، إِلَى أَنْ قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَجِدُ مِنْكَ رِيحَ دَمٍ . فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ ، مَا بِي دَمٌ . فَوَثَبْتُ إِلَيَّ فَنَفَضَنِي ، ثُمَّ نَظَرَ فِي جَعْبَتِي فَإِذَا السَّهْمُ ، فَقُلْتُ : رَمَيْتُ الْعَشِيَّةَ أَرْنَبًا فَقَالَ كَذَبْتَ ، هَذَا رِيحُ دَمِ إِنْسَانٍ ، ثُمَّ وَثَبَ إِلَيَّ وَلَا أَدْفَعُ الشَّرَّ عَنْ نَفْسِي فَأَوْثَقَنِي كِتَافًا ، ثُمَّ عَلَّقَ جَعْبَتِي وَقَوْسِي ، وَطَرَحَنِي فِي كِسْرِ الْبَيْتِ وَنَامَ ، فَلَمَّا أَسْحَرْتُ حَرَكْتُ رِجْلِي ، فَإِذَا هِيَ صَالِحَةٌ وَانْفَتَلَ الرِّبَاطُ فَحَلَلْتُهُ ، ثُمَّ وَثَبْتُ إِلَى قَوْسِي وَجَعْبَتِي فَأَخَذْتُهُمَا ثُمَّ هَمَمْتُ بِقَتْلِهِ فَقُلْتُ : أَنَا ضَمِنُ الرَّجُلَ ، وَأَنَا أَحْشَى أَنْ أَطْلُبَ فَأَدْرَكَ وَلَمْ أَقْتُلْ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ ، فَوَلَّيْتُ وَمَضَيْتُ . فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي الصَّحْرَاءِ أَحَدْتُ نَفْسِي إِذَا أَنَا بِهِ عَلَى نَاقَةٍ يَتْبَعُنِي ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ قَدْ دَنَا مِنِّي جَلَسْتُ عَلَى قَوْسِي وَجَعْبَتِي وَأَمْنَتُهُ ، وَأَقْبَلَ فَأَنَاخَ رَاحِلَتَهُ ثُمَّ عَقَلَهَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيَّ ، وَعَهْدُهُ بِي عَهْدُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : وَيْلَكَ ، مَا تُرِيدُ مِنِّي ؟ فَأَقْبَلَ يَشْتُمُنِي ، حَتَّى إِذَا أَمَكَّنَنِي ، وَثَبْتُ عَلَيْهِ فَمَا أَلْبَثْتُهُ أَنْ ضَرَبْتُ بِهِ الْأَرْضَ ، وَبَرَكَتْ عَلَيْهِ أَرْبَطُهُ ، فَجَعَلَ يَصِيحُ : يَا لثَمَالَةٍ ، لَمْ أَرْ كَالْيَوْمِ . فَجَبَنْتُهُ إِلَى نَاقَتِهِ وَرَكِبْتُهَا ، فَمَا نَزَعْتُ حَتَّى أَحَلَلْتُهُ فِي الْحَيِّ ، وَقُلْتُ : [من الطويل]

1 الفقير : علم على الماء .

2 الخلفات : جمع خلفاء ، وهي الناقة الحامل .

3 البعثون : شعيرات طوال تحت حنك الناقة أو البعير .

4 الذود : جماعة الإبل .

5 يجمر : يشب كالجواد في القيد .

6 يقال جواد ضمن : أي متلكيء لا يسير إلا بالضرب .

أَغْرَكَ مَنِّي يَا ابْنَ فَعْلَةٍ عَلَّتِي عَشِيَّةً أَنْ رَابَتْ عَلَيَّ رَوَائِي¹
 وَمَوْقَدَ نِيرَانِ ثَلَاثٍ فَشَرُّهَا وَالْأُمُّهَا إِذْ قُدْتُهَا غَيْرَ عَازِبِ²
 سَلَبْتَ سِلَاحِي بِإِسَاءٍ وَشَتَمْتَنِي فَيَا خَيْرَ مَسْلُوبٍ وَيَا شَرَّ سَالِبِ
 فَإِنَّ أَكْ لَمْ أَخْضِيكَ فِيهَا فَإِنَّهَا نُيُوبُ أَسَاوِيدَ وَشَوْلُ عَقَارِبِ³
 وَيَا رَكْبَةَ الْحَمَرَاءِ شَرَّةَ رَكْبَةٍ وَكَادَتْ تَكُونُ شَرَّ رَكْبَةٍ رَاكِبِ⁴

قال : وخرج تَأَبَّطُ غَازِيَا يُرِيدُ الْغَارَةَ عَلَى الْأَزْدِ فِي بَعْضِ مَا كَانَ يُغَيِّرُ عَلَيْهِمْ وَحْدَهُ ، فَنَذَرْتُ بِهِ الْأَزْدَ ، فَاهْمَلُوا لَهُ إِبْلًا ، وَأَمَرُوا ثَلَاثَةً مِنْ ذَوِي بَأْسِهِمْ : حَاجِزَ بْنَ أَبِي ، وَسَوَادَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ مَالِكٍ ، وَعَوْفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنْ يَتَبَعُوهُ حَتَّى يَنَامَ فَيَأْخُذُوهُ أَخْذًا ، فَكَمَنُوا لَهُ مَكَمَّنًا ، وَأَقْبَلَ تَأَبَّطُ شَرًّا فَبَصُرَ بِالْإِبْلِ ، فَطَرَدَهَا بَعْضَ يَوْمِهِ . ثُمَّ تَرَكَهَا وَنَهَضَ فِي شَيْعٍ لِيَنْظُرَ : هَلْ يَطْلُبُهُ أَحَدٌ ؟ فَكَمَنَ الْقَوْمُ حِينَ رَأَوْهُ وَلَمْ يَرَهُمْ ، فَلَمَّا لَمْ يَرَ أَحَدًا فِي أَثَرِهِ عَاوَدَ الْإِبْلَ فَشَلَّهَا⁵ يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ وَالْغَدَ حَتَّى أَمْسَى ، ثُمَّ عَقَلَهَا ، وَصَنَعَ طَعَامًا فَأَكَلَهُ ، وَالْقَوْمُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فِي ظِلِّهِ ، ثُمَّ هَيَّأَ مُضْطَجِعًا عَلَى النَّارِ ، ثُمَّ أَحْمَدَهَا وَزَحَفَ عَلَى بَطْنِهِ وَمَعَهُ قَوْسُهُ ، حَتَّى دَخَلَ بَيْنَ الْإِبْلِ ، وَخَشِيَ أَنْ يَكُونَ رَأَاهُ أَحَدٌ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، وَيَأْبَى إِلَّا الْحَذَرَ وَالْأَخْذَ بِالْحَرَمِ ، فَمَكَثَ سَاعَةً وَقَدْ هَيَّأَ سَهْمًا عَلَى كَبَدِ قَوْسِهِ ، فَلَمَّا أَحَسُّوا نَوْمَهُ أَقْبَفُوا ثَلَاثَتَهُمْ يَوْمُونَ الْمِهَادَ الَّذِي رَأَوَاهُ هَيَّأَهُ ، فَإِذَا هُوَ يَرْمِي أَحَدَهُمْ فَيَقْتُلُهُ ، وَجَالَ الْآخِرَانِ ، وَرَمَى آخَرَ فَقَتَلَهُ ، وَأَفْلَتَ حَاجِزٌ هَارِبًا ، وَأَخَذَ سَلْبَ الرَّجُلَيْنِ ، وَأَطْلَقَ عَقْلَ الْإِبْلِ وَشَلَّهَا حَتَّى جَاءَ بِهَا قَوْمُهُ ، وَقَالَ تَأَبَّطُ فِي ذَلِكَ :

تُرَجِّسِي نِسَاءَ الْأَزْدِ طُلْعَةَ ثَابِتٍ أَسِيرًا وَلَمْ يَذْرِينَ كَيْفَ حَوِيلِي⁶
 فَإِنَّ الْأُلَى أَوْصَيْتُمُ بَيْنَ هَارِبٍ طَرِيدٍ وَمَسْفُوحِ الدِّمَاءِ قَتِيلِ
 وَخَدْتُ بِهِمْ حَتَّى إِذَا طَالَ وَخْدُهُمْ وَرَابَ عَلَيْهِمْ مَضْجَعِي وَمَقِيلِي⁷

1 الروائب : جمع رائبة أي الحادثة المؤذية .

2 غير عازب : غير منصرف عنها .

3 الأساويد : الحيات . وشول العقارب : العقارب التي ترفع أذنابها .

4 الحمراء : يشير إلى ناقة . شرة في الديوان 63 : يا شر .

5 شلَّ الإبل : طردها .

6 الحويل : الاحتيال والمهارة .

7 الوخذ : ضرب من السير ، وراب عليهم : التبس عليهم .

مَهَّدْتُ لَهُمْ حَتَّى إِذَا طَابَ رَوْعُهُمْ
فَلَمَّا أَحْسَسُوا النَّوْمَ جَاءُوا كَأَنَّهُمْ
فَقَلَّدْتُ سَوَّارَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَالِكٍ
فَخَرَّ كَانَ الْفِيلَ أَلْقَى جِرَانَهُ
وَوَضَعَ رِجْلَهُ مِنَ الْمَتْنِ مِنْ وَقَعِ حَاجِزٍ
لَأُبَيَّ كَمَا آبَا وَلَوْ كُنْتُ قَارِنًا
فَسَرَّكَ نَذْمَانَاكَ لَمَّا تَتَابَعَا
سَتَأْتِي إِلَى فَهْمٍ غَنِيمَةً خُلْسَةً
فَقَالَ حَاجِزُ بْنُ أَبِي الْأَزْدِيِّ يُعْجِبُهُ :

سَأَلْتُ فَلَمْ تُكَلِّمْنِي الرُّسُومَ

وَهِيَ فِي أَشْعَارِ الْأَزْدِ .

فَأَجَابَهُ تَأْبَطُ شَرًّا :

[من الوافر]

لَقَدْ قَالَ الْخَلِيُّ وَقَالَ خَلْسًا
لِطَيْفٍ مِنْ سُعَادَةِ عَنَّاكَ مِنْهَا
وَتِلْكَ لَكِنْ غُيِبَتْ بِهَا رَدَاخٌ
نِيَاقُ الْقُرْطِ غَرَاءُ الثَّنَايَا
وَلَكِنْ فَاتَ صَاحِبُ بَطْنِ رَهْوٍ
بِظَهْرِ اللَّيْلِ شَدَّ بِهِ الْعُكُومَ⁸
مُرَاعَاةَ النُّجُومِ وَمَنْ يَهِيْمُ
مِنْ النِّسْوَانِ مَنْطِقُهَا رَحِيمُ⁹
وَرِيْدَاءُ الشَّبَابِ وَنَعْمَ خِيَمُ¹⁰
وَصَاحِبُهُ فَأَنْتَ بِهِ زَعِيْمُ

1 السِّلِيل : وسط الوادي .

2 الأَسْمَر : يريد السهم . والجسر : الضخم . والقذة : ريش السهم . والطميل : العريض النصل .

3 الجران : المقدم العتق . وفي الديوان 189 : فتى شهم الفؤاد . والقواء : الأرض القفر . والأسيل : المستوي الأملس .

4 الرعاع : مَنْ لَا فؤاد له . حاجز : اسم رجل . غير في الديوان 189 سوق .

5 المقارن : حامل النبل أو السيف . والذميل : نوع من السير .

6 العوص : الشدة أو الداهية .

7 ويلة في الديوان 190 : خلة .

8 الشطر الأول في الديوان 201 : يقول لي الخلي وباتَ جَلَسًا . العكوم : ما تشدَّ به الرحال .

9 الرداح : الممتلئة الجسم .

10 نياق في الديوان 202 : نياق . وخيم : الصفات .

أَوْ أَخِذْ خُطَّةً فِيهَا سِوَاءُ أَيْتُ وَلَيْلُ وَاتْرَهَا نَوُومُ
ثَارَتْ بِهِ وَمَا اقْتَرَفَتْ يَدَاهُ فَظَلَّ لَهَا بِنَا يَوْمَ عَشُومُ¹
نَجِزُ رِقَابَهُمْ حَتَّى نَزْعَنَا وَأَنْفُ الْمَوْتِ مَنْخِرُهُ رَمِيمُ
وَأِنْ تَقَعِ النَّسُورُ عَلَيَّ يَوْمًا فَلَحْمُ الْمُعْتَفِي لَحْمُ كَرِيمُ²
وَذِي رَحِمٍ أَحَالَ الدَّهْرُ عَنْهُ فَلَيْسَ لَهُ لَدِي رَجِمٍ حَرِيمُ³
أَصَابَ الدَّهْرُ آمَنَ مَرْوَتِيهِ فَالْقَاهُ الْمَصَاحِبَ وَالْحَمِيمُ⁴
مَدَدْتُ لَهُ يَمِينًا مِنْ جَنَاحِي لَهَا وَفَرٌّ وَكَافِيَّةٌ رَحُومُ⁵
أَوَاسِيهِ عَلَى الْإِيَّامِ إِنِّي إِذَا قَعَدْتُ بِهِ اللَّوْمَا أَلُومُ
[موت أخيه عمرو]

ذكروا أنه لما انصرف الناس عن المُسْتَعْلَى ؛ وهي سوق كانت العرب تجتمع بها ، قال عمرو بن جابر بن سفيان أخو تَابِطَ شَرًّا لَمَنْ حَضَرَ مِنْ قَوْمِهِ : لا واللات والعزى لا أرجع حتى أغير على بني عُتَيْرٍ من هذيل ، ومعه رجلان من قومه هو ثالثهما ، فأطردوا إبلاً لبني عُتَيْرٍ فأتبعهم أرباب الإبل ، فقال عمرو : أنا كَارٌّ عَلَى الْقَوْمِ وَمُنْهَنِهِمْ عَنْكُمْ ، فَاْمُضِيَا بِالْإِبِلِ . فَكَّرَ عَلَيْهِمْ فَهَنَهُمْ طَوِيلًا ، فَجَرَحَ فِي الْقَوْمِ رَئِيسًا ، ورماه رجل من بني عُتَيْرٍ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ ، فقالت بنو عُتَيْرٍ : هذا عمرو بن جابر ، مَا تَصْنَعُونَ أَنْ تَلْحَقُوا بِأَصْحَابِهِ ؟ أَبْعَدَهَا اللَّهُ مِنْ إِبِلٍ ، فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ نَلْحَقَهُمْ فَيَقْتُلَ الْقَوْمُ مِنَّا ، فَيَكُونُوا قَدْ أَخَذُوا الثَّأْرَ ، فَرَجَعُوا وَلَمْ يُجَاوِزُوهُ . وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ مَعَهُ أَنَاسًا كَثِيرًا ، فَقَالَ تَابِطٌ لَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُ أَخِيهِ :

وَحَرَمْتُ النِّسَاءَ وَإِنْ أَحَلَّتْ بِشُورٍ أَوْ بِمَرْجٍ أَوْ لِصَابِ⁶
حَيَاتِي أَوْ أَزُورُ بَنِي عُتَيْرٍ وَكَاهَلَهَا بِجَمْعٍ ذِي ضَبَابٍ
إِذَا وَقَعْتَ لِكَعْبٍ أَوْ خَثِيمٍ وَسِيَارٍ يَسُوغُ لَهَا شَرَابِي⁷

1 اليوم الغشوم : الظلوم لكثرة من مات فيه .

2 المعتفي : الرائد ، أو طالب الفضل .

3 أحاله الدهر عنه : تحول عنه .

4 آمن مروتيه : يعني آمن حصنيه .

5 وكافية رحوم في الديوان 204 : وخافية رحوم .

6 وَحَرَمْتُ النِّسَاءَ فِي الدِّيَوَانِ 68 : وَحَرَمْتُ السِّبَاءِ . الشُّور : العسل . والمزج : نوع منه أيضاً . واللصاب : شجر مرّ .

7 خثيم في الديوان 70 : قُرَيْم . فِي الدِّيَوَانِ : وَسِيَارٌ فَقَدْ سَاغَ الشَّرَابُ .

أُظُنِّي مَيِّتاً كَمَدّاً وَلَمَّا أُطَالِغْ طُلْعَةً أَهْلَ الْكَرَابِ¹
 وَدُمْتُ مُسَيِّراً أَهْدِي رَعِيلاً أَوْمُ سَوَادَ طَوْدٍ ذِي نِقَابِ²
 فَاجَابَهُ أَنَسُ بْنُ حَذِيفَةَ الْهُذَلِيِّ :
 [من الوافر]

لَعَلَّكَ أَنْ تَجِيءَ بِكَ الْمَنَايَا تُسَاقُ لِغَفِيَةٍ مِّنَّا غَضَابِ
 فَتَنْزَلَ فِي مَكْرَهُمْ صَرِيحاً وَتَنْزَلُ طُرُقَةَ الضَّبْعِ السَّغَابِ³
 تَأْبِطُ سَوَاءً وَحَمَلَتْ شَرّاً لَعَلَّكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصَابِ⁴

[أخوه السمع يثأر لأخيه عمرو]

ثم أَنَّ السَّمْعَ بْنَ جَابِرٍ أَخَا تَأْبِطَ شَرّاً خَرَجَ فِي صَعَالِيكَ مِنْ قَوْمِهِ يَرِيدُ الْغَارَةَ عَلَى بَنِي عُتَيْرٍ لِيُثَارَ بِأَخِيهِ عَمْرُو بْنُ جَابِرٍ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِبِلَادِ هَذِيلَ لَقِيَ رَاعِياً لَهُمْ ، فَسَأَلَهُ عَنْهُمْ ، فَأَخْبَرَهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ مِنْ عُتَيْرٍ كَثِيرٍ مَالُهُمْ ، فَبَيَّتَهُمْ ، فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ مُخْبِرٌ ، وَاسْتَأْقُوا أَمْوَالَهُمْ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ السَّمْعُ بْنُ جَابِرٍ :

بِأَعْلَى ذِي جَمَاجِمٍ أَهْلُ دَارٍ إِذَا طَعَنْتَ عَشِيرَتَهُمْ أَقَامُوا⁵
 طَرَقَتُهُمْ بِفَتْيَانٍ كِرَامٍ مَسَاعِيرٍ إِذَا حَمِيَ الْمَقَامُ
 مَتَى مَا أَدْعُ مِنْ فَهْمٍ تُجِنِّي وَعَدَوَانِ الْحِمَاةِ لَهُمْ نِظَامُ
 [إصابته في غارة على الأزد]

ذَكَرُوا أَنَّ تَأْبِطَ شَرّاً خَرَجَ وَمَعَهُ مَرَّةٌ بَنُ خُلَيْفٍ يَرِيدَانِ الْغَارَةَ عَلَى الْأَزْدِ ، وَقَدْ جَعَلَا الْهِدَايَةَ بَيْنَهُمَا ، فَلَمَّا كَانَتْ هِدَايَةُ مَرَّةٍ نَعْسٍ ، فَجَارَ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَمَضِيَا حَتَّى وَقَعَا بَيْنَ جِبَالٍ لَيْسَ فِيهَا جَبَلٌ مُتَقَارِبٌ ، وَإِذَا فِيهَا مِيَاهٌ يَصْبِحُ الطَّيْرُ عَلَيْهَا ؛ وَإِذَا الْبَيْضُ وَالْفَرَاخُ بظُهُورِ الْأَكَمِ ، فَقَالَ تَأْبِطُ شَرّاً : هَلَكْنَا وَاللَّاتِ يَا مَرَّةُ ، مَا وَطِئَ هَذَا الْمَكَانَ إِنْسٌ قَبْلَنَا ، وَلَوْ وَطِئْتَهُ إِنْسٌ مَا بَاضَتْ الطَّيْرُ بِالْأَرْضِ ، فَاخْتَرَايَةَ هَاتَيْنِ الْفُنْتَيْنِ شَبَعَتْ ، وَهَمَا أَطُولُ شَيْءَ يُرِيَانِ مِنَ الْجِبَالِ ، فَأَصْعَدُ إِحْدَاهُمَا وَتَصْعَدُ أَنْتِ الْآخَرَى ، فَإِنْ رَأَيْتِ الْحَيَاةَ فَالْحِجْ بِالثُّوبِ وَإِنْ رَأَيْتِ الْمَوْتَ فَالْحِجْ بِالسَّيْفِ ، فَإِنِّي فَاعِلٌ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَأَقَامَا يَوْمَيْنِ . ثُمَّ إِنَّ تَأْبِطَ شَرّاً أَلَا حَ بِالْثُّوبِ ، وَانْغَدِرَا حَتَّى التَّقِيَا فِي سَفْحِ الْجَبَلِ ، فَقَالَ مَرَّةٌ : مَا رَأَيْتِ يَا ثَابِتُ ؟ قَالَ : دَخَانًا أَوْ جَرَادًا . قَالَ مَرَّةٌ : إِنَّكَ إِنْ جَزَعْتَ

1 الكراب : مجاري الماء في الوادي .

2 رعيلاً : أي جماعة من الفرسان .

3 المكر : موضع الكر ، أي الميدان .

4 السوأة : العورة .

5 أعلى ذي جماجم : الجبل الذي ينزلون به .

منه هلكنا ، فقال تَأَبَّطَ شَرًّا : أما أنا فَإِنِّي سَأُخْرِمُ بك من حيث تَهْتَدِي الرِّيح ، فمكثا بذلك يومين وليلتين ، ثم تَبِعَا الصَّوْت ، فقال تَأَبَّطَ شَرًّا : النَّعْمُ وَالنَّاسُ . أما والله لئن عُرِفْنَا لَنُقْتَلَ ، ولئن أَعْرَضْنَا لَنُدْرَكَنَّ ، فَأَتِ الْحَيَّ من طرف وأنا من الآخر ، ثم كُنْ ضَيْفًا ثَلَاثًا ، فإن لم يرجع إليك قلبك فلا رَجْع ، ثم أَعْرِ على ما قَبْلَكَ إِذَا تَدَلَّتْ الشمس فكانت قدرَ قامة ، وموعِدُكَ الطريق . ففعلوا ، حتى إِذَا كان اليوم الثالث أَعَارَ كُلَّ واحدٍ منهما على ما يليه ، فاستاقا النعم والغنم ، وطردا يوماً و ليلة طرداً عَنيفاً حتى أَمْسِيَا الليلة الثانية دخلاً شِعْباً ، فَنَحَرَا قُلُوصاً ، فبينا هما يَشْوِيَان إِذْ سَمِعَا حَسّاً على بابِ الشَّعْب ، فقال تَأَبَّطُ : الطَّلَبُ يَا مُرَّة ، إن ثبت فلم يدخل فهم مُجِيزُونَ ، وإن دخل فهو الطلب ، فلم يلبث أن سَمِعَ الْحِسَّ يدخل ، فقال مُرَّة : هلكنا ، ووضع تَأَبَّطُ شَرًّا يده على عضد مُرَّة ، فإذا هي تُرْعَد ، فقال : ما أُرْعِدْتُ عضدك إِلَّا من قَبْلِ أَمَلِكِ الْوَابِشَةِ من هذيل ، خذ بظهري ، فإن نجوتُ نجوت ، وإن قُتِلْتُ وقُتِيتُ . فلَمَّا دنا القوم أخذ مُرَّةٌ بظهر تَأَبَّطُ ، وحمل تَأَبَّطُ فقتل رجلاً ، ورموه بسهم فأعلقوه فيه ؛ وأفلتا جميعاً بأنفسهما ، فلَمَّا أَمِنَا وكان من آخر الليل ، قال مُرَّة : ما رأيت كاليوم غنيمة أُخِذَتْ على حين أشرفنا على أهلنا ، وعضَّ مُرَّةٌ عضده ، وكان الْحَيَّ الَّذِينَ أَعَارُوا عَلَيْهِمْ بجيلة ، وأنى تَأَبَّطُ امرأته ، فلَمَّا رأت جراحته وَلَوَتْ ، فقال تَأَبَّطُ في ذلك : [من الطويل]

وبالشَّعْب إِذْ سَدَّتْ بِجِيلَةٍ فَجَّهُ
وَمِنْ خَلْفِهِ هَضْبٌ صَغَارٌ وَجَامِلٌ¹
شَدَّدْتُ لِنَفْسِ الْمَرْءِ مُرَّةً حَزَمَهُ
وَقَدِ نُصِيتُ دُونَ النَّجَاءِ الْحَبَائِلُ
وَقُلْتُ لَهُ : كُنْ خَلْفَ ظَهْرِي فَإِنِّي
سَأُفْدِيكَ وَانْظُرْ بَعْدُ مَا أَنْتَ فَاعِلُ
فَعَاذَ بِحَدِّ السَّيْفِ صَاحِبُ أَمْرِهِمْ
وَأَخْطَأْتُهُمْ قَتْلِي وَرَفَعْتُ صَاحِبِي
وَأَخْطَأْتُ غَنَمَ الْحَيِّ مُرَّةً بَعْدَمَا
يَعُضُّ عَلَى أَطْرَافِهِ كَيْفَ زَوْلُهُ
فَقُلْتُ لَهُ : هَذَا بِتِلْكَ وَقَدْ يَرَى
تُوَلُّوْا سَعْدِي أَنْ أَتَيْتُ مُجْرَحاً
وَكَايْنُ أَتَاهَا هَارِباً قَبْلَ هَذِهِ
وَمِنْ غَنَمٍ فَأَيِّنْ مِنْكَ الْوَلَاوِلُ²
وَقَدْ مَنَّتْ عَلَيَّ الْمَقَاتِلُ³

1 هضب في الديوان 157 : صعب . الجامل : الجمال .

2 الزول : بمعنى الذهاب . والملا : السير الشديد .

3 منت علي المقاتل : أخطأني المقاتل .

[يثبت مع نلّة من أصحابه]

فلما انقضت الأشهر الحرم خرج تأبط والمسيب بن كلاب في ستة نفر يريدون الغارة على بجيلّة ، والأخذ بثأر صاحبيتهم عمرو بن كلاب وسعد بن الأشرس . فخرج تأبط والمسيب بن كلاب وعامر بن الأخنس وعمرو بن براق ومرة بن خليف والشنفري بن مالك ، والسّمع وكعب جدار ابنا جابر أخوا تأبط . فمضوا حتى أغاروا على العوص ، فقتلوا منهم ثلاثة نفر : فارسين ورجلاً ، وأطردوا لهم إبلاً ، وأخذوا منهم امرأتين ، فمضوا بما غنموا ، حتى إذا كانوا على يوم وليلة من قومهم عرضت لهم خثعم في نحو من أربعين رجلاً ، فيهم أبي بن جابر الخثعمي ، وهو رئيس القوم ، فقال تأبط : يا قوم ، لا تسلّموا لهم ما في أيديكم حتى تلبوا عُذراً ، وقال عامر بن الأخنس : عليكم بصدق الضراب وقد أدرككم بثأركم ، وقال المسيب : اصدّقوا القوم الحملة ، وإياكم والفشل ، وقال عمرو بن براق : ابدّلوا مهجكم ساعة ، فإن النصر عند الصبر . وقال الشنفري : [من الرجز]

نحن الصّعاليك الحماة البزل¹ إذا لقينا لا نرى نُهَلّ²

وقال مرة بن خليف : [من الرجز]

يا ثابت الخير ويا ابن الأخنس ويا ابن براق الكريم الأشوس²
والشنفري عند حيود الأنفس أنا ابن حامي السرب في المغمس³
نحن مساعير الحروب الضروس

وقال كعب جدار أخو تأبط : [من الرجز]

يا قوم أمّا إذ لقيتم فاصبروا ولا تخيموا جزعاً فتدبروا⁴

وقال السّمع أخو تأبط : [من الرجز]

يا قوم كونوا عندها أحرارا لا تسلّموا العون ولا البكارا⁵
ولا القناعيس ولا العشارا لختعم وقد دَعَوْا غرارا⁶

1 البزل : جمع بازل ، وهو البعير طلع نابه .

2 الأشوس : من ينظر بمؤخر عينه تكبراً .

3 المغمس : الأمر الشديد البالغ الشدة .

4 خام : نكص وجبن .

5 العون : جمع عون ، وهي من البقر والخيول التي نتجت بعد بطنها البكر .

6 القناعيس من الإبل : العظيم وجمعه قناعيس . والعشار : جمع عشراء .

ساقوهم الموتَ معاً أحراراً وافتخروا الدهرَ بها افتخاراً
فلَمَّا سَمِعَ تَأَبَّطَ مَقَالَتَهُمْ قَالَ : بَابِي أَنْتُمْ وَأُمِّي ، نِعْمَ الْحِمَاةُ إِذَا جَدَّ الْجَدُّ ، أَمَا إِذَا
أَجْمَعَ رَأْيُكُمْ عَلَى قِتَالِ الْقَوْمِ فَاحْمِلُوا وَلَا تَتَفَرَّقُوا ، فَإِنَّ الْقَوْمَ أَكْثَرُ مِنْكُمْ ، فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ
فَقَتَلُوا مِنْهُمْ ، ثُمَّ كَرُّوا الثَّانِيَةَ فَقَتَلُوا ، ثُمَّ كَرُّوا الثَّالِثَةَ فَقَتَلُوا فَانْهَزَمَتْ خَنَعَمٌ وَتَفَرَّقَتْ فِي
رُؤُوسِ الْجِبَالِ ، وَمَضَى تَأَبَّطٌ وَأَصْحَابُهُ بِمَا غَنِمُوا وَأَسْلَابٌ مَن قَتَلُوا ، فَقَالَ تَأَبَّطٌ مِنْ
ذَلِكَ :

جَزَى اللَّهُ فُتَيَانًا عَلَى الْعَوْصِ أَشْرَقَتْ سِيوفُهُمْ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ بِالْدَمِّ
الْأَبْيَات . . .

وقال الشَّنْفَرَى فِي ذَلِكَ :
دَعَيْنِي وَقُولِي بَعْدَ مَا شَتَّتَ إِنِّي سَيُفْدَى بِنَفْسِي مَرَّةً فَاغْيَبُ
الْأَبْيَات . . .

وقال الشَّنْفَرَى أَيْضاً :
أَلَا هَلْ أَتَى عَنَّا سُعَادٌ وَدُونَهَا مَهَامُهُ بِيَدٍ تَعْتَلِي بِالصَّعَالِكِ
بَأَنَّا صَبَحْنَا الْقَوْمَ فِي حُرِّ دَارِهِمْ حِمَامَ الْمَنَايَا بِالسُّيُوفِ الْبَوَاتِكِ¹
قَتَلْنَا بِعَمْرٍو مِنْهُمْ خَيْرَ فَارِسٍ يَزِيدٌ وَسُعَدٌ ، وَابْنُ عَوْفٍ بِمَالِكِ
ظَلَّلْنَا نَفَرِيَّ بِالسُّيُوفِ رُؤُوسَهُمْ وَنَرَشُقُهُمْ بِالنَّبِيلِ بَيْنَ الدَّكَادِكِ²
[يَنْهَزِمُ أَمَامَ النِّسَاءِ]

قال : وَخَرَجَ تَأَبَّطٌ فِي سَرِيَّةٍ مِنْ قَوْمِهِ ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ بَرَّاقٍ ، وَمُرَّةُ بْنُ خُلَيْفٍ ،
وَالْمُسَيَّبُ بْنُ كَلَابٍ ، وَعَامِرُ بْنُ الْأَخْنَسِ ، وَهُوَ رَأْسُ الْقَوْمِ ، وَكَعْبُ حِدَارٍ ، وَرَيْشُ
كَعْبٍ ، وَالسَّمْعُ وَشَرِيْسُ بَنُو جَابِرٍ إِخْوَةُ تَأَبَّطٍ شَرًّا ، وَسُعَدٌ وَمَالِكُ ابْنِ الْأَقْرَعِ ، حَتَّى
مَرُّوا بِبَنِي نَفَاثَةَ بْنِ الدَّيْلِ وَهُمْ يَرِيدُونَ الْغَارَةَ عَلَيْهِمْ ، فَبَاتُوا فِي جَبَلٍ مُطَلٍّ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا
كَانَ فِي وَجْهِ السَّحَرِ أَخَذَ عَامِرُ بْنُ الْأَخْنَسِ قَوْسَهُ ، فَوَجَدَ وَتَرَهَا مُسْتَرْخِيَةً ، فَجَعَلَ
يُوتَرُهَا وَيَقُولُ لَهُ تَأَبَّطُ : بَعْضُ حَطِيطٍ وَتَرَكَ³ يَا عَامِرُ ، وَسَمِعَهُ شَيْخٌ مِنْ بَنِي نَفَاثَةَ ، فَقَالَ
لِبَنَاتِ لَهُ : أَنْصَتْنِ فَهَذِهِ وَاللَّهِ غَارَةُ لِبْنِي لَيْثٍ ، وَكَانَ الَّذِي بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ مُتَّفَاقًا فِي قَتْلِ

1 البواتك : القواطع .

2 الدكادك : جمع دكدك ، وهو ما غلظ من الأرض .

3 بعض حطيط وترك : خفض من صوت إيتار القوس خشية أن يسمعه .

حُمَيْصَة بن قيس أخي بلعاء ، وكانوا أصابوه خطأ ، وكانت بنو نَفَاثَة في غزوة والحيّ خلوف وليس عندهم غير أشياخ وغللمان لا طُبَاخ¹ بهم ، فقالت امرأة منهم : اجهروا الكلام ، والبسوا السلاح ، فإن لنا عِدَّةً ، فواللات ما هم إلا تَابُطَ وأصحابه . فبرزن مع نوفل وأصحابه . فلما بصر بهم قال : انصرفوا فإن القوم قد نذروا بكم ، فأبوا عليه إلا الغارة فسلَّ تَابُطَ سيفه وقال : لئن أغرتم عليهم لأتكنن على سيفي حتى أنفذه من ظهري ، فانصرفوا ولا يحسبون إلا أن النساء رجال ، حتى مروا بإبل البلعاء بن قيس بقرب المنازل فأطردوها ، فلحقهم غلام من بني جُندع بن ليث ؟ فقال : يا عامر بن الأخنس ، أتهاب نساء بني نَفَاثَة وتُغَيِّر على رجال بني لَيْث ؟ هذه والله إبل بلعاء بن قيس . فقال له عامر : أو كان رجالهم خلوفا ؟ قال : نعم ، قال : أقرىء بلعاء مني السلام ، وأخبره بردي إبله ، وأعلمه أنني قد حبست منها بكراً لأصحابي ، فإننا قد أرمنا² فقال الغلام : لئن حبست منها هلبة³ لأعلمته ، ولا أطرد منها بعيراً أبداً . فحمل عليه تَابُطَ فقتله ، ومضوا بالإبل إلى قومهم ؛ فقال في ذلك تَابُطَ :

| | |
|---|--|
| ألا عَجِبَ الْفَتِيَانُ مِنْ أُمِّ مَالِكٍ | تقول : أراك اليوم أشعثاً أغبراً ⁴ |
| تَبَوَّعاً لَأَنَارِ السَّرِيَّةِ بَعْدَمَا | رَأَيْتُكَ بَرَّاقَ الْمَفَارِقِ أُيْسَرَا ⁵ |
| فَقُلْتُ لَهَا : يَوْمَانِ يَوْمُ إِقَامَةٍ | أَهْزَ بِهِ غُصْنًا مِنَ الْبَانِ أَخْضَرَا |
| وَيَوْمٌ أَهْزَ السَّيْفَ فِي جِيدِ أَغِيدٍ | لَهُ نِسْوَةٌ لَمْ تَلَقْ مِثْلِي أَنْكَرَا |
| يُخْفَنُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَنْزِعُ نَفْسَهُ | لَقَدْ كُنْتُ أَبَاءَ الظَّالِمَةِ قَسُورَا |
| وَقَدْ صِيحَتْ فِي آثَارِ حَوْمِ كَأَنَّمَا | عَذَارَى عَقِيلٍ أَوْ بَكَارَةُ جَمِيرَا ⁶ |
| أَبْعَدَ النَّفَائِثِينَ أَمَلِ طَرَقَةٍ | وَأَسَى عَلَى شَيْءٍ إِذَا هُوَ أَدْبَرَا ⁷ |
| أُكْفِكِفُ عَنْهُمْ صُحْبَتِي وَإِخْلَامَهُمْ | مِنْ الذِّلِّ يَغْرَأُ بِالتَّلَاعَةِ أَغْفَرَا ⁸ |

1 الطباخ : الإحكام والقوة .

2 أرمي القوم : نقد زادهم .

3 الحلبة : شعرة من شعر الذئب .

4 اراك اليوم في الديوان 98 : لقد أصبحت .

5 تبوعاً لآثار السرية في الديوان 99 : قليل الإناء والحلوبة . الأيسر : اللين السهل .

6 الحوم : القطيع من الإبل .

7 أمل طريقة : اتجه إلى طريق وفي الديوان 164 : أزجر طائراً .

8 في الديوان : أنهنه رجلي عنهم . اليعر : الجددي . والتلاعة : ماء لبني كنانة . والأعفر : ما خالط بياضه حمرة .

فلر نالت الكفَّان أصحابَ نوفل بمهمةٍ من بطن ظَرْءٍ فَعَرَّعَا¹
ولما أبى الليثي إلا تهكُّماً بعرضي وكان العرضُ عِرْضِي أَوْفَرَا²
فقلت له : حقَّ الثناءِ فإنني سأذهب حتى لم أجِد متأخراً
ولما رأيتُ الجهْلَ زاد لَجاجةً يقول فلا يألوك أن تَشَوَّرَا³
دنوت له حتى كأنَّ قَميصَه تشرب من نضح الأخادِعِ عُصْفَرَا⁴
فمن مُبلِّغٍ ليثَ بنَ بكرٍ بأننا تركنا أخاهم يومَ قِرْنٍ مُعَفَّرَا⁵

قال : غزا تَابِطُ بني نفثة بن الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهم خُلوفٌ ، ليس في دارهم رَجُلٌ ، وكان الخبر قد أتى تَابِطُ ، فأشرف فوق جبل ينظر إلى الحيِّ وهم أسفلَ منه ، فرأته امرأة فطرح نفسه ، فعلمت المرأة أنه تَابِطُ ، وكانت عاقلةً ، فأمرت النساء فلبسنَ لِبْسَةَ الرجال ، ثم خرجن كأنهنَّ يَطْلُبْنَ الضَّالَّةَ ، وكان أصحابه يتفلقون ويقولون : اغزُ ، وإنما كان في سرِّية من بين السِّتَةِ إلى السبعة ، فأبى أن يدعهم ، وخرج يُريد هذيلًا ، وانصرف عن النَّفَّاثِيْنَ ، فبينما هو يتردّد في تلك الجبال إذ لقي حليفًا له من هذيل ، فقال له : العجبُ لك يا تَابِطُ ، قال : وما هو ؟ قال : إنّ رجال بني نفثة كانوا خُلوفًا فمَكَرَت بك امرأة ، وأنهم قد رجعوا .

ففي ذلك يقول :

ألا عَجِبَ الفَتَيان من أمِّ مالك تقول : لقد أصبحتُ أشعثَ أغبرا
وذكر باقي الأبيات المتقدمة .

وقال غيره : لا بل قال هذه القصيدة في عامر بن الأخنس الفهمي ، وكان من حديث عامر بن الأخنس أنه غزا في نَفَرٍ ، بضعةٍ وعشرين رجلاً ، فيهم عامرُ بن الأخنس ، وكان سيِّدًا فيهم ، وكان إذا خرج في غزو رَأْسَهُمْ ، وكان يقال له سيِّدُ الصعاليك ، فخرج بهم حتى باتوا على بني نفثة بن عدي بن الدليل مُمَسِّين ، ينتظرون أن ينام الحيُّ ، حتى إذا كان في سواد الليل مرّ بهم راعٍ من الحيِّ قد أُغْدِرَ ، فمعه غدِيرته⁶ يسوقها فَبَصَرَ بهم

1 ظرء ، وععرع : مكانان وفي الديوان 101 : ظرء .

2 إلا تهكُّماً في الديوان 164 : إلا انتهاكنا .

3 تشوّر الرجل : فعل فعلاً قبيحاً .

4 الأخدع : عرق متصل بالوريد ، والعصفر : نبت أحمر .

5 قرن : مكان .

6 الغديرة : الناقة يتركها الراعي .

وبمكانهم ، فخلّى الغديرة وتبع الضراء¹ الوادي ، حتى جاء الحيّ فأخبرهم بمكان القوم وحيث رآهم ، فقاموا فاختاروا فتیان الحيّ فسلحوهم ، وأقبلوا نحوهم ، حتى إذا دنوا منهم قال رجل من النفاثين : والله ما قوسي بموترة . فقالوا : فأوتر قوسك ، فوضع قوسه فأوترها ، فقال تأبط لأصحابه : اسكثوا ، واستمع فقال : أتيتم والله ، قالوا : وما ذلك ؟ قال : أنا والله أسمع حطيّط وتر قوس . قالوا : والله ما نسمع شيئاً ، قال : بلى والله إني لأسمعه ، يا قوم النجاء ، قالوا : لا والله ما سمعت شيئاً ، فوثب فانطلق وتركهم ، ووثب معه نفر ، وبيتهم بنو نفاثة فلم يُفْلِت منهم إنسان ، وخرج هو وأصحابه الذين انطلقوا معه ، وقُتِل تلك الليلة عامر بن الأخنس .

قال ابن عُمَيْر : وسألت أهل الحجاز عن عامر بن الأخنس ، فزعموا أنّه مات على فراشه .

فلما رجع تأبط قالت له امرأته : تركت أصحابك ، فقال حينئذٍ : [من الطويل]

ألا عَجِبَ الفتيان من أمّ مالك تقول : لقد أصبحت أشعث أغبراً

[بصره غلام]

فلما رجع تأبط وبلغه ما لقي أصحابه قال : والله ما يمس رأسي غسل ولا دهن حتى أثار بهم . فخرج في نفر من قومه ، حتى عَرَضَ لهم بيت من هذيل بين صوى² جبل ، فقال : اغنموا هذا البيت أولاً ، قالوا : لا والله ، ما لنا فيه أرب ، ولكن كانت فيه غنيمة ما نستطيع أن نسوقها . فقال : إني أفتاء أن أنزل ، ووقف ، وأتت به ضبع من يساره ، فكرهها ، وعاف³ على غير الذي رأى ، فقال : أبشري أشبعك من القوم غداً . فقال له أصحابه : ويحك ، انطلق ، فوالله ما ترى أن نقيم عليها . قال : لا والله لا أريم حتى أصبح . وأتت به ضبع عن يساره فقال : أشبعك من القوم غداً . فقال أحد القوم : والله إني أرى هاتين غداً بك ، فقال : لا والله لا أريم حتى أصبح . فبات ، حتى إذا كان في وجه الصبح ، وقد رأى أهل البيت وعدّهم على النار ، وأبصر سواد غلام من القوم دون المحتلم ، وغدوا على القوم ، فقتلوا شيخاً وعجوزاً ، وحازوا جاريتين وإبلًا . ثم قال تأبط : إني قد رأيت معهم غلاماً ؛ فأين الغلام الذي كان معهم ؟ فأبصر أثره فاتبعه ، فقال له أصحابه : ويلك دعه فإنك لا تريد منه شيئاً ، فاتبعه ، واستتر الغلام بقتادة إلى جنب صخرة ، وأقبل تأبط يقصّه⁴ وفوق الغلام سهماً حين

1 الضراء : الشجر الملتف في الوادي ، أو أرض مستوية تأوي إليها السباع .

2 الصوى : جمع صوة ، وهي علامة يهتدى بها في الطريق ، أو ما غلظ وارتفع من الأرض .

3 عاف الطير : زجرها .

4 يقصه : يقتني أثره .

رأى أنه لا يُنجيه شيء ، وأمهلته حتى إذا دنا منه قَفَزَ قفزة ، فوثب على الصخرة ، وأرسل السهم ، فلم يسمع تَابُطَ إِلَّا الحُبْضَةَ¹ فرفع رأسه ، فانتظم السهم قلبه ، وأقبل نحوه وهو يقول : لا بأس ، فقال الغلام : لا بأس ، والله لقد وضعتُه حيث تكره ، وغشيه تَابُطَ بالسيف وجعل الغلام يلوذ بالقَتَادَة ، ويضربها تَابُطَ بحُشاشَتِه ، فيأخذ ما أصابت الضربة منها ، حتى خلاص إليه ، فقتله ، ثم نزل إلى أصحابه يَجَرُّ رجله ، فلما رأوه وثبوا ، ولم يدروا ما أصابه ، فقالوا : ما لك ؟ فلم ينطق ، ومات في أيديهم ، فانطلقوا وتركوه ، فجعل لا يأكل منه سَبْعَ ولا طائر إِلَّا مات ، فاحتملته هذيل ، فألقته في غارٍ يقال له غَارُ رَحْمَانَ ، فقالت ربيعة أخته وهي يومئذٍ متزوجة في بني الدَّيْل : [من الرجز]

نِعْمَ الْفَتَى غَادَرْتُم بِرُحْمَانَ ثَابِتُ بْنُ جَابِرِ بْنِ سُفْيَانَ

وقال مرة بن خَلِيفَ يَرِثِيهِ : [من البسيط]

إِنَّ الْعَزِيمَةَ وَالْعَزَاءَ قَدْ ثَوِيَا أَكْفَانَ مِيتَ غَدَا فِي غَارِ رُحْمَانَ²
إِلَّا يَكُنْ كُرْسَفٌ كُفْنَتْ جَيْدَهُ وَلَا يَكُنْ كَفَنٌ مِنْ ثَوْبِ كُتَّانٍ³
فَإِنَّ حُرًّا مِنَ الْأَنْسَابِ أَلْبَسَهُ رِيَشَ النَّدَى ، وَالنَّدَى مِنْ خَيْرِ أَكْفَانِ
وَلَيْلِيَّةٍ رَأْسُ أَفْعَاهَا إِلَى حَجَرٍ وَيَوْمَ أَوْرٍ مِنَ الْجَوَازِ رَنَانٍ⁴
أَمْضِيَتْ أَوَّلَ رَهْطٍ عِنْدَ آخِرِهِ فِي إِثْرِ عَادِيَةِ أَوْ إِثْرِ فِتْيَانِ

وقالت أم تَابُطَ تَرِثِيهِ : [من الرجز]

وَابْنَاهُ وَابْنُ اللَّيْلِ

[مقتله]

قال أبو عمر الشَّيْبَانِي : لا بل كان من شأن تَابُطَ وهو ثابتُ بن جابر بن سُفْيَانَ ، وكان جريئاً شاعراً فاتكاً أنه خَرَجَ من أهله بغارة من قومه ، يُريدون بني صاهلة بن كاهل بن الحارث بن سَعِيد بن هذيل ، وذلك في عقب شهر حرام مما كان يُحرَّم أهلُ الجاهلية ، حتى هبط صدر آدم⁵ ، وخفض عن جماعة بني صاهلة ، فاستقبل التلاعة ، فوجد بها داراً من بني نَفَاثَة بن عدي ، ليس فيها إِلَّا النساء ، غير رجل واحد ، فبصر الرجل بتَابُطَ وخشيته ، وذلك

1 الحُبْضَة : نبضة السهم عند انطلاقه .

2 العزاء : السنة الشديدة .

3 الكرشف : القطن .

4 أَوْرٍ : جمع أوار بمعنى الحر الشديد .

5 آدم : اسم موضع .

في الضُّحَى ، فقام الرجل إلى النساء ، فأمرهنَّ فجَعَلْنَ رُؤُوسَهُنَّ جُمُماً وجَعَلْنَ دروعهنَّ أَرْدِيَةً ، وأخذن من بيوتهنَّ عُمُداً كهَيْئَةِ السِّيوفِ فجَعَلْنَ لها حِمَائِلَ ، ثم تَابُطْنَهَا ثم نَهَضْنَ ونَهَضْنَ معه يغريهنَّ كما يُغري القوم ، وأمرهنَّ أن لا يُبْرَزْنَ خَدّاً ، وجعل هو يَبْرُزُ للقوم لِيُروهُ ، وطفق يُغري وَيَصيح على القوم ، حتى أَفْرَع تَابُطَ شَرًّا وأصحابه وهو على ذلك يُغري في بَقِيَّةِ لَيْلَةٍ أو لَيْلتين من الشهر الحرام ، فَنهَضُوا في شِعْبٍ يقال له شِعْبٌ وَشَلٌّ¹ ، وتَابُطَ يَنْهَضُ في الشَّعْبِ مع أصحابه ، ثم يقف في آخرهم ، ثم يقول : يا قوم لَكُنَّا مَا يَطْرُدُكم النساء ، فيصيح عليه أصحابه فيقولون : انجُ أدركك القوم ، وتَأبَى نفسه ، فلم يزل به أصحابه حتى مضى معهم فقال تَابُطَ في ذلك :

أبعد النفاثين أجزر طائراً وآسى على شيء إذا هو أدبرا
أنهني رجلي عنهم وإخالهم من الذلّ يعراً بالتلاعة أعفرا
ولو نالت الكفان أصحاب نوفل بمهممة من بين ظري وعرعرا

قال : ثم طلَعُوا الصدر حين أصبحوا فوجدوا أهل بيت شاذَّ من بني قُرَيْمٍ ذنب نمارٍ² فظَلَّ يراقبهم حتى أَمَسُوا ، وذلك البيت لساعدة بن سفيان أحد بني حارثة بن قُرَيْمٍ ، فحصرهم تَابُطَ وأصحابه حتى أَمَسُوا . قال : وقد كانت قالت وليدة لساعدة : إني قد رأيت اليومَ القومَ أو الذفر بهذا الجبل ، فبات الشيخ حَذِراً قائماً بسيفه بساحة أهله . وانتظر تَابُطَ وأصحابه أن يغفل الشيخ ، وذلك آخر ليلة من الشهر الحرام فلما خَشُوا أن يفَضَّحَهم الصبحُ ، ولم يقدروا على غِرَّةٍ مشَوْا إليه وغرَّوه بِبَقِيَّةِ الشهر الحرام ، وأعطَوْه من مواعيقهم ما أَقْنَعَهُ ، وشكَّوا إليه الجوع ، فلما اطمأنَّ إليهم وثبوا عليه فقتلوه وابناً له صغيراً حين مشى . قال : ومضى تَابُطَ شَرًّا إلى ابن له ذي ذُوأَبَةٍ ، كان أبوه قد أمره فارتبأ³ من وراء ماله ، يقال له : سفيان بن ساعدة . فأقبل إليه تَابُطَ شَرًّا مستتراً بِمِجَنَّةٍ ، فلما خَشِيَ الغلام أن يناله تَابُطَ بسيفه وليس مع الغلام سَيْفٌ ، وهو مُفَوَّقُ سهماً ، رمى مِجَنّاً تَابُطَ بِحَجَرٍ ، فظنَّ تَابُطَ أنه قد أرسل سهمه ، فرمى مِجَنَّهُ عن يده ، ومشى إليه فأرسل الغلام سهمه فلم يُخْطِرْ لَبَّتَهُ حتى خرج منه السهم ، ووقع في البطحاء حَذَوَ القوم ، وأبوه ممسك ، فقال أبو الغلام حين وقع السهم : أخاطئه سفيان ؟ فحَرَدَ⁴ القوم ، فذلك حين قتلوا الشيخ وابنه الصغير ، ومات تَابُطَ .

1 وشل : اسم جبل .

2 نمار : اسم جبل ، ونمار : اسم واد .

3 ارتبأ : احتبأ وراء ربيبة ؛ هضبة مرتفعة .

4 حرد القوم : اعتزلوا .

فَقَالَتْ أُمُّهُ ، وَكَانَتْ امْرَأَةً مِنْ بَنِي الْقَيْنِ بْنِ جَسْرٍ بْنِ قُضَاعَةَ ، تَرْتِيهِ : [من الوافر]

قَتِيلٌ مَا قَتِيلُ بَنِي قُرَيْمٍ إِذَا ضَنْتَ جُمَادَى بِالْقِطَارِ

فَتَى فَهْمٌ جَمِيعاً غَادَرُوهُ مَقِيماً بِالْحُرَيْضَةِ مِنْ نُمَارٍ¹

وَقَالَتْ أُمُّهُ تَرْتِيهِ [أَيْضاً] :

وَيْلُ أُمَّ طَرْفٍ غَادَرُوا بِرُحْمَانٍ بَثَابَتِ بْنِ جَابِرِ بْنِ سَفِيَانٍ

يَجْدُلُ الْقِرْنَ وَيُرْوِي النَّدْمَانَ ذُو مَاقِطٍ يَحْمِي وَرَاءَ الْإِخْوَانِ²

وَقَالَتْ تَرْتِيهِ أَيْضاً : وَابْنَاهُ وَابْنُ اللَّيْلِ ، لَيْسَ بِزُمَيْلٍ³ ، شَرُوبٌ لِلْقَيْلِ⁴ ، رَقُودٌ بِاللَّيْلِ ، وَوَادِ ذِي هَوًى ، أَجَزَتْ بِاللَّيْلِ ، تَضْرِبُ بِاللَّيْلِ ، بِرَجُلٍ⁵ كَالثَّوْلِ .

قَالَ : وَكَانَ تَابَّطَ شَرّاً يَقُولُ قَبْلَ ذَلِكَ :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَعْدُونَ⁶ مَ عَلِيٍّ شَتْمٌ كَالْحَسَاكِلِ⁷

يَأْكُلْنَ أَوْصَالاً وَلَحْ مَاءٌ كَالشَّكَاعِيِّ غَيْرَ جَاذِلٍ⁸

يَا طَيْرُ كُلَّنْ فَإِنِّي سُمٌّ لَكُنْ وَذُو دَغَاوِلٍ⁸

وَقَالَ قَبْلَ مَوْتِهِ :

لَعَلِّي مَيِّتٌ كَمَدّاً وَلَمَّا أَطَالَعَ أَهْلَ ضِيمٍ فَالْكِرَابِ

وَإِنْ لَمْ آتِ جَمْعُ بَنِي خُثَيْمٍ وَكَاهَلُهَا بِرَجُلٍ كَالضَّبَابِ

إِذَا وَقَعْتُ بِكَعْبٍ أَوْ قُرَيْمٍ وَسَيَّارٍ فِيهَا سَوَّغَ الشَّرَابِ

فَأُجَابَهُ شَاعِرٌ مِنْ بَنِي قُرَيْمٍ :

تَابَّطَ سَوَاةً وَحَمَلْتَ شَرّاً لَعَلَّكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصَابِ

[من الوافر]

1 الحريضة : موضع في بلاد هذيل .

2 المأقط : مكان الحرب .

3 الزُمَيْل : الجبان .

4 القَيْل : شراب اللبن في القيلولة .

5 الرجل : جمع راجل . والثَّوْل : جماعة النحل .

6 الشَّتْم : جمع شتيم ، وهو الأسد الكريه المنظر . والحَسَاكِل ، جمع حَسَكِل وهو ما تظاير من شرر الحديد المحمى .

7 الشَّكَاعِي : جمع شُكَاعَة ، شوكة تملأ فم البعير ، غير جاذل : ما عظم من أصول الشجر .

8 الدغاول : الدواهي .

لعلك أن تجيء بك المنايا تُساقُ لفتيةٍ منّا غضاب
فتُصبحُ في مكرهم صريعاً وتصبحُ طرفة الضبع السَّعَاب
فزلتُم تهربون ولو كرهتم تسوقون الحرائم بالنقاب
وزال بأرضكم منّا غلامٌ طليعةُ فتيةٍ غلب الرقاب¹
ونذكرُ هاهنا بعد أخبار تأبط شراً أخبار صاحبيه عمرو بن براق والشنفري ونبدأ بما
يُغنى فيه من شعريهما ، وتنبه بالآخبار .
فأما عمرو بن براق فمما يغنى فيه من شعره قوله :

[من الطويل]

صوت

متى تَجْمَعِ القلبَ الذكيَّ وصارماً وأنفأ حمياً تجتنبك المظالم²
وكنت إذا قومٌ غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يا لهمدان ظالم !
كذبتم وبيت الله لا تأخذونها مراغمةً ما دام للسيف قائم
ولا صلح حتى تعثر الخيل بالقنا وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم
عروضه من الطويل ، الشعر لابن براق وقيل ابن بريقة . والغناء لمحمد بن إسحاق بن
عمرو بن بزيع ثقیل أول مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي .

1 زال : نهض . وغلب الرقاب : غلاظ الأعناق : جمع أغلب .

2 القلب الذكي : المتوقد حماسة . والأنف الحمي : كناية عن الأنفة وإباء الضيم .

[450] - عمرو بن براق

[يسلبه حريم ماله فيسترده منه]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدثنا السكري عن ابن حبيب قال : وأخبرنا الهمداني ثعلب ، عن ابن الأعرابي ، عن المفضل ، قال : أغار رجل من همدان يقال له حريم على إبل لعمرو بن براق وخيل ، فذهب بها ، فأتى عمرو امرأة كان يتحدث إليها ويزورها فأخبرها أن حريماً أغار على إبله وخيله فذهب بها ، وأنه يريد الغارة عليه ، فقالت له المرأة : ويحك لا تعرض لتلفات حريم فإني أخافه عليك ، قال : فخالفها ، وأغار عليه ، فاستاق كل شيء كان له ، فأتاه حريم بعد ذلك يطلب إليه أن يرد عليه ما أخذه منه ، فقال : لا أفعل ، وأبى عليه ، فانصرف ، فقال عمرو في ذلك :

| | |
|------------------------------|--|
| تقول سليمى لا تعرض لتلفة | وليلك عن ليل الصعاليك نائم |
| وكيف ينأى الليل من جل ماله | حسام كلون الملح أبيض صارم |
| صموت إذا عض الكريهة لم يدغ | لها طمعاً طوع اليمين ملازم ¹ |
| نقدت به ألفاً وساحت دونه | على النقد إذ لا تستطاع الدراهم |
| ألم تعلمي أن الصعاليك نومهم | قليل إذا نام الدثور المسالم ² |
| إذا الليل أدجى واكفهرت نجومه | وصاح من الإفراط هأم جوائم ³ |
| ومال بأصحاب الكرى غالبته | فإني على أمر الغواية حازم |
| كذبتهم وبيت الله لا تأخذونها | مراغمة ما دام للسيف قائم |
| تحالف أقوام علي ليسمنوا | وجروا علي الحرب إذا أنا سالم ⁴ |
| أفالآن أدعى للهواة بعدما | أجبل على الحي المذاكي الصلادم ⁵ |
| كان حريماً إذ رجا أن يضمها | ويذهب مالي يا ابنة القوم حالم |

1 صموت : صفة للسيف .

2 الدثور : الرجل البطن الخامل النؤوم .

3 أدجت نجومه : غابت ، أو غطاها السحاب .

4 سالم : بمعنى مسلم .

5 الهواة : الملاينة والمسألة . المذاكي الصلادم : الجياد الشديدة الصلبة .

متى يجمع القلب الذكي وصارماً
وَمَنْ يَطْلُبُ الْمَالَ الْمُنْعَ بِالْقَنَا
وَأَنْفًا حَمِيًّا تَجْتَنِّبُكَ الْمَظَالِمُ
وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي غَزَوْتُهُمْ
فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَالْهَمْدَانِ ظَالِمُ
فَلَا صَلُحَ حَتَّى تَعْتَرَ الْخَيْلَ بِالْقَنَا
وَأَمَّا الشُّتْفَرِيُّ فَإِنَّهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ ثُمَّ مِنَ الْأَوَاسِ بْنِ الْحَجَرِ بْنِ الْهَنْوِ بْنِ الْأَزْدِ . وَمَا يُغْنِي
فِيهِ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

صوت

أَلَا أُمُّ عَمْرُو أَرْمَعَتْ فَاسْتَقَلَّتْ
وَمَا وَدَّعَتْ جِيرَانَهَا إِذْ تَوَلَّتْ²
فَوَإِنْدَمَا بَانَتْ أُمَامَةٌ بَعْدَمَا
طَمِعَتْ فَهَبَهَا نِعْمَةً قَدْ تَوَلَّتْ
وَقَدْ أَعْجَبْتَنِي لَا سَقُوطاً خِمَارُهَا
إِذَا مَا مَشَتْ وَلَا بِذَاتِ تَلَفَّتْ³
غَنَى فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ إِبْرَاهِيمُ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْبِنْصَرِ عَنْ عَمْرُو بْنِ بَانَةَ .

1 تخترمه المخارم : تهلكه المهالك .

2 أَرَمَعَتْ : عَزَمَتْ عَلَى الرَّحِيلِ .

3 لَا سَقُوطَ خِمَارِهَا : يَصِفُهَا بِالتَّصَوُّنِ وَالتَّحْشَمِ .

[451] - أخبار الشنفرى ونسبه¹

[نسبه ونشأته]

وأخبرني بخبره الحرزمي بن أبي العلاء قال : حدثنا أبو يحيى المؤدّب وأحمد بن أبي المنهال المهليّ ، عن مورّج عن أبي هشام محمد بن هشام النُميريّ : أنّ الشنفرى كان من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد بن الغوث ، أسرته بنو شِبابَة بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان ، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان بن مفرّج بن عوف بن ميدعان بن مالك بن الأزد رجلاً من فهم ، أحد بني شِبابَة فقدته بنو شِبابَة بالشنفرى قال : فكان الشنفرى في بني سلامان بن مفرّج لا تحسبه إلّا أحدهم حتى نازعته بنت الرجل الذي كان في حجره ، وكان السّلاميّ اتّخذه ولداً وأحسن إليه وأعطاه ، فقال لها الشنفرى : اغسلي رأسي يا أُخَيّة وهو لا يشكّ في أنّها أخته ؛ فأنكرت أنّ يكون أخاها ولطمته ، فذهب مغاضباً حتى أتى الذي اشتراه من فهم ، فقال له الشنفرى : اصدقني ممّن أنا ؟ قال : أنت من الأواس بن الحجر ، فقال : أمّا إنّي لن أدعكم حتى أقتل منكم مائة بما استعبدتموني ، ثمّ إنّه ما زال يقتلهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلاً ، وقال الشنفرى للجارية السّلاميّة التي لطمته وقالت : لست بأخي : [من الطويل]

ألا ليت شعري والتلهّف ضلّةً بما ضربت كفّ الفتاة هجيتها²

ولو علمت قُعموسُ أنساب والدي ووالدها ظلّت تقاصرُ دونها³

أنا ابن خيار الحجر بيتاً ومنصباً وأمّي ابنة الأحرار لو تعرّفينها⁴

قال : ثمّ لزم الشنفرى دار فهم فكان يغير على الأزد على رجله فيمن تبعه من فهم ، وكان يغير وحده أكثر من ذلك ، وقال الشنفرى لبني سلامان :

1 انظر أخباره في : الطرائف الأدبية 27 ، ومقصورة حازم للشريف الغرناطي 22/2 ونسخة المغتالين لابن حبيب وغ ج 21 ، والأنباري الرقمان 1 و20 وخ .

2 الهجين : اللّيم ، أو العربي الذي أمّه أمة . وفي الديوان [الطرائف الأدبية] 41 : ألا هل أتى قتيان قومي جماعة بما لطمت كف الفتاة هجيتها

3 في الديوان 41 :

ولو علمت تلك الفتاة مناسبي ونسبتها ظلّت تقاصر دونها والقعوس : اسم الفتاة .

4 وفي الديوان 41 :

أليس أبي خير الأواس وغيرها وأمّي ابنة الخيرين لو تعلمينها

وإني لأهوى أن أَلْفَ عجاجتي على ذي كساء من سلامان أو بُردٍ¹
وأصبح بالعضداء أبغي سراتهم وأسلك خلاً بين أرباع والسردِ²

[إحدى غاراته]

فكان يقتل بني سلامان بن مُفَرَّج حتى قعد له رَهْط من الغامدَيْن من بني الرِّمَاءِ
فَاعْجَزَهُمْ فَأَشْلَوْا عَلَيْهِ كَلْباً لَهُمْ يَقَالُ لَهُ حُبَيْشٌ وَلَمْ يَضَعُوا لَهُ شَيْئاً ، وَمَرَّ وَهُوَ هَارِبٌ بِقَرِيَةِ يَقَالُ
لَهَا دَحِيسَ بَرَجْلَيْنِ مِنْ بَنِي سَلَامَانَ بْنِ مُفَرَّجٍ فَأَرَادَهُمَا ثُمَّ خَشِيَ الطَّلَبَ فَقَالَ : [من الطويل]

قَتِيلِي فِجَارٍ أَتُمَّا إِنْ قُتِلْتُمَا بجوف دَحِيسَ أَوْ تَبَالَةَ يَا اسْمَعَا³

يريد : يا هذان اسمعا ، وقال فيما كان يُطالب به بني سلامان :

فإلّا تزرني حَفْتِي أَوْ تُلَاقِنِي أَمْشُ بِدَهْرٍ أَوْ عِذَافٍ فَنُورًا⁴
أَمْشِي بِأَطْرَافِ الْحِمَاطِ وَتَارَةً تُنْفَضُ رِجْلِي بُسْطًا فَعَصَنَصَرًا⁵
وَأَبْغِي بَنِي صَعْبِ بْنِ مُرِّ بِلَادِهِمْ وسوف أَلَاقِيَهُمْ إِنْ اللَّهُ يَسِّرًا⁶
وَيَوْمًا بِذَاتِ الرَّأْسِ أَوْ بَطْنِ مِنجَلٍ هُنَالِكَ تَلْقَى الْقَاصِيَّ الْمُتَغَوَّرًا⁷

[مقتله]

قال : ثم قعد له بعد ذلك أُسَيْدُ بْنُ جَابِرِ السَّلَامَانِيِّ وَخَازِمُ الْفَهْمِيِّ بِالنَّاصِفِ مِنْ أُبَيْدَةَ
وَمَعَ أُسَيْدِ بْنِ أَخِيهِ ، فَمَرَّ عَلَيْهِمُ الشَّنْفَرِيُّ ، فَأَبْصَرَ السَّوَادَ بِاللَّيْلِ فَرَمَاهُ ، وَكَانَ لَا يَرَى سَوَاداً
إِلَّا رَمَاهُ كَأَنَّمَا كَانَ ، فَشَكَ ذِرَاعَ ابْنِ أَخِي أُسَيْدٍ إِلَى عِضْدِهِ ، فَلَمْ يَتَكَلَّمْ ، فَقَالَ الشَّنْفَرِيُّ :
إِنْ كُنْتُ شَيْئاً فَقَدْ أَصْبُتُكَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ شَيْئاً فَقَدْ أَمْنْتُكَ ، وَكَانَ خَازِمٌ بَاطِحاً : يَعْنِي مُنْبَطِحاً
بِالطَّرِيقِ يَرِصْدُهُ ، فَنَادَى أُسَيْدُ : يَا خَازِمُ أَصِلْتُ ، يَعْنِي اسْلُلْ سَيْفَكَ . فَقَالَ الشَّنْفَرِيُّ : لِكُلِّ

1 في الديوان 34 : وإني زعيم . لف العجاجة : كناية عن الغارة .

2 في الديوان 34 :

وَأَمْشِي لَدَى الْعِضْدَاءِ أَبْغِي سَرَاتِهِمْ وَأَسْلُكُ خَلاً بَيْنَ أَرْفَاعِ وَالسَّرْدِ
وَالْعِضْدَاءِ : أَرْضُ ابْنِي سَلَامَانَ .

3 دحيس ، وتباله : مكانان .

4 في الديوان 35 : فِي عِذَافٍ بَنُورًا . وَعِذَافُ مَكَانٌ وَبَنُورٌ : جَبَلٌ .

5 الحماط : ضرب من النبات . وبسيط ، وعصنصر : مكانان .

6 ورد البيت في الديوان 36 كما يأتي :

أَبْغِي بَنِي صَعْبِ بْنِ مُرِّ بِلَادِهِمْ وسوف أَلَاقِيَهُمْ إِنْ اللَّهُ أَخْرَا

7 ذات الرأس ومنجل : مكانان . تلقى في الديوان 36 : نَغِي . الْمُتَغَوَّرُ : الْمُوْغِلُ فِي الْأَرْضِ ، أَوِ الْمُوْغِلُ فِي الْغَارَةِ .

أصلت ، فأصلت الشَّنْفَرى . فقطع إصبعين من أصابع خازمِ الخِنْصَر والبِنْصَر ، وضبطه خازمٌ حتى لحقه أسيد وابن أخيه نجدة ، فأخذ أسيد سلاح الشَّنْفَرى وقد صرع الشَّنْفَرى خازماً وابن أخى أسيد ، فضبطاه وهما تحته ، وأخذ أسيدُ برجل ابن أخيه ، فقال أسيد : رَجُلٌ مَن هذه ؟ فقال الشَّنْفَرى : رَجُلِي ، فقال ابن أخى أسيد : بل هي رَجُلِي يا عمّ فأسروا الشَّنْفَرى ، وأدّوه إلى أهلهم ، وقالوا له : أنشدنا ، فقال : إِنَّمَا النشيد على المَسْرَةِ¹ ، فذهبت مثلاً ، ثم ضربوا يده فتعرّضت ، أي اضطربت فقال الشَّنْفَرى في ذلك : [من الرجز]

لا تَبْعَدِي إِمَّا ذَهَبَتْ شَامَهُ فَرُبَّ وَاِدٍ نَفَرَتْ حَمَامَهُ²
وَرُبَّ قِرْنٍ فَصَلَتْ عِظَامَهُ

ثم قال له السُّلَامِيّ : أَطْرِفُكَ³ ؟ ثم رماه في عينه فقال الشَّنْفَرى له : كَأَنَّ كُنَّا نَفْعَلُ أَي كَذَلِكَ كُنَّا نَفْعَلُ ، وكان الشَّنْفَرى إذا رمى رجلاً منهم قال له : أَطْرِفُكَ ؟ ثم يرمي عينه . ثم قالوا له حين أرادوا قتله : أَيْنَ نَقْبُرُكَ ؟ فقال : [من الطويل]

لا تَقْبُرُونِي إِنْ قَبِرِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرٍ⁴
إِذَا احْتَمَلْتُ رَأْسِي فِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي وَغُودِرَ عِنْدَ الْمُتَّقَى ثَمَّ سَائِرِي
هَنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةً تُسَرُّنِي سَمِيرَ اللَّيَالِي مُبْسَلًا بِالْجَرَائِرِ⁵

[تأبّط شراً يرثيه]

وقال تَأَبَّطُ شَرًّا يَرِثِي الشَّنْفَرى :

على الشَّنْفَرى ساري الغمام ورائح غَزِيرُ الْكُلَى ، وَصَيَّبُ الْمَاءِ بَاكِرُ⁶
عليك جزاءٌ مثلُ يَوْمِكَ بِالْجَبَا وَقَدْ أَرِغْتَ مِنْكَ السُّيُوفُ الْبَوَاتِرُ⁷

1 مثل ورد في جمهرة الأمثال للعسكري 304/2 «النشيد مع المسرة» .

2 ذهبت في الديوان هلكت . والشامة : شامة سوداء كانت في يده .

3 طرف العين : أدخل فيها ما جعلها تدمع .

4 انظر المثل في مجمع الأمثال للميداني 225/1 ، 238 ، 239 ، والدرّة الفاخرة للأصفهاني 150/1 ، وجمهرة

الأمثال للعسكري 411/1 ، 416 ، والمستقصى للزمخشري 71 وفصل المقال 187 والأمثال لأبي فيد 46 ،

وكتاب الأمثال للقاسم بن سلام 126 .

5 سمير الليالي : طول الليالي . مبسلاً بالجرائر : مرهوناً بآثاري وجرائمي .

6 الكل : جمع كلوة ، وتطلق على أسفل السحاب .

7 العجا : مكان .

ويومك يوم العيكتين وعطفية
 تجول بيز الموت فيهم كأنهم
 فإنك لو لافيتني بعدما ترى
 لألفيتني في غارة أنمي بها
 وإن تك مأسوراً وظلت مخيماً
 وحتى رماك الشيب في الرأس عانساً
 وأجمل موت المرء إذ كان ميتاً
 فلا يبعدن الشنفرى وسلاحه الـ
 إذا راع روع الموت راع وإن حمى
 عطفة وقد مس القلوب الحناجر¹
 بشوكتك الحدى ضنين نوافر²
 وهل يلقين من غيبته المقابر
 إليك وأما راجعاً أنا ثائر³
 وأبليت حتى ما يكيدك وائر
 وخيرك مبسوط وزادك حاضر⁴
 ولا بد يوماً موته وهو صابر
 حديد وشد خطوه متواتر⁵
 حمى معه حر كريم مضابر

[رواية أخرى في مقتله]

قال : وقال غيره : لا بل كان من أمر الشنفرى وسبب أسره ومقتله أن الأزد قتلت
 الحارث بن السائب الفهمي ، فأبوا أن ييؤوا بقتله⁶ ، فباء بقتله رجل منهم يقال له
 حزام بن جابر قيل ذلك ، فمات أخو الشنفرى ، فأنشأت أمه تبكيه ، فقال الشنفرى ،
 وكان أول ما قاله من الشعر :

ليس لوالدة هوها
 تطيف وتحدث أحواله
 ولا قولها لابنها دعدع⁷
 وغيرك أملك بالمصرع

قال : فلما ترعرع الشنفرى جعل يُغير على الأزد مع فهم : فيقتل من أدرك منهم ، ثم قدم
 منى وبها حزام بن جابر ، فقيل له : هذا قاتل أبيك ، فشد عليه فقتله ، ثم سبق الناس على
 رجليه فقال :

[من الطويل]

1 العيكتان : جيلان .

2 البز : السلاح ، والحدى : مؤت الأحد بمعنى المرفف الحد . والضنين : جمع ضائن ، الضأن .

3 أنمي في الديوان 83 : أغتري .

4 العانس : الرجل السمين .

5 الشد : الحملة على الأعداء . ومتواتر : يتلو بعضه بعضاً .

6 باء بقتله : أقر به .

7 الهوى : الهمة والرأس . وفي الديوان 37 : همها .

تَلْتُ حَزَاماً مُهْدِياً بِمُلْبَدٍ بِيْطَنٍ مِّنَى وَسْطِ الْحَجِيجِ الْمُصَوَّتِ¹

قال : ثم إن رجلاً من الأزْد أتى أُسَيْدَ بن جابر ، وهو أخو حزام المقتول فقال : تركتُ الشَّنْفَرى بسوق² حُبَاشة ، فقال أُسَيْدُ بنُ جابر : والله لئن كنت صادقاً لا نرجع حتى نأكلَ من جَنَى أَلِفٍ أُبَيْدَةٍ³ ، فقعد له على الطريق هو وابنا حَزَام ، فأحسُّوه في جوف الليل وقد نزع نعلًا وليس نعلًا ليخفَى وطأه ، فلما سمع الغلامان وطأه قالا : هذه الضُّع ، فقال أُسَيْدُ : ليست الضُّع ، ولكنه الشَّنْفَرى ، ليضعُ كل واحد منكما نعله على مَقْتله ، حتى إذا رأى سوادهم نكص ملياً لينظر هل يتبعه أحد ، ثم رجع حتى دنا منهم ، فقال الغلامان : أبصرنا ، فقال عمهما : لا والله ما أبصرنا ، ولكنه أطرِد ؛ لكيما تتبعاه ، فليضعُ كل واحد منكما نعله على مقلته . فرماهم الشَّنْفَرى فحسق⁴ في النعل ولم يتحرك المَرْمِي . ثم رمى فانتظم ساقِي أُسَيْد ، فلما رأى ذلك أقبل حتى كان بينهم ، فوثبوا عليه ، فأخذوه فشُدُّوه وثاقًا ، ثم إنهم انطلقوا به إلى قومهم ، فطرحوه وسطهم ، فتمارَّوا بينهم في قتله ، فبعضهم يقول : أخوكم وابنكم ، فلما رأى ذلك أحدُ بني حزام ضربه ضربةً فقطع يده من الكوع ، وكانت بها شامة سوداء ، فقال الشَّنْفَرى حين قُطِعَت يده :

لَا تَبْعَدِي إِمَّا هَلَكْتَ شَامَةٌ فَرَبٌّ خَرَقَ قَطَعَتْ قَتَامَةٌ
وَرَبٌّ قَرْنٍ فَصَلَتْ عِظَامَةٌ

وقال تَأَبَّطَ شَرًّا يَرِثِيهِ : [من الطويل]

لَا يَبْعَدَنَّ الشَّنْفَرى وَسِلَاحُهُ الـ حَدِيدُ وَشَدُّ خَطْوُهُ مُتَوَاتِرُ
إِذَا رَاعَ رَوْعَ الْمَوْتِ رَاعٍ وَإِنْ حَمَى حَمَى مَعَهُ حُرٌّ كَرِيمٌ مُصَابِرُ

قال : وذُرِعَ خَطْوُ الشَّنْفَرى ليلة قتل فُوجِدَ أَوَّلُ نَزْوَةٍ نَزَاهَا إِحْدَى وَعِشْرِينَ خَطْوَةً ، ثم الثانية سبع عشرة خطوة .

قال : وقال ظالم العامري في الشَّنْفَرى وغاراته على الأزْد وعجزهم عنه ، وَيَحْمَدُ أُسَيْدَ بن جابر في قتله الشَّنْفَرى :

[من الطويل]

1 حزاماً في المفضليات 111 : قتيلاً . مهدياً : مقدماً الهدى في الحج . بطن في المفضليات : جمار . المصوت : الذي يجهر بالدعاء ونحوه .

2 سوق حباشة : سوق كانت معروفة عند العرب .

3 أبيدة : اسم مكان .

4 حسق في النعل : أصاب السهم النعل ، وأخطأ الهدف .

فَمَا لَكُمْ لَمْ تَدْرِكُوا رَجُلَ شَنْفَرَى وَأَنْتُمْ خِيفَافٌ مِثْلُ أَجْنَحَةِ الْغُرْبِ¹
تَعَادِيْتُمْ حَتَّى إِذَا مَا لَحَقْتُمْ تَبَاطَأَ عَنْكُمْ طَالِبٌ وَأَبُو سَقْبٍ²
لِعَمْرِكَ لِلْسَّاعِي أُسَيْدُ بْنُ جَابِرٍ أَحَقُّ بِهَا مِنْكُمْ بَنِي عَقْبِ الْكَلْبِ

قال : وَلَمَّا قُتِلَ الشَّنْفَرَى وَطُرِحَ رَأْسُهُ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَضْرَبَ جَمْعُهَا الشَّنْفَرَى بِقَدَمِهِ ،
فَعُقِرَتْ قَدَمُهُ فَمَاتَ مِنْهَا ، فَتَمَّتْ بِهِ الْمَائَةُ .

[من شعر الشنفرى]

وكان مِمَّا قاله الشَّنْفَرَى فيهم من الشعر وفي لطمة المرأة التي أنكرته الذي ذكرته
واستغني عن إعادته مَّا تقدَّم ذكره من شعر الشَّنْفَرَى ، وقال الشَّنْفَرَى في قتله حزاماً قاتل
أبيه :

أَرَى أُمَّ عَمْرٍو أَجْمَعْتَ فَاسْتَقَلَّتْ وَمَا وَدَّعْتَ جَبْرَانَهَا إِذْ تَوَلَّتْ³
فَقَدْ سَبَقْتَنَا أُمُّ عَمْرٍو بِأَمْرِهَا وَقَدْ كَانَ أَعْنَاقُ الْمَطِيِّ أَظَلَّتْ⁴
فَوَانَدَمَا عَلَى أُمَيْمَةَ بَعْدَمَا طَمِعْتُ فَهَبْهَا نِعْمَةَ الْعَيْشِ وَلَّتْ⁵
أُمَيْمَةُ لَا يُخْزِي نَتَاها حَلِيلُهَا إِذَا ذُكِرَ النِّسْوَانُ عَفَّتْ وَجَلَّتْ⁶
يَحُلُّ بِمَنْجَاةٍ مِنَ اللَّوْمِ بَيْتُهَا إِذَا مَا يُبَوِّتُ بِالْمَلَامَةِ حُلَّتْ⁷
فَقَدْ أَعْجَبْتَنِي ، لَا سَقُوطٌ قِنَاعُهَا إِذَا مَا مَشَتْ وَلَا بِذَاتِ تَلَفَّتْ⁸
كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نِسِيًّا تَقْصُهُ إِذَا مَا مَشَتْ وَإِنْ تُحَدِّثُكَ تَبَلَّتْ⁸

النَّسِيُّ : الذي يسقط من الإنسان وهو لا يدري أين هو ؛ يصفها بالحياء ، وأنها لا
تلتفت يميناً ولا شمالاً ولا تهرج . ويروى :

تقصه على أمها وإن تكلّمك

1 الغُرب : جمع غُرَاب .

2 طالب وأبو سقب : رجلان .

3 أرى في المفضليات 108 : ألا .

4 أظلت : إظلال أعناق المطي كناية عن الرحيل .

5 فواندما في المفضليات 108 : فواكبدا .

6 وجلّت في المفضليات 108 : زَلَّت . النثا : الحديث .

7 بالملامة في المفضليات 109 : باللممة .

8 تبت الكلام وتقطعه بما يعترئها من البهر .

فَذَقْتُ وَجَلَّتْ وَاسْبَكْرْتُ وَأَكْمَلْتُ فلو جُنَّ إنسانٌ من الحُسْنِ جُنْتُ¹
 تَبَيْتُ بُعِيدَ النُّومِ تُهْدِي غُبُوبَهَا لجاراتِها إذا الهدية قلتُ²
 الغيوب : ما غبَّ عندها من الطعام أي بات ويروى : غبوقها .

فِتِنَا كَانَ الْبَيْتَ حُجْرَ حَوْلِنَا بريحانة راحت عِشاءٍ وطلَّتْ
 بريحانة من بطن حلية أمرعت لها أَرْجٌ مِنْ حَوْلِهَا غَيْرُ مُسْتِ
 غَدَوْتُ مِنَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنَ مِشْعَلٍ وبين الجبا هيها أنشأت سُرْبِي³
 أَمْسَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي لَنْ تَضِيرَنِي لَأَكْسِبَ مَالاً أَوْ الْأَقْيَ حُمَّتِي⁴
 إِذَا مَا أَتَنَنْتِي حَتَفْتِي لَمْ أَبْهَلَا ولم تُدْرِ خَالَاتِي الدُمُوعَ وَعَمَّتِي
 وَهْنِيءٌ بِي قَوْمٌ وَمَا إِنْ هَنَأْتُهُمْ وأصبحت في قوم وليسوا بمنيتي
 وَأَمَّ عِيَالٍ قَدْ شَهِدَتْ تَقَوُّهُمْ إِذَا أَطْعَمْتُهُمْ أَوْ تَحَتَّ وَأَقَلَّتْ⁵
 تَخَافُ عَلَيْنَا الْجُوعَ إِنْ هِيَ أَكْثَرَتْ ونحن جِيعٌ ، أَيُّ أَلْيٍ تَأَلَّتْ⁶
 عَفَاهِيَّةٌ لَا يَقْصُرُ السِّرُّ دُونَهَا وَلَا تُرْتَجَى لِلْبَيْتِ إِنْ لَمْ تُبَيَّتْ⁷
 لَهَا وَفْضَةٌ فِيهَا ثَلَاثُونَ سَلْجَمًا إِذَا مَا رَأَتْ أُولَى الْعَدِيِّ أَقْشَعَرَتْ⁸
 وَتَأْتِي الْعَدِيَّ بَارِزًا نِصْفُ سَاقِهَا كَعَدُوِّ حِمَارِ الْعَانَةِ الْمُتَفَلَّتْ⁹
 إِذَا فُرِزَعَتْ طَارَتْ بِأَبْيَضٍ صَارِمٍ وراحت بما في جُفْرِهَا ثُمَّ سَلَّتْ¹⁰

1 استبكرت : اعتدلت واستقامت .

2 غُبُوبُهَا فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ 109 : غُبُوقُهَا . وَالْغُبُوقُ : مَا يَشْرَبُ بِالْعَشِيِّ .

3 فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ 110 رَوَايَةُ الْبَيْتِ كَمَا يَأْتِي :

خَرَجْنَا مِنَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنَ مِشْعَلٍ وَبَيْنَ الْجَبَا هِيهَاتَ أَنْشَأْتُ سُرْبِي

مِشْعَلُ وَالْجَبَا : جِبْلَانُ . وَالسَّرِيَّةُ : الْجَمَاعَةُ .

4 الشُّطْرُ الثَّانِي فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ 110 : لِأَنْكِي قَوْمًا أَوْ أَصَادِفَ حُمَّتِي . وَالْحِمَةُ : الْمَنِيَّةُ .

5 أَوْتَحَتْ : قَلَلَتْ طَعَامَهُمْ .

6 الْجُوعُ فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ 110 : الْعَيْلُ . وَالْأَلْتَةُ : الْمَجَاعَةُ .

7 عَفَاهِيَّةٌ : ضَخْمَةٌ ، وَفِي الْمَفْضَلِيَّاتِ 111 مُصْعَكِيلَةٌ : أَيُّ صَاحِبَةِ صَعَالِيكَ فَقَرَاءُ .

8 رَأَتْ فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ 111 : آنَسَتْ . وَالْوَفْضَةُ : جَعْبَةُ السَّهَامِ . وَالسَّلْجَمُ : السَّهْمُ الْعَرِيضُ النَّصْلُ . الْعَدِي :

جَمَاعَةُ الْقَوْمِ يَعْدُونَ رَاجِلِينَ لِلْقِتَالِ وَنَحْوَهُ . وَأَقْشَعَرَتْ : تَهَيَّأَتْ لِلْقِتَالِ .

9 كَعَدُوِّ حِمَارٍ فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ 111 : تَجُولُ كَعَبِيرٍ .

10 الْجَفَرُ : جَمْعُ جَفِيرٍ بِمَعْنَى جَعْبَةِ السَّهَامِ .

- حُسامٍ كلون الملح صافٍ حديدُهُ
جُرَازٍ من اقطار الحديد المنعَتِ¹
تراها كأذئاب المطيِّ صوادراً
وقد نهلتُ من الدِّماءِ وعلَّتِ²
سنجزى سَلامانَ بنَ مُفرجٍ قرَضَهُم
بما قَدَّمتُ أيديهمُ وأزَلَّتِ³
شَفِينا بعبد الله بعضُ غليلنا
وعوفٍ لدى المَعْدَى أَوَّانٍ استَهَلَّتِ⁴
قتلنا حزاماً مُهْدِياً بمُلبَدٍ
محلَّهما بين الحجيجِ المصوَّتِ
فإن تُقبلوا تُقبلِ بِمَنْ نِيلَ منهمُ
وإن تُدبروا فأمَّ مَنْ نِيلَ قُتَّتِ
ألا لا تزرني إن تشكَّيت خلَّتِي
كفاني بأعلى ذي الحميرةِ عُذُوتِي⁵
وإني لخلوُّ إن أُريدت حلاوتي
ومرُّ إذا النفس الصَّدُوفُ استَمَرَّتِ
أبيّ لما أبى وشيكٌ مَفِيتِي
إلى كُلِّ نفسٍ تَنحِي بِموَدَّتِي⁶
وقال الشنفرى أيضاً :
- ومرقبةٍ عَنقاءٍ يَقْصُرُ دونها
أخو الضَّرْوةِ الرَّجُلُ الخفيُّ المَخْفُفُ⁷
نَمِيتُ إلى أعلى ذراها وقد دنا
من الليل ملتَفُ الحديقةِ أَسَدُفُ⁸
فَبِتُّ على حَدِّ الذَّراعينِ أَحَدِياً
كما يَتَطَوَّى الأَرَقَمُ المُتَعَطِّفُ⁹
قليلٌ جَهازِي غيرُ نعلينِ أُسْحَقَتِ
صُدُورُهما مَخْصُورَةٌ لا تُخَصِّفُ¹⁰
ومِلْحَفَةٍ دَرَسٍ وَجَرْدٍ مُلَاءَةٍ
إذا أَنهجت من جانبٍ لا تَكْفُفُ¹¹
- [من الطويل]

- 1 أقطار الحديد في المفضليات 111 : كأقطاع الغدير . والجرار : الفاطم .
- 2 المطي في المفضليات 111 : الحسيل .
- 3 سلامان بن مفرج : قبيلة . أزلت : من الزلل .
- 4 عبد الله وعوف : قبيلتان . المعدي : مكان . واستهلت : بززت للقتال .
- 5 الشطر الثاني في المفضليات 112 : شفاني بأعلى ذي البريقين عُذُوتِي . والخلة : الحاجة . ذو الحميرة : مكان .
- 6 مفييتي في المفضليات 112 : سريع مباءتي .
- 7 مرقبة : مرتفع من الخضاب ونحوها ، عنقاء : طويلة العنق . الضَّرْوة : من ضرا بمعنى استخفى . والرَّجل : الساعي على رجله . وفي الديوان 37 الرجل الحفي .
- 8 نमित في الديوان 37 : نعبت .
- 9 أحدبا في الديوان 37 : مجذياً .
- 10 قليل جهازِي في الديوان 37 : وليس جهازِي . أُسْحَقَت : بليت . مخصورة : دقيقة الوسط . لا تخصف : لا تقبل الخرز .
- 11 في الديوان 37 : وضية جردٍ وأخلاق ربيعة الجرد : البالي . أنهجت : بليت .

وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مَهْنَدٌ
وَصَفْرَاءُ مِنْ نَبْعِ أَبِي ظَهِيرَةٍ
إِذَا طَالَ فِيهَا النَّزْعُ تَأَبَّى بَعْجَسُهَا
كَأَنَّ حَفِيفَ النَّبْلِ مِنْ فَوْقِ عَجْسِهَا
نَأَتْ أُمُّ قَيْسِ الْمَرْبَعَيْنِ كَلِيهِمَا
وَأَنَّكَ لَوْ تَدْرِينَ أَنَّ رُبَّ مُشْرَبٍ
وَرَدَتْ بِمَأْثُورٍ وَنَبْلٍ وَضَالَةٍ
أُرْكَبُهَا فِي كُلِّ أَحْمَرٍ عَاتِرٍ
وَتَابَعْتُ فِيهِ الْبَرِّيَّ حَتَّى تَرَكْتُهُ
بِكُفِّي مِنْهَا لِلْبَغِيضِ عُرَاضَةً
وَوَادٍ بَعِيدٍ الْعُمُقِ ضَنْكٍ جُمَاعُهُ

مِجْدٌ لِأَطْرَافِ السَّوَادِ مِيقَطُ¹
تُرِنَ كَارِنَانَ الشَّجِيِّ وَتَهْتَفُ²
وَتَرْمِي بِذُرُوبِهَا بَهْنَ فَتَقْدِفُ³
عَوَازِبُ نَحْلِ أَخْطَأَ الْغَارَ مُطْنِفُ⁴
وَتَحْذَرُ أَنْ يَنَاقَى بِهَا الْمُتَصَيِّفُ
مَخُوفٍ كِدَاءِ الْبَطْنِ أَوْ هُوَ أَخُوفُ
تَخَيَّرْتُهَا مِمَّا أَرِيشُ وَأَرْصِفُ⁵
وَأَقْدِفُ مِنْهُنَّ الَّذِي هُوَ مَقْرِفُ⁶
يَزِفُ إِذَا أَنْفَذْتُهُ وَيَزَفُفُ⁷
إِذَا بَعْتُ خَلًّا مَا لَهُ مُتَخَوِّفُ⁸
بِوَاطِنِهِ لِلْجَنِّ وَالْأَسَدِ مَأْلَفُ⁹

- 1 مجذ : قطاع ، ومقطف : قطاع .
- 2 صفراء في الديوان 38 : وحمراء . وصفراء : قوس صفراء . النبع : شجر صلب تتخذ منه القسي . ظهيرة : معينة .
- 3 الشطر الأول في الديوان 38 : إذا آل فيها النزع تأبى بعجزها . والعجس : مقبض القوس . ذروا القوس : طرفاها .
- 4 عجزها في الديوان 38 : عجزها . عوازب في الديوان 38 : غوارب . عوازب نحل : ذواهب نحل . مطنف : من الطنف .
- 5 المأثور : السيف المؤثر . الضالة : السلاح عامة ، أو السهام خاصة . رصف السهم : شد على مدخل سنخ نصله العقبة .
- 6 في الديوان 38 :
- 7 يزف : يفعل فعل الطائر إذا رمى بنفسه ، وبسط جناحيه ، والزفرقة : شدة الجري ، أو تحريك الريح للعشب وصوتها فيه . وفي الديوان 138 : يرِن إذا أترفته .
- 8 العراضة : الهدية .
- 9 في الديوان 38 :

مرصد أيم مانت الرأس أخوف
بواطنه للجن والأسد مألوف

ووادٍ بعيد العمق ضنكٍ جماعه
وحوش موى زاد الذئاب مضلة

تَعَسَّفْتُ مِنْهُ بَعْدَمَا سَقَطَ النَّدَى غَمَالِيلَ يَخْشَى غِيلَهَا الْمُتَعَسَّفُ¹
وَأَنِّي إِذَا خَامَ الْجَبَانُ عَنِ الرَّدَى فلي حيث يُخْشَى أَنْ يُجَاوَزَ مَخْسَفُ²
وإن امرءاً أجار سعدَ بنَ مالكٍ عليَّ وأثوابِ الأَقْصِرِ يَعْنُفُ³
وقال الشنفرى أيضاً :

وَمُسْتَبَلٍ ضَافِي الْقَمِيصِ ضَعْنُهُ بَأَزْرَقَ لَا نِكْسٍ وَلَا مُتَعَوِّجٍ⁴
عَلَيْهِ نُسَارِيٌّ عَلَى خُوطٍ نَبْعَةٍ وَفُوقَ كَعْرُوبِ الْقَطَاةِ مُحَدَّرَجٍ⁵
وَقَارِبْتُ مِنْ كَفِّي ثَمَ فَرَجْتَهَا بَنَزَعَ إِذَا مَا اسْتَكْرَهَ النَّزْعُ مُخْلِجٍ⁶
فَصَاحَتْ بِكَفِّي صَبِيحَةً ثَمَ رَجَعْتُ أَنِينَ الْأَمِيمِ ذِي الْجِرَاحِ الْمُشْجَعِ⁷
وقد روى : فناحت بكفي نوحة .

[رواية ثالثة في مقتله]

وقال غيره : لا بل كان من أمر الشنفرى أنه سبَّ بنو سلامان بن مُفَرِّج بن مالك بن
هوازن بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد الشنفرى ، وهو أحد بني
ربيعَةَ بن الحِجْر بن عمران بن عمرو بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن
الأزد ، وهو غلام ، فجعله الذي سباه في بهمة يرعاها مع ابنة له ، فلما خلا بها الشنفرى
أهوى ليقبلها ، فصكَّت وجهه ، ثم سعت إلى أبيها فأخبرته ، فخرج إليه ليقبله ، فوجده
وهو يقول :

أَلَا هَلْ أَتَى فِتْيَانَ قَوْمِي جَمَاعَةً بما لطمت كفُّ الفئاة هجينها ؟
ولو علمتُ تلك الفتاة مناسبي ونسبُها ظَلَّتْ تَقَاصِرُ دُونَهَا

1 الغماليل : الدوابي . الغيل : الأشجار الكثيفة .

2 الشطر الأول في الديوان 39 :

وَأَبَ إِذَا أَجْرَى الْجَبَانُ وَظَنَهُ

خام : جبن وضعف . مخسف : من خسف الطريق بمعنى ذلَّه وقطعه .

3 الأَقْصِر : صنم مقدس .

4 ضَعْنُ الشَّيْءِ : لأكه بالأنياب والنواجذ .

5 نساري : ريش نسر الخوط . النبعة : شجرة صلبة تتخذ منها سهام . الفوق من السهم : حيث يثبت الوتر منه . واخدرج : الأملس .

6 مخرج : من أخرج الشيء بمعنى انتزعه .

7 المشجج : من شج رأسه .

أليس أبي خير الأواس وغيرها وأمِّي ابنة الخَيْرَيْنِ لو تعلمينها
إذا ما أرومُ الودَّ بيني وبينها يومُ بياضُ الوجه مني يمينها

قال : فلما سمع قوله سأله : ممَّن هو ، فقال : أنا الشَّنْفَرى ، أخو بني الحارث بن ربيعة ، وكان من أقبح النَّاس وجهاً ، فقال له : لولا أنَّي أخاف أن يقتلني بنو سلامان لأنكحتك ابنتي . فقال : عليَّ إن قتلك أن أقتل بك مائة رجل منهم ، فأنكحه ابنته ، وخلق سبيله ، فسار بها إلى قومه ، فشددت بنو سلامان خلافه على الرجل فقتلوه ، فلما بلغه ذلك سكت ولم يُظهر جزءاً عليه ، وطفق يصنع النبل ، ويجعل أفواقيها من القرون والعظام ، ثم إن امرأته بنت السَّلاماني قالت له ذات يوم : لقد خِست¹ بميثاق أبي عليك ، فقال : [من الطويل]

كأنَّ قدَّ ، فلا يغُرُّكِ مني تمكُّتي ، سلكْتُ طريقاً بين يرْبُع فالسردِ
وإنِّي زعيمٌ أن تثور عجاجتي على ذي كِساءٍ من سلامان أو بُردِ
همُ عرفوني ناشئاً ذا مَخيلة أمشي خلال الدَّار كالفرس الورْدِ²
كأنِّي إذا لم يُمسِر في الحيِّ مالك بتيهاء لا أهدى السَّييل ولا أهدي

قال : ثم غزاهم فجعل يقتلهم ، ويعرفون نبله بأفواقيها في قتالهم ، حتى قتل منهم تسعة وتسعين رجلاً ، ثم غزاهم غزوة ، فنذروا به ، فخرج هارباً ، وخرجوا في إثره ، فمَرَّ بامرأة منهم يلتمس الماء فعرفته ، فأطعمته أقطاً ليزيد عطشاً ، ثم استسقى فسقته رائباً ، ثم غيّبت عنه الماء ، ثم خرج من عندها ، وجاءها القوم فأخبرتهم خبره ، ووصفت صفته وصفة نبله ، فعرفوه ، فرصدوه على رَكِيٍّ لهم ، وهو ركيٍّ ليس لهم ماء غيره ، فلما جنَّ عليه الليل أقبل إلى الماء ، فلما دنا منه قال : إنِّي أراكم ، وليس يرى أحداً إنما يريد بذلك أن يُخرج رَصداً إن كان ثمَّ ، فأصاخ القوم وسكتوا . ورأى سواداً ، وقد كانوا أجمعوا قبلُ إن قُتل منهم قتيل أن يُمسكه الذي إلى جنبه لئلا تكون حركة ، قال : فرمى لَمَّا أبصر السواد ، فأصاب رجلاً فقتله ، فلم يتحرك أحد ، فلما رأى ذلك أَمِن في نفسه وأقبل إلى الرُّكِيِّ ، فوضع سلاحه ، ثم انحدر فيه ، فلم يرعه إلا بهم على رأسه قد أخذوا سلاحه فنزا ليخرج . ففُضرب بعضهم شماله فسقطت ، فأخذها فرمى بها كبِد الرجل . فخرَّ عنده في القليب³ ، فوطىء على رقبتة فدَقَّها . وقال في قطع شماله :

[من الرجز]

1 خست بالميثاق : لم تف به .

2 الفرَس الورْد : الأحمر .

3 القليب : البئر .

لا تبْعدي إِمّا ذهبتِ شامَةً فَرُبَّ وادٍ نَفَرَتْ حَمَامَةً
وَرُبَّ قِرْنٍ فَصَلَّتْ عِظَامَةً وَرُبَّ حَيٍّ فَرَّقَتْ سَوَامَةً

قال : ثم خرج إليهم ، فقتلوه وصلبوه ، فلبث عاماً أو عامين مصلوباً وعليه من نذره رجل ، قال : فجاء رجل منهم كان غائباً ، فمرّ به وقد سقط فركض رأسه برجله ، فدخل فيها عظم من رأسه فعَلَّت عليه فمات منها ، فكان ذلك الرجلُ هو تمام المائة .

صوت

[من المتقارب]

أَلا طَرَقَتْ فِي الدَّجَى زَيْنُبُ وَأَحَبُّ بَزِينَبَ إِذْ تَطَرَّقُ
عَجِبْتُ لَزَيْنَبَ أَنِّي سَرْتُ وَزَيْنَبُ مِنْ ظَلَّهَا تَفَرَّقُ¹

عروضه من المتقارب ، الشعر لابن رُهَيْمَةَ ، والغناء لخليل المعلم رمل بالبصر ، عن الهشامي وأبي أيوب المدني .

[452] - أخبار الخليل ونسبه

[نسبه]

هو الخليل بن عمرو ، مكِّي ، مول بني عامر بن لؤي ، مُقِلٌّ لا تُعرَف له صنعة غير هذا الصوت .

[يشتري لهو الحديث]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم ، بن مَهْرُوَيْه قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني القطراني المغني ، عن محمد بن حسين ، قال : كان خليل المعلم يلقب خليلان ، وكان يؤدب الصبيان ويلقنهم القرآن والخط ، ويعلم الجواري الغناء في موضع واحد ، فحدثني مَنْ حضره قال : كنت يوماً عنده وهو يردد على صبي يقرأ بين يديه ﴿ ومن الناس مَنْ يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾¹ ثم يلتفت إلى صبيّة بين يديه فيردد عليها :

اعتادَ هذا القلبَ بلباله أن قُرِبْتُ لِلْبَيْنِ أَجْمَالُهُ

فضجِكتُ ضحكاً مفرطاً لما فعله ، فالتفت إلي فقال : ويلك ما لك ؟ فقلت : أتتكر ضجكي ممّا تفعل ؟ والله ما سبّك إلى هذا أحد ! ثم قلت : انظر أي شيء أخذت على الصبي من القرآن ، وأي شيء هوذا تلقي على الصبيّة ، والله إنني لأظنك ممن يشتري لهو الحديث ليُضِلَّ عن سبيل الله ، فقال : أرجو ألا أكون كذلك إن شاء الله .

[يسيء الأزدي فهم غناؤه]

أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال : حدثنا محمد بن يزيد المبرّد قال : حدثني عبد الصمد بن المعدل قال : كان خليلان المعلم أحسن الناس غناء ، وأفثاهم وأفصحهم ، فدخل يوماً على عقبة بن سلم الأزدي الهنائي فاحتبسه عنده ، فأكل معه ثم شرب ، وحانت منه التفاتة ، فرأى عوداً معلقاً ، فعلم أنّه عَرَضَ له به ، فدعا به وأخذه فغناهم : [من الخفيف]

يا ابنة الأزدي قلبي كئيبٌ مُستَهام عندها ما يُنِيبُ²

وحانت منه التفاتة فرأى وجه عقبة بن سلم متغيّراً ، وقد ظنّ أنّه عَرَضَ به ، ففطن لما أراد

1 سورة لقمان ، الآية : 6 .

2 ينيب : يرجع .

فغنى :

[من مجزوء الوافر]

أَلَا هَزَيْتَ بِنَا قُرْشِيَّةَ يَهْتَزُّ مَوَكِبُهَا
 فَسُرِّي عَنْ عَقَبَةٍ وَشَرِبَ ، فَلَمَّا فَرَّغَ وَضَعَ الْعُودَ مِنْ حَجَرِهِ ، وَحَلَفَ بِالطَّلَاقِ ثَلَاثًا أَنَّهُ
 لَا يَغْنِي بَعْدَ يَوْمِهِ ذَلِكَ إِلَّا لِمَنْ يَجُوزُ حَكْمُهُ عَلَيْهِ .

نسبة هذين الصوتين

[من المديد]

يَا ابْنَةَ الْأَزْدِيِّ قَلْبِي كَثِيبُ مُسْتَهَامُ عِنْدَهَا مَا يُنِيبُ
 وَلَقَدْ لَامُوا فَقُلْتُ : دَعُونِي إِنَّ مَنْ تَنْهَوْنَ عَنْهُ حَبِيبُ
 إِنَّمَا أَبْلَى عِظَامِي وَجِسْمِي حُبُّهَا وَالْحُبُّ شَيْءٌ عَجِيبُ
 أَيُّهَا الْعَائِبُ عِنْدِي هَوَاهَا أَنْتَ تَفْدِي مَنْ أَرَاكَ تَعِيبُ

عروضه من المديد ، والشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ،
 والغناء لمعبد ثقیل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه ممالك خفيف ثقیل
 أول بالخنصر في مجرى البنصر عنه ، وفيه خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى لم
 ينسبه إسحاق إلى أحد ، ووجدته في روايات لا أثق بها منسوباً إلى حنين ، وقد ذكر
 يونس أن فيه لحنين وممالك كلاهما ، ولعل هذا أحدهما ، وذكر حبش أن خفيف الرمل
 لابن سريج ، وذكر الهشامي وعلي بن يحيى أن لحن مالك الآخر ثاني ثقیل ، وذكر الهشامي
 أن فيه لطويس هزجاً مطلقاً في مجرى البنصر ، وذكر عمرو بن بانه أن ممالك فيه ثقیلاً أول
 وخفيفه ، ولمعبد خفيف ثقیل آخر :

صوت

أَلَا هَزَيْتَ بِنَا قُرْشِيَّةَ م يَهْتَزُّ مَوَكِبُهَا
 رَأَتْ بِي شَيْبَةً فِي الرَّأ سِ مَنِّي مَا أُعْيِيهَا
 فَقَالَتْ لِي : ابْنُ قَيْسٍ ذَا ؟ وَبَعْضُ الشَّيْبِ يُعْجِبُهَا
 لَهَا بَعْلٌ خَيْبُ النَّفْسِ يَحْصُرُهَا وَيُخْجِبُهَا
 يَرَانِي هَكَذَا أَمْشِي فَيُوعِدُهَا وَيَضْرِبُهَا

عروضه من الوافر ، الشعر لابن قيس الرقيات ، والغناء لمعبد خفيف ثقیل بالخنصر في
 مجرى الوسطى ، وفيه ليونس ثقیل أول عن إسحاق بن إبراهيم والهشامي .

صوت

[من البسيط]

هل ما علمت وما استودعت مكنوم¹ أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم²
 أم هل كتيب³ بكى لم يقض عبرته¹ إثر الأحيّة يوم بين مشكوم¹
 يحملن أثرجة² ، نضخ العبير بها كأنّ تطايبها في الأنف مشموم³
 كأنّ فارة مسلّ في مفارقها للباسط المتعاطي وهو مزكوم³
 كأنّ إبريقهم طبيّ على شرف مقدم² بسبا الكتان ملثوم²
 قد أشهد الشرب فيهم مزهر صدح³ والقوم تصرعهم صهباء خرطوم³

الشعر لعلقمة بن عبدة ، والغناء لابن سريج ، وله فيه لحنان أحدهما في الأول والثاني
 خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، والآخر رمل بالخنصر في
 مجرى البنصر في الخامس والسادس من الأبيات ، وذكر عمرو بن بانه أن في الأربعة
 الأبيات الأول المتوالية لملك خفيف ثقيل بالوسطى ، وفيها ثقيل أول نسبه الهشامي إلى
 الغريض ، وذكر حبش أن لحن الغريض ثاني ثقيل بالبنصر ، وذكر حبش أن في الخامس
 والسادس خفيف رمل بالبنصر لابن سريج .

1 كتيب في شرح ديوان علقمة 33 : كبير . مشكوم : من شكيمة الفرس .

2 مقدم : مسدود . وسبا الكتان : خرقة .

3 صدح في شرح ديوان علقمة 45 : رنم . الخرطوم : السريعة الإسكار .

[453] - أخبار علقمة ونسبه¹

[نسبه]

هو علقمة بن عبدة بن النعمان بن ناشرة بن قيس بن عبید بن ربیعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار .
[الملك ينتقم من زيد مناة]

وكان زيد مناة بن تميم وفد هو وبكر بن وائل ، وكانا لدة عصر واحد ، على بعض الملوك ، وكان زيد مناة حسوداً شرهاً طعناً ، وكان بكر بن وائل خبيثاً منكرأ داهياً فخاف زيد مناة أن يحظى من الملك بفائدة ، ويقل معها حظاً ، فقال له : يا بكر لا تلق الملك بثياب سفرك ، ولكن تأهب للقائه وادخل عليه في أحسن زينة ، ففعل بكر ذلك ، وسبقه زيد مناة إلى الملك ، فسأله عن بكر ، فقال : ذلك مشغول بمغازلة النساء والتصدّي هنّ ، وقد حدثت نفسه بالتعرض لبنت الملك ، فغاضه ذلك ، وأمسك عنه ، ونمى الخبر إلى بكر بن وائل ، فدخل إلى الملك فأخبره بما دار بينه وبين زيد مناة ، وصدقه عنه ، واعتذر إليه بما قاله فيه عذراً قبله ، فلما كان من غد اجتمعوا عند الملك ، فقال الملك لزيد مناة : ما تحب أن أفعل بك ، فقال : لا تفعل بيكر شيئاً إلا فعلت بي مثليه ، وكان بكر أعور العين اليمنى ، قد أصابها ماء فذهب بها ، فكان لا يعلم من رآه أنه أعور فأقبل الملك على بكر بن وائل فقال له : ما تحب أن أفعل بك يا بكر ، قال : تفقأ عيني اليمنى ، وتضعف لزيد مناة ، فأمر بعينه العوراء ففُقئت ، وأمر بعيني زيد مناة ففُقئت ، فخرج بكر وهو أعور بحاله ، وخرج زيد مناة وهو أعمى .

[سبب تسميته]

وأخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة .
ويقال لعلقمة بن عبدة علقمة الفحل ، سُمّي بذلك لأنه خلف على امرأة امرئ القيس لما حكمت له على امرئ القيس بأنه أشعر منه في صفة فرسه ، فطلقها ، فخالفه عليها ، وما زالت العرب تسميه بذلك ، وقال الفرزدق :

والفحلُ علقمةُ الذي كانت له حُلُّ الملوك كلامه يُنَحِّلُ

1 انظر أخباره في شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل - رواية الأعلام الشنمري تحقيق حنا نصر الجني دار الكاتب العربي 7-14 ، والشعر والشعراء 1 : 218-222 ، والمفضليات : المفضلية 119 ، والأنباري 762-765 ، والموشح 28-30 وطبقات ابن سلام 30 ، 31 والخزانة 1 : 565-566 .

[قصيدته سخط الدهر]

أخبرني عمي قال : حَدَّثَنِي النَّضْرُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو السَّوَّارِ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ مَوْلَى إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ حَمَّادِ الرَّائِيَةِ قَالَ : كَانَتْ الْعَرَبُ تَعْرِضُ أَشْعَارَهَا عَلَى قَرِيْشَ ، فَمَا قَبْلُوهُ مِنْهَا كَانَ مَقْبُولًا ، وَمَا رَدَّوهُ مِنْهَا كَانَ مَرْدُودًا ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ عُلْقَمَةُ بْنُ عَبْدَةَ ، فَأَنشَدَهُمْ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

هل ما علمتَ وما استودعتَ مكتوم أم حُبُّهَا أَنْ نَأْتِكَ الْيَوْمَ مَصْرُومٌ
فقالوا : هَذِهِ سِمْطُ الدَّهْرِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِمُ الْعَامَ الْمَقْبِلَ فَأَنشَدَهُمْ :

طحا بك قلب في الحِسان طروبُ بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ
فقالوا : هَاتَانِ سِمْطَا الدَّهْرِ .

[يسرقون شعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : سَرَقَ ذُو الرُّمَّةِ قَوْلَهُ :

يطفو إذا ما تَلَقَّته الجراثيم¹
من قول العجاج :

إذا تَلَقَّته العقاقيلُ طفا²
وسرقه العجاج من عُلْقَمَةَ بْنِ عَبْدَةَ فِي قَوْلِهِ :

يطفو إذا ما تَلَقَّته العقاقيلُ

[أيهما أوصف للفرس هو أو امرؤ القيس]

أخبرني عمي قال : حَدَّثَنَا الْكَرْنِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ عَنْ لَقِيطَ ، وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ قَالَ : كَانَتْ تَحْتَ امْرِئِ الْقَيْسِ امْرَأَةٌ مِنْ طَبِيعِ تَزْوُجِهَا حِينَ جَاوَرَ فِيهِمْ ، فَزَلَّ بِهِ عُلْقَمَةُ الْفَحْلُ بْنُ عَبْدَةَ التَّمِيمِيِّ ، فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ : أَنَا أَشْعَرُ مِنْكَ ، فَتَحَاكَمَا إِلَيْهَا ، فَأَنشَدَ امْرُؤُ الْقَيْسِ قَوْلَهُ : [من الطويل]

خليلي مُرًّا بي على أم جُنْدُبْ

حتى مرَّ بقوله :

1 الجراثيم : جمع جرثومة ، وهي التراب المحتمع في أصول الشجر .

2 العقاقيل : جمع عقال ، وهو داء يصيب رجل الدابة .

فَللسَّوْطِ أَهْوَبُ وَلِلسَّاقِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقَعُ أَخْرَجَ مُهَذَّبٌ¹
ويروى : أَهْوَجَ مِنْعَبٍ² .

فَأَنشَدَهَا عَلْقَمَةَ قَوْلَهُ :
[من الطويل]

ذَهَبَتْ مِنَ الْمِجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبٍ
حتى انتهى إلى قوله :

فَأَدْرَكَهُ حَتَّى ثَنَى مِنْ عِثَانِهِ يَمُرُّ كَغَيْثٍ رَائِحٍ مُتَحَلِّبٍ³

فَقَالَتْ لَهُ : عَلْقَمَةُ أَشْعُرُ مِنْكَ ، قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَتْ : لِأَنَّكَ زَجَرْتَ فَرَسَكَ ، وَحَرَكْتَهُ بِسَاقِكَ ، وَضَرَبْتَهُ بِسَوْطِكَ . وَأَنَّهُ جَاءَ هَذَا الصَّيْدُ ، ثُمَّ أَدْرَكَتَهُ ثَانِيًا مِنْ عِثَانِهِ ، فَغَضِبَ امْرَأُ الْقَيْسِ وَقَالَ : لَيْسَ كَمَا قُلْتَ ، وَلَكِنَّكَ هَوَيْتَهُ ، فَطَلَّقَهَا ، فَتَزَوَّجَهَا عَلْقَمَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَبِهَذَا لُقِّبَ عَلْقَمَةُ الْفَحْلُ .

[ربيعة بن حذار يحكم له]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا الْكُرَّانِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ ، عَنْ لَقِيْطٍ قَالَ : تَحَاكَمَ عَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِ التَّمِيمِيِّ وَالزَّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرِ السَّعْدِيِّ ، وَالْمُخَبِّلُ ، وَعَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ ، إِلَى رَبِيعَةَ بْنِ حُذَارِ الْأَسَدِيِّ ، فَقَالَ : أَمَّا أَنْتَ يَا زَبْرَقَانُ فَإِنَّ شَعْرَكَ كَلَحِمٍ لَا أَنْضِجُ فَيُؤْكَلُ ، وَلَا تُرِكَ نَيْئًا فَيُتْنَفَعُ بِهِ ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا عَمْرُو فَإِنَّ شَعْرَكَ كَبُرْدٍ حَبْرَةٍ يَتَلَأَلُ فِي الْبَصْرِ ، فَكَلَّمَا أَعَدَّتْهُ فِيهِ نَقْصٌ ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا مُخَبِّلُ فَإِنَّكَ قَصَّرْتَ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَمْ تَدْرِكِ الْإِسْلَامَ ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا عَلْقَمَةُ فَإِنَّ شَعْرَكَ كَمَزَادَةٍ⁴ قَدْ أَحْكَمَ خَرْزُهَا فَلَيْسَ يَقْطُرُ مِنْهَا شَيْءٌ .

[عمر يجلد من تمثل بشعره]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنُ دُرَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي ، عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : مَرَّ رَجُلٌ مِنْ مَزِينَةَ عَلَى بَابِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَكَانَ يُتَّهَمُ بِامْرَأَتِهِ ، فَلَمَّا حَاضَى أَبَاهُ تَنَفَّسَ ثُمَّ تَمَثَّلَ :

[من البسيط]

1 الأهوب : اجتهد الفرس في العدو . الدرة : حث الفرس على العدو . الأخرج : ما خالط بياضه سواده . مهذب : مسرع .

2 مِنْعَبٌ : الجواد يمدُّ عنقه عند عدوه كالغراب .

3 في شرح ديوان علقمة 62 :

فَأَدْرَكَتَهُ ثَانِيًا مِنْ عِثَانِهِ يَمُرُّ كَغَيْثٍ رَائِحٍ مُتَحَلِّبٍ

4 المزادة : إناء صغير من الجلد يحمل فيه الماء .

هل ما علمتَ وما استودِعتَ مكتومٌ أم حبُّها إذ نأتكَ اليومَ مصرومٌ ؟

قال : فتعلّق به الرجل : فرفعه إلى عمر رضوان الله عليه ، فاستعداه عليه ، فقال له المُمثِّل : وما عليّ في أن أنشدتُ بيتَ شعر ، فقال له عمر رضي الله عنه : ما لك لم تُنشدّه قبل أن تبلغَ بابه ؟ ولكنك عرّضتَ به مع ما تعلم من القالة فيه ، ثم أمر به فضربَ عشرين سوطاً .

صوت

[من الطويل]

فوالله لا أنسى قتيلاً رزيتُهُ بجانب قوسى ما حييتُ على الأرض¹
بلى إنها تغفو الكلوم وإنما نوكلُ بالأدنى وإن جَلَّ ما يمضي²
ولم أدرِ مَنْ ألقى عليه رداءه ولكنه قد بُزَّ عن ماجدٍ محضٍ

الشعر لأبي خراش الهذليّ ، والغناء لابن محرز خفيف ثقیل أوّل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة وذكر يحيى بن المكيّ أنّه لابن مسجح وذكر الهشاميّ أنّه ليحيى المكيّ ، نخله ابن مسجح ، وفي أخبار معبد أن له فيه لحناً .

1 قوسى : بلدة بالسرّة وبها قتل عروة أخو أبي خراش .

2 تغفو الكلوم : تندمل .

[454] - ذكر أبي خراش الهذلي وأخباره¹

[نسه]

أبو خراش اسمه خُوَيْلِد بن مُرَّة ، أَحَدُ بني قِرْد ، واسمُ قِرْد عمرو بن معاوية بن سَعْد بن هُذَيْل بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار .

شاعر فحل من شعراء هذيل المذكورين الفصحاء ، مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلامَ فَأَسْلَمَ وعاش بعد النبي ﷺ مدّة ، ومات في خلافة عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، نَهَشْتُهُ أفعى فمات ، وكان مِمَّنْ يَعْدُو فيسبقُ الخيل في غارات قومه وحروبهم .

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ وعمي والحسن بن عليّ قالوا : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بن أبي سعد قال : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ عُمَيْرٍ بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال : حَدَّثَنِي أَبُو بركة الأشجعيّ من أنفُسهم قال : خرج أبو خراش الهذليّ من أرض هُذَيْل يريد مَكَّةَ ، فقال لزوجته أُمّ خراش : ويحك إني أريد مَكَّةَ لبعض الحاجة ، وإنّك من أَفك² النساء ، وإنّ بني الدّيل يطلبونني بتراتٍ فَيَاكِ وَأَنْ تَذْكُرْنِي لأحد من أهل مَكَّةَ حتى نصدر منها ! قالت : معاذ الله أن أذكرك لأهل مَكَّةَ وأنا أعرف السبب .

[يربصون به فيفلت منهم]

قال : فخرج بأُمّ خراش وكَمَنَ لحاجته وخرجت إلى السوق لتشتري عِطْراً أو بعض ما تشتريه النساء من حوائجهنّ ، فجلستُ إلى عِطَّارٍ فمرّ بها فتیان من بني الدّيل ، فقال أحدهما لصاحبه : أُمّ خراش ورَبّ الكعبة وإنّها لَمَنْ أَفكُ النساء وإن كان أبو خراش معها فستدُلّنا عليه ، قال : فوقفا عليها فسلّما وأحفيا³ المسألة والسلام ، فقالت : مَنْ أَنتما بأبي أَنتما ؟ فقالا : رجلان من أَهْلِك من هذيل ، قالت : بأبي أَنتما . فإنّ أبا خراش معي ولا تذكراه لأحد ، ونحن رائحون العشيّة ، فخرج الرجلان فجمعا جماعة من فتیانهم وأخذوا مولى لهم يقال له مَحْلَدٌ وكان من أجود الرجال عَدُوّاً ، فكمِنُوا في عَقَبَةٍ على

1 انظر أخباره في الاشتقاق 11 والكمال للمبرد 528-530 ، 1186 وفي الشعر والشعراء 663-664 ، وفي الاستيعاب 659-661 وأسَدُ الغابة 5 : 178-179 والإصابة 2 : 152 والالآي 216-217 والخزانة 1 :

211-212 .

2 أَفكُ النساء : أكذبهنّ .

3 أحفيا : أبديا الحفاوة .

طريقة ، فلما رآهم قد لاقوه في عين الشمس قال لها : قَتَلْتَنِي وَرَبُّ الْكَعْبَةِ لِمَنْ ذَكَرْتَنِي ؟
فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا ذَكَرْتُكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِفَتَيَيْنِ مِنْ هَذِيلٍ ، فَقَالَ لَهَا : وَاللَّهِ مَا هُمَا مِنْ هَذِيلٍ
وَلَكِنَّهُمَا مِنْ بَنِي الدَّيْلِ وَقَدْ جَلَسَا لِي وَجَمَعَا عَلَيَّ جَمَاعَةً مِنْ قَوْمِهِمْ فَادْهَبِي أَنْتِ فَإِذَا
جُزْتَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَعْرِضُوا لَكَ لَثْلًا أُسْتَوْحِشَ فَأَفَوْتَهُمْ ، فَارْكُضِي بِعَيْرِكِ ، وَضَعِي
عَلَيْهِ الْعَصَا ، وَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ .

قال : [فَاَنْطَلَقَتْ] وهي على قَعُودٍ عُقْلِي يسابق الريح ، فلما دَنَا مِنْهُمْ وَقَدْ تَلَثَّمُوا
وَوَضَعُوا تَمْرًا عَلَى طَرِيقِهِ عَلَى كَسَاءٍ ، فَوَقَفَ قَلِيلًا كَأَنَّهُ يُصْلِحُ شَيْئًا ، وَجَازَتْ بِهِمْ أُمُّ
خِرَاشٍ فَلَمْ يَعْرِضُوا لَهَا لَثْلًا يَنْفِرُ مِنْهُمْ ، وَوَضَعَتِ الْعَصَا إِلَى قَعُودِهَا ، وَتَوَاتَبُوا إِلَيْهِ وَوَثَبَ
يَعْدُو .

قال : فزاحمه على المحجة¹ التي يَسْلُكُ فِيهَا عَلَى الْعُقْبَةِ ظَنِّي ، فَسَبَقَهُ أَبُو خِرَاشٍ ، وَتَصَاحَى
الْقَوْمُ : يَا مَخْلَدُ أَخْذًا أَخْذًا .

قال : ففَاتَ الْأَخْذَ . فَقَالُوا : ضَرْبًا ضَرْبًا ، فَسَبَقَ الضَّرْبَ ، فَصَاحُوا : رَمِيًا رَمِيًا
فَسَبَقَ الرَّمِي ، وَسَبَقَتْ أُمُّ خِرَاشٍ إِلَى الْحَيِّ فَنَادَتْ : أَلَا إِنَّ أَبَا خِرَاشٍ قَدْ قُتِلَ ، فَقَامَ أَهْلُ
الْحَيِّ إِلَيْهَا ، وَقَامَ أَبُوهُ وَقَالَ : وَيْحَكَ مَا كَانَتْ قَصَّتُهُ ، فَقَالَتْ : إِنَّ بَنِي الدَّيْلِ عَرَضُوا لَهُ
السَّاعَةَ فِي الْعُقْبَةِ ، قَالَ : فَمَا رَأَيْتَ ، أَوْ مَا سَمِعْتَ ؟ قَالَتْ : سَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ : يَا مَخْلَدُ
أَخْذًا أَخْذًا ، قَالَ : ثُمَّ سَمِعْتَ مَاذَا ؟ قَالَتْ : ثُمَّ سَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ : ضَرْبًا ضَرْبًا ، قَالَ : ثُمَّ
سَمِعْتَ مَاذَا ؟ قَالَتْ : سَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ : رَمِيًا رَمِيًا ، قَالَ : فَإِنْ كُنْتَ سَمِعْتَ رَمِيًا فَقَدْ
أَفَلْتَ ، وَهُوَ مَنَا قَرِيبٌ ، ثُمَّ صَاحَ : يَا أَبَا خِرَاشٍ ، فَقَالَ أَبُو خِرَاشٍ : يَا لَبَّيْكَ ، وَإِذَا هُوَ
قَدْ وَافَاهُمْ عَلَى أَثَرِهَا . وَقَالَ أَبُو خِرَاشٍ فِي ذَلِكَ : [مِنَ الطَّوِيلِ]

رَفَوْنِي وَقَالُوا يَا خُوَيْلِدُ لَمْ تُرْعَ فَقُلْتَ وَأَنْكَرْتُ الْوَجُوهَ هُمْ هُمْ²
رَفَوْنِي بِالْفَاءِ : سَكَنُونِي وَقَالُوا : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ .

فَغَارَرْتُ شَيْئًا وَالدَّرِيسُ كَأَنَّمَا يَزْعُرُهُ وَعَكٌ مِنَ الْمَوْمِ مُرْدَمٌ³
غَارَرْتُ : تَلَبَّثْتُ . وَالدَّرِيسُ : الْخَلْقُ مِنَ الشَّيَابِ ، وَمِثْلُهُ الْجَرْدُ وَالسَّحَقُ وَالْحَشِيفُ .
وَمُرْدَمٌ : لَازِمٌ .

1 المحجة : الطريق .

2 لَمْ تُرْعَ فِي دِيْوَانِ الْهَذَلِيِّينَ 144/2 : لَا تُرْعَ .

3 فَغَارَرْتُ فِي دِيْوَانِ الْهَذَلِيِّينَ : 144/2 : فَعَدَيْتُ . الْوَعَكُ : أَدَى الْحُمَى ، وَعَكٌ فِي دِيْوَانِ الْهَذَلِيِّينَ
144/2 : وَرَدٌ . وَالْمَوْمُ : الْحُمَى الشَّدِيدَةُ .

تذكرتُ ما أينَ المفرُّ وإنِّي
فوالله ما ربداءُ أو عُلجُ عانةٍ
بأسرعَ مِنِّي إذ عرفتَ عديَّهم
وأجودَ مِنِّي حينَ وافيتُ ساعياً
أوائِلُ بالشَّدِّ الذَّلِيقِ وحنَّتي
تذكرُ ذحلاً عندنا وهو فاتكُ
تقول ابنتي لما رأتني عشيَّةً :
فقلتُ وقد جاوزتَ صارى عشيَّةً :
فلولا دراكُ الشَّدِّ آضتُ حليَّتي
فتسخطُ أو ترضى مكاني خليفةً

بجبل الذي يُنجي من الموتِ مُعصِمٌ¹
أقبُ وما إن تيسُرَ رَمْلُ مُصَمِّمٌ²
كأنِّي لأولاهمُ من القُربِ تَوَامٌ³
وأخطائي خلفَ الثَّنيَّةِ أسهمٌ⁴
لدى المتن مشبوح الذراعين خلَجَمٌ⁵
من القومِ يَعُروهُ اجتراءٌ ومأثمٌ
سلمتَ وما إن كِدْتَ بالأمسَ تسلمُ
أجاوزتُ أولى القومِ أم أنا أحلمُ⁶
تخيرَ في خطَّابِها وهي أئِمٌ⁷
وكادَ خِراشٌ عند ذلكَ يَتِمُّ⁸

[يسبق الخيل]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ومحمد بن الحسين الكنديّ خطيب المسجد الجامع بالقادسية قالاً : حدَّثنا الرياشيُّ قال : حدَّثنا الأصمعيُّ قال : حدَّثني رجل من هذيل قال : دخل أبو خراش الهذليُّ مَكَّةَ وللوليد بن المغيرة المخزوميّ فرسانٍ يريد أن يُرسلَهُما ، في الحلبَةِ ، فقال للوليد : ما تجعلُ لي إن سبقتهما ؟ قال : إن فعلتَ ، فهما لك ، فأرسلا ، وعدا بينهما فسبقهما فأخذهما .

قال الأصمعيُّ : إذا فاتك الهذليُّ أن يكون شاعراً أو ساعياً أو رامياً فلا خير فيه .
وأخبرني بما أذكره من مجموع أخبار أبي خراش عليّ بن سُلَيْمان الأخفش ، عن أبي سعيد

1 تذكرت في ديوان الهذليين 144/2 : تذكر ما . بجبل : في ديوان الهذليين 144/2 : بَعْرُ . مُعصِم :

مستمسك .

2 العُلج : حمار الوحش . أقب : دقيق الخصر ضامر البطن ؛ رَمْلٍ في ديوان الهذليين 145/2 : رَمْلٍ وهو ضرب من الشجر . مصمم : جاد في سيره .

3 لأولاهم : لأولى سراياهم .

4 في ديوان الهذليين 147/2 : يوم كَفَتُ عادياً .

5 وائل : طلب النجاة . الشد الذليق : الجري السريع . مشبوح الذراعين : عظيمها . الخلجم : الجسم العظيم .

6 صارى : جبل جنوبي المدينة .

7 آضت في ديوان الهذليين 148/2 : قاطتُ ، أي أتت عليها قِظَةٌ أي صَيِّفَةٌ .

8 فتسخط وعند في ديوان الهذليين 148/2 : على التوالي : فتفقد ، يوم .

السكريّ ، وأخبرني بما أذكره من مجموع أشعارهم وأخبارهم فذكره أبو سعيد ، عن محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ، وعن ابن حبيب عن أبي عمرو .
[يمدح دية حياً ويرثيه ميتاً]

وأخبرني ببعضه محمد بن العباس اليزيديّ قال : حدّثنا الرياشيّ ، عن الأصمعيّ ، وقد ذكرت ما رواه في أشعار هذيل وأخبارها كلّ واحد منهم عن أصحابه في مواضعه ، قال السكريّ : فيما رواه عن ابن حبيب عن أبي عمرو قال : نزل أبو خراش الهذليّ على دُبَيْة السُلَميّ ، وكان صاحبَ العُزَى التي في غطفان وكان يَسُدُّهَا ، وهي التي هدمها خالد بن الوليد لما بعثه رسول الله ﷺ إليها فهدمها وكسرها وقتل دُبَيْة السُلَميّ ، قال : فلمّا نزل عليه أبو خراش أحسنَ ضيافته . ورأى في رجله نعلين قد أخلقنا ، فأعطاه نعلين من حذاء السَّبْت¹ فقال أبو خراش يمدحه :

| | |
|---|--|
| حذاني بعد ما خَدِمْتُ نِعالي | دُبَيْةُ إِنَّهُ نِعَمَ الْخَلِيلِ ² |
| مُقَابِلَتَيْنِ مِنْ صَلَوِي مُشِبٍّ | مِنْ الثَّيْرَانِ وَصَلُهَا جَمِيلِ ³ |
| بِمِثْلِهِمَا يَرُوحُ الْمَرْءُ لَهَواً | وَيَقْضِي الْهَمَّ ذُو الْأَرْبِ الرَّجِيلِ ⁴ |
| فَنَعَمَ مُعَرَّسُ الْأَضْيَافِ تُذْخِي | رَحَالَهُمْ شَامِيَّةٌ بَلِيلِ ⁵ |
| يُقَاتِلُ جَوْعَهُمْ بِمَكَلَّلَاتٍ | مِنْ الْفَرْنِيِّ يَرْعُبُهَا الْجَمِيلِ ⁶ |

قال أبو عمرو : الْجَمِيلُ : الإهالة ، ولا يقال لها جميل حتى تُذاب إِهَالَةً كانت أو شَحْماً . وقال أبو عمرو : ولما بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدم عُزَى غطفان ، وكانت ببطن نخلة ، نَصَبَهَا ظالم بن أسعد بن عامر بن مرة وقتل دُبَيْة فقال أبو خراش الهذليّ يرثيه :

1 السَّبْت : الجلد المدبوغ .

2 خَدِمَ الحذاء : انقطع .

3 مقابلتين في ديوان الهذليين 140/2 : بموركتين ، أي من الورك . الصَّلَوَان : ما فوق الذنب من الوركين ، وهو تشية صلا ، والصلّا : الظَّهْر . من الثيران وصلهما جميل : في ديوان الهذليين 140/2 : بصرافين عقدهما جميل أي بشراكين يصرفان ، أي يصوّتان .

4 ورد البيت في ديوان الهذليين 140/2 :

بمثلها نروح نريد لهواً ويقضي حاجة الرّجل الرّجيل
والرجيل : القوي على المشي .

5 الشّامِيّة البليل : الريح التي تهبّ من جهة الشام رطبة لينة . تُذْخِي : تسوق وتطرّد وفي الديوان تُذْخِي .

6 مكَلَّلَات : مملوءات ، الفرنيّ : نوع من الخبز . يربعها : يملؤها . الجميل : الإهالة ، وهي الشَّحْم .

ما لِدَيْبَةٍ مِنْذُ الْيَوْمِ لَمْ أَرَهُ وَسَطَ الشُّرُوبِ وَلَمْ يُلِمِّمْ وَلَمْ يَطْفِ¹
لو كان حَيًّا لَغَادَاهُمْ بِمُتْرَعَةٍ فِيهَا الرَّوَاوِقُ مِنْ شِيْزَى بَنِي الْهَظَفِ²
بنو الْهَظَفِ : قوم من بني أَسَدٍ يَعْمَلُونَ الْجِفَانَ .

كأبي الرَّمَادِ عَظِيمُ الْقِدْرِ جَفَنَتْهُ حِينَ الشِّتَاءِ كَحَوْضِ الْمُنْهَلِ اللَّقْفِ³
الْمُنْهَلُ : الذي إبله عطاش . وَاللَّقْفُ : الذي يضربُ الماءَ أَسْفَلَهُ فَيَتَساقطُ وهو مَلَانٌ .
أَمْسَى سَقَامٌ خَلَاءَ لَا أَنْيْسَ بِهِ إِلَّا السَّبَاعُ وَمَرُّ الرِّيحِ بِالْغَرْفِ⁴

[يرثي زهير بن العجوة]

وقال الْأَصْمَعِيُّ وَأَبُو عَمْرٍو فِي رَوَايَتِهِمَا جَمِيعًا : أَخَذَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي يَوْمِ
حَتِّينَ أُسَارَى ، وَكَانَ فِيهِمْ زَهِيرُ بْنُ الْعَجْوَةِ أَخُو بَنِي عَمْرٍو بْنِ الْحَارِثِ ، فَمَرَّ بِهِ جَمِيلُ بْنُ
مَعْمَرِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ وَهَبِ بْنِ خُذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ ، وَهُوَ مَرْبُوطٌ فِي الْأَسْرِ ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا إِحْنَةٌ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ ، فَقَالَ أَبُو خَرَّاشٍ يَرِثِيهِ :

فَجَعَّ أَصْحَابِي جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ بِذِي فَجَرٍ تَأْوِي إِلَيْهِ الْأَرَامِلُ⁵
طَوِيلُ نِجَادِ السِّيفِ لَيْسَ بِخَيْدِرٍ إِذَا قَامَ وَاسْتَنْتَ عَلَيْهِ الْحَمَائِلُ⁶
إِلَى بَيْتِهِ يَأْوِي الْغَرِيبُ إِذَا شَتَا وَمُهْتَلِكٌ بِالْيَدْرِيسَيْنِ عَائِلُ⁷
تَرْوَحَ مَقْرُورًا وَرَاحَتَ عَشِيَّةَ لَهَا حَادِبٌ تَحْتَهُ فَيَوَائِلُ⁸
تَكَادُ يَدَاهُ تُسَلِّمَانِ رَدَاءَهُ مِنْ الْقُرِّ لَمَّا اسْتَقْبَلَتْهُ الشَّمَائِلُ⁹

1 الشُّرُوبُ : القوم الذين يشربون . وَدَيْبَةٌ : كان سادناً لبعض الأصنام فضرب خالد بن الوليد عنقه .

2 الرواوِقُ : جمع الرواوِق وهو الخمر وإناءها ، وقيل المصافي . والشيزى : الجفنة . بنو الهطف : بنو أسد بن خزيمه ، كانوا حلفاء لبني كنانة ، وكانوا يعملون الجفان .

3 كأبي الرماد : عظيم الرماد .

4 سَقَامٌ : وادٍ بالحجاز ، والغَرْفُ : الشجر .

5 أصحابي في ديوان الهذليين 148/2 : أضيافي .

6 في ديوان الهذليين 149/2 :

طويل نجاد البرّ ليس بجيدرٍ إذا اهتز واسترخت عليه الحمائلُ

البرّ : السيف ، والجيدر : القصير . والحيدر : الغليظ السمين ، واستنت : اهتزت .

7 المهتلِك : لا همّ له إلا أن يتضيّفه الناس . والدريس : مثنى دريس ، وهو الثوب الخلق .

8 الحذب : شدة البرد . تحتته : تسرع به ، يوائل : يطلب النجاة .

9 القر في ديوان الهذليين 149/2 : الجود .

فما بال أهل الدار لم يتصدّعوا وقد خفّ منها اللوذعيُّ الحلال¹
 فأقسِمُ لو لا قيتَه غيرَ موثّقٍ لآبك بالجزع الضباعُ النواهل²
 لظلّ جميلٌ أسوأ القوم تَلَّةً ولكنّ ظَهَرَ القِرْنُ للمرءِ شاغل³
 فليس كعهدي الدار يا أمّ مالكٍ ولكنّ أحاطت بالرقابِ السلاسل⁴
 وعاد الفتى كالكهّل ليس بقائلٍ سوى الحقّ شيئاً فاستراح العواذل⁵
 ولم أنسَ أياماً لنا ولياليها بحليّةٍ إذ نلقى بها ما نحاول⁶

وقال أيضاً يرثيه :

[من الطويل]

أفي كلّ ممسى ليلةً أنا قائل من الدهر لا يبعدُ قتيلٌ جميل
 فما كنتُ أخشى أن تصيبَ دماءنا قريشٌ ولما يقتلوا بقتيل
 فأبرحُ ما أمرتُم وعمرتُم مدى الدهر حتى تُقتلوا بغليل⁵

[يستنقذ أسرى بني ليث]

وقال أبو عمرو في خبره خاصة : أقبل أبو خراش وأخوه عروة وصهيب القرديّ في بضعة عشر رجلاً من بني قرد يطلبون الصيد فبينما هم بالمجمعة من نخلة لم يرُعهم إلا قوم قريب من عدتهم فظنّهم القرديون قوماً من بني ذؤيبة أحد بني سعد بن بكر بن هوازن أو من بني حبيب أحد بني نصر ، فعدا الهذليّون إليهم يطلبونهم وطمِعُوا فيهم حتى خالطوهم وأسروهم جميعاً ، وإذا هم قوم من بني ليث بن بكر ، فيهم ابنا شعوب أسرهما صهيبُ القرديّ ، فهم بقتلها ، وعرفهم أبو خراش فاستنقذهم جميعاً من أصحابه وأطلقهم ، فقال أبو خراش في ذلك يومئذ على ابني شعوب أحد بني شجاع بن عامر بن ليث فعله بهما :

[من الوافر]

عدونا عدوة لا شك فيها وخيلناهم ذؤيبة أو حبيباً⁶

1 يتصدّعوا في ديوان الهذليين 149/2 : يتحمّلوا . اللوذعي : الخفيف الذكيّ ، أو الحديد الفؤاد والنفس ، أو اللسن الفصيح . الحلال : السيد في قومه ، أو الكريم الجواد .

2 الجزع : منعطف الوادي .

3 تَلَّة : صرعة .

4 حلية : مكان .

5 وعمرتُم في ديوان الهذليين 157/2 : وملكنتم .

6 ذؤيبة وحبيب : قبيلتان .

فُنْعِرِي الثَّائِرِينَ بِهِمْ وَقَلْنَا شَفَاءَ النَّفْسِ أَنْ بَعَثُوا الْحُرُوبَا
 مَنَعْنَا مِنْ عَدِيٍّ بَنِي حَنِيفٍ صِحَابَ مُضَرَّسٍ وَابْنِي شَعُوبَا¹
 فَأَثْنُوا يَا بَنِي شَجْعٍ عَلَيْنَا وَحَقُّ ابْنِي شَعُوبِ أَنْ يُثِيْبَا
 وَسَائِلُ سَبْرَةِ الشَّجْعِيِّ عَنَّا غَدَاةُ نَخْلَاهُمْ نَجْوًا جَنِيْبَا²
 بِأَنَّ السَّابِقَ الْقَرْدِيَّ أَلْقَى عَلَيْهِ الثَّوْبَ إِذْ وَلَّى دِيْبَا
 وَلَوْلَا ذَاكَ أَرْهَقَهُ صُهَيْبٌ حَسَامَ الْحَدِّ مَطْرُورًا خَشِيْبَا³

[يزهد زهد الهنود]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخزاعيَّ قاله : حَدَّثَنَا الرِّياشِيُّ : قال : حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قال : أَقْفَرُ أَبُو خِرَاشِ الْهَذَلِيُّ مِنَ الزَّادِ أَيَّامًا ، ثُمَّ مَرَّ بِامْرَأَةٍ مِنْ هَذِيلٍ جَزَلَةٍ شَرِيفَةٍ ، فَأَمَرَتْ لَهُ بِشَاةٍ فَذَبَحَتْ وَشَوَّيَتْ ، فَلَمَّا وَجَدَ بَطْنَهُ رِيحَ الطَّعَامِ قَرَقَرُ⁴ ، فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى بَطْنِهِ وَقَالَ : إِنَّكَ لَتَقَرِّقُ لِرَائِحَةِ الطَّعَامِ ، وَاللَّهِ لَا طَعِمْتَ مِنْهُ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ : يَا رَبَّةَ الْبَيْتِ ، هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ مِنْ صَبْرٍ أَوْ مُرٍّ ؟ قَالَتْ : تَصْنَعُ بِهِ مَاذَا ؟ قَالَ : أُرِيدُهُ ، فَأَتَتْهُ مِنْهُ بِشْيَاءٍ فَاقْتَمَحَتْهُ ، ثُمَّ أَهْوَى إِلَى بَعِيرِهِ فَرَكَبَهُ ، فَنَاشَدَتْهُ الْمَرْأَةُ فَأَبَى ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا هَذَا ، هَلْ رَأَيْتَ بَأْسًا أَوْ أَنْكَرَتَ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، ثُمَّ مَضَى وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

[من الطويل]

وَإِنِّي لِأَثْوِي الْجُوعَ حَتَّى يَمَلَّنِي فَأَحْيَا وَلَمْ تَدْنَسْ ثِيَابِي وَلَا جِرْمِي⁵
 وَأَصْطَبِحَ الْمَاءَ الْقَرَّاحَ فَأَكْتَفِي إِذَا الزَّادُ أَضْحَى لِلْمَزْلَجِ ذَا طَعْمٍ⁶
 أَرُدُّ شَجَاعَ الْبَطْنِ قَدْ تَعَلَّمِينَهُ وَأَوْثَرَ غَيْرِي مِنْ عِيَالِكِ بِالطُّعْمِ⁷

1 عدي بني حنيف : جماعة العادين منهم . ومضرس : اسم رجل من بني ليث المعدو عليهم . وشعوب : اسم رجل .

2 نخلاهم في ديوان الهذليين 134/2 : تخالنا . النجو : ما أهمل من قطع الخشب ، أو ما خرج من البطن . والجنيب : البعد .

3 ذاك في ديوان الهذليين 135/2 نحن . مطروراً : مسنوناً . خشيباً : مسلولاً .

4 قرقر بطنه : صوت من الجوع

5 لأثوي الجوع : أطيل حبسه عندي حتى يملني . الجرم : الجسد .

6 صدر البيت في ديوان الهذليين 127/2 :

وأغتبك الماء القراح فأنتهي

المزlj : الرجل الذي لا قدرة له على احتمال المكروه .

7 الشجاع : الثعبان .

مخافةً أن أحيا برغمٍ وذلةً فللموت خيرٌ من حياةٍ على رَغمٍ

[يفتدي أخاه عروة فيلطمه]

وأخبرني عمي عن هارون بن محمد الزيات ، عن أحمد بن الحارث ، عن المدائني بنحو مما رواه الأصمعي ، وقال أبو عمرو : أسرت فهُم عروة بن مرةً أبا أبي خراش ، وقال غيره : بل بنو كنانة أسرتَه ، فلما دخلت الأشهر الحرم ، مضى أبو خراش إليهم ومعه ابنه خراش ، فنزل بسيد من ساداتهم ولم يعرفه نفسه ولكنه استضافه فأنزله وأحسن قِراه ، فلما تحرّم به انتسب له ، وأخبره خبر أخيه ، وسأله معاونته حتى يشتريه منهم ، فوعده بذلك ، وغدا على القوم مع ذلك الرجل ، فسألهم في الأسير أن يهبوه له ، فما فعلوا ، فقال لهم : فيبيعوني ، فقالوا : أما هذا فنعم ، فلم يزل يسأولهم حتى رضوا بما بذله لهم ، فدفع أبو خراش إليهم ابنه خراشاً رهينةً ، وأطلق أخاه عروة ومضيا ، حتى أخذ أبو خراش فكاك أخيه ، وعاد به إلى القوم حتى أعطاهم إياه وأخذ ابنه . فبينما أبو خراش ذات يوم في بيته إذ جاءه عبد له فقال : إن أخاك عروة جاءني وأخذ شاة من غنمك ، فذبحها ، ولطمني لما منعه منها ، فقال له : دعه ، فلما كان بعد أيام عاد ، فقال له : قد أخذ أخرى : فذبحها ، فقال : دعه ؛ فلما أمسى قال له : إن أخاك اجتمع مع شرب من قومه ، فلما انتشى جاء إلينا وأخذ ناقة من إبلك ، لينحرها لهم فعاجله ، فوثب أبو خراش إليه ، فوجده قد أخذ الناقة ، لينحرها ، فطردها أبو خراش ، فوثب أخوه عروة إليه فلطم وجهه ، وأخذ الناقة ، فعقرها ، وانصرف أبو خراش ، فلما كان من غدٍ لأمه قومه ، وقالوا له : بئست لعمر الله المكافاة ، كانت منك لأخيك ؛ رهن ابنه فيك ، وفداك بماله . ففعلت به ما فعلت ، فجاء عروة يعتذر إليه ، فقال أبو خراش :

لعلك نافعي يا عرو يوماً
أخذت خفارتِي ولطمت عيني
ويومٍ قد صبرتُ عليك نفسي
إذا ما كان كسُ القوم رَوْقاً
بما يممته وتركتُ بكري
وما أطعمت من لحم الجُرور⁴

قال معنى قوله بكري أي بكرٌ ولدي أي أولهم .

1 خفارتِي : المال الذي أحرسه .

2 الأشهاد : جمع شهد ، وشهد جمع شاهد . ومرتدي الحرور : لابساً الحرّ .

3 الكس : الدق الشديد . رَوْقاً : زائداً .

4 بما يممته : بما قصدته من إحساني إليك .

[خير أخويه الأسود وأبي جندب]

وقال الأصمعي وأبو عبيدة وأبو عمرو وابن الأعرابي : كان بنو مرة عشرة ، أبو خراش ، وأبو جندب ، وعروة ، والأبج ، والأسود ، وأبو الأسود ، وعمرو ، وزهير ، وجناد ، وسفيان ، وكانوا جميعاً شعراء دهاة سراعاً لا يُدركون عدواً ، فأما الأسود بن مرة فإنه كان على ماء من داءة¹ وهو غلام شاب ، فوردت عليه إبل رثاب بن ناضرة بن المؤمل من بني لحيان ، ورثاب شيخ كبير ، فرمى الأسود ضرع ناقة من الإبل فعفرها ، فغضب رثاب ، فضربه بالسيف ، فقتله ، وكان أشدهم أبو جندب ، فعرف خير أخيه ، فغضب غضباً شديداً ، وأسف ، فاجتمعت رجال هذيل إليه يكلمونه وقالوا : خذ عقل² أخيك ، واستبق ابن عمك ، فلم يزالوا به حتى قال : نعم ، اجتمعوا العقل ، فجاءوه به في مرة واحدة ، فلما أراحوه عليه صمت فطال صمته فقالوا له ، أرحنا : اقضه منا ، فقال : إني أريد أن أعتير فاحبسوه حتى أرجع ، فإن هلك فلا³ ما أنتم ، هذه لغة هذيل يقولون : إم بالكسر ، ولا يستعملون الضم ، وإن عشت فسوف ترون أمري ، وولّى ذاهباً نحو الحرم ، فدعا عليه رجال من هذيل ، وقالوا : اللهم لا تردّه ، فخرج فقدم مكة فواعد كل خليع وفاتك في الحرم أن يأتوه يوم كذا وكذا ، فيصيب بهم قومه ، فخرج صادراً ، حتى أخذته الذبحة في جانب الحرم ، فمات قبل أن يرجع ، فكان ذلك خبره .

[خير أخيه زهير]

قالوا : وأما زهير بن مرة فخرج معتمراً قد جعل على جسده من لحاء الحرم حتى ورد ذات الأقر⁴ من نعمان ، فبينما هو يسقي إبلاً له إذ ورد عليه قوم من ثمالة ، فقتلوه ، فله يقول أبو خراش ، وقد انبعث يغزو ثمالة ويُغير عليهم ، حتى قتل منهم بأخيه أهل دارين ، أي جلتين من ثمالة :

خذوا ذلكم بالصُّلحِ إني رأيْتُكم قتلتم زهيراً وهو مهديٌّ ومُهملٌ
مهديٌّ أي أهدى هدياً للكعبة . ومهملٌ : قد أهملَ إليه في مراعيها .
قتلتم فتى لا يفجرُ الله عامداً ولا يجتويه جاره عامٌ يُمحل⁵

1 داءة : موضع هذيل .

2 العقل : الدية .

3 فلاً ما أنتم : أنتم تنتمون إلى أصل عظيم .

4 ذات الأقر : جبل بنعمان .

5 لا يفجر الله : لا يفجر بالله .

ولهم يقول أبو خراش : [من الرجز]

إني امرؤ أسألُ كيما أعلمَا مَنْ شَرُّ رَهْطٍ يَشْهَدُونَ الموسِمَا ؟
وجدتهم ثَمالةً بنَ أسلما

وكان أبو خراش إذا لقيهم في حروبه أوقع بهم ويقول : [من الرجز]

إليك أم ذِيَّانٍ ما ذاك من حلبِ الضَّانِ
لكن مصاع الفتيانِ بكلِّ لَينِ حَرَّانِ

[خبر أخيه عروة وابنه خراش]

قال : وأما عروة بنُ مرّةٍ وخراشُ بنُ أبي خراشٍ فأخذهما بطنان من ثَمالةٍ يقال لهما بنو رزام وبنو بلال ، وكانوا متجاورين ، فخرج عروة بن مرّةٍ وابن أبي خراش أخيه مغيرينَ عليهم طمعاً في أن يظفروا من أموالهم بشيءٍ ، فظفرَ بهما الثماليون ، فأما بنو رزام فنهوا عن قتلها وأبت بنو بلال إلا قتلها ، حتى كاد يكون بينهم شرٌّ ، فالتقى رجل من القوم ثوبه على خراش حين شُغل القوم بقتل عروة ، ثم قال له : انجُ ، وانحرفَ القومُ بعد قتلهم عروة إلى الرجل ، وكانوا أسلموه إليه ، فقالوا : أينَ خراش ؟ فقال : أفلتَ مِنِّي فذهب ، فسعى القوم في أثره ، فأعجزهم ، فقال أبو خراش في ذلك يرثي أخاه عروة ، ويذكر خلاصَ ابنه :

[من الطويل]

| | |
|---------------------------------|--|
| حمدتُ إلهي بعد عُرْوَةَ إذ نجا | خراشٌ وبعضُ الشرِّ أهونُ من بعضٍ |
| فواللهِ لا أنسى قتيلاً رُزيتَه | بجانبِ قَوْسِي ما حييتُ على الأرضِ ¹ |
| بلى إنها تعفو الكلومَ وإنما | نُوكَلُ بالأدنى وإن جُلَّ ما يَمْضِي |
| ولم أدِرْ مَنْ ألقى عليه رداءهُ | سوى أَنَّهُ قد سلَّ عن ماجِدٍ محضٍ ² |
| ولم يكُ مثلوجَ الفؤادِ مهبلاً | أضاع الشابَّ في الرَبِيلَةِ والخفضِ ³ |
| ولكنَّهُ قد نازعته مجاوع | على أَنَّهُ ذو مرّةٍ صادقِ النهضِ ⁴ |

قال : ثم إنَّ أبا خراش وأخاه عروة استنفرا حيّاً من هذيل يقال لهم بنو زُليْفَةَ بن صبيح ليغزوا ثَمالةً بهم طالِبِينَ بثأرَ أخيهما ، فلَمَّا دَنَوْا من ثَمالةٍ أصاب عروةَ وَرْدُ حُمَى ، وكانت به

1 حييت في ديوان الهذليين 158/2 : ما مشيت .

2 أنه في ديوان الهذليين 158/2 : ولكنّه .

3 مهبلاً في ديوان الهذليين 158/2 مهبجاً والمهيج : المنقل . والمهبل من القول : هبلك أمك أي ثكلتك . ومثلوج الفؤاد : ضعيف الفؤاد . الربيلة والخفض : معناهما واحد أي الدعة ؛ والربيلة ، كثرة اللحم وتماحه .

4 مجاوع في ديوان الهذليين 158/2 مخامض .

حُمَيَّ^١ الرَّبْعَ فجعل عروة يقول :

[من الرجز]

أَصْبَحْتُ مُرُوداً فَقَرَّبُونِي إِلَى سَوَادِ الْحَيِّ يَدْفِنُونِي
إِنَّ زَهيراً وَسَطَهُمْ يَدْعُونِي رَبَّ الْمَخَاضِ وَاللَّقَاحِ الْجُونِ

فليثوا إلى أن سكنت الحُمَيَّ ، ثم يَبْتَوا ثُمَالَةً ، فوجدوهم خُلُوفاً ليس فيهم رجال ، فقتلوا مَنْ وجدوا من الرجال ، وساقوا النساء والذرائي والأموال ، وجاء الصائح إلى ثُمَالَةَ عشاءً ، فلحقوهم ، وانهزم أبو خراش وأصحابه ، وانقطعت بنو زليفة ، فنظر الأكنع الثُمالي ، وكان مقطوع الأصبع ، إلى عروة فقال : يا قوم ، ذلك والله عروة ، وأنا والله رام بنفسي عليه ، حتى يموت أحدنا ، وخرج يمعج^٢ نحو عروة ، فصاح عروة بأبي خراش أخيه : أي أبا خراش ، هذا والله الأكنع وهو قاتلي ، فقال أبو خراش : أمضيه^٣ ، وقعد له على طريقه ، ومرَّ به الأكنع مصمماً على عروة ، وهو لا يعلم بموضع أبي خراش ، فوثب عليه أبو خراش ، فضربه على حبل عاتقه حتى بلغت الضربة سحره^٤ ، وانهزمت ثُمَالَةُ ، ونجا أبو خراش وعروة . وقال أبو خراش يرثي أخاه وَمَنْ قتلته ثُمَالَةُ وكنانة من أهله ، وكان الأصمعي يفضّلها :

[من الطويل]

فَقَدْتُ بَنِي لُبْنَى فَلَمَّا فَقَدْتَهُمْ صَبَرْتُ فَلَمْ أَقْطَعْ عَلَيْهِمْ أَبَاجِلِي^٥
الأبجل : عرق في الرّجل .

رِمَاخٌ مِنَ الْخَطِيئِ زُرُقٌ نِصَالُهَا حِدَادٌ أَعَالِيهَا شِدَادُ الْأَسَافِلِ
فَلَهْفِي عَلَى عَمْرِو بْنِ مُرَّةٍ لَهْفَةٌ وَلَهْفِي عَلَى مَيْتِ بَقَوْسَى الْمَاعِزِلِ
حِسَانُ الْوَجْهِ طَيِّبٌ حُجْرَاتُهُمْ كَرِيمٌ نَتَاهُمْ غَيْرُ لُفٍّ مَعَازِلِ^٦
قَتَلْتُ قَتِيلًا لَا يُحَالِفُ غَدْرَةً وَلَا سُبَّةً لَا زِلْتَ أَسْفَلَ سَافِلِ
وَقَدْ أَمْنُونِي وَاطْمَأْنَنْتُ نَفْسُهُمْ وَلَمْ يَعْلَمُوا كُلَّ الَّذِي هُوَ دَاخِلِي

١ حُمَيَّ الربع : التي تصيب المريض يوماً وتدعه يومين ، ثم تعود إليه في اليوم الرابع .

٢ يمعج : يسرع .

٣ أمضيه : اجعله يمضي خلفك .

٤ السحر : ما اتصل بالخلقوم من رثة وغيرها .

٥ بني لُبْنَى : إخوته لأن اسم أمهم جميعاً لبني ما عدا سفيان .

٦ حُجْرَات : جمع حُجْرة وهي موضع التكة من السراويل . والنثا : الحديث . لف : جمع ألف ، وهو الثقيل البطيء ، أو ألفه العبي ، المعازل ، المجردون من السلاح .

فَمَنْ كَانَ يَرْجُو الصَّلْحَ مِنِّي فَإِنَّهُ
أُصِيبَتْ هُذَيْلٌ يَا ابْنَ لُبْنَى وَجُدَّتْ
كَأَحْمَرِ عَادٍ أَوْ كُتَيْبِ بْنِ وَائِلٍ
أَنُوفُهُمْ بِاللُّؤْذَعِيِّ الْحُلَاحِلِ
رَأَيْتُ بَنِي الْعَلَاتِ لَمَّا تَصَافَرُوا
يَحُوزُونَ سَهْمِي دُونَهُمْ بِالشَّمَائِلِ

[أخبار إخوانه]

قالوا : وأما أبو الأسود فقتلته فهُمْ بَيَاتًا تحت الليل ، وأما الأَبَحُّ فكان شاعراً ، فأمسى بدار
بَعْرَعَرَ من ضِيمٍ ، فذكر لسارية بن زنيمة العبدِيَّ أحد بني عبد بن عديِّ بن الدَّيْل ، فخرج
بقوم من عشيرته يريدوه وَمَنْ معه ، فوجدوهم قد ظعنوا . وكان بين بني عبد بن عديِّ بن
الدَّيْل وبينهم حرب ، فقال الأَبَحُّ في ذلك :

لَعْمُرِكَ سَارِيَّ بْنَ أَبِي زُنَيْمٍ
لَأَنْتَ بَعْرَعَرَ الثَّارُ الْمَنِيمُ¹
تَرَكْتَ بَنِي مَعَاوِيَةَ بْنِ صَخْرِ
وَأَنْتَ بَمَرِيعٍ وَهُمْ بِضِيمٍ
تُسَاقِيهِمْ عَلَى رَصْفٍ وَظُرٍّ²
كَدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ³

رَصَفٌ وَظُرٌّ : ماءان ، ومرِيع وضيم ، موضعان .

فَلَمْ تَتْرَكْهُمْ قَصْداً وَلَكِنْ
رَأَيْتَهُمْ فَوَارِسَ غَيْرِ عَزْلٍ
فَرَقْتَ مِنَ الْمَصَالِتِ كَالنَّجُومِ
إِذَا شَرِقَ الْمُقَاتِلُ بِالْكُلُومِ

فَأَجَابَهُ سَارِيَّة ، فقال :

لَعَلَّكَ يَا أَبَحُّ حَسِبْتَ أَنَّي
أَخَذْتُمْ عَقْلَهُ وَتَرَكْتُموه
قَتَلْتُ الْأَسْوَدَ الْحَسَنَ الْكَرِيمَا
يَسُوقُ الظُّمِّيَّ وَسَطَ بَنِي تَمِيمَا³

عَبَّرَهُمْ بِأَخْذِ دِيَةِ الْأَسْوَدِ بْنِ مَرَّةٍ أَخِيهِمْ ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَدْرِكُوا بَثْرَهُ ، وَبَنُو تَمِيمٍ مِنْ هُذَيْلٍ .

قالوا : وَأَمَّا جُنَادَةُ وَسَفِيَّانُ فَمَاتَا ، وَقَتْلَ عَمْرُو ، وَلَمْ يُسَمَّ قَاتِلُهُ . قالوا : وَأَمَّهُمْ جَمِيعاً
لُبْنَى إِلَّا سَفِيَّانَ بْنِ مَرَّةٍ ، فَإِنَّ أُمَّهُ أُمَّ عَمْرُو الْقِرْدِيَّةَ ، وَكَانَ أَيْسَرَ الْقَوْمِ وَأَكْثَرَهُمْ مَالاً .

وَقَالَ أَبُو عَمْرُو : وَغَزَا أَبُو خِرَاشٍ فَهَمَّا ، فَأَصَابَ مِنْهُمْ عَجُوزاً ، وَأَتَى بِهَا مَنْزِلَ قَوْمِهِ ،

1 ساري : ترخيم سارية . عرعر : مكان . الثَّارُ الْمَنِيمُ : الثَّارُ الَّذِي أَدْرَكَهُ أَهْلُهُ اسْتَرَاخُوا وَنَامُوا . فِي هَذَا الْبَيْتِ
وَالثَّالِثِ إِقْوَاء .

2 الْمَسَافَاةُ : الْمَسَالِمَةُ وَالْمَصَافَاةُ . وَحَلِمَ : أَصَابَتْهُ الْحَلْمَةُ وَهِيَ دَوْدَةٌ تَأْكُلُ الْجِلْدَ ، فَإِذَا دَبَغَ وَهِيَ مَوْضِعُ الْأَكْلِ .
وَهُنَا مِثْلُ : وَرَدَ فِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ 150/2 وَجُمُورَةُ الْأَمْثَالِ لِلْعَسْكَرِيِّ 35/2 ، 158 ، وَالْمُسْتَقْصَى
لِلزَمَخْشَرِيِّ 216 وَكِتَابُ الْأَمْثَالِ لِلْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ 343 .

3 عَقْلُهُ : دَيْتُهُ . الظُّمِّيَّ : جَمْعُ ظُمِيَاءَ ، وَهِيَ النَّاقَةُ الْقَلِيلَةُ لَحْمِ الْفَخْزَيْنِ .

فدفعها إلى شيخ منهم ، وقال : احتفظ بها حتى آتيك ، وانطلق لحاجته ، فأدخلته بيتاً صغيراً ، وأغلقت عليه ، وانطلقت ، فجاء أبو خراش ، وقد ذهب ، فقال : [من الطويل]

سَدَّتْ عليه دَوْلَجاً ثُمَّ يَمَّمَتْ بني فالج بالليث أهل الخزائم

الدولج : بيت صغير يكون للبهْم ، والليث : ماء لهم ، والخزائم البقر واحدتها خزومة .

وقالت له : دَنَخْ مكانك إني سألُكَ إن وافيت أهل المواسم

يقال : دَنَخَ الرجلُ ودَمَخَ إذا أَكَبَّ على وجهه ويديه .

وقال أبو عمرو : دخلت أُميمةُ امرأةَ عروة بن مرةَ على أبي خراش وهو يلاعب ابنه فقالت له : يا أبا خراش تناسيتَ عروةَ ، وتركتَ الطلبَ بثأره ، ولهُوتَ مع ابنك ، أما والله لو كنتَ المقتول ما غفلَ عنك ، ولطلبَ قاتلكَ حتى يقتله ، فبكى أبو خراش ، وأنشأ يقول :

لعمري لقد راعتُ أُميمةُ طلعتي وإن ثوائي عندها لقليلُ

وقالت : أراه بعد عروةَ لاهياً وذلك رُزءٌ لو علمتَ جليلُ

فلا تحسبي أنني تناسيتُ فقدُهُ ولكن صبري يا أُميمَ جميلُ¹

ألم تعلمي أن قد تفرَّقَ قبلنا نديماً صفاءً مالكٌ وعَقيلُ²

أبى الصبرُ أنني لا يزال يهيجُني مبيتٌ لنا فيما خلا ومَقيلُ

وأنني إذا ما الصبحُ آتستُ ضوءه يعاودني قُطْعٌ عليّ ثَقيلُ³

قال أبو عمرو : فأما أبو جندب أخو أبي خراش فإنه كان جاور بني نفاثةَ بن عدي بن الدَّيْل حيناً من الدهر ، ثم إنهم هموا بأن يغدروا به ، وكانت له إبل كثيرة فيها أخوه جنادة ، فراح عليه أخوه جنادة ذات ليلة ، وإذا به كُلُّومٌ ، فقال له أبو جندب : ما لك ؟ فقال : ضربني رجل من جيرائك ، فأقبل أبو جندب ، حتى أتى جيرانه من بني نفاثة ، فقال لهم : يا قوم ، ما هذا الجوار ؟ لقد كنت أرجو من جواركم خيراً من هذا ، أيتجاوز أهل الأعراض بمثل هذا ؟ .

فقالوا : أو لم يكن بنو لحيان ، يقتلوننا ، فوالله ما قَرَّتْ دماؤنا ، وما زالت تغلي ، والله إنك

1 صدر البيت في ديوان الهذليين 2 : 116 : ولا تحسبي أنني تناسيت عهد

2 عجز البيت في ديوان الهذليين 2 : 116 : خليلاً صفاء مالك وعقيل

ومالك وعقيل هما نديما جذيمة الأبرش .

3 القُطْع : انقطاع النفس وضيقه .

لثَّارِ الْمُنِيمِ ، فقال : أَمَا إِنَّهُ لَمْ يُصِيبْ أَخِي إِلَّا خَيْرٌ ، وَلَكِنَّمَا هَذِهِ مَعَاتِبَةٌ لَكُمْ ، وَفَطِينٌ لِلَّذِي يَرِيدُ الْقَوْمَ مِنَ الْغَدْرِ بِهِ ، وَكَانَ بِأَسْفَلِ دِفَاقٍ¹ ، فَأَصْبَحُوا ظَاعِنِينَ ، وَتَوَاعَدُوا مَاءَ ظَرْ² ، فَفَقَدَ الرِّجَالُ إِلَى الْمَاءِ ، وَأَخْرَوْا النِّسَاءَ لِأَن يَتْبِعَنَّهُمْ إِذَا نَزَلُوا ، وَاتَّخَذُوا الْحَيَاضَ لِلْإِبِلِ ، فَأَمَرَ أَبُو جَنْدَبٍ أَخَاهُ جُنَادَةَ وَقَالَ لَهُ : اسْرَحْ مَعَ نَعَمِ الْقَوْمِ .

ثُمَّ تَوَقَّفَ ، وَتَأَخَّرَ ، حَتَّى تَمَرَّ عَلَيْكَ النَّعَمُ كُلُّهَا ، وَأَنْتَ فِي آخِرِهَا سَارِحٌ بِإِبِلِكَ ، وَاتْرَكَهَا مَتَفَرِّقَةً فِي الْمَرْعَى ، فَإِذَا غَابُوا عَنْكَ فَاجْمَعْ إِبِلَكَ ، وَاطْرُدْهَا نَحْوَ أَرْضِنَا ، وَمَوْعِدُكَ نَجْدَ الْوَدَّيْنِ ، فِي طَرِيقِ بِلَادِهِ ، وَقَالَ لَامْرَأَتِهِ أُمُّ زَيْنَبَاعَ وَهِيَ مِنْ بَنِي كَلْبِ بْنِ عَوْفٍ : أَطْعَمَنِي وَتَمَكَّنْتَنِي ، حَتَّى تَخْرُجَ آخِرَ ظَعِينَةٍ مِنَ النِّسَاءِ .

ثُمَّ تَوَجَّهِي ، فَمَوْعِدُكَ ثَنِيَّةٌ يَدْعَانِ مِنَ جَانِبِ النَّخْلَةِ ، وَأَخَذَ أَبُو جَنْدَبٍ دَلْوَهُ ، وَوَرَدَ مَعَ الرِّجَالِ ، فَاتَّخَذَ الْقَوْمُ الْحَيَاضَ ، وَاتَّخَذَ أَبُو جَنْدَبٍ حَوْضًا ، فَمَلَأَهُ مَاءً ، ثُمَّ قَعَدَ عِنْدَهُ ، فَمَرَّتْ بِهِ إِبِلٌ ثُمَّ إِبِلٌ ، فَكَلَّمَا وَرَدَتْ إِبِلٌ سَأَلَ عَنْ إِبِلِهِ فَيَقُولُونَ : قَدْ بَلَغَتْ ، تَرَكَانَهَا بِالضَّجْنِ³ .

ثُمَّ قَدِمَتِ النِّسَاءُ كُلَّمَا قَدِمَتْ ظَعِينَةٌ سَأَلَهَا عَنْ أَهْلِهَا ، فَيَقُولُونَ : بَلَغَتْكَ تَرَكَانَهَا تَظْعُنَ ، حَتَّى إِذَا وَرَدَ آخِرُ النَّعَمِ وَآخِرُ الظَّعْنِ قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ حَبَسَ أَهْلِي حَابِسٌ ، أَبْصِرْ يَا فُلَانُ ، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ أَهْلِي وَإِبِلِي ، وَطَرَحَ دَلْوَهُ عَلَى الْحَوْضِ . ثُمَّ وَلَّى ، حَتَّى أَدْرَكَ الْقَوْمَ بَحِثَ وَعَدَهُمْ ، فَقَالَ أَبُو جَنْدَبٍ فِي ذَلِكَ :

أَقُولُ لَأُمِّ زَيْنَبَاعٍ أَقِيمِي صُدُورَ الْعَيْسِ شَطَرَ بَنِي تَمِيمٍ
وَعَرَبْتُ الدَّعَاءَ وَأَيْنَ مِنِّي أَنَاسٌ بَيْنَ مَرٍّ وَذِي يَدُومٍ
غَرِبَتِ الدَّعَاءُ : دَعَوْتُ مِنْ بَعِيدٍ .

وَحَيٌّ بِالْمَنَاقِبِ قَدْ حَمَّوْهَا لَدَى قُرْآنٍ حَتَّى بَطِنَ ضَمِيمٍ
وَأَحْيَاءٌ لَدَى سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ بِأَمْلَاحٍ فُظَاهِرَةِ الْأَدِيمِ⁴
أُولَئِكَ مَعَشَرِي وَهُمْ أَرْوَمِي وَبَعْضُ الْقَوْمِ لَيْسَ بِذِي أَرْوَمٍ⁵
هَنَالِكَ لَوْ دَعَوْتُ أَتَاكَ مِنْهُمْ رَجَالٌ مِثْلَ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ

الْأَرْمِيَةُ : السَّحَابُ الشَّدِيدُ الْوَقْعُ ، وَاحِدُهَا رَمِيٌّ ، وَالْحَمِيمُ : مَطَرُ الْقَيْظِ .

1 دِفَاقٌ : مَكَانٌ .

2 ظَرْ : مَاءٌ .

3 الضَّجْنُ : وَادٍ فِي بِلَادِ هَذِيلَ بِنْتِهَاةٍ .

4 الْمَنَاقِبُ ، وَقُرْآنٌ ، وَبَطْنُ ضَمِيمٍ ، وَأَمْلَاحٌ ، وَظَاهِرَةُ الْأَدِيمِ : أَمْكَنَةٌ بِهَا آلُهُ وَأَنْصَارُهُ .

5 الْأَرْوَمُ : أَصْلُ الشَّجَرَةِ .

أَقْلَ اللَّهُ خَيْرُهُمُ الْمَا يَدْعُهُمْ بَعْضُ شَرِّهِمُ الْقَدِيمِ
 الْمَا يَسْلَمُ الْجِيرَانُ مِنْهُمْ وَقَدْ سَالَ الْفِجَاجُ مِنَ الْغَمِيمِ¹
 غَدَاةَ كَانَ جَنَادَ بْنَ لُبْنَى بِهِ نَضَخُ الْعَبِيرِ مِنَ الْكُلُومِ²
 دَعَا حَوْلِي نَفَاثَةً ثُمَّ قَالُوا : لَعَلَّكَ لَسْتَ بِالثَّأْرِ الْمَنِيمِ

المنيم : الذي إذا أذرك استراح أهله وناموا .

نَعُوا مَنْ قَتَلَتْ لِحْيَانُ مِنْهُمْ وَمَنْ يَغْتَرُّ بِالْحَرْبِ الْقُرُومِ

قالوا جميعاً : وكان أبو جندب ذا شرٍّ وبأس ، وكان قومه يسمونه المشثوم ، فاشتكى شكوى شديدة ، وكان له جار من خزاعة يقال له حاطم ، فوقعت به بنو لحيان ، فقتلوه قبل أن يستبيل³ أبو جندب من مرضه ، واستاقوا أمواله ، وقتلوا امرأته ، وقد كان أبو جندب كَلَمَ قومه ، فجمعوا لجاره غنماً ، فلما أفاق أبو جندب من مرضه خرج من أهله ، حتى قدم مكة ، ثم جاء يمشي حتى استلم الركن ، وقد شقَّ ثوبه عن استه ، فعرف الناس أنه يريد شراً ، فجعل يصيح ويقول :

إِنِّي امْرُؤٌ أَبْكِي عَلَى جَارِيَّةٍ أَبْكِي عَلَى الْكَعْبِيِّ وَالْكَعْبِيَّةِ
 وَلَوْ هَلَكْتُ بِكَيَا عَلَيْهِ كَانَا مَكَانَ الثَّوْبِ مِنْ حَقْوِيَّةِ⁴

فلما فرغ من طوافه ، وقضى حاجته من مكة خرج في الخُلَعَاءِ من بكر وخزاعة ، فاستجاشهم على بني لحيان ، فقتل منهم قتلى ، وسبى من نسائهم وذرائعهم سبأيا ، وقال في ذلك :

لَقَدْ أَمْسَى بَنُو لِحْيَانٍ مِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خِزْيٍ مُبِينٍ
 تَرَكْتُهُمْ عَلَى الرِّكَبَاتِ صُعْرًا يُشِيُّونَ الذَّوَائِبَ بِالْأَنْيُنِ

[يشكو إلى عمر فراق ابنه]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدَّثني عبد الرحمن ابنُ أخي الأصمعي قال : حدَّثني عمِّي قال : هاجر خراشُ بنُ أبي خراش الهذلي في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وغزا مع المسلمين ، فأوغل في أرض العدو ، فقدم أبو خراش المدينة ، فجلس بين يدي عمر ،

1 الغميم : نوع من اللبن ، أو من النبات .

2 العبير : الكثير .

3 يستبيل : يتم شفاؤه .

4 الحقو : الخصر .

وشكا إليه شوقه إلى ابنه ، وأنه رجل قد انقرضَ أهله ، وقُتِلَ إخوته ، ولم يبقَ له ناصر ولا معين غير ابنه خراش ، وقد غزا وتركه ، وأنشأ يقول :

[من الوافر]

ألا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي خِرَاشاً وقد يَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَا
تُزِيدُ وَتُزَوِّدُ وَاحِدَ ، من الزاد .

يُنَادِيهِ لِيُغَبِّقَهُ كَلِيبٌ ولا يَأْتِي ، لقد سَفِهَ الْوَلِيدُ¹
فَرْدٌ إِنْءَاهُ لَا شَيْءَ فِيهِ كَأَنَّ دَمَوْعَ عَيْنِيهِ الْفَرِيدُ²
وَأَصْبَحَ دُونَ غَابِقِهِ وَأَمْسَى جِبَالٌ مِنْ حِرَارِ الشَّامِ سَوْدُ
أَلَا فَاعْلَمْ خِرَاشُ بَأَنَّ خَيْرَ الْمَهَا جَرَّ بَعْدَ هَجْرَتِهِ زَهِيدُ
رَأَيْتَكَ وَابْتِغَاءَ الْبِرِّ دُونِي كَمَحْصُورِ اللَّبَانِ وَلَا يَصِيدُ³

قال : فكتب عمر رضي الله عنه بَأَنَّ يُقْبَلَ خراش إلى أبيه ، وَأَلَّا يَغْزَوْ مَنْ كَانَ لَهُ أَبٌ شَيْخٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ .

[مصرعه]

أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّهَ : قَالَ : حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ ، وَأَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الصَّبَّاحِ ، عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ .

وَأَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ دَمَازُ : قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَأَخْبَرَنِي أَيْضاً هَاشِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَخِي الْأَصْمَعِيِّ ، عَنْ عَمِّهِ ، وَذَكَرَهُ أَبُو سَعِيدٍ السَّكْرِيُّ فِي رِوَايَةِ الْأَخْفَشِ عَنْهُ عَنْ أَصْحَابِهِ ، قَالُوا جَمِيعاً : أَسْلَمَ أَبُو خِرَاشٍ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، ثُمَّ أَتَاهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ قَدِمُوا حُجَّاجاً ، فَتَزَلُّوا بِأَبِي خِرَاشٍ وَالْمَاءُ مِنْهُمْ غَيْرُ بَعِيدٍ ، فَقَالَ : يَا بَنِي عَمِّي ، مَا أَمْسَى عِنْدَنَا مَاءٌ ، وَلَكِنْ هَذِهِ شَاةٌ وَبُرْمَةٌ وَقِرْبَةٌ ، فَرِدُّوا الْمَاءَ ، وَكُلُوا شَاتِكُمْ ، ثُمَّ دَعَوْا بُرْمَتَنَا وَقِرْبَتَنَا عَلَى الْمَاءِ ، حَتَّى نَأْخُذَهَا ، قَالُوا : وَاللَّهِ مَا نَحْنُ بِسَائِرِينَ فِي لَيْلَتِنَا هَذِهِ ،

1 يغبقه : يسقيه الماء .

2 الفريد : اللؤلؤ .

3 في ديوان الهذليين 171/2 :

فإنك وابتغاء البر بعدي كمخضوب اللبان ولا يصيد
واللبان : الصدر . والمخضوب : المشدود .

وما نحن ببارحين حيث أمسينا ، فلمّا رأى ذلك أبو خراش أخذ قربه ، وسعى نحو الماء تحت الليل حتى استقى ، ثم أقبل صادراً ، فنهشته حيّة قبل أن يصل إليهم ، فأقبل مُسرِعاً حتى أعطاهم الماء ، وقال : أطبخوا شاتكم وكلوا ولم يُعلمهم بما أصابه ، فباتوا على شاتهم يأكلون حتى أصبحوا ، وأصبح أبو خراش في الموت ، فلم يبرحوا حتى دفنوه ، وقال وهو يعالج الموت :

لعمركُ والمنايا غالباتُ على الإنسانِ تطلّع كلُّ نجدٍ
لقد أهلكتِ حيّة بطنِ أنفٍ على الأصحابِ ساقاً ذاتَ فقدٍ¹

وقال أيضاً :

لقد أهلكتِ حيّة بطنِ أنفٍ على الأصحابِ ساقاً ذاتَ فضلٍ
فما تركتُ عدوّاً بين بُصرى إلى صنعاء يطلبُهُ بذخلٍ²

قال : فبلغ عُمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه خبرُهُ ، فغضب غضباً شديداً ، وقال : لولا أن تكون سبّة لأمرتُ ألا يُضافَ يمانُ أبداً ، ولكتبت بذلك إلى الآفاق . إنَّ الرجل ليُضيف أحدهم ، فيبذل مجهوده فيسخطُهُ ولا يقبله منه ، ويطلبُهُ بما لا يقدر عليه ، كأنّه يطلبه بدين ، أو يتعنته ليفضّحه ، فهو يكلفه التكاليف ، حتى أهلك ذلك من فعلهم رجلاً مسلماً ، وقتله ، ثم كتب إلى عامله باليمن بأن يأخذ النفر الذين نزلوا بأبي خراش فيُغرّمهم دينته ، ويؤدّبهم بعد ذلك بعقوبة تمسّهم جزاء لأعمالهم .

صوت

[من الطويل]

تهيمُ بها لا الدهرُ فإنِ ولا المنى سواها ولا يُنسيك نائي ولا شغلُ
كبيضةٍ أدحيٍّ بميثِ خميلةٍ يحفّفها جَوْنٌ بجوْجوه صعلُ³

الشعر لعبد الرحمن بن مسافع بن دارة ، والغناء لابن محرز ثقيلاً أوّل بالوسطى ، عن ابن المكّي .

1 أنف : مكان . وفي ديوان الهذليين 2 : 172 : ساقاً بعد فقد .

2 الذحل : الثأر .

3 الأدحي : مبيض النعام . وميث خميلة : خميلة ممطورة . والصعل : الطويل .

[455] - أخبار ابن داره ونسبه¹

[نسبه]

هو عبد الرحمن بن مسافع بن داره ، وقيل : بل هو عبد الرحمن بن رُبَيْعٍ بن مسافع بن داره ، وأخوه مسافع بن داره ، وكلاهما شاعر ، وفي شعريهما جميعاً غناء يُذكر هاهنا وأخوهما سالم بن مسافع بن داره شاعر أيضاً وفي بعض شعره غناء يذكر بعد أخبار هذين . فأما سالم فمخضرم قد أدرك الجاهلية والإسلام . وأما هذان فممن شعراء الإسلام ، ودارة لقب غلب على جدّهم ، ومسافع أبوهم ، وهو ابن شُرَيْح بن يربوع الملقّب بدارة بن كعب بن عديّ بن جُشَم بن عوف بن بُهْثَة بن عبد الله بن غطفان بن سعيد بن قيس عيلان بن مضر . وهذا الشعر يقوله عبد الرحمن في حبس السّمهريّ العكليّ اللصّ وقتله وكان نديماً له وأخاً .

[يستعدي قومه على بني أسد]

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدّثنا أبو غسان دماذ ، عن أبي عبيدة قال : لما أُخِذَ السّمهريّ العكليّ وحُيِسَ وقُتِلَ ، وكانت بنو أسد أخذته وبعثت به إلى السلطان وكان نديماً لعبد الرحمن بن مسافع ابن داره ، فقُتِلَ بعد طول حبس ، فقال عبد الرحمن بن مسافع يهجو بني أسد ويحرّض عليهم عُكْلاً .

صوت

[من الطويل]

| | |
|--|------------------------------------|
| لعينيك من طول البكاء على جُمْلٍ | إن يُمسّ بالعينين سُقْمٌ فقد أتى |
| سواها ولا تُسلى بنأي ولا شُغلٍ | تهيمُ بها لا الدهرُ فإنّ ولا المنى |
| يُخَفِّفُهَا جَوْنٌ بجَوْجُوهُ الصَّلِ | كبيضة أَدْحِيٍّ بميثِ خميلة |
| على الشّامة العنقاء فالنّير فالذّيل ² | وما الشمسُ تبدو يومَ غيمٍ فأشرقَتْ |
| بأحسن منها يوم زالت على الحملِ | بدا حاجبٌ منها وضنتُ بحاجب |

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 : 401-403 ، والمؤتلف : 116 والحامسة 1 : 366-372 ، والإصابة 3 : 161-162 والخزانة 1 : 289-294 ، 557-558 .

2 الشامة : أرض بها علامة سوداء ، وعنقاء : طويلة العنق . النير والذّيل : من جبال ضربة .

وقد كذبوا ما في المودة من إزل
على كبدي كادت بها كمداً تغلي
على نائبات الدهر مني ومن جمل
ويُضمرُ وجداً كالنوافذ بالنبل¹
فأماً على جملٍ فإنِّي لا أُبلي²
ذوات الثنايا الغرّ والحدق النجل
لهنّ وإنّ يُعطَيْن يُحمدن بالبذل
وهل تركّ الواشون والنأي من وصل
من الأوّل المختوم ليست من الفضل³
إذا أزيدت في ذنّها زبد الفحل
على نأيهم مني القبائل من عكل
إسارٌ بلا أسرٍ وقتلٌ بلا قتل
رضى قودٍ بالسّمهريّ ولا عقل⁴
وتوقد نارُ الحربِ بالخطب الجزل⁵
تُلاحِظ من غيظٍ بأعينها القُبل⁶
ذوي التاج ضرّاً والملوك على الوهل⁷
وطعن كأفواه المفرجة الهدل⁸
وما هي بالفرع المنيف ولا الأصل⁹؟

يقولون : إزل حُبُّ جُمْلٍ وقُرْبها
إذا شحطتْ عني وجدت حرارة
ولم أرَ محزونين أجملَ لوعة
كلانا يذود النفس وهي حزينه
وإنّي لمبليّ اليأس من حُبٍّ غيرها
وإن شفاء النفس لو تُسَعِفُ المنى
أولئك إن يَمْنَعْنَ فالمنعُ شيمه
سأميك بالوصل الذي كان بيننا
ألا سَقَياني قهوةً فارسيّةً
تُنسّي ذوي الأحلام واللبّ حلمهم
ويا راكباً إمّا عرضت فبلغن
بأنّ الذي أُمست تجمجم فقّس
وكيف تنام الليلَ عكلٌ ولم تنل
فلا صلحَ حتى تنحط الخيلُ في القنا
وجرّد تعادى بالكمة كأنّها
عليها رجال جالدوا يوم منيع
بضرب يُزيل الهام عن مستقرّه
علامَ تمشي فقّسٌ بدمائكم

1 النوافذ : السهام النوافذ .

2 إبلاء اليأس يعني الرجاء .

3 الأوّل المختوم : الدنّ المعتق .

4 عكل : قبيلة . والعقل : الدية .

5 نحطت الخيل : زفرت وصات من الإعياء .

6 القُبل : الحول .

7 الوهل : الفرع .

8 المفرجة الهدل : القرب المخروقة التي تهدلت شفاهها .

9 نمشي بدمائكم : نذهب بها بلا قود . المنيف : العالي المرتفع .

وَكُنَّا حَسِينَا فَقَعَسَا قَبْلَ هَذِهِ
فَقَدْ نَظَرْتُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَسَلَّمْتُ
رَمَى اللَّهُ فِي أَكْبَادِكُمْ أَنْ نَجْتَ بِهَا
وَأَنْتُمْ لَمْ تَتَّأَرَوْا بِأَخِيكُمْ
وَبِيعُوا الرَّدِينِيَّاتِ بِالْخَلْيِ وَأَقْعِدُوا
أَلَا حَبْدًا مِنْ عِنْدِهِ الْقَلْبُ فِي كَبَلٍ
وَمَنْ هُوَ لَا يُنْسَى وَمَنْ كُلُّ قَوْلِهِ
وَمَنْ إِنْ نَأَى لَمْ يَحْدِثِ النَّأْيُ بُغْضَهُ

أَذَلَّ عَلَى وَقَعِ الْهَوَانِ مِنَ النَّعْلِ
عَلَى النَّاسِ وَاعْتَاضَتْ بِخِصْبٍ مِنَ الْحُلِ
شِعَابُ الْقَيْنَانِ مِنْ ضَعِيفٍ وَمِنْ وَغْلٍ¹
فَكُونُوا نِسَاءً لِلْخُلُوقِ وَلِلْكُحْلِ²
عَلَى الذَّلِّ وَابْتَاعُوا الْمَغَازِلَ بِالْبَلِّ
وَمَنْ حُبَّه دَاءٌ وَخَبَلٌ مِنَ الْخَبْلِ
لَدَيْنَا كَطَعَمِ الرَّاحِ أَوْ كَجَنَى النَّحْلِ
وَمَنْ إِنْ دَنَا فِي الدَّارِ أُرْصِدَ بِالْبَذْلِ³

[خبر السمهرى مع نديمه ومصرعه]

وَأَمَّا خَبَرُ السَّمْهَرِيِّ وَمَقْتَلُهُ فَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشَ أَخْبَرَنِي بِهِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ السَّكَّرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ قَالَ : لَقِيَ السَّمْهَرِيُّ بْنُ بَشْرٍ بْنُ أَقِشَ بْنَ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَقِشَ الْعَكْلِيِّ وَيَكْنَى أَبُو الدَّيْلِ هُوَ وَبَهْدَلٌ وَمَرْوَانُ بْنُ قَرْفَةَ الطَّائِيَانِ عَوْنُ بْنُ جَعْدَةَ بْنِ هَبِيرَةَ بْنِ أَبِي وَهَبٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَائِدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْرُومٍ بْنِ يَقْظَةَ بْنِ مَرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ وَمَعَهُ خَالُهُ : أَحَدُ بَنِي حَارِثَةَ بْنِ لَأْمٍ مِنْ طَبِيعِ الثَّلَعَلِيَّةِ ، وَهُوَ يَرِيدُ الْحَجَّ مِنَ الْكُوفَةِ ، أَوْ يَرِيدُ الْمَدِينَةَ ، وَزَعَمَ آخَرُونَ أَنَّهُمْ لَقَوْهُ بَيْنَ نَخْلٍ وَالْمَدِينَةِ ، فَقَالُوا لَهُ : الْعُرَاضَةُ ، أَيِ مَرَلْنَا بِشَيْءٍ فَقَالَ : يَا غَلَامُ ، جَفْنُ لَهِمْ⁴ ، فَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ ، مَا الطَّعَامُ نَزِيدٌ ، فَقَالَ : عَرَضُهُمْ⁵ ، فَقَالُوا : وَلَا ذَلِكَ نَزِيدٌ ، فَارْتَابَ بِهِمْ ، فَأَخَذَ السَّيْفَ فَشَدَّ عَلَيْهِمْ ، وَهُوَ صَائِمٌ ، وَكَانَ بَهْدَلٌ لَا يَسْقُطُ لَهُ سَهْمٌ ، فَرَمَى عَوْنًا فَأَقْصَدَهُ ، فَلَمَّا قَتَلُوهُ نَدَمُوا ، فَهَرَبُوا ، وَلَمْ يَأْخُذُوا إِبْلَهُ ، فَتَفَرَّقَتْ إِبْلُهُ ، وَنَجَا خَالُهَا الطَّائِي ، إِمَّا عَرَفُوهُ فَكَفَّوْا عَنْ قَتْلِهِ ، وَإِمَّا هَرَبَ وَلَمْ يَعْرِفِ الْقَتْلَةَ ، فَوَجَدَ بَعْضَ إِبْلِهِ فِي يَدَيْ شَافِعِ بْنِ وَاتِرِ الْأَسَدِيِّ .

وَبَلَغَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ الْخَبْرُ فَكَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ ، وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى الْعِرَاقِ ، وَإِلَى هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَإِلَى عَامِلِ الْيَمَامَةِ أَنْ يَطْلُبُوا قَتْلَةَ عَوْنٍ ،

1 الْقَيْنَان : جَمْعُ قَنَةٍ . وَالْوِغْلُ : النَّزْلُ السَّاقِطُ .

2 الْخُلُوق : نَوْعٌ مِنَ الطَّيْبِ .

3 أُرْصِدَ بِالْبَذْلِ : كَوَفِيَ . بِبَذْلِ الْوَدِّ وَنَحْوِهِ .

4 جَفْنُ لَهِمْ : أَمْلَأُ الْجَفْنَةَ لَهِمْ طَعَامًا .

5 عَرَضُهُمْ : مِنَ الْعُرَاضَةِ بِمَعْنَى الْمَدِيَّةِ .

ويبالغوا في ذلك ؛ وأن يأخذوا السُّعَاة به أَشَدَّ أَخَذٍ ، ويجعلوا لَمَن دَلَّ عليهم جُعْلَهُ ، وأنشام¹ السمهريّ في بلادِ غطفان ما شاء الله .

ثم مرّ بنخلٍ ، فقالت عجزوز من بني فزارة : أَظَنَّ والله هذا العكليّ الذي قتل عوناً ، فوثبوا عليه ، فأخذوه ، ومرّ أيّوب بن سلمة المخزوميّ بهم ، فقالت له بنو فزارة : هذا العكليّ قاتل عون ابن عمّك ، فأخذه منهم ، فأتى به هشام بن إسماعيل المخزوميّ عاملَ عبد الملك على المدينة ، فجدد وأبى أن يقرّ ، فرفعه إلى السجن فحبسه .

وزعم آخرون أن بني عُذرة أخذوه فلما عُرِفَتْ إبلُ عون في يدي شافع بن واطر اتّهموه بقتله ، فأخذوه ، وقالوا : أنت قَرَفْتُنَا² ، قتلْتَ عوناً ، وحبسوه بصلّ : ماء لبني أسد ، وجَحَدَ ، وقد كان عرف مَنْ قتلَه ، إمّا أن يكون كان معهم ، فورى عنهم ، وبرأ نفسه ، وإمّا أن يكون أودعوها إياه ، أو باعوها منه ، فقال شافع : [من الطويل]

فإن سرّكم أن تعلموا أين ثاركم فسلمى معان وابن قِرْفَة ظالمٌ
وفي السجن عكليّ شريك لبهدل فولّوا ذبابَ السيفِ مَنْ هو حازمٌ
فوالله ما كنّا جُنَاةً ولا بنا تأوَّب عوناً حتفه وهو صائمٌ³

فعرفوا مَنْ قتلَه ، فألحوا على بهدل في الطلب ، وضيقوا على السمهريّ في القيود والسجن ، وجَحَدَ ، فلما كان ذلك من إلحاحهم على السمهريّ أيقنت نفسه أنّه غير ناج ، فجعل يلتمس الخروج من السجن ، فلما كان يوم الجمعة والإمام يخطب ، وقد شُعِلَ الناس بالصلاة فكّ إحدى حلقتي قيده ، ورمى بنفسه من فوق السجن ، والناس في صلاتهم ، فقصد نحو الحرة ، فولج غاراً من الحرة ، وانصرف الإمام من الصلاة فخاف أهل المدينة عامتهم أتباعه ، وغلقوا أبوابهم ، وقال لهم الأمير : اتبعوه فقالوا : وكيف نتبعه وَحَدَنَا ، فقال لهم : أنتم ألفا رجل ، فكيف تكونون وحدكم ؟ فقالوا : أرسل معنا الأُبُلِّيَّين ؛ وهم حرس وأعوان من أهل الأُبُلَّة ، فأعجزهم الطلبُ ، فلما أمسى كسر الحلقة الأخرى ، ثم همَسَ⁴ ليلته طلقاً ، فأصبح وقد قطع أرضاً بعيدة ، فبينما هو يمضي إذ نَعَبَ غراب عن شماله ، فتطير ، فإذا الغراب على شجرة بانٍ يُنَشِّنْش⁵ ريشه ، ويلقيه ، فاعتاف شيئاً في نفسه ، فمضى ، وفيها ما فيها ، فإذا هو قد لقي راعياً

1 انشام في بلاد غطفان : دخل فيها .

2 القرفة : من تتهمه بشيء .

3 تأوَّب حنقه : أصابته منيته .

4 همس : سار بالليل بلا فتور .

5 نشنش الطائر ريشه : تنفه تنفأً خفيفاً بمنفاره .

في وجهه ذلك ، فسأله : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : رجل من لَهَبٍ من أزدِ شنوءةٍ أنتجع أهلي ، فقال له : هلْ عندَكَ شيءٌ من زَجَرِ قومِكَ ؟ فقال : إِنِّي لَأَنْسُ من ذلك شيئاً أَيُّ لأبصر ، فقصَّ عليه حاله غير أنه وَرَى الذَّنْبَ على غيره والعيافة ، وخَبَّرَهُ عن الغراب والشجرة ، فقال اللّهيّ : هذا الذي فعل ما فعل ، ورأى الغراب على البانة يَطْرَحُ ريشه سيُصْلَبُ ، فقال السمهريّ : بفيك الحجر ، فقال اللّهيّ : بل بفيك الحجر ، استخبرتني فأخبرتكَ ثم تغضّب . ثم مضى حتى اغترز في بلاد قضاة ، وترك بلاد غطفان وذكر بعض الرواة أنّه توقّف يومه وليلته فيما يعمل ؛ وهل يعود من حيث جاء ثم سار . حتى أتى أرضَ عُذرةَ بنِ سعد يستجير القوم فجاء إلى القوم متنكراً ، ويستحلب الرعيان اللبن ، فيحلبون له ، ولَقِيَهُ عبدُ الله الأحدب السعديّ : أخذ بني مخزوم من بني عبد شمس ، وكان أشدَّ منه وألصَّ ، فعجنى جناية ، فَطْلَبَ ، فترك بلادَ تميم ، ولحق ببلاد قضاة ، وهو على نجية لا تُسائرُ ، فبينما السمهريّ يمشي راعياً لبني عذرة ، ويحدثه عن خيار إبلهم ، ويسأله السمهريّ عن ذلك ، وإنّما يسأله عن أنجاهنَّ ليركبها ، فيهربَ بها ، لئلا يفارق الأحدب ، أشار له إلى ناقة ، فقال السمهريّ : هذه خير من التي تفضلها ، هذه لا تجارى ، فتحنَّ الغفلة ، فلمّا غفل وثب عليها ، ثم صاح بها فخرجت تطير به ، وذلك في آخر الليل ، فلمّا أصبحوا فقدوها ، وفقدوه ، فطلبوه في الأثر . وخرجوا حتى إذا كان حَجَرٌ عن يسارهما ، وهو واد في جبل ، أو شبه الثقب فيه استقبلتهما سعةٌ هي أوسع من الطريق ، فظنّا أن الطريق فيها ، فسارا مليّاً فيها ، ولا نجم يأتمان به ، فلمّا عرفا أنّهما حائِدان ، والتفت عليهما الجبال أمامهما ، وجدَّ الطلبُ إثرَ بعيريهما ، ورواه وقد سلك الثقب في غير طريق عرفوا أنّه سيرجع ، ففقدوا له بفم الثقب ثم كرّا راجعين ، وجاءت الناقة ، وعلى رأسها مثل الكوكب من لُغامِها ، فلمّا أبصر القومُ همّ أن يعقر ناقتهم ، فقال له الأحدب : ما هذا جزاؤها . فنزل ، ونزل الأحدب ، فقاتلها القومُ ، حتى كادوا يغشون السّمهريّ فهتف بالأحدب ، فطرد عنه القوم ، حتى توقلا في الجبل ، وفي ذلك يقول السّمهريّ يعتذر من ضلاله :

وما كنتُ مِخياراً ولا فِرْعَ السرى ولكن حِذا حَجَرٍ بغيرِ دليل¹
وقال الأحدب في ذلك :
لما دعاني السمهريّ أجبتُه بأبيضَ من ماء الحديد صقيل
وما كنتُ ما اشتدّت على السيْفِ قبضتي لأَسْلِمَ من حُبِّ الحياة زميلي
وقال السمهريّ أيضاً :

[من الطويل]

نجوتُ ونفسي عند ليلي رهينة وقد غمّني داجٍ من الليل دامسُ
وغامستُ عن نفسي بأخلقٍ مقصلٍ ولا خيرَ في نفس امرئٍ لا تُعَامِسُ¹
ولو أنّ ليلي أبصرتني غدوة ومطّوأي والصفّ الذين أمارسُ
إذاً لبكت ليلي عليّ وأعولت وما نالت الثوبَ الذي أنا لابسُ

فرجع إلى صحراء منيع ، وهي إلى جنب أضاح ، والحلّة قريب منها ، وفيها منازل عُكل ، فكان يتردّد ولا يقرب الحلّة ، وقد كان أكثر الجُعْلُ فيه ، فمرّ بابني فائد بن حبيب من بني أسد ، ثم من بني فقعس فقال : أجيرا متنكراً ، فحلّبا له ، فشرب ومضى لا يعرفانه ، وذهبا ، ثم لبث السمهرى ساعة ، وكرّر راجعاً فتحدث إلى أخت ابني فائد ، فوجداه منبطحاً على بطنه يحدثها ، فنظر أحدهما إلى ساقه مكدحة² ، وإذا كدوخ طرية ، فأخبر أخاه بذلك ، فنظر ، فرأى ما أخبره أخوه ، فارتابا به ، فقال أحدهما : هذا والله السمهرى الذي جُعِلَ فيه ما جعل ، فاتفقا على مضابرتة³ ، فوثبا عليه ، فقعد أحدهما على ظهره ، وأخذ الآخر برجليه فوثب السمهرى ، فألقى الذي على ظهره ، وقال : أتلعبان ؟ وقد ضبط رأس الذي كان على ظهره تحت إبطه ، وعالجه الآخر ، فجعل رأسه تحت إبطه أيضاً ، وجعل يعالجانه ، فناديا أختهما أن تعينهما ، فقالت : ألي الشُّرك في جُعْلكما ؟ قالا : نعم ، فجاءت بجريز⁴ فجعلته في عنقه بأنشطة ثم جذبته ، وهو مشغول بالرجلين يمنعهما ، فلما استحكمت العقدة ، وراحت من علابي⁵ خلى عنهما ، وشدّ أحدهما ، فجاء بصرار⁶ ، فألقاه في رجله ، وهو يداور الآخر ، والأخرى تخنقه ؛ فخرّ لوجهه ، فربطاه ، ثم انطلقا به إلى عثمان بن حيان المرّي ، وهو في إمارته على المدينة فأخذا ما جعل لأخذه ، فكتب فيه إلى الخليفة ، فكتب أن ادفعه إلى ابن أخي عون : عدي ، فدفع إليه ، فقال السمهرى : أتقتلني وأنت لا تدري أقاتل عمك أنا أم لا ؟ ادن أخبرك ، فأراد الدنوّ منه ، فنودي : إياك والكلب ، وإنما أراد أن يقطع أنفه ، فقتله بعمّه . ولما حبسه ابن حيان في السجن تذكر زجر اللّهبيّ وصدقه ، فقال :

1 غامست : خضت الحرب . وأخلق مقصل : سيف قاطع .

2 مكدحة : ذات خدش ومجحات .

3 مضابرتة : جمعه وشده .

4 بجريز : بحبل .

5 العلابي : أعصاب العنق .

6 الصرار : ما يشد به خلف الناقة .

[من الطويل]

أَلَا أَيُّهَا الْبَيْتُ الَّذِي أَنَا هَاجِرُهُ
أَلَا طَرَقْتَ لَيْلِي وَسَاقِي رَهِينَةً
فَإِنْ أَنَجُ يَا لَيْلِي فَرَبِّ فَتْنِي نَجَا
وَمَا أَصْدَقَ الطَّيْرَ الَّتِي بَرَحْتَ لَنَا
رَأَيْتُ غُرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ بَانَةِ
فَقَالَ غُرَابٌ بِاغْتِرَابٍ مِنَ النُّوَى
فَكَانَ اغْتِرَابٌ بِالْغُرَابِ وَنِيَّةٌ

وقال السمهري في الحبس يُحرض أخاه مالكاً على ابني فائد : [من الطويل]

فَمَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي خَلِيلِي مَالِكًا
وَمَنْ مَبْلَغٌ حَزْمًا وَتَيْمًا وَمَالِكًا
لِيُكْوَا الَّتِي قَالَتْ بِصَحْرَاءٍ مَنَعَجٍ
أَتَضْرِبُ فِي لَحْمِي بِسَهْمٍ وَلَمْ يَكُنْ

وقال السمهري يرقق بني أسد :

تَمَنَّتْ سُلَيْمَى أَنْ أَقِيلَ بِأَرْضِهَا
أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَزُورَنَّ سَاجِرًا
بَنِي أَسَدٍ هَلْ فَيْكُمُ مِنْ هَوَادَةٍ

وبنو تميم تزعم أن البيت لمرة بن محكان السعدي .

وقال السمهري في الحبس يذم قومه :

لَقَدْ جَمَعَ الْحَدَّادُ بَيْنَ عِصَابَةٍ
بِمَنْزِلَةِ أَمَّا اللَّيْثِمْ فَشَامِتٌ
إِذَا حَرَسِي قَعَقَعَ الْبَابَ أَرْعَدَتْ
أَلَا لَيْتَنِي مِنْ غَيْرِ عُكْلٍ قَبِيلَتِي

تسائل في الأقياد ماذا ذنوبها ؟
بها وكرام القوم بادٍ شحوبها
فرائصُ أقوامٍ وطارت قلوبها
ولم أدر ما شَبَّانُ عُكْلٍ وَشَيْبُهَا ؟

1 نية : من نوى بمعنى انتقل .

2 في البيت إقواء .

3 ويها : ويحها .

4 ساجر : مكان باليمامة .

فبيلة «مَنْ» لا يقرع الباب وفدّها
نرى الباب لا نسطيع شيئاً وراءه
وإن تَكْ عَكْلُ سرّها ما أصابني
وقال السمهري أيضاً في الحبس :

لخير ولا يَهْدِي الصوابَ خطيئها
كأنّا قُيِّ أسلمتها كُعبها¹
فقد كنتُ مصوباً على ما يريها
[من الطويل]

ألا حيّ ليلى إذ أَلَمَ لِمَامُها
تعلّلْ بليلى إنّما أنتَ هامةٌ²
وبادرْ بليلى أوجهَ الركب إنهم
وكيف ترجيها وقد حِيلَ دونها
لأَجْتَنِبْنَهَا أو لِيَتَذَرُنَّنِي
لقد طرقتُ ليلي ورجلي رهينةً³
فلما انتهتُ للخيال الذي شرى
فإلا تكن ليلى طوتك فإنه
ألا ليتنا نحيا جميعاً بغيطةٍ
وقال أيضاً :

وكان مع القوم الأعادي كلامها
من الغد يدنو كلّ يوم حِمَامُها²
متى يرجعوا يحرمُ عليك كلامها
وأقسم أقوامٌ مخوفٌ قِسامها
بيضٌ عليها الأثرُ فَعَمَّ كلامها³
فما راعني في السجن إلا لِمَامُها
إذا الأرضُ فقرٌ قد علاها قَتَامُها
شبيهةٌ بليلى حُسْنُها وقوامها
وتبلى عظامي حين تبلى عِظامها
[من الطويل]

ألا طرقتُ ليلي وساقِي رَهِينَةً⁴
فما البينُ يا سلمى بأن تشحطَ النوى
فإن أنجُ منها أنجُ من ذي عزيمةٍ
وقال أيضاً وهو طريد :

بأَسْمَرِ مشدودٍ عليّ ثَقِيلُ⁴
ولكن بيناً ما يُريدُ عَقِيلُ⁵
وإن تكن الأخرى فتلك سبيلُ
[من الطويل]

فلا تياساً من رحمةِ الله وانظروا
ولا تياساً أن تُرزقا أَرْيَحِيَّةً⁶

بوادي جُبُونَا أن تَهَبَّ شَمَالُ⁵
كعينِ المهَا أعناقهُنَّ طِوَالُ⁶

1 قُيِّ : جمع قنّاء ، وقناة الرمح أعلاه ، وكعبه : أسفله .

2 هامة الغد : قصير العمر .

3 الأثر : بريق السيف ورونقه .

4 الأسمر : القيد .

5 بوادي جبونا : مكان . تهب الشمال : تهب ريح شمالية مؤذنة بالفرج .

6 أريحية : خيالاً أريحية .

من الحارثيين الذين دماؤهم حرامٌ وأمّا ما لهم فحلالٌ
وقال أيضاً :

[من الطويل]

ألم تر أنّي وابن أبيض قد جفت
طريدَيْن من حَيَيْن شتى أشدنا
وما لُمته في أمرٍ حزمٍ ونجدة
وقلت له إذ حلّ يسقى ويستقي
لعمري لقد لاقت ركائبك مشرباً
لئن هي لم تَضُحْ عليهنّ عالياً

[بعض أخباره]

وأخذت طيء بهدل ومروان أخيه أشدَّ الأخذ ، وحُسوا ، فقالوا : إن حُسنا لم نقدر
عليهما ونحن محبوسون ، ولكن خلّوا عنا ، حتى نتجسّسَ عنهما ، فنأتَيْكم بهما ، وكنا تأبداً مع
الوحش يرميان الصيّد فهو رزقهما . ولما طال ذلك على مروان هبط إلى راعٍ ، فتحدّث إليه
فسقاه ، وبسطه ، حتى اطمأنَّ إليه ، ولم يُشعره أنّه يعرفه ، فجعل يأتيه بين الأيام ، فلا ينكره ،
فانطلق الراعي ، فأخبره باختلافه إليه ، فجاء معه الطلب ، وأكْمَنَهُمْ ، حتى إذا جاء مروان إلى
الراعي كما كان يفعل سقاه ، وحدّثه فلم يشعر حتى أطافوا به ، فأخذوه ، وأتوا به عثمان بن
حيان أيضاً عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة ، فأعطى الذي دلَّ عليه جُعْله ، وقتله .

[نهاية بهدل]

وأما بهدل فكان يأوي إلى هضبة سلمى ، فبلغ ذلك سيّداً من سلمى ، من طيء ، فقال :
قد أخيفت طيء ، وشردت من السهل من أجل هذا الفاسق الهارب ، فجاء حتى حلَّ بأهله
أسفل تلك الهضبة ومعه أهلات¹ من قومه ، فقال لهم : إنكم بعيني الخبيث ، فإذا كان النهار
فليخرج الرجال من البيوت ، وليُخلوا النساء ، فإنّه إذا رأى ذلك انحدر إلى القباب ، وطلب
الحاجة والعَلَّ² فكانوا يخلون الرجال نهاراً فإذا أظلموا ثابوا إلى رحالهم أيّاماً ، فظنَّ بهدل
أنّهم يفعلون ذلك لشغل يأتيهم ، فانحدر إلى قبة السيّد ، وقد أمر النساء : إن انحدر إليكن
رجل فإنّه ابن عمّكن ، فاطعمنه وادهن رأسه .

وفي قبة السيّد ابنتان له ، فسألهما : من أنتما ؟ فأخبرتا ، واطعمتا ، ثم انصرف فلما راح
أبوهما أخبرتا ، فقال : أحسنتما إلى ابن عمكما ، فجعل ينحدر إليهما ، حتى اطمأن ،

1 أهلات : جمع أهل .

2 العل : الشراب .

وغسلنا رأسه ، وقتلناه ودهنتاه ، فقال الشيخ لابنتيه : أفلياه ، ولا تدهناه إذا أتاكما هذه المرة ، واعقدا خُصْلَ لِمَتِهِ إذا نَعَسَ رويداً بخُمْلِ القطيفة .

ثم إذا شددتما عليه فأقلبا القطيفة على وجهه ، وخذا أنتما بشعره من ورائه فمدّأ به إليكما ، ففعلنا ، واجتمع له أصحابه ، فكروا إلى رحالهم قبل الوقت الذي كانوا يأتونها ، وشدّوا عليه ، فربطوه ، فدفعوه إلى عثمان بن حيّان ، فقتله ، فقالت بنت بهْدَلِ ترثيه : [من الطويل]

| | |
|---|--|
| فيا ضَيْعَةَ الْفَتِيَانِ إِذْ يَعْتَلُونَهُ | بيطن الشّرى مثل الفنيق المسدّم ¹ |
| دَعَا دَعْوَةً لَمَّا أَتَى أَرْضَ مَالِكٍ | وَمَنْ لَا يُجِبُّ عِنْدَ الْحَفِيزَةِ يُسَلَمُ ² |
| أَمَّا كَانَ فِي قَيْسٍ مِنْ ابْنِ حَفِيزَةٍ | مِنَ الْقَوْمِ طَلَّابِ الثَّرَاتِ غَشْمَشْمُ ³ |
| فَيَقْتُلُ جَبْرًا بِأَمْرِي لَمْ يَكُنْ بِهِ | بِوَاءٍ وَلَكِنْ لَا تَكَايِلَ بِالْدَّمِ ⁴ |

وكان دعا : يا لِمَالِكِ لِيَنْتَرِعُوهُ ، فلم يجبه أحد .

[مساجلة بينه وبين الكميت]

قال : ولما قال عبد الرحمن بن دارة ابن عمّ سالم بن دارة هذه القصيدة يَحْضُ عُكْلًا على بني فُقْعَسَ اعترض الكميت بن معروف الفقعسي ، فغيّره بقتل سالم حين قتله زميل الفزاري ، فقال قوله :

فلا تُكثِرُوا فِيهِ الضُّجَّاجَ فَإِنَّهُ
محا السيفُ ما قال ابن دارة أجمعا
فقال عبد الرحمن بن دارة :

| | |
|---|--|
| فيا راكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ | مُغْلَغَلَةً عَنِّي الْقَبَائِلَ مِنْ عُكْلٍ |
| جَلَّتْ حَمًّا عَنْهَا الْقِصَافُ وَمَا جَلْتُ | قُشَيْرٌ فِي الشَّدَاتِ وَالْحَرْبِ مَا يُجْلِي ⁵ |
| فَإِنْ يَكُ بَاعَ الْفَقْعَسِيُّ دِمَاءَهُمْ | بِوَكْسٍ فَقَدْ كَانَتْ دِمَاؤُكُمْ تَعْلِي |
| وَكَيْفَ تَنَامُ اللَّيْلَ عُكْلٌ وَلَمْ يَكُنْ | لَهَا قَوْدٌ بِالسَّمْهَرِيِّ وَلَا عَقْلٌ |
| رَمَى اللَّهُ فِي أَكْبَادِهِمْ إِنْ نَجَتْ بِهَا | حُرُوفُ الْقِنَانِ مِنْ ذَلِيلٍ وَمِنْ وَغْلٍ |

1 يعتلونوه : يقتادونه بغلظة . الفنيق : فحل الإبل . والمسدّم : الهائج .

2 الحفيظة : الحرب .

3 الغشمشم : المقدام الذي يقتحم الحروب غير هيّاب .

4 جبر بن عبيد الذي دفع بهدلاً إلى السلطان فقتله . بواء : كفاء . لا تكايل في الدم : لا تقدر الدماء بالكيل .

5 القصاص : فرس مشهورة لبني قشير . الحمم : ما خمد من النيران .

وَكُنَّا حَسْبُنَا فَقْعَسًا قَبْلَ هَذِهِ
فَإِنْ أَنتُمْ لَمْ تَثَارُوا بِأَخِيكُمْ
وَيَبْعُوا الرَّدِينِيَّاتِ بِالْحُلِيِّ وَاقْعِدُوا
فَإِنَّ الَّذِي كَانَتْ تُجْمَعُ فَقْعَسٌ
فَلَا سِلْمَ حَتَّى تَنْحَطَ الْخَيْلُ بِالْقَنَا
أَذَلَّ عَلَى طَوْلِ الْهَوَانِ مِنَ النَّعْلِ
فَكُونُوا بَغَايَا لِلْخُلُوقِ وَلِلْكُحْلِ
عَلَى الْوَتْرِ وَابْتَاعُوا الْمَغَازِلَ بِالنَّبْلِ
قَتِيلٌ بِلَا قَتْلَى وَتَبِيلٌ بِلَا تَبِيلٍ
وَتُوَقَّدَ نَارُ الْحَرْبِ بِالْحَطَبِ الْجَزَلِ

[يقتلون ابن سعدة وأمه]

فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلُهُ مَا لَكَ أَخَا السُّمَهْرِيِّ بِخَرَّاسَانَ ، انْخَطَّ مِنْ خَرَّاسَانَ ، حَتَّى قَدِمَ بِلَادَ
عُكْلٍ فَاسْتَجَاشَ نَفَرًا مِنْ قَوْمِهِ ، فَعَلِقُوا¹ فِي أَرْضِ بَنِي أَسَدٍ يَطْلُبُونَ الْغُرَّةَ فَوَجَدُوا بِشَادِقٍ²
رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ فَقْعَسَ ، فَقَتَلُوهُ ، وَحَزَّوْا رَأْسَهُ ، وَذَهَبُوا بِالرَّأْسِ ، وَتَرَكَوا جَسَدَهُ ، كَمَا
قَتَلُوهَا أَيْضًا ، وَذَكَرَ لِي : أَنَّ الرَّجُلَ ابْنَ سَعْدَةَ وَالْمَرْأَةَ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ هِيَ سَعْدَةُ أُمِّهِ ، فَقَالَ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي ذَلِكَ :

مَا لَقَيْتُ فَقْعَسًا لَا رَأْسَ لَهُ
لَا يَتْبَعَنَّ فَقْعَسِيَّ جَمْلَهُ
لَا يَلْقَيْنَنَّ قَاتِلًا فَيَقْتُلَهُ
هَلَّا سَأَلْتَ فَقْعَسًا مِنْ جَدَّةٍ
فَرَدًّا إِذَا مَا الْفَقْعَسِيُّ أَعْمَلَهُ
بَسِيفُهُ قَدْ سَمَّهُ وَصَفَلَهُ

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيْضًا :

لَمَّا تَمَالَى الْقَوْمُ فِي رَأْدِ الضُّحَى
نَظَرَ ابْنُ سَعْدَةَ نَظْرَةً وَيْلًا لَهَا
لَمَحًا رَأَى مِنْ فَوْقِ طَوْدٍ يَافِعٍ
عَبَّرْتَنِي طَلَبَ الْحُمُولِ وَقَدْ أَرَى
فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ يَا ابْنَ سَعْدَةَ هَلْ تَرَى
نَظْرًا وَقَدْ لَمَعَ السَّرَابُ فَجَالًا³
كَانَتْ لَصْحَبِكَ وَالْمَطْيِيُّ خَبَالًا⁴
بَعْضَ الْعُدَاةِ وَجُنَّةً وَظِلَالًا⁵
لَمْ آتِهِنَّ مَكْفَفًا بَطًّا⁶
ضُبْعًا تَجَرُّ بِشَادِقٍ أَوْصَالًا⁷

1 علقوا : طفقوا .

2 شادق : اسم واد في ديار عقيل .

3 تمالى القوم : ساروا سيراً حثيثاً .

4 ابن سعدة : هو القتيل الذي قتلوه .

5 الجنة : السلاح ونحوه .

6 الحمول : الديات .

7 سعدة : هي أم الكميت التي قتلوها مع ابنها .

[من الكامل]

أَوْصَالَ سَعْدَةَ وَالْكَمَيْتِ وَإِنَّمَا كَانَ الْكُمَيْتُ عَلَى الْكُمَيْتِ عِيَالًا

وقال عبد الرحمن في ذلك : [من الطويل]

أَصْبَحْتُمْ تَكُلِي لِثَامًا وَأَصْبَحْتُ شَيَاطِينُ عُكْلٍ قَدْ عَرَاهُنَّ فَقَعَسُ
قَضَى مَالِكٌ مَا قَدْ قَضَى ثُمَّ قَلَصْتُ بِهِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ وَجَنَاءُ عِرْمَسُ¹
فَأَضَحْتُ بِأَعْلَى ثَادِقٍ وَكَانَتْهَا مَحَالَّةُ غَرْبٍ تَسْتَمِرُّ وَتَمْرُسُ²

[مصرعه]

وحدَّثني علي بن سليمان الأحفش أن بني أسد ظفرت بعدد الرحمن بن داره بالجزيرة بعدما أكثر من سبهم وهجائهم وتأمروا في قتله ، فقال بعضهم : لا تقتلوه ، ولتأخذوا عليه أن يمدحنا ونُحسِنَ إليه فيمحو بمدحه ما سلف من هجائه ، فعزموا على ذلك ، ثم إن رجلاً منهم كان قد عضه بهجائه ، اغتفله فضربه بسيفه ، فقتله وقال في ذلك : [من الكامل]

قُتِلَ ابْنُ دَارَةَ بِالْجَزِيرَةِ سَبْنَا وَزَعَمْتَ أَنَّ سِيَابَنَا لَا يَقْتُلُ
قال علي بن سليمان : وقد روي أن البيت المتقدم :

فَلَا تَكْتَرُوا فِيهِ الضَّجَاجَ فَإِنَّهُ مَحَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا
لهذا الشاعر الذي قتل ابن داره ، وهو من بني أسد ، وهكذا ذكر السكري .

صوت

[من الطويل]

كَلَانَا يَرَى الْجَوَزَاءُ يَا جُمْلُ إِذْ بَدَتْ وَنَجْمَ الثَّرِيَا وَالْمَزَارُ بَعِيدُ
فَكَيْفَ بَكُمْ يَا جُمْلُ أَهْلًا وَدُونَكُمْ بِحَوْرٍ يُقَمِّصُنَ السَّفِينِ وَبِيدُ³
إِذَا قُلْتُ : قَدْ حَانَ الْقَفُولُ يَصُدُّنَا سَلِيمَانُ عَنْ أَهْوَانِنَا وَسَعِيدُ⁴
الشعر لمسعود بن خَرْشَةَ المازني ، والغناء لبحر ، خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي .

1 مَالِكٌ : فَقَعَسِي هَارِب . وَالْعِرْمَسُ : الصَّلْبَةُ . وَقَلَصْتُ بِهِ : نَجَتْ بِهِ .

2 المَحَالَّةُ : الْبَكْرَةُ تَعْلَقُ عَلَى الْبُئْرِ يَتَصَلُّ بِهَا الدَّلْوُ . وَالْغَرْبُ : الْكَبِيرَةُ مِنَ الدَّلَاءِ . وَتَمْرُسُ : مِنْ أَمْرَسَ الْخَيْلَ : أَعَادَهُ إِلَى مَكَانِهِ .

3 قَمَصَ الْبَحْرُ السَّفِينَةَ : جَعَلَهَا تَضْطَرِبُ .

4 سَلِيمَانُ وَسَعِيدُ : وَالْيَانُ .

[456] - أخبار مسعود بن خرشة

[نسبه وهواه]

مسعود بن خرشة أحد بني خرْقُوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، شاعر إسلامي بدوي من لصوص بني تميم ، قال أبو عمرو : وكان مسعود بن خرشة يهوى امرأة من قومه من بني مازن يقال لها : جُمْل بنت شراحيل ، أخت تَمَام بن شراحيل المازني الشاعر ، فانتجع قومها ونأوا عن بلادهم ، فقال مسعود : [من الطويل]

كلانا يرى الجوزاء يا جُمْلُ إذ بدت ونَجْمَ الثَّريا والمزارع بعيد
فكيف بكم يا جُمْلُ أهلاً ودونكم بحورٍ يَمْمُضن السفين ويبد¹
إذا قلت : قد حان القُفُولُ يصدنا سليمان عن أهوائنا وسعيد²

قال أبو عمرو : ثم خطبها رجل من قومها ، وبلغ ذلك مسعوداً فقال : [من الطويل]

أيا جملُ لا تشقي بأفْعَسَ حَنَكلي قليل الندى يسعى بكيرٍ ومُحَلَّب³
له أعزُّ حوْ ثمانٍ كأنما يراهن غرَّ الخيل أو هنُّ أنجب

[يسرق إبلاً]

وقال أبو عمرو : وسرق مسعود بن خرشة إبلاً من مالك بن سفيان بن عمرو الفقعسي ، هو ورفقاء له ، وكان معه رجلان من قومه ، فأتوا بها اليمامة لبيعوها ، فاعترض عليهم أميرٌ كان بها من بني أسد ، ثم غزل ووُلِّي مكانه رجلٌ من بني عُقيل فقال مسعود في ذلك :

يقول المرجفون : أ جاء عهدٌ كفى عهداً بتنفيذ القلاص
أتى عهدُ الإمارة من عُقيلٍ أغرَّ الوجه رُكَب في النواصي

1 قصص البحر السفينة : جعلها تضطرب .

2 سليمان وسعيد : واليان .

3 الأفْعَس : من برز صدره ودخل ظهره في جسمه . الحَنَكلي : القصير القامة ، أو اللثيم النذل .

حُصُونُ بَنِي عُقَيْلٍ كُلُّ عَضْبٍ إِذَا فَزَعُوا وَسَابِغَةَ دِلَاصٍ¹
وما الجارات عند المَحَلِّ فيهم ولو كثر الروازحُ بالخِماصِ²

قال : وقال مسعود «وقد» طلبه والي اليمامة ، فلجأ إلى موضع فيه ماء وقصب : [من الطويل]

ألا ليت شعري هل أبِتَنَ لَيْلَةً بوعثاء فيها للظباء مكانس³
وهل أنجُونُ من ذي لَبِيدٍ بن جابر كَأَنَّ بَنَاتِ المَاءِ فِيهِ المُجَالِسُ
وهل أَسْمَعُنُ صَوْتَ القَطَا تَنْدُبُ القَطَا إلى المَاءِ مِنْهُ رَابِعٌ وَخَوَامِسُ

1 العضب : السِّيفُ القاطع . والسَّابِغَةُ الدِّلاص : الدَّرْعُ الصَّافِيَةُ اللَّيْنَةُ .

2 الروازح : جمع رازحة ، وهي الناقة الهزيلة ونحوها . الخماص : الجياح .

3 الوعثاء : الأرض ذات الصخور .

[457] - أخبار بحر ونسبه¹

هو بحر بن العلاء ، مولى بني أُمَيَّة ، حجازي ، أدرك دولة بني هاشم ، وعُمِّرَ إلى أيام الرشيد ، وقد هَرَمَ ، وكان له أخٌ يقال له عباس ، وأخوه بحر أصغر منه ، مات في أيام المعتصم ، وكان يلقَّبَ حامضَ الرأس ، وله صنعة ، وأقدمه الرشيدُ عليه ، ثم كرهه ، فصرفه .

حدَّثني حنظلة قال : حدَّثني ميمون بن هارون قال : حدَّثني أحمد بن أبي خالد الأحول ، عن علي بن صالح صاحب المصلي : أنَّ الرشيد سَمِعَ من غُلُوِيَه ومخارق وهما يومئذٍ من صِغار المغنِّين في الطبقة الثالثة أصواتاً استحسنها ، ولم يكن سمعها ، فقال لهما : مِنَّ أخذتما هذه الأصوات ، فقالا : من بحر ، فاستعادهما ، وشرب عليها ، ثم غناه مخارق بعد أيام صوتاً لبحر ، فأمر بإحضاره ، وأمره أن يغني ذلك الصوت ، فغناه ، فسمع الرشيدُ صوتاً حائلاً مرتعشاً فلم يُعجبه ، واستثقله لولائه لبني أُمَيَّة ، فوصله ، وصرفه ، ولم يصل إليه بعد ذلك .

صوت

[من الطويل]

ألا يا لقومي للنوائب والذهر وللمرء يُردي نفسه وهو لا يدري
وللأرض كم من صالح قد تودَّأت عليه فوارتُه بلماعة قفرٍ

عروضه من الطويل ، قال الأصمعي : يقال للرجل أو للقوم إذا دعوتهم : يالَ كذا «بفتح اللام» وإذا دعوت للشيء . قلت بالكسرة ، تقول : يالَ الرجال وياللقوم . وتقول : يا للغنيمة ويا للحادثة ، أي اعجلوا للغنيمة وللحادثة ، فكأنه قال : يا قوم اعجلوا للغنيمة . وروى الأصمعي وغيره مكان قد تودَّأت : قد تلمَّأت عليه ، وتلاءمت ، أي وارتته ، ويروى : تأكَّمت أي صارت أكمة .

الشعر لهدبة بن خشرم ، والغناء لمعبد ثقيف أول بإطلاق الوتر في مجرى البصر عن إسحاق .

1 انظر أخباره في الاشتقاق 320 والكامل 1246-1249 والشعر والشعراء 2 : 691-695 والمرتزاني 483 واللاي 249-250 ، 639-640 والتبريزي 2 : 43-52 والخزاعة 4 : 81-87 .

[458] - أخبار هذبة بن خشرم ونسبه

وقصته في قوله هذا الشعر وخبر مقتله

[نسبه]

هو هُذْبَةُ بْنُ خَشْرَمَ بْنِ كُرْزِ بْنِ أَبِي حَيَّةَ بْنِ الْكَاهِنِ ، وهو سلمة ، بن أسحَمَ بْنِ عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هُذَيْم ؛ وسعد بن هُذَيْم شاعر من أسلم بن الحاف بن قضاة ؛ ويقال : بل هو سعد بن أسلم ، وهذيم عبد لأبيه رباه ، ف قيل : سعد بن هذيم ، يعني سعداً هذا .

وهذبة شاعر فصيح من بادية الحجاز ، وكان شاعراً راوية ، كان يروي للحطيئة ، والحطيئة يروي لكعب بن زهير ، وكعب بن زهير يروي لأبيه زهير ، وكان جميل راوية هذبة ، وكثير راوية جميل ، فلذلك قيل : إن آخر فحل اجتمعت له الراوية إلى الشعر كثير . وكان لهذبة ثلاثة إخوة كلهم شاعر : حَوْطٌ وَسِيحَانٌ وَالوَاسِعُ ، أمهم حَيَّةُ بنتُ أَبِي بكر بن أبي حَيَّةَ من رهطهم الأذنين ، وكانت شاعرة أيضاً .

وهذا الشعر يقوله هُذْبَةُ في قتله زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قُرَّةَ بن حنش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هُذَيْم . أخبرني بالخبر في ذلك جماعة من شيوختنا ، فجمعتُ بعضَ روايتهم إلى بعض ، واقتصرتُ على ما لا بدَّ منه من الأشعار ، وأتيتُ بخبرهما على شرح ، وألحقتُ ما نقص من رواية بعضهم عن رواية صاحبه في موضع النقصان .

فممنَ حَدَّثَنِي به محمد بن العباس اليزيدي قال : حَدَّثَنَا عيسى بن إسماعيل العتكِّي : تَبَيَّنَ قال : حَدَّثَنَا خلف بن المثني الحُدائي ، عن أبي عمرو والمديني .

وأخبرني الحسن بن يحيى ، ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر البوشنجي ، عن حماد بن إسحاق الموصلي عن أبيه .

وأخبرني إبراهيم بن أيوب الصائغ ، عن ابن قتيبة .

[الحرب بين قومه وقوم زيادة بن زيد]

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي ، عن أبيه عن عمه . وقد نسبتُ إلى كل واحد منهم ما انفرد به من الرواية ، وجمعتُ ما اتفقوا عليه ، قال عيسى بن إسماعيل في خبره خاصّة : كان أول ما هاج الحرب بين بني عامر بن عبد الله بن

ذبيان وبين بني رقاش ، وهم بنو قُرّة بن حفش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان ،
 وهم رهط زيادة بن زيد ، وبنو عامر رهط هدية ، أن حَوَطَ بن خشرم أخوا هدية راهن
 زيادة بن زيد على جملين من إبلهما ، وكان مُطْلَقَهُمَا¹ من الغاية على يوم وليلة ، وذلك في
 القَيْظ ، فتزوّدوا الماء في الروايا والقِرْب ، وكانت أختُ حوطٍ سلمى بنتُ خشرم تحت
 زيادة بن زيد ، فمالت مع أخيها على زوجها ، فوهنت أوعية زيادة ، ففني ماؤه قبل ماء
 صاحبه ، فقال زيادة :

قد جعلت نفسي في أديم مُحَرَّم الدِّبَاغِ ذِي هُزُومٍ
 ثم رَمَت بي عُرْضَ الدِّيمُومِ في بارحٍ من وَهَجِ السَّمُومِ²
 عند اِطْلَاعِ وعرة النجوم³

قال اليزيدي في خبره : المُحَرَّم : الذي لم يُدبغ ، والهزوم : الشقوق .

قال : وقال زيادةً أيضاً :

قد عَلِمْتُ سلمةً بالعميسِ لَيْلَةَ مَرْمَارٍ وَمَرْمَرِيسٍ
 أنَّ أبا المِسُورِ ذو شَرِيسٍ يَشْفِي صُدَاعَ الأَبْلَحِ الدُّلَعِيسِ⁴

العميسُ : موضع ، والمرمار والمَرْمَرِيس : الشدة والاختلاط ، وأبا المسور يعني زيادة
 نفسه ، وكانت كنيته أبا المسور .

[هدية وزيادة يشب كل منهما بأخت الآخر]

قال : فكان ذلك أولَ ما أثبت الضغائن بينهما . ثم إنَّ هدية بن خشرم وزيادة بن زيد
 اصطحبا ، وهما مقبلان من الشام ، في رَكْبٍ من قومهما ، فكانا يتعاقبان السَّوقَ بالإبل ،
 وكان مع هدية أخته فاطمة ، فنزل زيادة فارتجز فقال :

عُوجِي علينا واربعي يا فاطما ما دون أن يُرى البعيرُ قائما
 أي ما بين مُناخ البعير إلى قيامه .
 ألا تَرِينَ الدمعَ مِنِّي ساجما حِذَارَ دارٍ منك لن تُلانما

1 مطلقهما : موضع إطلاقهما .

2 العرض : الجانب . الديموم : الصحراء المترامية الأطراف . البارح : الريح الحارة صيفاً . السموم : الحر الشديد .

3 النجوم : جمع نجم وهو ما لا ساق له من النبات .

4 الشرير : الشراسة ، وهي سوء الخلق . الدلعيس : الضخمة المترهلة من الإبل .

فَعَرَجَتْ مَطْرَدًا غُرَاهِمَا فَعَمَّا يَبْدُ الْقُطْفَ الرَّوَّاسِمَا
مُطْرَدٌ : متتابع السير ، وغُرَاهِم : شديد ، وَقَم : ضخم ، والرسيم : سير فوق العَنَق ،
والرَّوَّاسِم : الإبل التي تسير هذا السير الذي ذكرناه .

كَأَنَّ فِي الْمُنَاةِ مِنْهُ عَائِمًا إِنَّكَ وَاللَّهِ لَأَنْ تُبَاغِمَا¹
المناة : الزمام ، وعائم : سائح ، تباغم : تكلم .

خَوْدًا كَأَنَّ الْبُوصَ وَالْمَاكِمَا مِنْهَا نَقًا مُخَالِطٌ صَرَائِمَا
البُوص : العجز ، والمأكمتان : ما عن يمين العجز وشماله ، والنقا : ما عظم من الرمل .
والصرائم : دونه .

خَيْرٌ مِنْ اسْتِقْبَالِكَ السَّمَائِمَا وَمَنْ مُنَادٍ يَبْتَغِي مُعَاكِمَا
ويروى : ومن نداء ، أي رجل تناديه تبتغي أن يعينك على عَكمك حتى تشده .
فغضب هذبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته ، فنزل فرجز بأخت زيادة ، وكانت تدعى ،
فيما روى اليزيدي ، أم حازم ، وقال الآخرون : أم القاسم ، فقال هذبة : [من الرجز]

لَقَدْ أَرَانِي وَالْغُلَامَ الْحَازِمَا نَزَجِي الْمَطْيَّيَّ ضَمْرًا سَوَاهِمَا²
مَتَى تَظُنَّ الْقُلُوصَ الرَّوَّاسِمَا وَالْجِلَّةَ النَّاجِيَةَ الْعِيَاهِمَا³
العياهم : الشداد .

يُبْلِغُنَّ أُمَّ حَازِمٍ وَحَازِمَا إِذَا هَبَطْنَ مُسْتَحِيرًا قَاتِمَا⁴
وَرَجَّعَ الْحَادِي لَهَا الْهَمَاهِمَا أَلَا تَرَيْنَ الْحُزْنَ مِنِّي دَائِمًا⁵
حِذَارَ دَارٍ مِنْكَ لَنْ تُلَاثِمَا وَاللَّهِ لَا يَشْفِي الْفَوَادَ الْهَائِمَا
تَمْسَاحُكَ اللَّبَّاتِ وَالْمَاكِمَا وَلَا اللَّمَامُ دُونَ أَنْ تُلَازِمَا⁶

- 1 تباغم : من بغمت الغزالة إذا نادت ولدها بصوت لين .
- 2 الضمر السواهم : النياق الصلبة .
- 3 القلوص : جمع قلووص : الفتية من الإبل . والرواسم : التي تمشي الرسم . الجلة : جمع جليل وهي الناجية : السريعة . العياهم : جمع عيهم وهي الناقة السريعة .
- 4 المستحير : الطريق في المفازة لا يعرف أين ينتهي .
- 5 المهمة : الصوت تنوم المرأة به طفلها .
- 6 المآكم : رؤوس الأفخاذ .

ولا اللّثام دون أن تُفاقما ولا الفِقَامُ دون أن تفاعَما¹
وتعلّو القوائِمُ القوائِما

قال : فشتمه زيادة ، وشتمه هُدبة ، وتسابّا طويلاً ، فصاح بهما القوم اركبا ، لا حملكما الله . فإنّا قوم حُجّاج ، ونخشوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما ، حتى أمسك كلّ واحد منهما على ما في نفسه ، وهديّة أشدهما حقّاً ، لأنّه رأى أن زيادة قد ضامه ، إذ رجز بأخته وهي تسمع قوله ، ورجز هو بأخته ، وهي غائبة لا تسمع قوله ، فمضيا ولم يتخاورا بكلمة ، حتى قضيا حجّهما ، ورجعا إلى عشيرتيهما .

[هجائهم هدية]

قال اليزيديّ خاصة في خبره : ثم التقى نفر من بني عامر ، من رهط هُدبة ، فيهم أبو جبرّ ، وهو رئيسهم الذي لا يعصونه ، وخشرم أبو هُدبة ، وزفر عمّ هُدبة ، وهو الذي بعث الشرّ ، وحجّاج بن سلامة ، وهو أبو ناشب ، ونفر من بني رقاش رهط زيادة ، وفيهم زيادة بن زيد ، وإخوته : عبد الرحمن ونفّاع وأدرعُ بواد من أودية حرّتهم ، فكان بينهم كلام ، فغضب ابن الغسّانية ، وهو أدرع ، وكان زفر عمّ هُدبة يُعزى إلى رجل من بني رقاش ، فقام له أدرع فرجز به فقال :

أدّوا إلينا زُفرا نعرفُ منه النّظرا
وعينه والأثرا

قال : فغضب رَهط هُدبة ، وأدّعوا حدّاً على بني رقاش ، فتداعَوْا إلى السلطان ، ثم اصطلحوا على أن يُدفع إليهم أدرعُ ، فيخلو به نفرٌ منهم ، فما رأوه عليه أمّصوه ، فلمّا خلّوا به ضربوه الحدّ ضرباً مبرّحاً ، فراح بنو رقاش وقد أضمرّوا الحرب وغضبوا ، فقال عبد الرحمن بن زيد :

ألا أبْلغ أبا جبرّ رسولاً فما بيني وبينكم عتابُ
ألم تعلم بأنّ القوم راحوا عشيةً فارقوك وهم غضابُ

فأجابه الحجّاج بن سلامة فقال :

إن كان ما لاقى ابنُ كنعاء مُرغماً رقاشَ فزاد الله رَغماً سيالها²

1 الفقام : المباذعة . والفقام : التقبيل .

2 ابن كنعاء : أدرع . السبال : طرف الشارب ، أو مقدم اللحية .

منعنا أخانا إذ ضربنا أحاكم وتلك من الأعداء لا مثلاً ماها

[هو وزيادة يتهاديان الأشعار]

قال اليزيدي في خبره : وجعل هذبة وزيادة يتهاديان الأشعار ، ويتفاخران ، ويطلب كل واحد منهما العلو على صاحبه في شعره ، وذكر أشعاراً كثيرة ، فذكرت بعضها ، وأتيت بمختار ما فيه ، فمن ذلك قول زيادة في قصيدة أولها :

أراك خليلاً قد عزمت التجنبا وقطعت حاجات الفؤاد فأصبحاً¹

اخترت منها قوله :

وأنتك للناس الخليل إذا دنت
وقد أعذرت صرف الليالي بأهلها
فلا هي تالو ما نأت وتباعدت
أطعت بها قول الوشاة فلا أرى الـ
فهلاً صرمت والحبال متينة
إذا خفت شك الأمر فارم بعزمة
وإن وجهة سدت عليك فروجها
يلاًم رجال قبل تجريب غيبيهم
وإني لمعارض قليل تعرضي
قليل عثاري حين أذعر ، ساكن
بحسبك ما يأتيك فاجمع لنازل
ولا تتجع شراً إذا حيل دونه
أنا ابن رقاش وابن ثعلبة الذي
بنى العز بنياناً لقومي فماصعوا

به الدار ، والباكي إذا ما تغياً
وشحط النوى بيني وبينك مطلباً
ولا هو يالو ما دنا وتقرباً
وشاة انتهوا عنه ولا الدهر أعتبا
أميمة إن واش وشى وتكذباً
غيايته يركب بك الدهر مركبا
فإنك لاق لا محالة مذهبا
وكيف يلام المرء حتى يجرباً
لوجه امرئ يوماً إذا ما تجنباً²
جناني إذا ما الحرب هرت لتكلباً³
قراه ونوبه إذا ما تنوباً⁴
يسير وهب أسباه ما تهياً
بنى هادياً يعلو الهوادي أغلباً⁵
بأسيافهم عنه فأصبح مُصعباً⁶

1 أصحاب الفؤاد : أصابه خبل .

2 معارض : كثير الإعراض .

3 هرت : كشرت عن أنيابها . لتكلب . لتشتد .

4 نوبه : حفظ حقه في النوبة عند الركوب نحوه .

5 الهادي : العنق . الأغلب : الغليظ العنق .

6 ماصع : جالد .

فَمَا إِنْ تَرَى فِي النَّاسِ أُمَّاً كَأُمِّنَا
أَتَمَّ وَأَتَمَّى بِالْبَنِينَ إِلَى الْعَلَا
مَلَكْنَا وَلَمْ نَمْلِكْ وَقُدْنَا وَلَمْ نُقَدْ
قَالَ الْيَزِيدِيُّ : تَرْتَبُ : ثَابِتٌ لَازِمٌ .

بَايَةَ أَنَا لَا نَرَى مُتَوَجَّأً
وَلَا مِلْكَاً إِلَّا اتَّقَانَا بِمُلْكِهِ
مَلَكْنَا مَلُوكاً وَاسْتَبَحْنَا حِمَاهُمْ
نَدَامَى وَأَرْدَافاً فَلَمْ تَرَ سُوقَةً

فَأَجَابَهُ هُدْبَةُ ، وَهَذَا مَخْتَارٌ مَا فِيهَا فَقَالَ :

تَذَكَّرْ شَجَواً مِنْ أُمِيمَةٍ مُنْصِبَا
تَذَكَّرْ حَبّاً كَانَ فِي مَيْعَةِ الصَّبَا
إِذَا كَادَ يَنْسَاهَا الْفَوَادُ ذَكَرْتُهَا
عَدَا فِي هَوَاهَا مُسْتَكِيناً كَأَنَّهُ
وَقَدْ طَالَ مَا عُلِّقَتْ لَيْلَى مُغَمِّراً
الْمُغَمَّرُ : لِلْمُغَمَّرِ أَيُّ غَيْرِ حَدَثٍ .

رَأَيْتُكَ فِي لَيْلَى كَذِي الدَّاءِ لَمْ يَجِدْ
فَلَمَّا اشْتَفَى مَمَّا بِهِ كَرَّ طِبُّهُ

[يَقْتُلُ زِيَادَةَ فَيَسْجُنُ]

فَلَمْ يَزَلْ هُدْبَةُ يَطْلُبُ غِرَّةَ زِيَادَةَ حَتَّى أَصَابَهَا فَبَيَّتَهُ فَقَتَلَهُ ، وَتَنَحَّى مَخَافَةَ السُّلْطَانِ ،
وَعَلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَئِذٍ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ، فَأُرْسِلَ إِلَى عَمِّ هُدْبَةَ وَأَهْلِهِ فَجَبَسَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَ
هُدْبَةُ ذَلِكَ أَقْبَلَ حَتَّى أَمْكَنَ مِنْ نَفْسِهِ وَتَخَلَّصَ عَمَّهُ وَأَهْلَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوساً حَتَّى شَخَصَ عَبْدُ
الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ أَخُو زِيَادَةَ إِلَى مَعَاوِيَةَ ، فَأُورِدَ كِتَابُهُ إِلَى سَعِيدٍ بِأَنْ يُقَيِّدَ مِنْهُ إِذَا قَامَتِ الْبَيْتَةُ ،

1 الخرج : الضريبة ونحوها .

2 أرداف : جمع ردف ، وهو خليفة الملك في الجاهلية .

3 منصِب : متعب . مجلب : من أجلب الجرح : علته القشرة .

4 معتب : مستوجب للعتاب واللوم .

5 الخليع : من غلب في القمار . المنتشب : من النشب ، وهو النبل .

فأقامها ، فمشت عذرة إلى عبد الرحمن ، فسأله قبول الدية فامتنع ، وقال : [من الطويل]

صوت

أَنْخُتُمْ عَلَيْنَا كُلَّكَ الْحَرْبِ مُرَّةً فَنَحْنُ مُنِيخُوهَا عَلَيْكُمْ بِكُلِّكَ
فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لِزَيْدِ بْنِ مَالِكٍ لَنْ لَمْ أُعَجِّلْ ضَرْبَةً أَوْ أُعَجِّلْ
أَبْعَدَ الَّذِي بِالنَّعْفِ نَعْفُ كُوَيْكِبٍ رَهْنِيَّةٍ رَمَسَ ذِي تَرَابٍ وَجَنْدَلٍ¹
كَرِيمٌ أَصَابَتْهُ دِيَاتٌ كَثِيرَةٌ فَلَمْ يَدِرْ حَتَّى حِينَ مِنْ كُلِّ مَدْخَلٍ
أَذْكَرُ بِالْبُقْيَا عَلَى مَنْ أَصَابَنِي وَبُقْيَايَ أَنِّي جَاهِدٌ غَيْرُ مُؤْتَلٍ²

غناه ابن سُرَيْجَ رملًا بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وقيل : إنه لمالك بن أبي السمح وله فيه لحن آخر .

رجع الخبر إلى سياقه

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ ، فَذَكَرَ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ كَرِهَ الْحَكَمَ بَيْنَهُمَا ، فَحَمَلَهُمَا إِلَى مَعَاوِيَةَ ، فَنَظَرَ فِي الْقِصَّةِ ، ثُمَّ رَدَّهَا إِلَى سَعِيدٍ . وَأَمَّا غَيْرُهُ فَذَكَرَ أَنَّ سَعِيدًا هُوَ الَّذِي حَكَمَ بَيْنَهُمَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحْمِلَهُمَا إِلَى مَعَاوِيَةَ .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ : فَلَمَّا صَارُوا بَيْنَ يَدَيِّ مَعَاوِيَةَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَخُو زِيَادَةَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَشْكُو إِلَيْكَ مَظْلَمَتِي وَمَا دُفِعْتُ إِلَيْهِ ، وَجَرَى عَلَيَّ وَعَلَى أَهْلِي وَقُرْبَائِي وَقَتْلَ أَخِي زِيَادَةَ ، وَتَرْوِيعَ نَسَوْتِي ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : يَا هَذِبَةُ قُلْ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا رَجُلٌ سَجَّاعَةٌ ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَقْصَرَ عَلَيْكَ قِصَّتَنَا كَلَامًا أَوْ شِعْرًا فَعَلْتُ ، قَالَ : لَا بَلْ شِعْرًا ، فَقَالَ هَذِبَةُ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ ارْتَجَالًا :

أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلنَّوَابِ وَالذَّهْرِ وَلِلْمَرْءِ يُرِدِي نَفْسَهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي
وَلِلْأَرْضِ كَمْ مِنْ صَالِحٍ قَدْ تَأَكَّمَتْ عَلَيْهِ فَوَارَتْهُ بِلَمَاعَةٍ قَفَرٍ
فَلَا تَنْقُصِي ذَا هَيْبَةٍ لَجَلَالِهِ وَلَا ذَا ضِيَاعٍ هَنَ يُتْرَكُنَ لِلْفَقْرِ
حَتَّى قَالَ :

رُمِينَا فَرَامِينَا فَصَادَفَ رَمِينَا مَنَايَا رَجَالٍ فِي كِتَابٍ وَفِي قَدْرِ
وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا لَنَا وَرَاءَكَ مِنْ مَعْدَى وَلَا عَنْكَ مِنْ قَصْرِ

1 النعف : المكان المرتفع . وكويكب : موضع في ديار سعد بن هزيم .

2 غير مؤتل : غير مقصر في طلب الوتر .

فَإِنْ تَكُ فِي أَمْوَالِنَا لَمْ نَضِيقْ بِهَا ذِرَاعاً ، وَإِنْ صَبِرَ فَنَصِيرُ لِلصَّبْرِ

فقال له معاوية : أراك قد أقررت بقتل صاحبهم ، ثم قال لعبد الرحمن : هل لزيادة ولدٌ ؟ قال : نعم ، المسور ، وهو غلام صغير لم يبلغ ، وأنا عمّه ووليُّ دم أبيه ، فقال : إنك لا تؤمن على أخذ الدية أو قتل الرجل بغير حق ، والمسور أحقُّ بدم أبيه فردّه إلى المدينة فحبس ثلاث سنين حتى بلغ المسور .

[بينه وبين جميل بن معمر]

أخبرني الحرّمي بن العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : نسخت من كتاب عامر بن صالح قال : دخل جميل بن معمر العذريُّ على هذبة بن خشرم السجني وهو محبوب بدم زيادة بن زيد ، وأهدى له بُردين من ثياب كساه إياها سعيد بن العاص ، وجاءه بنفقة ، فلما دخل إليه عرض ذلك عليه ، وسأله أن يقبله منه ، فقال له هذبة : أنت يا ابن معمر الذي تقول :

بني عامرٍ أنى انتجعتم وكتتم إذا عُدَّ الأَقيَومُ كالخُصِيّةِ الفَرْدِ ؟
أما والله لئن خلّص الله لي ساقِي لأمدنّ لك مَضمَارَك¹ ، خذ بُرديك ونفقتك ، فخرج جميلٌ ، فلما بلغ باب السجن خارجاً قال : اللهم أغر عني² أجدع بني عامر ، قال : وكانت بنو عامر قد قلت ، فحالفت لإياد .

[من شعر أمه فيه]

قال أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني : فقالت أم هذبة فيه لما شخّص إلى المدينة فحبس بها :

أَيَا إِخْوَتِي أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَكْرَمُوا أَسِيرُكُمْ إِنْ الْأَسِيرَ كَرِيمُ
فَرُبُّ كَرِيمٍ قَدْ قَرَاهُ وَضَافَهُ وَرُبُّ أُمُورٍ كُلُّهُنَّ عَظِيمُ
عَصَى جُلُهَا يَوْمًا عَلَيْهِ فَرَاضَهُ مِنْ الْقَوْمِ عَيَافٌ أَشْمُ حَلِيمُ

[يتوسّطون له فترفض وساطتهم]

فأرسل هذبة العشيّة إلى عبد الرحمن في أوّل سنة فكلّموه ، فاستمع منهم ثم قال :

[من الطويل]

1 لأمدن لك مضمارك : لأوسع الميدان الذي ألاقيك فيه .

2 أغر عني : اكفني شرّه .

أبعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي ثراب وجندل
أذكر بالبقيا على من أصابني وبقياي أني جاهد غير موتلي

فرجعوا إلى هدية بالأبيات فقال : لم يؤتسني بعد ، فلما كانت السنة الثالثة بلغ
المسور ، فأرسل هدية إلى عبد الرحمن من كلمه فأنصت حتى فرغوا ، ثم قام عنه مغضباً
وأنشأ يقول :

سأكذب أقواماً يقولون : إنني سأخذ مالاً من دم أنا ثائرة¹
فباست امرئ واست التي زحرت به يسوق سواماً من أخ هو واطرة

ونهمض ، فرجعوا إلى هدية فأخبروه الخبر فقال : الآن أيست منه ، وذهب عبد الرحمن
بالمسور ، وقد بلغ إلى والي المدينة ، وهو سعيد بن العاص ، وقيل مروان بن الحكم ، فأخرج هدية .
[لقاؤه الأخير بزوجته]

قالوا : فلما كان في الليلة التي قُتل في صباحها أرسل إلى امرأته ، وكان يحبها : إيتيني الليلة
أستمع بك وأودعك ، فأتته في اللباس والطيب ، فصارت إلى رجل ، قد طال حبسه ،
وأنثت في الحديد رائحته ، فحادثها ، وبكى ، وبكت ، ثم راودها عن نفسها ، وطاوعته ،
فلما علاها سمعت قعقة الحديد فاضطربت تحته ، فتنحى عنها وأنشأ يقول : [من الطويل]

وأذيتني حتى إذا ما جعلتني لدى الخصر أو أدنى استقلك راجف²
فإن شئت والله انتهيت وإنني لئلا تريني آخر الدهر خائف
رأت ساعدي غول وتحت ثيابه جآجى يدمى حدّها والحراقف³
ثم قال الشعر حتى أتى عليه وهو طويل جداً وفيه يقول :

صوت

فلم تر عيني مثل سرب رأيه خرجن علينا من زقاق ابن واقف⁴
تضمخن في الجادي حتى كأنما الأ نوف إذا استعرضتهن رواعف⁵

1 أنا ثائرة : أنا طالب ثاره .

2 استقلك راجف : أصابك ما أفرعك .

3 جآجى : جمع جوجو ، وهو عظم الصدر . الحراقف : جمع حرقفة ، وهو أعلى الورك .

4 في هذا البيت إقواء .

5 الجادي : الزعفران .

خرجن بأعناق الطباء وأعين الـ جاذِرٍ وارتجَّتْ لهن السَّوَالِفُ¹
 فلو أنَّ شيئاً صاد شيئاً بطرفه لصِدْنُ ظباء فوقهنَّ المطارفُ
 غنّى فيه الغريض رملاً بالبصر من رواية حبّش ، وفيه لحن خفيف ثقيل ، وذكر إسحاق
 أنَّ فيه لحناً ليونس ، ولم يذكر طريقته في مجرده .
 [يفضل السمكات على سربه]

أخبرنا الحرّميّ قال : حدّثنا الزُّبير عن عمّه قال : مرَّ أبو الحارث جُمَيْنَ يوماً بسوق
 المدينة ، فخرج عليه رجل من زقاق ابن واقف بيده ثلاث سمكات قد شقَّ أجوافها : وقد
 خرج شحمُها ، فبكى أبو الحارث ، ثم قال . تَعِسَ الذي يقول : [من الطويل]
 فلم تَرَ عيني مثلَ سِرْبٍ رأيته خرجن علينا من زقاقِ ابنِ واقفٍ
 وانتكس ولا انجبر ، والله لهذه السمكات الثلاث أحسنُ من السرب الذي وصف .
 وأحسب أنَّ هذا الخير مصنوع لأنّه ليس بالمدينة زقاقٌ يعرف بزقاق ابن واقف ، ولا بها
 سَمَكٌ ، ولكن رويت ما روي .
 [حُبِّي ترثي لحاله وهو أسير]

وقال حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنَّ ابن كُناسة قال : مرَّ بهُذْبَةٌ على حُبِّي ؛ فقالت : في سبيل
 الله شِابُك وجِلْدُك وشِعْرُك وكرمُك ؛ فقال هدبة :
 تَعَجَّبُ حُبِّي من أسير مُكَبَّلٍ صَلِيبِ الْعَصَا باقٍ على الرِّسْفَانِ²
 فلا تَعَجَّبِي مِنِّي حَلِيلَةَ مَالِكٍ كذلك يَأْتِي الدهرُ بِالْحَدَثَانِ
 [يبين لزوجه أوصاف من يتزوجها بعده]

وقال النوفليُّ عن أبيه : فلمَّا مُضِيَ بِهِ من السجن للقتل ، التفتَ فرأى امرأته ؛ وكانت من
 أجمل النساء فقال :

أَقْلِي عليَّ اللَّوْمَ يا أُمَّ بَوَزَعَا ولا تَجْزَعِي مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا
 ولا تنكحي إن فرّق الدهرُ بيننا أَغَمَّ القفا والوجه ليس بَأَنْزَعَا³
 كَلِيلًا سوى ما كان من حدّ ضيرُسه أَكْيَدَ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا⁴

1 السوالف : جمع سالفَة ، وهي جانب العنق .

2 حُبِّي : اسم امرأة . الرسفان : المشي الوئيد الذي يمشيه الرجل في القيد .

3 الأنزع : من انحسر شعره عن جبينه وقفاه .

4 مبطان العشيات : كثير الأكل ليلاً . أروع : من الروع ، أي الخوف .

ضَرُوبًا بَلَحِيهٍ عَلَى عَظَم زَوْرِهِ إِذَا النَّاسُ هَشُّوا لِلْفَعَالِ تَقَنَّنَا¹
وَحُلِّي بِذِي أَكْرُومَةٍ وَحَمِيَّةٍ وَصَبِرَ إِذَا مَا الدَّهْرُ عَضَّ فَأَسْرَعَا

[زوجته تشوه جمالها بسكين]

وقال حمَّاد عن أبيه عن مُصْعَب بن عبد الله قال : لما أُخرج هُذبةٌ من السجن ليُقتل ، جعل الناسُ يتعرَّضون له ويخبرون صَبْرَهُ ، وَيَسْتَنْشِدُونَهُ ، فُدْرَكَهُ عبدُ الرحمن بنُ حِسانَ ، فقال له : يا هُذبةُ ، أتأمرني أن أتزوَّجَ هذهَ بَعْدَكَ ، يعني زوجتهَ ، وهي تمشي خلفه فقال : نعم ، إن كنتَ من شَرَطِها ، قال : وما شَرَطُها ؟ قال : قد قُلْتُ في ذلك : [من الطويل]

فلا تنكحني إن فَرَّقَ الدهرُ بيننا أَغَمَّ القفا والوجهُ ليس بأنزعا
وكوني حَبِيسًا أو لَأرُوعَ ماجدٍ إِذَا ضَنَّ أَعْشَاشُ الرِّجَالِ تَبَرَّعًا²

فمالت زوجته إلى جِزَارٍ وأخذت شَفَرَتَهُ ، فجدَّعت بها أنفَها ، وجاءته تَذمُّ مجدوعةً فقالت : أتخاف أن يكون بعد هذا نِكَاح ؟ قال : فربَّسَفَ في قِيُودِهِ وقال : الآنَ طابَ الموت . وقال النوفليُّ عن أبيه : إنَّها فعلت ذلك بِحَضْرَةِ مَرْوَانَ وقالت له : إنَّ هُذبةَ عندي وَدِيعَةٌ ، فأَمَهْلُهُ حتى آتِيَهُ بها ، قال : أَسْرِعِي ، فإنَّ الناسَ قد كَثُرُوا ، وكانَ جُلُوسُ لَهم بارِزًا عن دارِهِ فمضت إلى السُّوقِ ، فانتَهت إلى قِصَابٍ وقالت : أعطني شَفَرَتَكَ ، وخُذْ هَذينِ الدرهمين وأنا أَرُدُّها عليك ، فَفَعَلَ ، فَقَرِبت من حائِطٍ ، وأرسلت مِلْحَفَتَها على وَجْهِها ، ثم جدعت أنفَها من أَصْلِهِ ، وقطعت شَفَتَيْها ، ثم رَدَّتِ الشَفْرَةَ ، وأقبلت حتى دَخَلَتْ بينَ الناسِ وقالت : يا هُذبةُ ، أتراني متزوَّجَةً بعدما تَرى ؟ قال : لا ، الآنَ طابت نَفْسِي بَعْدَ بالموت ، ثم خَرَجَ يرسُفُ في قِيُودِهِ ، فإذا هو بأَبُوهِ يَتَوَقَّعانِ الثَّكَلِ ، فهما بِسُوءِ حالٍ ، فأقبل عليهما وقال :

أَبْلِيَانِي اليَوْمَ صَبْرًا مِنْكُمَا إِنَّ حُزْنَاً إِن بَدَا بِادِيءِ شَرٍّ
لَا أُرَانِي اليَوْمَ إِلَّا مَيِّتًا إِنَّ بَعْدَ المَوْتِ دَارَ المِسْتَقَرِّ
اصْبِرَا اليَوْمَ فَإِنِّي صَابِرٌ كُلُّ حَيٍّ لِقَضَاءٍ وَقَدَرُ

[زوجته تنكت بعَهدِها]

قال النوفليُّ : فحدَّثتني أُمِّي قال : حدَّثتني رجلٌ من عُذْرَةٍ عن أبيه قال : إِنِّي لِبِلادِنَا يَوْمًا في بعضِ المِياهِ ، فإذا أنا بِامْرَأَةٍ تَمْشِي أَمَامِي وهي مَدِيرَةٌ ، ولها خَلْقٌ عَجِيبٌ من عَجَزٍ وَهَيْئَةٍ ،

1 الناس في الشعر والشعراء : القوم . اللحيان : العظامان اللذان ركبت فيهما الأسنان العلوية والسفلية .

2 أعشاش الرجال : من عَشَّ معروفَةٌ بمعنى قلَّله .

وتمام جسم ، وكال قامة ، فإذا صَبَّيَّان قد اكتشفاهما يمشيان ، قد ترعرعا ، فتقدمتها ، والتفت إليها ، فإذا هي أقبَحُ منظر ، وإذا هي مجدوعة الأنف ، مقطوعة الشفتين ، فسألت عنها فقيل لي : هذه امرأة هُدْبَة ، تزوجت بعده رجلاً ، فأولدها هذين الصَّبَّيَّين .
[أخو زيادة يرفض الدية]

قال ابن قُتَيْبَة في حديثه : فسأل سعيد بن العاص أخاً زيادةً أن يقبل الدية عنه ، قال : أعطيك ما لم يعطه أحد من العرب أعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جداء¹ ولا ذات داء ، فقال له : والله لو نَقَبْتُ لي قُبَّتَكَ هذه ، ثم ملأتها لي ذهباً ، ما رضيت بها من دم هذا الأجدع ، فلم يزل سعيد يسأله ، ويعرض عليه فيأبى ، ثم قال له : والله لو أردت قبول الدية لمنعني قوله :

لَنَجْدَعَنَّ بِأَيْدِينَا أَنْوَفَكُمْ وَيَذْهَبُ الْقَتْلُ فِيمَا بَيْنَنَا هَذَرًا

فدفعه حينئذٍ ليقنتله بأخيه .

[يعرض بحبي وهو في طريقه إلى الموت]

قال حماد : وقرأت على أبي عن مصعب بن عبد الله بن الزبير قال : ومَرَّ هُدْبَةُ بِحُبِّي ، فقالت له : كنت أعدك في الفتیان ، وقد زهدت فيك اليوم ، لأنني لا أنكر أن يصبر الرجال على الموت ، لكن كيف تصبر عن هذه ؟ فقال : أما والله إن حُبِّي لها الشديد ، وإن شئت لأصفرن لك ذلك ، ووقف الناس معه ، فقال :

وَجَدْتُ بِهَا مَا لَمْ تَجِدْ أُمَّ وَاحِدٍ وَلَا وَجْدُ حُبِّي بَابِنِ أُمَّ كِلَابٍ

رأته طويل الساعدين شمر² دلاً كما تشتهي من قوّة وشباب³

فانقمعت³ داخله إلى بيتها فأغلقت الباب دونه . قالوا : فدفع إلى أخي زيادة ليقنتله ، قال : فاستأذن في أن يصلّي ركعتين ، فأذن له ، فصلاهما وخفف ، ثم التفت إلى من حضر فقال : لولا أن يُظَنَّ بي الجزع لأطلتهمما ، فقد كنت محتاجاً إلى إطالتهما ، ثم قال لأهله : إنه بلغني أن القَتِيلَ يعقل ساعة بعد سقوط رأسه ، فإن عَقَلْتُ فَإِنِّي قابضٌ رجلي وباسطها ثلاثاً ، ففعل ذلك حين قُتِلَ ، وقال قبل أن يُقَتَلَ :

[من الطويل]

إِنْ تَقْتُلُونِي فِي الْحَدِيدِ فَإِنِّي قَتَلْتُ أَخَاكَ مُطْلَقاً لَمْ يُقَيَّدِ

1 الجداء : القليلة اللبن من مرض أصابها .

2 الشمر دل : الجميل الخلق .

3 فانقمعت : ولت هاربة .

فقال عبد الرحمن أخو زيادة : والله لا قتلته إلا مُطلقاً من وثاقه ، فأطلق له ، فقام إليه وهزّ السيف ثم قال :
 قد علمت نفسي وأنت نعلمه لأقتلن اليوم من لا أرحمه
 ثم قتله .

فقال حماد في روايته : ويقال : إن الذي تولى قتله ابنه المسور ، دفع إليه عمه السيف وقال له : قم فاقتل قاتل أبيك ، فقام ، فضربته ضربتين قتله فيهما .
 [كاهنة تنبأ بقتله صبرا]

أخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حماد : قرأت على أبي قال : بلغني أن هدية أول من أُقيد منه في الإسلام .

قال أحمد بن الحارث الخزاز : قال المدائني : مرت كاهنة بأُم هُدية وهو وأخوته نياماً بين يديها ، فقالت : يا هذه ، إن الذي معي يُخبرني¹ عن نبيك هؤلاء بأمر . قالت : وما هو ؟ قالت : أما هُدية وحوطٌ فيقتلان صبراً² ، وأما الواسع وسيحان فيموتان كمداً ، فكان كذلك .

أخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حماد : قرأت على أبي : أخبرك مروان بن أبي حفصة قال : كان هُدية أشعر الناس منذ يوم دخل السجن إلى أن أُقيد منه ، قال الخزاز عن المدائني : قال واسع بن خشرم يرثي هُدية لما قُتل :

يا هُذبَ يا خيرَ فتیان العشيرة منْ يُفجّعُ بمثلک فی الدنیا فقد فُجِعَا
 اللَّهُ یعلمُ أنّی لو خشیتهمْ أو أوجسَ القلبُ من خوفٍ لهمْ فرعا
 لم یقتلوه ولم أسلم أخی لهمْ حتّی نعيش جمیعاً أو نموت معا
 وهذه الأبيات تمثل بها إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، لما بلغه قتل أخيه محمد .

[أخبار هدية وزیاد]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال : حَدَّثَنَا أحمد بن أبي خَيْثَمَةَ قال : حَدَّثَنِي مصعبُ الزُّبَيْرِيُّ قال : كنّا بالمدينة أهلَ البيوتات إذا لم يكن عند أحدنا خبرُ هُدية وزيادة وأشعارهما ازدريناه ، وكنا نرفع من قدر أخبارهما وأشعارهما ونعجب بها .

1 تقصد الذي معها من علم التنجيم أو الجن الذي ترغم مؤاخاته .

2 يقتل صبراً : يجس حتى يموت .

[جميل بن معمر راوية له]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال : أخبرني محمد بن الحسن الأحول ، عن رواية من الكوفيّين قالوا : كان جميل بن معمر العُدريّ راوية هُدبة ، وكان هُدبة راوية الخطيئة ، وكان الخطيئة راوية كعب بن زهير وأبيه .

[عائشة أم المؤمنين تدعو له بعد موته]

حدّثني حبيب بن نصر المهلبّي قال : حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال : حدّثني أبو المغيرة محمد بن إسحاق قال : حدّثني أبو مُصعب الزُبيريّ قال : حدّثني المنكدر بن محمد بن المنكدر ، عن أبيه قال : بعث هُدبة بن خَشْرَم إلى عائشة زوج النبي ﷺ يقول لها : استغفري لي ، فقالت : إن قُتِلْتَ استغفرتُ لك .

صوت

[من الطويل]

ألم ترَ أنّي يومَ جوِّ سُوَيْقَةٍ بكيتُ فنادتني هُنيْدَةٌ ما ليَا ؟
فقلتُ لها : إنّ البكاءَ لراحةٌ به يشتفى مَنْ ظنَّ أن لا تلاقيا
قفي ودّعينا يا هُنيْدَ فَإِنِّي أرى القوم قد شاموا العَقِيْقَ اليمانيا
ويروى : أرى الركبَ قد شاموا¹ .

إذا اغرورقت عَيْناي أسْبَلَ منهما إلى أن تغيب الشَّعْرِيان بكائيا²
الشعر للفرزدق من قصيدة يهجو بها جريراً ، وهي فيما قيل أوّلُ قصيدة هجاه بها ، والغناء لابن سريج خفيف ثَقِيل عن الهشاميّ ، قال الهشاميّ : وفيه لِمَالِك ثَقِيل أوّل ، وابتداء اللحنين جميعاً .

ألم ترَ أنّي يومَ جوِّ سُوَيْقَةٍ
ولعلُّوْه فيه لحن من الرمل المطلق ابتداءه :
قفي ودّعينا يا هُنيْدَ فَإِنِّي

1 شام السحاب والبرق ونحوها : نظر إليه ليتحقق أفه مطر أم لا ، والمراد هنا النجعة والرحيل .

2 الشعريان : نجمان .

[459] - نسب الفرزدق وأخباره وذكر مناقضاته¹

[نسبه]

الفرزدق لقب غَلَبَ عليه ، وتفسيره الرغيف الضخم الذي يجفّفه النساء للفتوت ، وقيل : بل هو القطعة من العجين التي تبسط ، فيُخبَز منها الرغيف ، شُبّه وجهه بذلك ؛ لأنّه كان غليظاً جهماً . واسمه هَمَام بن غالب بن صَعَصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم .

قال أبو عبيدة : اسم دارم بحر ، واسم أبيه مالك عوف² ويقال عرف . وسُمّي دارم دارماً لأنّ قوماً أتوا أباه مالكا في حَمالة³ فقال له : قُمْ يا بحر فأتني بالخريطة ، يعني خريطة كان له فيها مال ، فحملها يدرم عنها ثِقلاً ، والدّرمان : تقارب الخطو ، فقال لهم : جاءكم يدرم بها ، فسُمّي دارماً ، وسُمّي أبوه مالك غُرفاً لجوده .

وأمّ غالب ليلى بنت حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع . وكان للفرزدق أخ يقال له هُميم ، ويلقب الأخطل ، ليست له نباهة ، فأعقب ابناً يقال له محمد ، فمات والفرزدق حيّ فرثاه ، وخبره يأتي بعد . وكان للفرزدق من الولد خبطة ولبطة وسبطة ، هؤلاء المعروفون ، وكان له غيرهم فماتوا ، ولم يُعرفوا . وكان له بنات خمس أو ست .

وأمّ الفرزدق ، فيما ذكر أبو عبيدة ، لينة بنت قرظة الضبيّة .

[صعصعة محبي الموءودات]

وكان يقال لصعصعة محبي الموءودات ؛ وذلك أنّه كان مرّ برجلٍ من قومه ، وهو يحفر بئراً ، وامرأته تبكي ، فقال لها صعصعة : ما يبكيك ؟ قالت : يريد أن يعد ابنتي هذه ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ قال : الفقر . قال : فإني أشتريها منك بناقتين

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء 1 : 471-482 وطبقات ابن سلام : 299-379 والموشح 156 والسمط 44 وابن خلكان 6 : 86 والخزانة 1 : 105 والشذرات 1 : 141 والشرشي 1 : 142 وشرح شواهد المغني 4 : 4 وأمالى المرتضى 1 : 43 ومراة الجنان 1 : 234 وعبر الذهبي 1 : 236 وسير الذهبي 4 : 590 ومعاهد التنصيص 1 : 45 والنجوم الزاهرة 1 : 268 وشرح العيون 389 ، 464 . والبداية والنهاية 9 : 265 ، ومعجم الأدباء 6/2785-2788 .

2 ل : غرف .

3 الحمالة : الغرامة يحملها قوم عن قوم أو الدية .

7 • كتاب الأغاني - ج 21 .

يتبعهما أولادهما ، تعيشون بألبانهما ، ولا تتد الصبية ، قال : قد فعلت ، فأعطاه الناقتين وجملًا كان تحته فحلًا ، وقال في نفسه : إن هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب ، فجعل على نفسه ألا يسمع بموءودة إلا فداها ، فجاء الإسلام وقد فدى ثلثمائة موءودة ، وقيل : أربعمائة .

أخبرني بذلك هاشم بن محمد الخزاعي ، عن دَماذ ، عن أبي عبيدة .

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش قالا : حدثنا أبو سعيد السكري ، عن محمد بن حبيب ، عن أبي عبيدة عن عقال بن شبة قال : قال صعصعة : خرجتُ باغياً ناقتين لي فارتقتين ، والفارق : التي تفرق إذا ضربها المخاض فتند على وجهها ، حتى تنج ، فرفعت لي نار فسرت نحوها ، وهممت بالنزول ، فجعلت النار تضيء مرة ، وتخبو أخرى ، فلم تزل تفعل ذلك حتى قلت : اللهم لك علي إن بلغتني هذه النار ألا أجد أهلها يوقدون لكربة يقدر أحد الناس أن يفرجها إلا فرجتها عنهم ، قال : فلم أسر إلا قليلاً حتى أتيتها ، فإذا حي من بني أنمار بن الهجيم بن عمرو بن تميم ، وإذا أنا بشيخ حادر¹ أشعر يوقدها في مقدم بيته ، والنساء قد اجتمعن إلى امرأة ماخض ، قد حبستهن ثلاث ليال . فسلمت فقال الشيخ : من أنت ؟ فقلت : أنا صعصعة بن ناجية بن عقال ، قال : مرحباً بسيدنا ، ففيم أنت يا ابن أخي ؟ فقلت : في بغاء ناقتين لي فارتقتين عمي علي أثرهما ، فقال : قد وجدتهما بعد أن أحيا الله بهما أهل بيت من قومك ، وقد نتجنهما ، وعطفت إحداهما على الأخرى ، وهما تانك في أدنى الإبل . قال : قلت : ففيم توقد نارك منذ الليلة ؟ قال : أوقدها لامرأة ماخض² قد حبستنا منذ ثلاث ليال ، وتكلمت النساء فقلن : قد جاء الولد ، فقال الشيخ : إن كان غلاماً فوالله ما أدري ما أصنع به ، وإن كانت جارية فلا أسمع صوتها ، أي أقتلها ، فقلت : يا هذا ذرها فإنها ابتك ، ورزقها على الله ، فقال : أقتلها ، فقلت : أنشدك الله ، فقال : إني أراك بها حفيًا ، فاشترها مني ، فقلت : إني أشتريها منك ، فقال : ما تعطيني ؟ قلت : أعطيك إحدى ناقتي قال : لا ، قلت : فأزيدك الأخرى ، فنظر إلى جملي الذي تحتي ، فقال : لا ، إلا أن تزيدني جملك هذا ، فإني أراه حسن اللون شاب السن ، فقلت : هو لك والناقتان على أن تبلغني أهلي عليه ، قال : قد فعلت ، فابتعتها منه بلقوحين³ وجمل ، وأخذت عليه عهد الله وميثاقه ليحسن برها وصلتها ما عاشت ، حتى تبين منه ، أو

1 حادر : سمين الجسم غليظ .

2 ماخض : أدركها المخاض .

3 بلقوحين : بناقتين حاملتين .

يدركها الموت ، فلما برزتُ من عنده حَدَّثتني نفسي وقلت : إن هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب ، فآليت ألاَّ يَدُ أحد بنتاً له إلاَّ اشتريتها منه بَلْقُوحين وجمل ، فبعث الله عزَّ وجلَّ محمداً عليه السلام ، وقد أحييتُ مائة موءودة إلاَّ أربعاً ، ولم يشاركني في ذلك أحد ، حتى أنزل الله تحريمه في القرآن ، وقد فخر بذلك الفرزدق في عدَّة قصائد من شعره ، ومنها قصيدته التي أولها :

أبيَّ أحدُ الغِيثين صَعْصَعَةُ الذي متى تُخلفِ الجوزاءِ والدَّلُو يُمَطِّرُ¹
أَجَارَ بناتِ الوائدينَ ومن يُجِرُ على الفقر يُعلمُ أنَّه غيرُ مُخْفِرٍ²
على حينَ لا تُحيا البناتُ وإذ هُمُ عكوف على الأصنام حول المدوِّر³
المدوِّر : يعني الدَّوَّار الذي حول الصنم ، وهو طوافهم .

أنا ابن الذي ردَّ المنيةَ فضلُهُ فما حسبُ دافعتُ عنه بمُعورٍ⁴
وفارقٍ ليلٍ من نساءِ أُمَّتِ أبي تُمارس ريحاً ليلها غيرُ مُقْمِرٍ⁵
فَقالت : أَجِرْ لي ما ولدتُ فإنني أتيئك من هزلي الحمولةِ مُقْتِرٍ⁶
هَجَفُ من العثو الرؤوس إذا بدت له ابنةُ عامٍ يحطم العظم منكرٍ⁷
رأى الأرضَ منها راحةً فرمى بها إلى خُدَدٍ منها إلى شرِّ مخْفِرٍ⁸
فقال لها : فيئبي فإنني بدمتي لبيتك جارٌّ من أبيها القنورٍ⁹

[إسلام أبيه على يد الرسول]

ووفد غالب بن صعصعة إلى النبي ﷺ فأسلم وقد كان وفده أبوه صعصعة إلى النبي ﷺ فأخبره بفعله في الموءودات ، فاستحسنه وسأله : هل له في ذلك من أجر ؟ قال : نعم فأسلم وعمر غالبٌ ، حتى لحق أمير المؤمنين علياً صلوات الله عليه بالبصرة ، وأدخل إليه الفرزدق ،

1 والدلو في الديوان ص 379 : والنجم .

2 غير مخفر : غير ناقض للعهد .

3 الأصنام في الديوان 379 : الأنصاب .

4 معور : المغيب .

5 الفارق : الناقة أخذها المخاض فندت في الأرض .

6 هزلي الحمولة : من هزل الرجل إذا مات ماشيته . مقتر : فقير مقل .

7 الهجف : الجاني . العثو : الكثير الشعر . في الديوان 380 : ضغت أي بكت .

8 خدد : شقوق .

9 القنور : الشرس الخلق .

وأظنه مات في إمارة زياد ومُلك معاوية .

أخبرني محمد بن الحسين الكندي وهاشم بن محمد الخزاعي ، وعبد العزيز بن أحمد عم أبي قالوا : حدثنا الرياشي قال : حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سوية ، قال : حدثني عقاب بن كسيب أبو الخنساء العنبري ، قال : حدثني الطفيل بن عمرو الربيعي ، عن ربيعة بن مالك بن حنظلة ، عن صعصعة بن ناجية المجاشعي جد الفرزدق قال : قدمت على النبي ﷺ ، فعرض علي الإسلام ، فأسلمت ، وعلمني آيات من القرآن ، فقلت : يا رسول الله إني عملت أعمالاً في الجاهلية هل لي فيها من أجر ؟ فقال : وما عملت ؟ فقلت : إني أضللت ناقين لي عُشراوين ، فخرجت أبغيهما على جمل ، فرفع لي بيتان في فضاء من الأرض ، فقصدت قصدهما ، فوجدت في أحدهما شيخاً كبيراً ، فقلت له : هل أحسست من ناقتين عُشراوين ؟ قال : وما نارهما ؟ ، يعني السمّة ، فقلت : ميسم بني دارم ، فقال : قد أصبت ناقتيك وتجنجاها ، وظأرتا على أولادهما ونعش الله بهما أهل بيت من قومك من العرب من مضر ، فبينما هو يخاطبني إذ نادته امرأة من البيت الآخر : قد ولدت ، فقال : وما ولدت ؟ إن كان غلاماً فقد شريكنا في قوتنا ، وإن كانت جارية فادفوها ، فقالت : هي جارية : أفأندها ؟ فقلت : وما هذا المولود ؟ قالت : بنت لي ، فقلت : إني أشتريها منك ، فقال : يا أبا بني تميم ، أتقول لي : أتبيعني ابتك وقد أخبرتك أنني من العرب من مضر ؟ فقلت : إني لا أشتري منك رقبتهما ، إنما أشتري دمه لئلا تقتلها ، فقال : وبم تشتريها ؟ فقلت : بناقتي هاتين وولديهما . قال : لا حتى تزيدني هذا البعير الذي تركبه ، قلت : نعم ، على أن ترسل معي رسولاً فإذا بلغت أهلي رددت إليك البعير ففعل ، فلما بلغت أهلي رددت إليه البعير ، فلما كان في بعض الليل فكّرت في نفسي فقلت : إن هذه مكربة ما سبقني إليها أحد من العرب ، فظهر الإسلام وقد أحبيت ثلثمائة وستين موءودة ، أشتري كل واحدة منهن بناقتين عُشراوين وجمل ، فهل لي في ذلك من أجر يا رسول الله ؟ فقال عليه السلام : هذا باب من البر ، ولك أجره إذ من الله عليك بالإسلام ، قال عباد : ومصدق ذلك قول الفرزدق : [من المتقارب]

وجدني الذي منع الوائد وأحيا الوئيد فلم يُود

أخبرني محمد بن يحيى ، عن الغلابي ، عن العباس بن بكار ، عن أبي بكر الهذلي قال : وفد صعصعة بن ناجية جد الفرزدق على رسول الله ﷺ في وفد من تميم ، وكان صعصعة قد منع الوئيد في الجاهلية ، فلم يدع تميماً تئد ، وهو يقدر على ذلك ، فجاء الإسلام وقد فدى أربعمائة جارية ، فقال للنبي ﷺ : أوصني ، فقال : أوصيك بأهلك وأبيك وأخيك وأختك وإمائك ، قال : زدني ، قال : احفظ ما بين لحيك ، وما بين رجلحك .

ثم قال له عليه السلام : ما شيء بلغني عنك فعلته ؟ قال : يا رسول الله رأيت الناس يمجون على غير وجه ، ولم أدر أين الوجه ، غير أنني علمت أنهم ليسوا عليه ، ورأيتهم يبدون بناتهم ، فعلمت أن ربهم لم يأمرهم بذلك ، فلم أتركهم يبدون ، وفديت من قدرت عليه .

وروى أبو عبيدة أنه قال للنبي ﷺ : إني حملت حمالات في الجاهلية والإسلام ، وعليّ منها ألف بغير ، فأديت من ذلك سبعمائة ، فقال له : إن الإسلام أمر بالوفاء ، ونهى عن الغدر ، فقال : حسبي حسبي ، ووفى بها .

وروي أنه إنما قال هذا القول لعمر بن الخطاب ، وقد وفد إليه في خلافته . وكان صمصعة شاعراً وهو الذي يقول : أنشدني محمد بن يحيى له : [من الطويل]

إذا المرء عادى من يودك صدره وكان لمن عاداك خديناً مضافياً
فلا تسألن عما لديه فإنه هو الداء لا يخفى بذلك خافياً

[كرم أبيه]

أخبرني محمد بن يحيى ، عن محمد بن زكريا ؛ عن عبد الله بن الضحّاك ، عن الهيثم بن عدي ، عن عوانة قال : تراهن نفر من كلب ثلاثة على أن يختاروا من تميم وبكر نفرًا ليسألوهم ، فأتيهم أعطى ، ولم يسألهم عن نسبهم من هم ؟ فهو أفضلهم ، فاختار كل رجل منهم رجلاً ؛ والذين اختيروا عمير بن السليك ، بن قيس بن مسعود الشيباني ، وطلبة بن قيس بن عاصم المقرّي ، وغالب بن صمصعة المجاشعيّ أبو الفرزدق ، فأتوا ابن السليك فسألوه مائة ناقة ، فقال : من أنتم ؟ فانصرفوا عنه .

ثم أتوا طلبة بن قيس ، فقال لهم مثل قول الشيباني ، فأتوا غالباً ، فسألوه ، فأعطاهم مائة ناقة وراعيها ، ولم يسألهم من هم فساروا بها ليلة ، ثم ردّوها ، وأخذ صاحبُ غالب الرهن ، وفي ذلك يقول الفرزدق :

وإذا ناحبت كلب على الناس أيهم أحق بتاج الماجد المتكرم¹
على نفر هم من نزار ذوي العلا وأهل الجراثيم التي لم تهدم²
فلم يجز عن أحسابهم غير غالب جرى بعنان كل أبيض خضرم³

1 ناحبت في الديوان 199/2 : نجت .

2 نزار ذوي في الديوان 199/2 : نزار ذؤابة . الجراثيم : جمع جرثومة ، وهي الأصل .

3 فلم يجز في الديوان 200/2 : فلم يجل . الخضرم : الكريم المعطاء .

[سحيم يعرض عن مبارأة أبيه في كرمه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن جهم السليطي ، عن إياس بن شبّة ، عن عقّال بن صَعَصعة ، قال : أجذبت بلاد تميم ، وأصابني بني حنظلة سنة¹ في خلافة عثمان ، فبلغهم خصب عن بلاد كلب بن وبرة ، فانتجعتها بنو حنظلة ، فنزلوا أقصى الوادي ، وتسرع غالب بن صعصعة فيهم وحده دون بني مالك بن حنظلة ، ولم يكن مع بني يربوع من بني مالك غير غالب ، فنحر ناقته فأطعمهم إياها ، فلما وردت إبل سحيم بن وثيل الرّياحي حبس منها ناقة ، فنحرها من غد ، فقليل لغالب : إنما نحر سحيم مواءمة لك ، أي مساواة لك ، فضحك غالب ، وقال : كلا ، ولكنه امرؤ كريم ، وسوف أنظر في ذلك ، فلما وردت إبل غالب حبس منها ناقتين ، فنحرهما ، فأطعمهما بني يربوع ، فعقر سحيم ناقتين ، فقال غالب : الآن علمت أنّه يوائمني ، فعقر غالب عشراً ، فأطعمها بني يربوع ، فعقر سحيم عشراً ، فلما بلغ غالباً فعله ضحك ، وكانت إبله ترد لخمس ، فلما وردت عقرها كلّها عن آخرها ، فالمكثر يقول : كانت أربعمائة ، والمقلّ يقول : كانت مائة ، فأمسك سحيم حينئذٍ ؛ ثم إنه عقر في خلافة عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه بكناسة الكوفة مائتي ناقة وبعير ، فخرج الناس بالزنايل والأطباق والحبال لأخذ اللحم ، ورآهم عليّ عليه السلام ، فقال : أيّها الناس لا يحلّ لكم ، إنما أهّل بها لغير الله عزّ وجلّ . قال : فحدثني من حضر ذلك قال : كان الفرزدق يومئذٍ مع أبيه وهو غلام ، فجعل غالب يقول : يا بنيّ ، اردّد عليّ ، والفرزدق يردّها عليه ، ويقول له : يا أبت اعقر ، قال جهم : فلم يُغن عن سحيم فعله ، ولم يجعل كغالب إذ لم يُطيق فعله .

[يقيد نفسه حتى يحفظ القرآن]

حدثني محمد بن يحيى عن محمد بن القاسم ، يعني أبا العيناء ، عن أبي زيد النحويّ ، عن أبي عمرو قال : جاء غالب أبو الفرزدق إلى عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه بالفرزدق بعد الجمل بالبصرة ، فقال : إنّ ابني هذا من شعراء مضر فاسمع منه ، قال : علّمه القرآن ، فكان ذلك في نفس الفرزدق ، فقيّد نفسه في وقت ، وآلى : لا يحلّ قيده حتى يحفظ القرآن .

[عريق في فرض الشعر]

قال محمد بن يحيى : فقد صحّ لنا أنّ الفرزدق كان شاعراً موصوفاً أربعاً وسبعين سنة ، وندع ما قبل ذلك ، لأنّ مجيئه به بعد الجمل ، على الاستظهار ، كان في سنة ست وثلاثين ، وتوفيّ الفرزدق في سنة عشر ومائة في أوّل خلافة هشام هو وجريير والحسن

البصريّ وابن سيرين في ستة أشهر ، وحُكي ذلك عن جماعة ، منهم الغلابيّ عن ابن عائشة عن أبيه .

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ عن الغلابيّ ، عن ابن عائشة أيضاً ، عن أبيه قال : قال الفرزدق أيضاً : كنت أجيد الهجاء في أيام عثمان ، قال : ومات غالب أبو الفرزدق في أوّل أيام معاوية ودُفن بكاظمة فقال الفرزدق يرثيه : [من الطويل]

لقد ضمّت الأكفان من آل دارمٍ فتى فائض الكفين محض الضرائب¹

[الفرزدق أشعر أم جرير]

أخبرني حبيب المهلبيّ قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثني محمد بن عمران الضبيّ ، قال : حدّثني جعفر بن محمد العنبريّ ، عن خالد بن أمّ كلثوم ، قال : قيل للمفضل الضبيّ : الفرزدق أشعر أم جرير ؟ قال الفرزدق : قال : قلت : ولم ؟ قال : لأنّه قال بيتاً هجا فيه قبيلتين ومدح فيه قبيلتين وأحسن في ذلك فقال : [من الطويل]

عجبت لعجلٍ إذ تُهاجِي عبيدها كما آل يربوع هَجَوْا آل دارمٍ

ف قيل له : قد قال جرير : [من الكامل]

إنّ الفرزدقَ والبَيعِثَ وأمّه وأبا البَيعِثَ لشرّ ما إستار²

فقال : وأي شيء أهون من أن يقول إنسان : فلان وفلان وفلان والناس كلّهم بنو الفاعلة !

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدّثنا محمد بن حبيب ، قال : حدّثني موسى بن طلحة ، قال : قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : كان الشعراء في الجاهلية من قيس ، وليس في الإسلام مثلُ حظّ تميم في الشعر ، وأشعر تميم جرير والفرزدق ، ومن بني تغلب الأخطل .

قال يونس بن حبيب : ما ذكّر جرير والفرزدق في مجلس شهدته قط فاتفق المجلس على أحدهما ، قال : وكان يونس فرزدقيّاً .

[بيتين لابن ميادة]

أخبرني عمّي ، عن محمد بن رستم الطبريّ ، عن أبي عثمان المازنيّ قال : مرّ الفرزدق بابن ميادة الرماح والناس حوله وهو ينشد : [من الطويل]

1 الضرائب : جمع ضريبة أي الطبيعة والسجية .

2 إستار : لفظ معرّب بمعنى أربعة .

لو انَّ جميعَ النَّاسِ كانوا بربوة وجئتُ بجَدِّي ظالمٍ وابنِ ظالمٍ
لظَلَّتْ رِقَابُ النَّاسِ خاضعةً لنا سُجوداً على أقدامنا بالجماجمِ
فسمعه الفرزدق ، فقال : أُمَّا والله يا ابنَ الفارسيَّة لتُدعَنَّهُ لي أو لَأَبِشَنَّ أُمُّكَ من قبرها ،
فقال له ابن ميادة : خذه لا بارك الله لك فيه ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

لو انَّ جميعَ النَّاسِ كانوا بربوة وجئتُ بجَدِّي دارمٍ وابنِ دارمٍ
لظَلَّتْ رِقَابُ النَّاسِ خاضعةً لنا سُجوداً على أقدامنا بالجماجمِ

[عود إليه هو وجريـر]

أخبرني عُمِّي ، عن الكرائيِّ ، عن أبي فراس الهيثم بن فراس ، قال : حدَّثني ورقة بن معروف ، عن حماد الراوية قال : دخل جرير والفرزدق على يزيد بن عبد الملك وعنده بُنيَّةٌ له يَشْمَهَا فقال جرير : ما هذه يا أمير المؤمنين عندك ؟ قال بُنيَّةٌ لي ، قال : بارك الله لأُمير المؤمنين فيها . فقال الفرزدق : إن يكن دارم يضرب فيها فهبي أكرم العرب ، ثم أقبل يزيد على جرير فقال : ما لك والفرزدق ؟ قال : إنَّه يظلمني ويغي عليّ ، فقال الفرزدق . وجدت آبائي يظلمون آباءه فسرتُ فيه بسيرتهم ، قال جرير : وأُمَّا والله لتُردَّنَّ الكبائرُ على أسافلها سائر اليوم ، فقال الفرزدق : أُمَّا بك يا حمار¹ بني كليب فلا ، ولكن إن شاء صاحب السرير ، فلا والله ما لي كفء غيره ، فجعل يزيد يضحك .

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابيِّ ، عن حماد الراوية قال : أنشدني الفرزدق يوماً شعراً له ثم قال لي : أتيتَ الكلبَ ، يعني جريراً ، قلت : نعم .

قال : أفأنا أشعر أم هو ؟ قلت : أنتَ في بعض وهو في بعض ، قال : لم تناصحني ، قال : قلت : هو أشعر منك إذا أرخِيَ من خناقه ، وأنتَ أشعر منه إذا خفت أو رجوت ، قال : قضيت لي والله عليه وهل الشعر إلّا في الخير والشرّ .

قال : وروى عن أبي الزناد عن أبيه قال : قال لي جرير : يا أبا عبد الرحمن : أنا أشعر أم هذا الخبيث ، يعني الفرزدق ، وناشدني لأخبرته² ، فقلت : لا والله ما يشاركك ولا يتعلّق بك في النسب قال : أوّه قضيت والله له عليّ ، أنا والله أخبرك : ما ذهاني ، إلّا أنّي هاجيتُ كذا وكذا شاعراً ، فسمّي عدداً كثيراً ، وأنتَ تفرد لي وحدي .

1 ل : عيَّار .

2 ل : إلّا أخبرته .

[خبرة مع النوار]

أخبرني عبد الله قال : قال المازني : قال أبو علي الحرمازي : كان من خبر الفرزدق والنوار ابنة أعين بن صعصعة¹ بن ناجية بن عقال المجاشعي ، وكانت ابنة عمه ، أنه خطبها رجل من بني عبد الله بن دارم فرضيته ، وكان الفرزدق وليها ، فأرسلت إليه أن زوّجني من هذا الرجل ، فقال : لا أفعل أو تشهديني أنك قد رضيت بمن زوّجتك ، ففعلت ، فلما توثق منها ، قال : أرسلني إلى القوم فليأتوا ، فجاءت بنو عبد الله بن دارم فشحنوا مسجد بني مجاشع وجاء الفرزدق ، فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال : قد علمتم أن النوار قد ولّني أمرها ، وأشهدكم أنني قد زوّجتها نفسي على مائة ناقة حمراء سوداء الحدة . فنفرت من ذلك وأرادت الشخوص إلى ابن الزبير حين أعيها أهل البصرة ألا يطلقوها من الفرزدق حتى يشهد لها الشهود ، وأعيها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء الفرزدق ، وابن الزبير يومئذ أمير الحجاز والعراق يدعى له بالخلافة ، فلم تجد من يحملها ، وأتت فتية من بني عدي بن عبد مناة بن أد ، يقال لهم بنو أم النسيّر ، فسألتهن برحم تجمعهم وإياها ، وكانت بينها وبينهم قرابة ، فأقسمت عليهم أمها : ليحملنّها ، فحملوها ، فبلغ ذلك الفرزدق ، فاستنفض عدّة من أهل البصرة فأنهضوه ، وأوقروا له عدّة من الإبل ، وأعين بنفقة ، فتبع النوار ، قال :

أطاعت بني أمّ النسيّر فأصبحت على شارق ورقاء صعب ذلولها²
وإن الذي أمسى يخبّ زوجتي كإش إلى أسد الشرى يستيلها³

فأدركها وقد قدّمت مكة ، فاستجارت بخولة بنت منظور بن زبّان بن سيار الفزاري ، وكانت عند عبد الله بن الزبير ، فلما قدّم الفرزدق مكة اشرب الناس إليه ، ونزل على بني عبد الله ابن الزبير ، فاستنشدوه ، واستحدثوه ثم شفّعوا له إلى أبيهم ، فجعل يشفعهم في الظاهر ، حتى إذا صار إلى خولة قلبته عن رأيه ، فمال إلى النوار ، فقال الفرزدق في ذلك :

صوت

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم وشفّعت بنت منظور بن زبّانا
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤثراً مثل الشفيع الذي يأتيك غريباً
لغريب في هذا البيت خفيف رمل .

1 ل : ضبيعة .

2 الشارف : الناقة المسنة ، والورقاء : ما في لونها بياض إلى سواد .

3 وإن الذي أمسى في الديوان 61/2 فإن امرأ يسعى . يخبّ : يفسد . يستيلها : يطلب بولها .

قال : وسَفَر بينهما رجالٌ من بني تميم كانوا بمكة ، فاصطلحا على أن يرجعا إلى البصرة ، ولا يجمعهما ظلٌّ ولا كِنٌ حتى يَجْمَعَا في أمرهما ذلك بني تميم ، ويصيرا على حكمهم . ففعلا ، فلَمَّا صارا إلى البصرة رجعت إليه النّوار بحكم عشيرتها .

قال : وقال غير الحرمازيّ : إنّ ابن الزُّبير قال للفرزدق : جئني بصدّاقها وإلّا فرّقت بينكما ، فقال الفرزدق : أنا في بلاد غربة فكيف أصنع ؟ قالوا له : عليك بسلم بن زياد ؟ فإنّه محبوس في السجن يطالبه ابن الزُّبير بمال ، فأناه فقصّ عليه قصّته قال : كم صدّاقها ؟ قال : أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها وبألفين للنفقة ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

دعي مُغلقي الأبواب دون فعالمهم ولكن تمشي بي ، هيلت ، إلى سلم¹
إلى من يرى المعروف سهلاً سبيله ويفعل أفعال الرجال التي تنمي²

قال : فدفعها إليه ابن الزُّبير ، فقال الفرزدق : [من الوافر]

هلمّي لابن عمك لا تكوني كمختارٍ على الفرس الحمارا

قال : فجاء بها إلى البصرة ، وقد أحبلها ، فقال جرير في ذلك : [من الطويل]

ألا تِلْكمُ عِرسُ الفرزدق جاحاً ولو رضيت رُبح استيه لاستقرت³

فأجابه الفرزدق ، وقال : [من الطويل]

وأُمك لو لاقيتها بطمرة وجاءت بها جوف استيه لاستقرت³

وقال الفرزدق وهو يخاصم النّوار : [من الوافر]

تُخاصمني وقد أولجت فيها كراس الضّب يلتمس الجرادا

قال الحرمازيّ : ومكثت النّوار عنده زماناً ، ترضى عنه أحياناً ، وتخاصمه أحياناً ، وكانت النّوار امرأةً سالحة ، فلم تزل تشمئز منه ، وتقول له : ويحك ! أنت تعلم أنك إنّما تزوّجت بي ضُغطة⁴ وعلى خُدعة ، ثم لا تزال في كلّ ذلك ، حتى حلفت بيمين مؤثقة ، ثم حنثت . وتجنّبت فراشه ، فتزوّج عليها امرأة يقال لها جُهيمه من بني النمر بن قاسط حلفاء لبني الحارث بن عباد بن ضبيعة وأمّها الخميصة من بني الحارث بن عباد ،

1 ولكن تمشي بي في الديوان 221/2 ولكن تمضي لي .

2 أفعال في الديوان 221/2 أخلاق . تنمي : ترفع القدر .

3 الطمرة : الفرس السريعة العدو .

4 ضغطة : اضطراباً .

فنافرته الخميصة ، واستعدت عليه فأنكرها الفرزدق ، وقال : إنها مني برىء طالق وطلّق ابنتها ، وقال :

إِنَّ الخميصةَ كانت لي ولابنتها مثل الهراسة بين النعل والقدم¹
إذا أتت أهلها مني مُطلّقة فلن أُرَدُّ عليها زفرة الندم
جعل يأتي النوارَ وبه رَدْعُ الخلق² وعليه الأثر فقالت له النوار : هل تزوجتها إلا هداية ، تعني حياً من أزد عُمان ، فقال الفرزدق في ذلك :

تريك نجومَ الليل والشمسُ حيةً كرامُ بنات الحارث بن عباد³
أبوها الذي قاد النعامة بعدما أبت وائلٌ في الحرب غير تَمادٍ
نساءً أبوهنّ الأعزُّ ولم تكن من الأزد في جاراتها وهدادٍ
ولم يَكُ في الحيِّ الغموضِ محلُّها ولا في العُمانيِّين رهطُ زياد⁴
عدلتُ بها مِيلَ النوارِ فأصبحتُ وقد رَضيت بالنصف بعد بعادٍ

قال : فلم تزل النوار ترققه ، وتستعطفه ، حتى أجابها إلى طلاقها ، وأخذ عليها ألا تفارقه ولا تبرح من منزله ، ولا تتزوَّج رجلاً بعده ، ولا تمنعه من مالها ما كانت تبذله له ، وأخذت عليه أن يُشهد الحسنَ البصريَّ على طلاقها ، ففعل ذلك .

قال المازني : وحَدَّثني محمد بن روح العدوي عن أبي شَفَقَلِ راوية الفرزدق قال : ما استصحبَ الفرزدقُ أحداً غيري وغير راوية آخر ، وقد صحبَ النوارَ رجالاً كثيرة ، إلا أنهم كانوا يلوذون بالسَّواري خوفاً من أن يراهم الفرزدق ، فأتيا الحسن فقال له الفرزدق : يا أبا سعيد ، قال له الحسن : ما تشاء ؟ قال : أشهد أن النوار طالق ثلاثاً ، فقال الحسن : قد شهدنا ، فلما انصرفنا قال : يا أبا شَفَقَلِ ، قد ندمتُ ، فقلت له : والله إنِّي لأظنُّ أن دمك يترقق ، أتدري منْ أشهدت ؟ والله لئن رجعت لترجمنَ بأحجارك ، فمضى وهو يقول :

ندمتُ ندامةَ الكُسعيِّ لما غدت مني مُطلّقةً نوار⁵

1 الهراسة : نوع من الشوك .

2 ردع الخلق : ربح الطيب .

3 الحارث بن عباد : فارس النعامة في حرب البسوس .

4 الحيِّ الغموض : القبيلة التي تخفي مكانتها .

5 الكسعي : رجل يضرب به المثل في الندامة على كسره قوسه ، وكان جربها في عدة طباء ، فظن أنها لم تصبهن ، ثم اتضح أنها أصابتهن جميعاً .

ولو أنِّي ملكْتُ يدي وقلبي لكان عليَّ للقَدْرِ الخيارُ
وكانت جَنَّتِي فخرجتُ منها كآدم حين أخرجَه الضَّرارُ¹
وكنتُ كفاقيءٍ عينيهِ عمداً فأصبح ما يضيء له النهارُ

[خصومته لكل من يساعد النوار]

وأخبرني بخبره مع النوار أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثني محمد بن يحيى ، عن أبيه يحيى بن علي بن حميد : أن النوار لما كرهت الفرزدق حين زوجه نفسها لجأت إلى بني قيس بن عاصم المنقري ليمنعوها فقال الفرزدق فيهم : [من الطويل]

بني عاصم لا تجنبوها فإنكم ملاجيءٌ للسوات دُسم العَمائم²
بني عاصم لو كان حيّاً أبوكم للام بنيه اليوم قيسُ بن عاصم³

فبلغهم ذلك الشعر ، فقالوا له : والله لئن زدت على هذين البيتين لنقتلنك غيلة ، وحلّوه والنوار وأرادت منافرتَه إلى ابن الزبير ، فلم يقدر أحدٌ على أن يُكرِّها⁴ خوفاً منه . ثم إن قوماً من بني عديّ يقال لهم بنو أمّ النسير أكرّوها ، فقال الفرزدق : [من الوافر]

ولولا أن يقول بنو عديٍّ ألم تك أم حنظلة النوارُ
أتكم يا بني ملكان عني قوافٍ لا تُقسِّمها التجارُ

وقال فيهم أيضاً :

لعمري لقد أردى النوارَ وساقها إلى البور أحلام خفاف عقولها⁵
أطاعت بني أمّ النسير فأصبحت على قتب يعلو الفلاة دليلها⁶
وقد سَخِطَت مِنِّي النوارُ الذي ارتضى به قبلها الأزواجُ خاب رجيلها
وإن امرءاً أمسى يُخبِّب زوجتي كساعٍ إلى أسدٍ الشرى يستبيلها
ومن دون أبواب الأسود بسالةً وبسطةً أيدٍ يمنع الضيم طولها⁷

1 أخرجه في الديوان 294/1 حين لج به .

2 دسم العمام : من الدنس .

3 قيس بن عاصم كان مضرب المثل في الحلم تعلم منه الحلم أحف بن قيس .

4 يكرى : يعطي دابة بالكرء .

5 البور أحلام خفاف في الديوان 60/2 الغور أحلام قليل .

6 الشطر الثاني في الديوان 61/2 على شارف ورقاء صعب ذلولها .

7 ومن دون أبواب في الديوان 61/2 : ومن دون أبواب . وبسطة في الديوان 61/2 وصولة .

وإنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَعَالِمٌ بتأويل ما وَصَّى الْعِبَادَ رَسُولُهَا¹
 فَدُونَكُهَا يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ فَإِنَّهَا مُوَلَّعَةٌ يُوهِي الْحَجَارَةَ قِيلُهَا
 وما جادل الأقوامَ من ذي خصومة كورهاء مشنوءٍ إليها حليلُهَا²
 فلما قدمت مكة نزلت على تماضر بنت منظور بن زيان زوجة عبد الله بن الزبير ، ونزل
 الفرزدق بحمزة بن عبد الله بن الزبير ، ومدحه بقوله : [من الكامل]

أَمْسَيْتُ قَدْ نَزَلْتُ بِحَمْزَةٍ حَاجَتِي إنَّ الْمُنُوَّةَ بِاسْمِهِ الْمُثَوَّقُ
 بَأَبِي عِمَارَةَ خَيْرٍ مِنْ وَطِيءِ الْحَصَا وجرت له في الصالحين عُروْقُ
 بَيْنَ الْحَوَارِيِّ الْأَعَزِّ وَهَاشِمٍ ثم الْخَلِيفَةُ بَعْدُ وَالصَّدِيقِ³
 غَنَى فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ابْنُ سَرِيحٍ رَمَلًا بِالْبَنْصَرِ .

قال : فجعل أمر النوار يقوى ، وأمر الفرزدق يضعفُ ، فقال : [من البسيط]
 أَمَا بَنُوهُ فَلَمْ تُقْبَلْ شَفَاعَتُهُمْ وَشَفَّعْتُ بِنْتُ مَنْظُورٍ بِنَ زِيَانَا
 [ملاحظة بينه وبين ابن الزبير]

وقال ابن الزبير للنوار : إن شئت فرقت بينكما ، وقتلته ، فلا يهْجُونَا أَبَدًا ، وإن شئت
 سيرته إلى بلاد العدو ، فقالت : ما أريد واحدة منهما ، فقال لها : فإنه ابن عمك وهو فيك
 راغب ، فأزوجك إياه ، قالت : نعم ، فزوجه منه ، فكان الفرزدق يقول : خرجنا ونحن
 متباعضان ، فعدنا متحابين .

قال : وكان الفرزدق قال لعبد الله بن الزبير ، وقد توجه الحكم عليه ، إنما تريد أن أفارقها
 فتشيب عليها ، وكان ابن الزبير حديدًا⁴ ، فقال له : هل أنت وقومك إلا جالية⁵ العرب ؟
 ثم أمر به فأقيم ، وأقبل على من حضر ، فقال : إن بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل
 الإسلام بمائة وخمسين سنة ، فاستلبوه ، فاجتمعت العرب عليها لما انتهكت منه ما لم ينتهكه
 أحد قط ، فأجلتها من أرض تهامة ، قال : فلقني الفرزدق بعض الناس ، فقال : إيه يعيرنا ابن
 الزبير بالجللاء ! اسمع ، ثم قال : [من الوافر]

1 الشطر الأول في الديوان 62/2 : فإن أبا بكر إمامك عالم .

2 وما جادل في الديوان 62/2 : وما خاصم . ورهاء : حمقاء ، مشنوء : مبغض .

3 في هذا البيت إقواء .

4 حديد : سريع الغضب .

5 الجالية : الذين أجلوا : أي أبعدوا عن أوطانهم .

فإن تغضب قريشاً أو تغضب
هم عدو النجوم وكل حي
ولولا بيت مكة ما ثويتم
بها كثر العديد وطاب منكم
فمهلاً عن تعلل من غدرتم
أعبد الله مهلاً عن أذاتي
ولكنني صفاة لم تدنس
أنا ابن العاقر الخور الصفايا
فإن الأرض توعبها تميم
سواهم لا تعد له نجوم
بها صح المنابت والأروم¹
وغيركم أخيد الريش هيم²
بخونته وعذب به الحميم
فإنني لا الضعيف ولا السئوم
تزل الطير عنها والعصوم³
بضوى حين فتحت العكوم⁴

قال : فبلغ هذا الشعر ابن الزبير ، وخرج للصلاة فرأى الفرزدق في طريقه ، فغمز عنقه ، فكان يدقها ، ثم قال :

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشراً
وقال : هذا الشعر لجعفر بن الزبير .

وقيل : إن الذي كان تقرّر عليه عشرة آلاف درهم ، وإن سلم بن زياد أمر له بعشرين ألف درهم مهرًا ونفقة ، فقبضها ، فقالت له زوجته أم عثمان بنت عبد الله بن عمرو بن أبي العاص الثقفية : أعطني عشرين ألف درهم وأنت محبوس ؟ فقال :

ألا بكرت عرسي تلوم سفاهة
فقلت لها ، والجود مني سجية :
ذريني فإني غير تارك شيمتي
ولا طارد ضيفي إذا جاء طارقاً
أبخل ؟ إن البخل ليس بمخلدي
أبيع بني حرب بآل خويلد !
على ما مضى مني وتأمر بالبخل
وهل يمنع المعروف سؤاله مثلي ؟
ولا مقصر طول الحياة عن البذل
وقد طرق الأضياف شيخي من قبلي
ولا الجود يدينني إلى الموت والقتل
وما ذاك عند الله في البيع بالعدل⁵

1 الأروم : جمع أرومة وهي الأصل .

2 أخيد الريش : مهض الجناح . الهيم : النوق العطاش .

3 العصوم : الأوساخ .

4 الخور : النوق الغزر ، جمع خواره . الصفايا : المنتقاء . العكوم : جمع عكم وهو ما يحمله الرجل على ظهره من طعام .

5 خويلد : أبو العوام جد عبد الله بن الزبير .

وليس ابن مروان الخليفةُ مشبهاً لفحل بني العوام ، قُبِحَ من فحل
 فإن تَظْهَرُوا لي البخلَ آلَ خُوَيْلِدٍ فما دأبكم دأبي ولا شكلكم شكلي
 وإن تَقْهَرُونِي حين غابت عَشِيرَتِي فمن عجب الأيام أن تقهروا مثلي
 فلمّا اصطَلَحَا ، ورضيت به ، ساق إليها مهرها ، ودخل بها ، وأحبها قبل أن يخرج من
 مكة .

ثم خرجا وهما عديلان في حمل .

[يستصرخ حمزة بن عبد الله بن الزبير]

وأخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، عن إبراهيم بن حبيب الشَّهيد بنحو من هذه
 القصّة .

قال عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ : قال الفرزدق في خبره :

يا حمزَ هل لك في ذي حاجة عَرَضَتْ أنضأوه بمكان غير ممطور¹
 فأنت أحرى قريش أن تكون لها وأنت بين أبي بكرٍ ومنظور²
 بين الحواري والصديق في شُعبٍ تَبَنَّنَ في طُنْبِ الإسلام والخير³

[يتقون لسانه]

أخبرنا أبو خليفة قال : حدَّثنا محمد بن سلام قال : حدَّثنا عبد القاهر بن السريّ
 السلمي ، قال : كان فتى من بني حرام شويعر هجا الفرزدق ، قال : فأخذناه ، فأتينا به
 الفرزدق وقلنا : هذا بين يديك فإن شئت فاضرب ، وإن شئت فاحلق ، فلا عدوى عليك
 ولا قصاص ، قد برئنا إليك منه ، قال : فحلى سبيله وقال : [من الوافر]

فمن يَكُ خائفاً لأذاة شعري فقد أَمِنَ الهجاءَ بَنُو حرامٍ
 هم قَادُوا سَفِيهَهُمْ وخافوا فلائدَ مثل أطواق الحمامِ

قال ابن سلام : وحدَّثني عبد القاهر قال : مرَّ الفرزدق بمجلسنا مجلس بني حرام معنا
 عنيسة مولى عثمان بن عفَّان ، فقال : يا أبا فِرَاس ، متى تذهب إلى الآخرة ؟ قال : وما
 حاجتك إلى ذاك يا أخي ؟ قال : أكتب معك إلى أبي ، قال : أنا لا أذهب إلى حيث أبوك ،
 أبوك في النار ، اكتب إليه مع ربالويه واصطفانوس .

1 أنضاء : جمع نضو ، وهو المهزول من الإبل .

2 يعني منظور بن زيان جدّه لأُمّه .

3 طنب الإسلام في الديوان 252/1 طيب الإسلام . البخير : الكرم والشرف .

[يعضب على ابن الكلبي لعدم روايته شعره]

أخبرني الحسن بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه قال : أخبرني مخبر ، عن خالد بن كلثوم الكلبي ، قال : مررتُ بالفرزدق ، وقد كنتُ دَوْنْتُ شيئاً من شعره وشعر جرير ، وبلغه ذلك ، فاستجلسني ، فجلستُ إليه ، وعذتُ بالله من شره ، وجعلتُ أحدثه حديث أبيه وأذكر له ما يعجبه ، ثم قلتُ له : إني لأذكر يومَ لَقَبُكَ بالفرزدق ، قال : وأيَّ يوم ؟ قلتُ : مررتُ به وأنتُ صبي ، فقال له بعضُ مَنْ كان يجالسه : كأنَّ ابنَكَ هذا الفرزدقُ دهقان الحيرة في تيهه وأبْهَتِه ، فسمَّكَ بذلك ، فأعجبه هذا القول ، وجعل يستعيد ، ثم قال : أنشدني بعضُ أشعار ابن المراغة في ، فجعلتُ أنشده ، حتى انتهيت ، ثم قال : فأنشد نقائضها التي أحبته بها ، فقلتُ : ما أحفظها ، فقال : يا خالد ، أتَحْفَظُ ما قاله في ولا تحفظ نقائضه ؟ والله لأهجوَنَّ كلباً هجاء يتصل عارُهُ بأعقابها إلى يوم القيامة ، إن لم تقم حتى تكتب نقائضها أو تحفظها وتنشديها ، فقلتُ : أفعل فلزمته شهراً ، حتى حفظت نقائضها ، وأنشدته إياها خوفاً من شره .

[يكابد النوار خدراء فتستعدي عليه جريراً]

أخبرني عبد الله بن مالك قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، قال : حدَّثني الأصمعيّ قال : تزوّج الفرزدقُ خدراء بنت زريق بن بسطام بن قيس الشيباني ، وخاصمته النوار وأخذت بلحيته ، فجازبها وخرج عنها مُغَضَّباً وهو يقول :

قَامَتْ نَوَارٌ إِلَيَّ تَنْتِفِ لِحِيَّتِي تَنْتَفَ جَعْدَةُ لَحْيَةِ الْخَشْخَاشِ¹
كَلْتَاهُمَا أَسَدٌ إِذَا مَا أُغْضِيتَ وَإِذَا رَضِيْنَ فَهَنْ خَيْرَ مَعَاشِ²

قال : والخشخاش : رجل من عَنَزَةٍ ، وجعدَةُ امرأته ، فجاءت جعدَةُ إلى النوار ، فقالت : ما يريد مني الفرزدق ؟ أما وجد لامرأته أسوة غيري .

وقال الفرزدق للنوار يفضل عليها خدراء :

لِعَمْرِي لِأَعْرَابِيَّةٍ فِي مِظْلَةٍ تَظَلُّ بِرَوْقِي بَيْتَهَا الرِّيحُ تَحْفُقُ³

1 في الديوان 388/1 :

بكرت علي نوار تنتف لحيتي نف الجعيدة لحية الخشخاش

2 وفي الديوان 388/1 :

كلتاها أسد إذا حرّبتها ورضاها وأبيك خير معاش

3 روقي : تشية روق ، ومن معانيه رواق البيت .

أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ ضَيْكَ ضِيفَةٌ¹ إِذَا وَضَعْتَ عَنْهَا الْمَرَايِحُ تَعَرَّقُ²
كَرِيمٍ غَزَالٍ أَوْ كَدْرَةٍ غَائِصٍ تَكَادُ، إِذَا مَرَّتْ، لَهَا الْأَرْضُ تُشْرِقُ³

فلما سمعت النوار ذلك أرسلت إلى جرير ، وقالت للفرزدق : والله لأخزينك يا فاسق
فجاء جرير ، فقالت له : أما ترى ما قال الفاسق ، وشكته إليه ، وأنشدته شعره ، فقال
جرير : أنا أكفيك ، وأنشأ يقول :

وَلَسْتُ بِمَعْطِي الْحَكَمِ عَنْ شَفِّ مَنْصَبٍ⁴ وَلَا عَنْ بَنَاتِ الْحَنْظَلِيِّينَ رَاغِبٍ⁵
وَهَنَّ كَمَا الْمَزْنُ يُشْفَى بِهِ الصَّدَى وَكَانَتْ مِلَاحاً غَيْرَهُنَّ الْمَشَارِبُ⁶
لَقَدْ كُنْتُ أَهْلًا أَنْ يَسُوقَ دِيَاتِكُمْ إِلَى آلِ زَيْقٍ أَنْ يَعْيَبَكَ عَائِبُ⁷
وَمَا عَدَلْتُ ذَاتُ الصَّلِيبِ ظَعِينَةً عُنْيَةً وَالرَّدْفَانُ مِنْهَا وَحَاجِبُ⁸
أَهْدَيْتَ يَا زَيْقُ بْنُ بَسْطَامٍ ظَبِيَّةً إِلَى شَرٍّ مِنْ تُهْدَى إِلَيْهِ الْقَرَائِبُ⁹
أَلَا رُبَّمَا لَمْ نُعْطِرْ زَيْقًا بِحُكْمِهِ وَأَدَى إِلَيْنَا الْحَكَمَ وَالْغُلُّ لَازِبُ¹⁰
حَوَيْنَا أَبَا زَيْقٍ وَزَيْقًا وَعَمَّهُ وَجَدَهُ زَيْقٌ قَدْ حَوَّنَهَا الْمَقَابِ¹¹

فأجابه الفرزدق فقال :

تَقُولُ كَلِيبٌ حِينَ مَثَّتْ سِيَالُهَا وَأَعَشَبَ مِنْ مَرُوتِهَا كُلُّ جَانِبٍ¹²
لِسَوَاقٍ أَغْنَامَ رَعْتَهُنَّ أُمَّهُ إِلَى أَنْ عَلَاهَا الشَّيْبُ فَوْقَ الذَّوَائِبِ¹³
أَلَسْتُ إِذَا الْقَعَسَاءُ مَرَّتْ بِرَاكِبٍ إِلَى آلِ بَسْطَامٍ بَنَ قَيْسٍ بِخَاطِبٍ¹⁴

1 الضناك : الموثق الخلق الشديد . الضفنة : الحمقاء الكثيرة اللحم .

2 في الديوان 55/2 :

كأَم غَزَالٍ أَوْ كَدْرَةٍ غَائِصٍ إِذَا مَا بَدَتْ مِثْلُ الْغَمَامَةِ تُشْرِقُ

3 الشف : الفضل .

4 ملاحاً : من الملوحة .

5 ذات الصليب : حدراء . عنية : هو ابن الحارث بن شهاب . الردفان هما عتاب بن هرمي ، وعوف بن عتاب بن هرمي . وحاجب : هو ابن زرارة .

6 زيق : أبو حدراء ، والغُل : القيد .

7 المقاب : جمع مقنب ، وهو جماعة الخيل .

8 مَثَّتْ : أَحْصَيْتْ . سِيَالُهَا : سنابل زرعها . مَرُوت : جمع مرت ، وهو القفر لا نبات به .

9 في الديوان 96/1 لسوَابٍ أَغْنَامٌ وَهُوَ الْحَسَنُ الْقِيَامُ عَلَى الْمَالِ .

10 مرت براكب في الديوان 96/1 أنسل ظهرها .

وقالوا : سمعنا أنَّ حدراء زُوِّجَتْ
على مائة شُمِّ الذرى والغوارب¹
فلو كنتَ من أكفاء حدراء لم تُلْمُ
على دارميٍّ بين ليلى وغالب
فئل مثلها من مثلهم ثُمَّ أمَّهُم
بملكك من مال مُراح وعازب²
وإني لأخشى إن خطبتَ إليهم
عليك الذي لاقى يسارَ الكواعبِ
ولو تنكحُ الشمسُ النجومَ بناتها
نكحنا بناتِ الشمسِ قبل الكواكبِ

وفي المناقضات التي دارت بين الفرزدق وجريز حول زواج بنت زيق ، قال جريز أبياته
التي أولها :

يا زيقُ أنكحتَ قيناً في استه حَمَمُ
يا زيقُ ويحك مَنْ أنكحتَ يا زيقُ³
أين الألى أنزلوا النُعمان ضاحيةً
أم أين أبناءُ شيبانَ الغرائقُ ؟⁴
يا رَبَّ قائلِةٍ بعد البناء بها :
لا الصهرُ راضٍ ولا ابنُ القينِ معشوقُ
غاب المثني فلم يشهد نَجِيكُما
والخوفزانُ ولم يشهدك مفروقُ⁵

والفرزدق يقول لجريز :

إن كان أنفك قد أعياك مَحْمِلُهُ
فاركب أتانك ثم اخطبُ إلى زيقِ

[خبران عن ولديه]

أخبرني الحسن بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عديّ ، عن زكريا بن ثبّاة
الثقفيّ قال : أنشدني الفرزدق قصيدته التي رثى فيها ابنه ، فلما انتهى إلى قوله : [من الطويل]

بِفي الشَّامِيتين الصَّخْرَ إن كان مسني
رزيةً شيل مُخْدِرٍ في الضَّرَاغمِ

قال : يا أبا يحيى ، رأيت ابني ؟ قلت : لا ، قال : والله ما كان يساوي عباءته .

[بنو تغلب أعطوا ابنه مائة ناقة]

قال إسحاق : حدّثني أبو محمد العبديّ ، عن اليربوعيّ ، عن أبي نصر قال : قدِمَ لبطةُ بن
الفرزدق الحيرة ، فمرَّ يقوم من بني تغلب فاستقراهم فَقَرَّوه ، ثم قالوا له : مَنْ أنت ؟ قال : ابن
شاعرٍكم ومادِحِكُم ، وأنا والله ابن الذي يقول فيكم :

[من الكامل]

1 شَمِّ الذرى والغوارب : عالية الأُسمة والظهور .

2 ثم أمَّهُم بملكك في الديوان 97/1 ثم لمهم بمالك .

3 القين : الخداد . والحَم : الفحم .

4 الغرائق : جمع الغرنوق : الشاب الممتلئ الناعم .

5 الخوفزان : هو الحارث بن شريك بن الصلب ، ومفروق : هو النُعمان بن عمرو الأصم .

أَضْحَى لَتَغْلِبَ مِنْ تَمِيمٍ شَاعِرٌ يَرْمِي الْأَعَادِيَّ بِالْقَرِيضِ الْأَثْقَلِ
 إِنْ غَابَ كَعْبُ بَنِي جُعَيْلٍ عَنْهُمْ وَتَمَرَّ الشُّعْرَاءُ بَعْدَ الْأَخْطَلِ¹
 يَتَبَاشِرُونَ بِمَوْتِهِ وَوَرَاءَهُمْ مِنْنِي لَهُمْ قَطْعُ الْعَذَابِ الْمُرْسِلِ

فقالوا له : فأنت ابن الفرزدق إذا ، قال : أنا هو ، فتنادوا : يا آل تغلب ، اقضوا حق شاعركم والذائد عنكم في ابنه ، فجعلوا له مائة ناقة ، وساقوها إليه ، فانصرف بها .
 [عمرو بن عفراء يتحداه]

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلام قال : أتى الفرزدق عبد الله بن مسلم الباهلي فسأله فتقل عليه الكثير ، وخشيته في القليل ، وعنده عمرو بن عفراء الضبي راوية الفرزدق وقد كان هجاه جرير لروايته للفرزدق في قوله :

وَبُئِيتُ جَوَاباً وَسَلْماً يَسْبِنِي وَعَمْرُو بْنُ عَفْرَى ، لَا سَلَامَ عَلَى عَمْرٍو
 فَقَالَ ابْنُ عَفْرَاءَ لِلْبَاهِلِيِّ : لَا يَهْوَلُنَاكَ أَمْرُهُ ، أَنَا أَرْضِيهِ عَنْكَ فَأَرْضَاهُ بَدُونِ مَا كَانَ هَمَّ
 لَهُ بِهِ ، فَأَعْطَاهُ ثَلَاثَمِائَةَ دِرْهَمٍ ، فَقَبِلَهَا الْفَرَزْدَقُ وَرَضِيَ عَنْهُ ، فَلَبِغَهُ بَعْدَ ذَلِكَ صَنِيعُ عَمْرٍو
 فقال : [من الطويل]

سَتَعْلَمُ يَا عَمْرُو بْنُ عَفْرَى مَنْ الَّذِي يُلَامُ إِذَا مَا الْأَمْرُ غَبَّتْ عَوَاقِبُهُ²
 نَهَيْتُ ابْنَ عَفْرَى أَنْ يَغْفِرَ أُمَّهُ كَعْفَرُ السَّلَا إِذْ جَرَّرْتَهُ ثَعَالِبُهُ³
 فَلَوْ كُنْتَ ضَبِيّاً صَفَحْتَ وَلَوْ سَرْتُ عَلَى قَدَمِي حَيَاتِهِ وَعَقَارِبُهُ
 وَلَكِنْ دِيافِي أَبُوهُ وَأُمُّهُ بِحُورَانِ يَعْصِرْنَ السَّلِيْطَ أَقَارِبُهُ⁴
 وَلَمَّا رَأَى الدَّهْنَ رَمَتْهُ جِبَالُهَا وَقَالَتْ دِيافِيٍّ مَعَ الشَّامِ جَانِبُهُ
 فَإِنْ تَغَضَّبَ الدَّهْنُ عَلَيْكَ فَمَا بِهَا طَرِيقٌ لِمُرْتَادِ تُقَادِ رَكَائِبُهُ⁵
 تَضُنُّ بِمَالِ الْبَاهِلِيِّ كَأَنَّمَا تَضُنُّ عَلَى الْمَالِ الَّذِي أَنْتَ كَاسِبُهُ⁶

1 كعب بني جُعيل والأخطل : شاعران تغليبان .

2 غَبَّتْ عَوَاقِبُهُ : بلغ مداه .

3 السَّلَا : غشاء يحيط بالجنين عند ولادته . في الديوان 46/1 عَفَرْتَهُ ثَعَالِبُهُ .

4 دِياف : بلد بالشام ، السليط : ما يستخرج من الحبوب من الزيوت .

5 طريق لمرتاد في الديوان 46/1 طريق لرَبَات . والرِّية : الجماعة الكثيرة .

6 في الديوان 46/1 :

تَشْمَرُ مَالِ الْبَاهِلِيِّ ، كَأَنَّمَا تَهَرَّ عَلَى الْمَالِ الَّذِي أَنْتَ كَاسِبُهُ

وإن امرأً يَغْتَابُنِي لم أَطأ له حَرِيماً ولا يَنْهَاهُ عَنِّي أَقَارِبُهُ
كَمَحْتَطَبٍ يَوْمًا أَسَاوَدَ هَضْبُهُ أَتَاهُ بِهَا فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ حَاطِبُهُ¹
أَحْيَنَ التَّقَى نَابَايَ وَابْيَضَّ مِسْحَلِي وَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الْكُرَى مَن يُجَابِبُهُ²

فقال ابن عفرأ ، وأتاه في نادي قومه : اجهد جهدك ، هل هو إلا أن تسبني ، والله لا أدع لك مساة إلا أتيتها ، ولا تأمرني بشيء إلا اجتنبتة ولا تنهاني عن شيء إلا ركبته ، قال : فاشهدوا أنني أنهاه أن ينيك أمه ، فضحك القوم وخجل ابن عفرأ .

[يتفأل فيجاز]

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، قال : حدثنا شعيب بن صخر قال : تزوج ذبيان بن أبي ذبيان العدوي من بلعدوية ، فدعا الناس في وليمته ، فدعا ابن أبي شيخ الفقيمي ، فألقى الفرزدق عنده ، فقال له : يا أبا فراس ، انهض ، قال : إنه لم يدعني ، قال : إن ابن ذبيان يؤتى وإن لم يدع ، ثم لا تخرج من عنده إلا بجائزة فأتيته ، فقال الفرزدق حين دخل : [من البسيط]

كَمْ قَالَ لِي ابْنُ أَبِي شَيْخٍ وَقَلْتُ لَهُ : كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى مَعْرُوفِ ذُبْيَانَ
إِنَّ الْقُلُوصَ إِذَا أَلْقَتْ جَآئِئَهَا قُدَّامَ بَابِكَ لَمْ نَرَحِلْ بِحِرْمَانِ³

قال : أجل يا أبا فراس فدخل فتغدى عنده ، وأعطاه ثلثمائة درهم .

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : حدثني أبو بكر المديني قال : دخل الفرزدق المدينة فوافق فيها موت طلحة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، وكان سيّداً سخياً شريفاً ، فقال : يا أهل المدينة ، أنتم أذل قوم الله ، قالوا : وما ذاك يا أبا فراس ؟ قال : غلبكم الموت على طلحة حتى أخذه منكم .

[يعطى عروضاً بدل النقد]

وأتى مكة ، فأتى عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي ، وهو سيّد أهل مكة يومئذ ، وليس عنده نقد حاضر ، وهو يتوقع أعطيته وأعطية ولده وأهله ، فقال : والله يا أبا فراس ، ما وافقت عندنا نقداً ، ولكن عروضاً⁴ إن شئت ، فعندنا رقيق فُرْهَةٌ⁵ ، فإن شئت أخذتهم ، قال : نعم ، فأرسل له بوصفاً من بنيهِ وبني أخيه ، فقال : هم لك عندنا

1 الأساود : جمع أسود وهو الحية العظيمة .

2 المسحل : جانب اللحية . في الديوان 47/1 من أحاربه .

3 الجاجيء : جمع جوجؤ ، وهو عظام الصدر .

4 العروض : جمع عَرُوض وهو ما سوى النقد من المتاع .

5 أي عبيداً وجواري حسناً .

حتى تشخص ، وجاءه العطاء ، فأخبره الخير وفداهم ، فقال الفرزدق ونظر إلى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان يطوف بالبيت الحرام يتبخر : [من البسيط]

تمشي تبخر حول البيت منتخياً لو كنت عمرو بن عبد الله لم ترد

[يحتج بشعره]

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، قال : حدثنا عامر بن أبي عامر ، وهو صالح بن رستم الخزاز ، قال : أخبرني أبو بكر الهذلي قال : إنا لجلوس عند الحسن إذ جاء الفرزدق يتخطى حتى جلس إلى جنبه ، فجاء رجل ، فقال : يا أبا سعيد : الرجل يقول : لا والله ، وبلى والله في كلامه ، قال : لا يريد اليمين ، فقال الفرزدق : أوما سمعت ما قلت في ذلك ؟ قال الحسن : ما كل ما قلت سمعوا فما قلت ؟ قال : قلت :

ولست بمأخوذٍ بلغو تقوله إذا لم تعمّد عاقداتِ العرائم

قال : فلم ينشب أن جاء رجل آخر ، فقال : يا أبا سعيد . نكون في هذه المغازي فنصيب المرأة لها زوج ، أفيجل غشيائها وإن لم يُطلقها زوجها ؟ فقال الفرزدق : أوما سمعت ما قلت في ذلك ؟ قال الحسن : ما كل ما قلت سمعوا فما قلت ؟ قال : قلت :

وذات خليل أنكحتنا رماحنا حلالاً لمن يئني بها لم تطلق

[يهجو إبليس]

قال أبو خليفة : أخبرني محمد بن سلام ، وأخبرني محمد بن جعفر قال : أتى الفرزدق الحسن ، فقال : إني هجوت إبليس فاسمع ؟ قال لا حاجة لنا بما تقول ، قال : لتسمعن أو لأخرجن ، فأقول للناس : إن الحسن ينهى عن هجاء إبليس ، قال : اسكت فإنك بلسانه تنطق .

[الحسن يتمثل بالشعر]

قال محمد بن سلام : أخبرني سلام أبو المنذر ، عن علي بن زيد قال : ما سمعت الحسن متمثلاً شعراً قط إلا بيتاً واحداً وهو قوله :

الموت بابٌ وكلُّ الناس داخله فليت شعري بعد الباب ما الدار ؟

قال : وقال لي يوماً : ما تقول في قول الشاعر :

لولا جريرٌ هلكتُ بجيله نعم الفتى وبئست القبيلة

أهجاه أم مدحه ؟ قلت : مدحه وهجا قومه ، قال : ما مدح من هجى قومه .

وقال جرير بن حازم : ولم أسمع ذكر شعراً قط إلا :

[من الخفيف]

ليس مَنْ مات فاستراح بميتٍ إنما الميتُ ميتُ الأحياء

[الشعر ونقض الموضوع]

وقال رجل لابن سيرين وهو قائم يستقبل القبلة يريد أن يكبر : أبتوضأ من الشعر ؟
فانصرف بوجهه إليه فقال :

[من الطويل]

ألا أصبحت عرسُ الفرزدق ناشزاً ولو رضىيت رُحمته لاستقرت

ثم كبر .

[من أبياته السائرة]

قال ابنُ سلام : وكان الفرزدق أكثرهم بيتاً مُقلداً ، والمُقلد : المُغني . المشهورُ الذي
يضرب به المثل ، من ذلك قوله :

[من الطويل]

فيا عجباً حتى كليبٌ تسبني كأن أباهَا نهشلٌ أو مُجاشعٌ¹

[من الكامل]

وقوله :

ليس الكرام بنا حليكَ أباهمُ حتى يُردَّ إلى عطية نهشلٌ

[من الطويل]

وقوله :

وكنا إذا الجبار صعرَ خدّه ضربناه حتى تستقيم الأخادعُ²

[من الطويل]

وقوله :

وكنتَ كذئبُ السوء لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحال على الدّمِ³

[من الطويل]

وقوله :

تُرَجِّي ربيعٌ أن تجيء صغارها بخير وقد أعيا ربيعاً كبارها

[من الكامل]

وقوله :

أكلتُ دوابرها إلا كامُ فمشيها ممّا وجئن كمشية الإعياء⁴

[من الطويل]

وقوله :

قوارص تأتيني وتحتقرونها وقد يملأ القطرُ الإناء فيفعمُ

[من الكامل]

وقوله :

1 كليب : قبيلة جرير . نهشل ومجاشع من أجداد الفرزدق .

2 صعر خدّه : آماله تكبراً . الأخادع : جمع أخدع ، وهو أحد عرقين في جانب العنق .

3 أحال على الدم : أقبل عليه . ويضرب هذا البيت مثلاً لمن إن نزلت بصاحبه مصيبة استغلها لمصلحته بدل أن يفرجها عنه .

4 دوابر : جمع دابرة ، وهي العرغوب .

- أَحْلَامُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً وَتَخَالِنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجْهَلُ
وقوله :
وَإِنَّكَ إِذْ تَسْعَى لِتَدْرِكَ دَارِمًا لَأَنْتَ الْمُعْنَى يَا جَرِيرَ الْمُكَلَّفِ
وقوله :
فَإِنْ تَنْجُ مَنِّي تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالِكَ نَاجِيَا
وقوله :
تَرَى كُلَّ مَظْلُومٍ إِلَيْنَا فِرَارُهُ وَيَهْرَبُ مِنَّا جَهْدَهُ كُلُّ ظَالِمٍ
وقوله :
تَرَى النَّاسَ مَا سِيرْنَا يَسِيرُونَ حَوْلَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا
وقوله :
فَسَيْفُ بَنِي عَبَسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ نَبَا بِيَدَيْ وَرَقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ
كَذَاكَ سَيُوفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظَبَاتِهَا وَيَقْطَعُنَ أحيانًا مَنَاطَ الْقَلَائِدِ
وكان يُدَاخِلُ الكلامَ ، وكان ذلك يُعْجِبُ أَصْحَابَ النَحْوِ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ يَمْدَحُ
هَيْشَامَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيِّ خَالَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :
وَأَصْبَحَ مَا فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكًا أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ
وقوله :
تَاللَّهِ قَدْ سَفِهَتْ أُمِّيَّةٌ رَأْيَهَا فَاسْتَجْهَلَتْ سُنْهَائِهَا حُلَمَاءُهَا¹
وقوله :
أَلَسْتُمْ عَائِجِينَ بِنَا لَعْنًا نَرَى الْعَرَصَاتِ أَوْ أَثَرِ الْخِيَامِ
فَقَالُوا : إِنْ فَعَلْتَ فَأَغْنِ عَنَّا دُمُوعًا غَيْرَ رَاقِئَةِ السَّجَامِ²
وقوله :
فَهَلْ أَنْتَ إِنْ مَاتَ أَتَانِكَ رَاحِلٌ إِلَى آلِ بَسْطَامٍ بِنِ قَيْسٍ فَخَاطِبُ
وقوله :
فَلَنْ مِثْلَهَا مِنْ مِثْلِهِمْ ثُمَّ دَلَّهِمْ عَلَى دَارِمِيِّ بَيْنَ لَيْلَى وَغَالِبِ

1 سغه رأيه : حملة على السفه .

2 غير راقئة السجام : دائمة الحملان .

وقوله : [من الطويل]

تعالَ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونَنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ ، يَا ذُئْبُ ، يَصْطَحِبَانِ

وقوله : [من البسيط]

إِنَّا وَإِيَّاكَ إِنْ بَلَّغْنَ أَرْحَلْنَا كَمَنْ يَوَادِيهِ بَعْدَ الْمَحَلِّ مَمْطُورُ

وقوله : [من الوافر]

بني الفاروق أُمِّكَ وابنُ أروى به عثمان مروان المصابا¹

وقوله : [من الطويل]

إِلَى مَلِكٍ مَا أُمُّهُ مِنْ مُحَارِبُ أبوه وَلَا كَانَتْ كَلِيبَ تَصَاهِرُهُ

وقوله : [من الطويل]

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَمَتْ بَنَا هُمُومُ الْمَنَا وَالْهُوَجَلِ الْمُتَعَسَفِ²
وَعُضَّ زَمَانٌ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسَحَّتًا أَوْ مُجَلَّفَ³

وقوله : [من الكامل]

ولقد دنت لك بالتخلف إذ دنت منها بلا بَخَلٍ وَلَا مَبْذُولِ
وَكَأَنَّ لَوْنَ رُضَابٍ فِيهَا إِذْ بَدَا بَرْدٌ بِفَرَعٍ بِشَامِيَةٍ مُصْقُولِ⁴

وقوله فيها للملك بن المنذر :

إِنَّ ابْنَ ضُبَّارِي رِبِيعَةَ مَالِكَا لِلَّهِ سَيْفٌ صَنِيعَةٌ مَسْلُولُ
مَا نَالَ مِنْ آلِ الْمُعَلَّى قَبْلَهُ سَيْفٌ لِكُلِّ خَلِيفَةٍ وَرَسُولُ

وقوله : [من الكامل]

مَا مِنْ يَدَيِ رَجُلٍ أَحَقُّ بِمَا أَتَى مِنْ مَكْرَمَاتٍ عَطَايَةِ الْأَخْطَارِ
مِنْ رَاكِتَيْنِ يَزِيدُ يَقْدَحُ زَنْدَهُ كَفَاهُمَا وَيَشُدُّ عَقْدَ جَوَارِ

وقوله : [من الطويل]

1 في الديوان 82/1 :

هو السيف الذي نصر ابن أروى به مروان عثمان المصابا

2 الهوجل المتعسف : الدليل المتعسف .

3 المسحت : الكسب الخيث ، المجلف : الموقع صاحبه في الجذب .

4 البشام : نوع من الشجر ، وفي البيتين إقواء .

إذا جئته أعطاك عفواً ولم يكن
على ماله حال الندى منك سائلة
لدى ملك لا تنصف النعل ساقه
أجل لا ، وإن كانت طوالاً حمائله¹
وقوله :

[من الكامل]

والشيب ينهض في الشباب كأنه
ليل يسير بجانبه نهار
[لا يكذب في مدحه]

قال أبو خليفة : أخبرنا محمد بن سلام قال : حدثني شعيب بن صخر ، عن محمد بن زياد ، وأخبرني به الجوهري وجحظة عن ابن شبة ، عن محمد بن سلام ، وكان محمد في زمام الحجاج زماناً قال : انتهيت إلى الفرزدق بعد موت الحجاج بالرّدم وهو قائم والنّاس حوله ينشد مديح سليمان بن عبد الملك :

[من الطويل]

وكم أطلقت كفاك من غلّ بئس
ومن عقدة ما كان يرجى انحلالها
كثيراً من الأيدي التي قد تكثفت
فككت وأعناقاً عليها غلالها²
قال : قلت : أنا والله أحدهم ، فأخذ بيدي وقال : أيها النّاس سلوه عما أقول والله ما كذبت قط .

[يأبى حين يريد]

أخبرني جحظة قال : حدثني ابن شبة ، عن محمد بن سلام فذكر مثله وقال فيه : والله ما كذبت قط ولا أكذب أبداً .

قال أبو خليفة : قال ابن سلام : وسمعت الحارث بن محمد بن زياد يقول : كتب يزيد بن المهلب لما فتح جرجان إلى أخيه مدرّكة أو مروان : احمل إليّ الفرزدق ، فإذا شخص فأعطِ أهله كذا وكذا ؛ ذكر عشرة آلاف درهم ، فقال له الفرزدق : ادفعها إليّ ، قال : اشخص وأدفعها إلى أهلِكَ ، فأبى ، وخرج وهو يقول :

[من الطويل]

دعاني إلى جرجان والريّ دونه
لآتيه إنني إذا لزور
لآتي من آل المهلب تائراً
بأعراضهم والدائرات تدور
سأبى وتأبى لي تميم وربما
أبئت فلم يقدر عليّ أمير

[لم يمنعه أهله فدخل السجن]

قال أبو خليفة : قال ابن سلام : وسمعت سلمة بن عياش قال : حبست في السجن ، فإذا

1 لا تنصف النعل ساقه : لا تبلغ نصفها .

2 الغلال : جمع غل ، وهو الطوق .

فيه الفرزدق قد حبسه مَالِكُ بن المنذر بن الجارود ، فكان يريد أن يقول البيت فيقول صدره
 وأسبقه إلى القافية ، ويجيء إلى القافية فأسبقه إلى الصدر ، فقال لي : مِمَّنْ أنت ؟ قلت : من
 قريش قال : كُلُّ أَيْرِ حِمَارٍ من قريش ؛ من أيَّهم أنت ؟ قلت : من بني عامر بن لؤي ، قال :
 لئام والله أذلة ، جاورتهم فكانوا شرَّ جيران ، قلت : ألا أخبرك بأذلَّ منهم والأُم ؟ قال : مَنْ ؟
 قلت : بنو مُجاشع ، قال : ولمَّ ويليكَ ! قلت : أنت سيِّدهم وشاعرهم وابنُ سيِّدهم ، جاءكَ
 شرطي مالك ، حتى أدخلكَ السجن ، لم يمنعوك ، قال : قاتلك الله .
 [يهجو عمر بن هبيرة]

قال أبو خليفة : قال ابن سلام : وكان مسلمة بن عبد الملك على العراق بعد قتل يزيد بن
 المهلب فلبث بها غيرَ كثير ، ثم عزله يزيد بن عبد الملك ، واستعمل عمر بن هبيرة على العراق
 فأساء عزْل مسلمة ، فقال الفرزدق وأنشدنيه يونس :

| | |
|------------------------------|---|
| ولت بمسلمة الركابُ مُودَّعاً | فارعي فزارة لا هنالك المرتعُ |
| فسد الزمانُ وبُذلت أعلامُه | حتى أُميَّة عن فزارة تنزعُ ¹ |
| ولقد علمتُ إذا فزارة أُمّرت | أن سوف تطمع في الإمارة أشجعُ |
| وبحق ربك ما لهم ولثلهم | في مثل ما نالت فزارة مطمعُ |
| عزل ابنُ بشر وابنُ عمرو قبله | وأخو هراة لمتلها يتوقعُ |

ابن بشر : عبد الملك بن بشر بن مروان ، كان على البصرة ، أمره عليها مسلمة . وابن
 عمرو : سعيد بن حذيفة بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط ، وأخو هراة : عبد
 العزيز بن الحكم بن أبي العاصي .

ويروى للفرزدق في ابن هبيرة :

| | |
|---------------------------|---|
| أمير المؤمنين وأنت عفٌّ | كريمٌ لست بالطَّبعِ الحريص ² |
| أوليتَ العراقَ ورافدِيه | فزارياً أحذَّ يدِ القَميصِ ³ |
| ولم يكُ قبلها راعي مخاضٍ | لتأمنه على وركي قُلوصِ |
| تفننَ بالعراقِ أبو المثنى | وعلمَ أهله أكلَ الخييصِ ⁴ |

1 تنزع : تكف إذاها عنها وتجاهلها .

2 عفٌّ كريم في الديوان 389/1 : وال شفيق . الطبع : الدنيء اللئيم .

3 أوليت في الديوان 389/1 أطعمت . أحذَّ : مقطوع .

4 تفنن : في الديوان 389/1 : تفيقهق .

وأنشدني له يونس :

[من البسيط]

جَهَّزَ فَإِنَّكَ مُمْتَارٌ وَمُبْتَعَثٌ
إِنَّ الْفَزَارِيَّ لَوْ يَعْمَى فَأَطَعَمَهُ
إِنَّ الْفَزَارِيَّ لَا يَشْفِيهِ مِنْ قَرَمٍ
يَقُولُ لَمَّا رَأَى مَا فِي إِنْائِهِمْ :
إِلَى فِزَارَةٍ عَيْرًا تَحْمِلُ الْكَمْرًا¹
أَيَّرَ الْحِمَارِ طَبِيبٌ أَبْرَأَ الْبَصْرَا
أَطَايِبُ الْعَيْرِ حَتَّى يَنْهَشَ الذَّكَرَا
لِلَّهِ ضَيْفُ الْفَزَارِيِّينَ مَا أَنْتَظَرَا

فلَمَّا قَدِمَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ وَالْيَأْ عَلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ حَبَسَهُ فِي السَّجْنِ ، فَتَنَبَّأَ لَهُ
سَرَبٌ ، فَخَرَجَ مِنْهُ ، فَهَرَبَ إِلَى الشَّامِ ، فَقَالَ فِيهِ الْفَرَزْدَقُ يَذْكُرُ خُرُوجَهُ : [من الطويل]

وَلَمَّا رَأَيْتَ الْأَرْضَ قَدْ سُدَّ ظَهْرُهَا
دَعَوْتُ الَّذِي نَادَاهُ يُونُسُ بَعْدَمَا
فَأَصْبَحْتَ تَحْتَ الْأَرْضِ قَدْ سِرْتَ لَيْلَةً
خَرَجْتَ وَلَمْ تَمُنْ عَلَيْكَ شِفَاعَةً
أَغْرَ مِنْ الْحَوِّ اللَّهَامِيمِ إِذْ جَرَى
جَرَى بِكَ عُرْيَانُ الْحَمَاتَيْنِ لَيْلَهُ
وَمَا احْتَالَ مُحْتَالَ كَحِيلَتِهِ الَّتِي
وِظْلَمَاءُ تَحْتَ الْأَرْضِ قَدْ خُضَّتْ هَوْلَهَا
هَمَا ظَلَمْتَا لَيْلٍ وَأَرْضٍ تَلَاقَتَا
وَلَمْ تَرَ إِلَّا بَطْنَهَا لَكَ مَخْرَجَا
ثَوَى فِي ثَلَاثِ مَظْلَمَاتٍ فَفَرَجَا
وَمَا سَارَ سَارٍ مِثْلَهَا حِينَ أَدْلَجَا
سَوَى رَبِذٍ التَّقْرِيبِ مِنْ آلِ أُعُوجَا²
جَرَى بِكَ مَجْبُوكُ الْقَرَى غَيْرَ أَفْحَجَا³
بِهِ عَنْكَ أَرْخَى اللَّهُ مَا كَانَ أَشْرَجَا⁴
بِهَا نَفْسُهُ تَحْتَ الصَّرِيمَةِ أَوْلَجَا⁵
وَلَيْلٍ كُلُّونِ الطَّلِيسَانِيَّ أَدْعَجَا⁶
عَلَى جَامِعٍ مِنْ هَمٍّ مَا تَعَوَّجَا

[يهجو خالد بن عبد الله القسري أيضاً]

فحدَّثَنِي جَابِرُ بْنُ جَنْدَلٍ قَالَ : فَقِيلَ لِابْنِ هُبَيْرَةَ : مَنْ سَيِّدُ الْعِرَاقِ ؟ قَالَ : الْفَرَزْدَقُ هِجَانِي

- 1 مُمْتَارٌ : طَالِبٌ مِيرَةٌ . الْكَمْرُ : جَمْعُ كَمْرَةٍ ، وَهُوَ رَأْسُ الْقَضِيبِ .
- 2 شِفَاعَةٌ فِي الدِّيَوَانِ 117/1 طَلَاقَةٌ . رَبِذُ التَّقْرِيبِ : خَفِيفُ الْجَرِيِّ . أُعُوجٌ : حِصَانٌ عَتِيقٌ تَنْسَبُ الْعَرَبُ إِلَيْهِ جِيَادُ الْخَيْلِ .
- 3 الْحَوِّ : السَّمَرُ . اللَّهَامِيمُ فِي الدِّيَوَانِ 117/1 : الْجِيَادُ ، وَاللَّهَامِيمُ : جَمْعُ لُحُومٍ ، وَهُوَ السَّرِيعُ الْعَدُو . وَفِي الدِّيَوَانِ أَيْضًا : جَرَى جَرِي عُرْيَانٍ . الْقَرَى : الظَّهْرُ . أَفْحَجٌ : مِنَ الْفَحْجِ ، وَهُوَ تَدَالِي صُدُورِ قَدَمِي الْفَرَسِ وَتَبَاعَدُ عَقْبِيهِ .
- 4 الْحَمَاتَانِ : لِحْمَتَانِ فِي سَاقِي الْفَرَسِ . أَشْرَجٌ ، مِنْ أَشْرَجَ الْعَبِيَّةُ : أَحْكَمَ شَدَّهَا ، وَفِي الدِّيَوَانِ 118/1 : أَشْنَجَا ، وَأَشْنَجٌ : تَقْبُضٌ وَتَقْلُصٌ .
- 5 الصَّرِيمَةُ فِي الدِّيَوَانِ : الضَّرِيحَةُ .
- 6 الطَّلِيسَانِي : فِيهِ طَلْسَةٌ ، وَهِيَ السَّوَادُ . أَدْعَجٌ : شَدِيدُ الظَّلْمَةِ .

أميراً ومدحني سوقة . وقال الفرزدق لخالد القسري حين قدم العراق أميراً لهشام : [من الطويل]

ألا قطع الرحمن ظهر مطية أتنا تمطى من دمشق بخالد
وكيف يؤم المسلمين وأمه تدين بأن الله ليس بواحد
بنى بئعة فيها الصليب لأمه وهدم من كفر منار المساجد

وقال أيضاً : [من الكامل]

نزلت بجيلة واسطاً فتمكنت ونفت فزارة عن قرار المنزل¹

وقال أيضاً : [من الطويل]

لعمرى لمن كانت بجيلة زانها جرير لقد أخزى بجيلة خالد

فلما قدم العراق خالد أميراً أمر على شرطة البصرة مالك بن المنذر بن الجارود ، وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر يدعي على مالك قرية ، فأبطلها خالد ، وحفر النهر الذي سماه المبارك ، فاعترض عليه الفرزدق ، فقال : [من الطويل]

أهلك مال الله في غير حقه على النهـ المشؤم غير المبارك
وتضرب أقواماً صيحاظاً ظهورهم وترك حق الله في ظهر مالك²
أنفاق مال الله في غير كنهه ومنعاً لحق المرملة الضرائك³

[مهر حدراء ومصرعها]

أخبرني عبد الله بن مالك قال : حدثنا محمد بن حبيب ، عن الأصمعي قال : قال أعين بن لبطة : دخل الفرزدق على الحجاج لما تزوج حدراء يستمحه مهرها ، فقال له : تزوجت أعرابية على مائة بعير ، فقال له عنبسة بن سعيد : إنما هي فرائض قيمتها ألفا درهم ، الفريضة عشرون درهماً ، فقال له الحجاج : ليس غيرها ، يا كعب ، أعط الفرزدق ألفي درهم .

قال : وقدم الفضيل العنزي بصدقات بكر بن وائل ، فاشتري الفرزدق مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن يشتها له في الديوان ، قال الفرزدق : فصليت مع الحجاج الظهر حتى إذا سلم ، خرجت فوقفت في الدار فرآني ، فقال مهيم⁴ ، فقلت : إن الفضيل العنزي قد

1 بجيلة : قبيلة خالد .

2 وردت رواية البيهقي في الديوان 58/2 كالآتي :

أتلك رجال من تميم فشهدوا فضيحت حق الله في ظلم مالك
وأنفقت مال الله في غير حقه على نهر المشؤم غير المبارك

3 الضرائك في الديوان 59/2 : الضوانك ، والضرائك : جمع ضريبة ، وهي الفقيرة .

4 مهيم : كلمة استفهام بمعنى ما شأنك .

بصدقات بكر بن وائل ، وقد اشترت منه مائة بعير بالفين وخمسمائة درهم على أن تحتسب له في الديوان ، فإن رأى الأمير أن يأمر لي بإثباتها له فعل ، فأمر أبا كعب أن يثبت للفضيل ألفين وخمسمائة درهم ، ونسي ما كان أمر له به ، قال : فلما جاء الفرزدق بالإبل قالت له النوار : خسرت صفقتك ، أتتزوج أعرابية نصرانية سوداء مهزولة حمشاء¹ الساقين على مائة من الإبل ؟ فقال يُعرض بالنوار وكانت أمها وليدة :

لجارية بين السليل عروقتها وبين أبي الصهباء من آل خالد²
أحق بإغلاء المهور من التي ربت وهي تنزو في حجور الولائد

فأبت النوار عليه أن يسوقها كلها ، فحبس بعضها ، وامتار³ عليه ما يحتاج إليه أهل البادية ، ومضى ومعه دليل يقال له أوفى بن خنزير ، قال أعين : فلما كان في أدنى الحي رأوا كبشاً مذبحاً ، فقال الفرزدق : يا أوفى ، هلكت والله حدراء ، قال : وما علمك بذلك ؟ قال : ويقال : إن أوفى قال للفرزدق : يا أبا فراس لن ترى حدراء ، فمضوا حتى وقفوا على نادي زيق ، وهو جالس ، فرحب به ، وقال له : انزل فإن حدراء قد ماتت ، وكان زيق نصرانياً فقال : قد عرفنا أن نصيبك من ميراثها في دينكم النصف ، وهو لك عندنا ، فقال له الفرزدق : والله لا أرزوك منه قطميراً ، فقال زيق : يا بني دارم ، ما صاهرنا أكرم منكم في الحياة ولا أكرم منكم شركة في الممات ، فقال الفرزدق :

عجبت لحادينا المقحم سيره بنا موجعات من كلال وظلعا⁴
ليديننا ممن إلينا لقاءه حبيب ومن دار أردنا لتجمعا
ولو نعلم الغيب الذي من أماننا لكر بنا الحادي المطي فأسرعاً⁵
يقولون : زر حدراء والترب دونها وكيف بشيء وصله قد تقطعا
يقول ابن خنزير : بكيت ولم تكن على امرأة عيني إخال لتدمعا
وأهون رزء لأمريء غير جازع رزية مرتج الروادف أفرعا
ولست ، وإن عزت ، علي بزائر تراباً على مرموسة قد تضععنا⁶

1 حمشاء الساقين : مشوهتها

2 السليل وأبو الصهباء : من أجداد حدراء .

3 امتار : طلب الميرة .

4 موجعات في الديوان 422/1 مُرَحَفَات .

5 الغيب في الديوان 422/1 العلم . والمطي في الديوان : الركاب .

6 مرموسة في الديوان : مرسومة .

وقيل إنّ النّوار كانت استعانت بأمّ هاشم لا بتماضر ، وأمّ هاشم أخت تماضر ؛ لأنّ تماضر ماتت عند عبد الله بعد أن ولدت له حُبَيْباً وثابتاً ابني عبد الله بن الزبير ، وتزوج بعدها أختها أمّ هاشم ، فولدت له هاشماً وحمة وعبداداً ، وفي أمّ هاشم يقول الفرزدق :
[من الطويل]

تروّحت الرّكبانُ يا أمّ هاشمٍ وهنّ مُناخاتٌ لهنّ حنينٌ
وحُبْسُنَ حتى ليس فيهنّ نافقٌ لبيعٍ ولا مركوبهنّ سمينٌ

[نشوز زوجة أخرى]

أخبرنا عبد الله قال : حدّثنا محمد بن حبيب قال : حدّثني الأصمعيّ قال : نشرت رُهِيمَة بنت غنيّ بن درهم النّمريّة بالفرزدق فطلّقها ، وقال يهجوها بقوله :
[من الطويل]

لا ينكحنُ بعدي فتى نمريةً مرْمَلَةٌ من بعْلِها لبعادٍ¹
وبيضاء زَعراءِ المفارقِ شَحْنَةً مولعةً في خُصرةٍ وسوادٍ²
لها بَشَرٌ شَتْنٌ كأن مَضَمَّه إذا عانقت بَعْلاً مَضَمُّ قتادٍ³
قرنتُ بنفسِي الشَّوْمَ في وردِ حوضِها فَجَرَعْتُهُ مِلْحاً بماءِ رمادٍ
وما زلتُ ، حتى فَرَّقَ اللهُ بيننا له الحمدُ ، منها في أذىٍ وجهادٍ
تُجدّدُ لي ذكرى عذابِ جهنّمٍ ثلاثاً تُمسِّني بها وتغادي

[يكي ولدأله من سفاح]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثني الحسين بن موسى قال : قال المدائنيّ : لقي الفرزدق جارية لبني نهشل ، فجعل ينظر إليها نظراً شديداً ، فقالت له : ما لك تنظر ؟ فوالله لو كان لي ألف حِرٍّ ما طمعت في واحدٍ منها ، قال : ولمَ يا لخناء⁴ ؟ قالت : لأنّك قبيح المنظر سيئ المخبر فيما أرى ، فقال : أما والله لو جرتني لعفى خبري على منظري ، قال : ثم كشف لها عن مثل ذراع البكر ، فتضبّعت⁵ له عن مثل سنام البكر فعالجها ، فقالت : أنكاح بنسيقة ؟ هذا شرّ القضية ، قال : ويحك ، ما معي إلّا جَبْتِي ، أفتسلبيني إياها ثم تسنّمها ، فقال :

[من الرجز]

1 مرْمَلَة في الديوان 179/1 مزملة .

2 شحنة في الديوان : شحنة ، أي الغصن الملتف المشتبك ، وشحنة : خيفة .

3 شتن : جلد خشن .

4 اللخناء : القبيحة الكلام .

5 تضبّعت : تكشفت .

أولجتُ فيها كذِرَاعَ الْبَكْرِ مُدْمَلِكَ الرَّأْسِ شَدِيدَ الْأَسْرِ¹
 زاد على شَيْرٍ ونصفِ شَيْرٍ كَأَنَّني أُولِجْتُهُ فِي جَمَرٍ
 يُطِيرُ عَنْهُ نَفْيَانُ الشَّعْرِ نَفِي شُعُورِ النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ²

قال : فحملتُ منه ، ثم ماتت ، فبكاه وبكى ولده منها . [من الطويل]

وَعِمْدِ سِلَاحٍ قَدْ رَزْتُ فَلَمْ أَتُحْ عَلَيْهِ وَلَمْ أُبْعَثْ عَلَيْهِ الْبَوَاكِيا
 وَفِي جَوْفِهِ مِنْ دَارِمٍ ذُو حَفِيطَةٍ لَوْ أَنَّ الْمَنَابِيا أَنَسَّاهُ لِيَالِيا
 وَلَكِنَّ رَبِّبَ الدَّهْرِ يَغْتَرُّ بِالْفَتَى فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَدًّا لَمَّا كَانَ جَائِيا
 وَكَمْ مِثْلُهُ فِي مِثْلِهَا قَدْ وَضَعَتْهُ وَمَا زَلَتْ وَثَابًا أَجْرُ الْمُخَازِيا

فقال جرير يعيره : [من الطويل]

وَكَمْ لَكَ يَا ابْنَ الْقَيْنِ إِنْ جَاءَ سَائِلٌ مِنْ ابْنِ قَصِيرِ الْبَاعِ مِثْلُكَ حَامِلَةٌ
 وَآخِرُ لَمْ تَشْعُرْ بِهِ قَدْ أَضَعَتْهُ وَأَوْرَدَتْهُ رِحْمًا كَثِيرًا غَوَائِلَةٌ

[يتزوج ظبية فيعجز عنها]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال : حدّثنا محمد بن موسى ، قال : حدّثني محمد بن سليمان الكوفيّ عن أبيه قال : تزوّج الفرزدقُ ظبية ابنة حالم من بني مُجاشيع بعد أن أسنّ ، فضعف ، وتركها عند أمّها بالبادية سنة ، ولم يكن صداقها عنده ، فكتب إلى أبان بن الوليد البجليّ ، وهو على فارس عامل لخالد بن عبد الله القسريّ ، فأعطاه ما سأل وأرضاه ، فقال يمدحه :

فَلَوْ جَمَعُوا مِنَ الْخِلَائِنِ أَلْفَا فَقَالُوا : أَعْطَيْنَا بِهِمْ أَبَانَا
 لَقُلْتُ لَهُمْ : إِذَا لَغَبْتُمُونِي وَكَيْفَ أُبَيِّعُ مِنْ شَرَطِ الزَّمَانَا³
 خَلِيلٌ لَا يَرَى الْمَائَةَ الصَّفَايا وَلَا الْخَيْلَ الْجِيَادَ وَلَا الْقِيَانَا
 عَطَاءٌ دُونَ أَضْعَافِ عَلَيْهَا وَيُطْعَمُ ضَيْفَهُ الْعُبُطُ السَّمَانَا
 الْعُبُطُ : الْإِبِلُ الَّتِي لَا وَجَعَ بِهَا .

فَمَا أَرْجُو لظُبْيَةَ غَيْرَ رَبِّي وَغَيْرَ أَبِي الْوَلِيدِ بِمَا أَعَانَا⁴

1 مدملك الرأس : رأسه كاللندي الناهد . وشديد الأسر : قوي محكم .

2 نفيان الشعر : ما طار منه .

3 شرط الزمانا في الديوان 337/2 شرط الضمانا : التزم به وهو المهر .

4 وأبي الوليد في الديوان : ابن الوليد .

أَعَانْ بِهِجْمَةً أَرْضَتْ أَبَاهَا وَكَانَتْ عِنْدَهُ غَلَقًا رِهَانًا¹
وَقَالَ أَيْضًا فِي ذَلِكَ :

لَقَدْ طَالَ مَا اسْتَوَدَعْتُ ظُبِيَّةَ أُمِّهَا وَهَذَا زَمَانُ رُدِّ فِيهِ الْوَدَائِعُ
وَقَالَ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَبْنِي بِهَا :

أَبَادِرْ سُؤلاً بِظُبِيَّةٍ أَنْتَنِي أَتَتَنِي بِهَا الْأَهْوَالُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
بِمَالِئَةِ الْحِجْلَيْنِ لَوْ أَنَّ مَيِّتًا وَلَوْ كَانَ فِي الْأَمْوَاتِ تَحْتَ النَّصَائِبِ
دَعْتَهُ لِأَلْقَى التُّرْبَ عِنْدَ انْتِفَاضِهِ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الرَّاسِيَاتِ الرُّوَاسِبِ
فَلَمَّا ابْتَنَى مِنْهَا عَجَزَ عَنْهَا فَقَالَ :

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى نَعْطٍ فُجِعْتُ بِهِ حِينَ التَّقَى الرَّكْبُ الْخَلُوقُ وَالرَّكْبُ²
وَقَالَ جَرِيرٌ :

وَتَقُولُ ظُبِيَّةُ إِذْ رَأَتْكَ مُحَوِّلاً - حَوْقَ الْحِمَارِ - مِنْ الْخِبَالِ الْخَابِلِ³
إِنَّ الْبَلِيَّةَ وَهِيَ كُلُّ بَلِيَّةٍ شَيْخٌ يُعَلِّلُ عِرْسَهُ بِالْبَاطِلِ
لَوْ قَدْ غَلَقْتَ مِنَ الْمُهَاجِرِ سُلَّمًا لَنَجَوْتَ مِنْهُ بِالْقَضَاءِ الْفَاصِلِ
قَالَ : فَنَشِزْتُ مِنْهُ ، وَنَافَرْتَهُ إِلَى الْمُهَاجِرِ ، وَبَلَغَهُ قَوْلُ جَرِيرٍ فَقَالَ الْمُهَاجِرُ : لَوْ أَتَتَنِي
بِالْمَلَائِكَةِ مَعَهَا لَقَضَيْتُ لِلْفَرَزْدَقِ عَلَيْهَا .

[يَشِيدُ بِابْنَتِهِ مَكِّيَّةَ وَأُمِّهَا الزَّنْجِيَّةَ]

قَالَ : وَكَانَ لِلْفَرَزْدَقِ ابْنَةُ يُقَالُ لَهَا مَكِّيَّةٌ ، وَكَانَتْ زَنْجِيَّةً ، وَكَانَ إِذَا حَمَى الْوُطَيْسُ ، وَبَلَغَ
مِنْهُ الْهَجَاءُ يَكْتَنِي بِهَا ، وَيَقُولُ :

ذَا كُنْتُ إِذَا مَا كُنْتُ ذَا مُحَمِيَّةٍ بَدَارِمِيَّ أُمُّهُ ضَبِيَّةٌ⁴
صَمَحِمَحُ يُكْنَى أَبَا مَكِّيَّةَ⁴

وَقَالَ فِي أُمِّهَا :

1 بهجمة في الديوان 337/2 بدفعة ، والمهجمة عدد كبير من الإبل . وغلق الرهن : استحق لمن هو عنده بعد ما مضى ميعاده .

2 الركب : العانة أو أصل الفرج .

3 محوّل : من حوّل بمعنى ضعف وأعيا .

4 الصمحمح : القوي الشديد المجتمع الألواح .

يا ربَّ خَوْدٍ من بناتِ الزَّنجِ تحملُ تنوراً شديداً الوَهجِ
أُقْعَبَ مثْلَ القَدَحِ الخَلنجِ يزداد طيباً عند طول الهرج¹
مَخَجْتُها بالأير أيَّ مخج²

فقلت له النّوار : ريحُها مثل ريحك .

وقال في أمِّ مكِّيَّة يخاطب النّوار :
[من الوافر]

فإن يكُ خالها من آل كسرى فكسرى كان خيراً من عقالٍ
وأكثرَ جزيّةً تُهدى إليه وأصبرَ عند مختلفِ العوالي

قال : وكانت أمُّ النّوار خُرَاسانيّةً ، فقال لها في أمِّ مكِّيَّة :
[من الطويل]

أغرّك منها أدمّةٌ عربيّةٌ علت لونها إن البجاديَّ أحمَرُ³

[يمدح سعيداً فيغضب مروان]

حدّثني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدّثنا السكن بن سعيد ، عن محمد بن عبّاد ،
عن ابن الكلبيّ قال : دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وهو والي المدينة لمعاوية
فأنشده :

ترى الغرَّ الجحاججَ من قريش إذا ما الخطب في الحدّثانِ غالا⁴
وقوفاً ينظرون إلى سعيد كأنّهم يرون به هلالاً
وعنده كعب بن جُعيل ، فلمّا فرغ من إنشاده قال كعب : هذه والله رؤياي البارحة ،
رأيتُ كأنّ ابن مرّة في نواحي المدينة وأنا أضَمُّ دلاذلي⁵ خوفاً منه ، فلمّا خرج الفرزدق خرج
مروان في أثره فقال : لم ترض أن نكون قعوداً حتى جعلتنا قياماً في قولك :

قياماً ينظرون إلى سعيد كأنّهم يرون به هلالاً

فقال له : يا أبا عبد الملك إنّاك من بينهم صافن⁶ ، فحقّد عليه مروان ذلك ، ولم تطل
الأيّام حتى عُزِل سعيد ، ووُلِّي مروان فلم يجد على الفرزدق متقدماً حتى قال قصيدته التي

1 أُقْعَب : شبيه بالقعب ، وهو القدح الكبير . والهرج : كثرة النكاح .

2 مخجتها : أتيّتها .

3 الأدمّة : الجلد الأحمر . البجادي : نوع مخطط من الأكسية العربية .

4 الجحاجج : جمع جحجاج ، وهو السيد الكريم .

5 الدلاذل : أسافل القميص الطويل .

6 صفن الرجل : صف قدميه .

قال فيها :

[من الطويل]

هما ذلتاني من ثمانين قامَةً كما انقضَّ باز أقيمُ الرِّيشَ كاسرَةً
 فلمَّا استوت رجلاي في الأرضِ قالتا أَحَيُّ يُرْجَى أم قَتِيلٌ نُحاذِرُهُ
 فقلت : ارفعا الأمراسَ لا يشعروا بنا وأقبلتُ في أعقابِ ليلِ أبادرُهُ¹
 أبادرُ بوابينَ لم يشعروا بنا وأحمرَ من ساجٍ تلوحِ مسامرُهُ²

فقال له مروان : أتقول هذا بين أزواج رسول الله ﷺ ، اخرج عن المدينة فذلك قول

جرير :

[من الطويل]

تدليتَ تزني من ثمانينَ قامَةً وقصَّرتَ عن باعِ الندى والمكارمِ

[رواية أخرى للخبر السابق]

أخبرنا ابن دُرَيْد ، قال : أخبرنا الرياشي ، عن محمد بن سلام ، قال : دخل الفرزدق المدينة هارباً من زياد ، وعليها سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس أميراً من قبل معاوية ، فدخل على سعيد ، ومثَّلَ بين يديه ، وهو معتم ، وفي مجلس سعيد الحُطَيْثَةُ وكعب بن جُعيل التغلبي ، وصاح الفرزدق : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، أنا عائدُ بالله وبك ، أنا رجل من تميم ، ثم أحد بني دارم ، أنا الفرزدق بن غالب ، قال : فأطرق سعيدٌ مليّاً ، فلم يجبه ، فقال الفرزدق : رجل لم يصب دماً حراماً ، ولا مالاً حراماً ، فقال سعيد : إن كنت كذلك فقد أمنت ، فأنشده : [من الوافر]

إليك فررتُ منك ومن زيادٍ ولم أحسب دمي لكما حلالاً
 ولكنِّي هجوتُ وقد هجاني معاشرُ قد رضختُ لهم سِجالاً³
 فإن يكن الهجاءُ أحلَّ قَتلي فقد قلنا لشاعرهم وقالوا
 أرقْتُ فلم أنمَ ليلاً طويلاً أراقب هل أرى النسرَيْنِ زالا⁴
 عليك بني أمية فاستجرهم وخُذ منهم لما تخشى حيالا
 فإن بني أمية في قريش بنوا لبيوتهم عمداً طوالا
 ترى الغرَّ الجحاح من قريشٍ إذا ما الأمر في الحدثانِ غالا⁵

1 الأمراس : الحبال .

2 أحمر بن ساج : أي الباب .

3 رضخت لهم : رضخت التيوس إذا أخذت النطاح .

4 النسرَيْن في الديوان 70/2 : النسران : كوكبان .

5 الغر في الديوان 70/2 : الشم . غالا : في الديوان 70/2 : عالا : عال : فذح وثقل .

قياماً ينظرون إلى سعيد كأنهم يرون به هلالاً

قال : فلماً قال هذا البيت ، قال الخطيئة لسعيد : هذا والله الشعر ، لا ما كنت تَعْلُلُ به منذ اليوم ، فقال كعب بن جُعيل : فضلت على نفسك ، فلا تفضله على غيرك ، قال : بلى والله إنه ليفضلني وغيري ، يا غلام ، أدركت مَنْ قَبْلَكَ ، وسبقت مَنْ بعدك ، ولئن طال عمرك لتبرُزَنَّ .

ثم عبث الخطيئة بالفرزدق ، فقال : يا غلام ، أُنَجِدْتُ أُمُّكَ ؟ قال : لا بل أبي ، أراد الخطيئة : إن كانت أُمُّكَ أُنَجِدْتُ فقد أصبْتُها فولدتك إذ شابتهني في الشعر ، فقال الفرزدق : لا بل أبي ، فوجده لَقِيناً .

[مع مخنث]

أخبرني ابن دريد قال : قال لنا أبو حاتم : قال الأصمعيّ : ومن عبثات الفرزدق أنّه لقي مُخَنَّثاً فقال له : من أين راحت عَمَّتْنَا ؟ فقال له المخنث : نفاها الأغر بن عبد العزيز يريد قول جرير :

نفاك الأغر ابن عبد العزيز وحقك تُنفى من المسجد

[جرير يعترف له بالعلبة]

أخبرنا ابن دريد عن الرياشي ، عن النضر بن شميل قال : قال جرير : ما قال لي ابن القين بيتاً إلّا وقد اكتفأته ، أي قلبته إلّا قوله :

ليس الكرامُ بناحليكَ أباهم حتى يرد إلى عطية تُعْتَلُ
فإنّي لا أدري كيف أقول فيها .

[جرير يلقبه بالعزيز]

وأخبرني ابن دريد قال : حدّثنا السكن بن سعيد ، عن محمد بن عباد ، عن ابن الكلبي ، عن عوانة بن الحكم ، قال : بينما جرير واقف في المربد وقد ركبهُ النَّاسُ وعمر بن لجأ مواقفه فأنشده عمر جواب قوله :

يا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيٍّ لا أبا لكم لا يقذفنكم في سَوَاقِ عَمْرُ
أحين صيرتُ سِماماً يا بني لجأ وخاطرتُ بي عن أحسابها مُضْرُ

فقال عمر جواب هذا :

لقد كذبتَ وشرُّ القولِ أكذبُهُ ما خاطرتُ بك عن أحسابها مُضَرُّ¹
أَلَسْتَ نَزْوَةً خَوَّارٍ على أمة ؟ لا يسبق الخلباتِ اللؤمُ والخورُ
وقد كان الفرزدق رفده بهذين البيتين في هذه القصيدة ، فقال جرير لما سمعها : قبحاً لك
يا ابن لجأ ، أهذا شعرك ، كذبت والله ولو ميتاً ، هذا شعر حظلي ، هذا شعر العزيز يعني
الفرزدق فأبلس عمر فما ردّ جواباً .
[يلقب جريراً بالقرم]

وخرج غنيم بن أبي الرِّقراق حتى أتى الفرزدقَ ، فضحك ، وقال : إيه يا ابن أبي
الرِّقراق ، وإن عندك لخبراً ، قلت : خزي أخوك ابن قتب ، فحدثته ، فضحك ، حتى
فحص برجليه ، ثم قال في ساعته :

وما أنْتَ إن قرماً تميم تساميا أخوا التميم إلا كالوشيطنة في العظم¹
فلو كنت مولى الظلم أو في ثيابه ظلمت ولكن لا يدي لك بالظلم
فلما بلغ هذان البيتان جريراً قال : ما أنصفتني في شعر قط قبل هذا يعني قوله :
. . . إن قرماً تميم تساميا

[يغتصب الشعر]

أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا الرياشي قال : كان الفرزدق مهيباً تخافه الشعراء ، فمر يوماً
بالشمردل ، وهو ينشد قصيدته حتى بلغ إلى قوله :

وما بين من لم يعطِ سمعاً وطاعةً وبين تميم غير حرّ الغلاصم²
قال : والله لتترك هذا البيت أو لتترك عرضك ، قال : خذه على كره مني ، فهو في
قصيدة الفرزدق التي أولها قوله :

تحن بزوراء المدينة ناقتي

قال : وكان الفرزدق يقول : خير السرقة ما لا يحب فيه القطع يعني سرقة الشعر .
أخبرنا ابن دريد عن حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن الضحاک بن بهلول الفقيمي قال : بينما
أنا بكازمة وذو الرمة ينشد قصيدته التي يقول فيها :

[من الطويل]

1 الوشيطنة : شطية زائدة في أصل العظم .

2 الغلاصم : جمع غلصمة ، وهي رأس الحلقوم ، أو اللحم بين الرأس والعظم .

أَحِينَ أَعَاذَتْ بِي تَمِيمٌ نِسَاءَهَا وَجُرَّدَتْ تَجْرِيدَ الْيَمَانِي مِنَ الْغِمْدِ
 إِذَا رَاكِبَانِ قَدْ تَدَلَّيَا مِنْ نَعْفٍ كَاطْمَةٍ مُتَقَنَعَانِ ، فَوْقَهَا ، فَلَمَّا فَرَّغَ ذُو الرُّمَّةِ حَسَرَ الْفَرَزْدَقُ
 عَنْ وَجْهِهِ ، وَقَالَ : يَا عُيَيْدُ ، اضْمَمْهَا إِلَيْكَ ، يَعْنِي رَاوِيَتَهُ ، وَهُوَ عُبَيْدُ أَخُو بَنِي رِبْعَةَ بْنِ
 حَنْظَلَةَ ، فَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ يَا أَبَا فِرَاسٍ إِنْ فَعَلْتَ ، قَالَ : دَعِذَا عَنْكَ ، فَانْتَحَلَهَا فِي
 قَصِيدَتِهِ وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَبْيَاتٍ :

أَحِينَ أَعَاذَتْ بِي تَمِيمٌ نِسَاءَهَا وَجُرَّدَتْ تَجْرِيدَ الْيَمَانِي مِنَ الْغِمْدِ
 وَمَدَّتْ بِضْبَعِي الرِّبَابُ وَمَالِكٌ وَعَمَرُو ، وَشَالَتْ مِنْ وَرَائِي بَنُو سَعْدٍ¹
 وَمِنْ آلِ يَرْبُوعٍ زُهَاءٌ كَأَنَّهُ دُجِيَ اللَّيْلُ مُحَمَّدُ الْنُكَايَةِ وَالْوَرْدِ²
 وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ ضَرَبَنَاهُ فَوْقَ الْأُنْثَيْنِ عَلَى الْكَرْدِ³

[يجوز السبق في الفخر]

أَخْبَرَنَا ابْنُ دَرِيدٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو حَاتِمٍ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : اجْتَمَعَ الْفَرَزْدَقُ وَجَرِيرٌ
 وَكَثِيرٌ وَابْنُ الرَّقَّاعِ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : أَنْشَدُونَا مِنْ فَخْرِكُمْ شَيْئاً حَسَناً ،
 فَبَدَرَهُمُ الْفَرَزْدَقُ ، فَقَالَ :

وَمَا قَوْمٌ إِذَا الْعُلَمَاءُ عَدَّتْ عُرُوقَ الْأَكْرَمِينَ إِلَى التَّرَابِ
 بِمُخْتَلَفِينَ إِنْ فَضَّلْتُمُونَا عَلَيْهِمْ فِي الْقَدِيمِ وَلَا غِضَابِ
 وَلَوْ رَفَعَ السَّحَابُ إِلَيْهِ قَوْمًا عَلَوْنَا فِي السَّمَاءِ إِلَى السَّحَابِ
 فَقَالَ سُلَيْمَانُ : لَا تَنْطَقُوا ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَكَ لَكُمْ مَقَالاً .

[يَتَعَصَّبُ لَابْنَتِهِ مَكِّيَّةَ]

أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الضَّبِّيُّ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي
 سُلَيْمَانَ الْجَوْزْجَانِيِّ قَالَ : غَابَ الْفَرَزْدَقُ فَكَتَبَتْ النُّوَارُ تَشْكُو إِلَيْهِ مَكِّيَّةَ وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَهْلُهُ
 يَشْكُونَ سُوءَ خُلُقِهَا وَتَبَذُّيَهَا عَلَيْهِمْ فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ :

[من الطويل]

كَتَبْتُمْ عَلَيْهَا أَنَّهَا ظَلَمْتَكُمْ كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ بَلْ تَظْلَمُونَهَا

1 بضبعي : مثنى ضبع ، وهو ما بين الإبط إلى منتصف العضد من أعلاها ، ومدت بضبعي : أعانني . والرباب
 ومالك وعمره وبنو سعد : قبائل .

2 الزهاء : العدد الكثير .

3 الشطر الأول في الديوان 178/1 «وكنا إذا القيسي نَبَّ عتوده» . وَبَّ عتوده : تكبر . صعر خده : أماله
 صلفاً وتكبراً . الأنثيان : الأذنان . الكرد : العنق .

فَالَا تَعْدُوا أَنَّهَا مِنْ نَسَائِكُمْ فَإِنَّ ابْنَ لَيْلَى وَالَّذِي لَا يَشِينَهَا
وَأَنَّ لَهَا أَعْمَامَ صَدَقَ وَأَخُوهُ وَشَيْخًا إِذَا شَاءَتْ تَنَمَّرَ دُونَهَا

[عقوق ابنه]

قال : وكان للفرزدق ثلاثة أولاد يقال لواحد منهم لبطة ، والآخر حَبْطَة ، والثالث ،
سبطة ، وكان لبطة من العَقَّة فقال له الفرزدق :

[من الطويل]

إِن أُرْعِشْتُ كَفَا أَيْيَكَ وَأَصْبَحْتُ يَدَاكَ يَدَيَّ لَيْثٍ فَإِنَّكَ جَادِبُهُ
إِذَا غَالَبَ ابْنُ الشَّبَابِ أَبَا لَهُ كَبِيرًا فَإِنَّ اللَّهَ لَا بُدَّ غَالِبُهُ
رَأَيْتُ تَبَاشِيرَ الْعُقُوقِ هِيَ الَّتِي مِنْ ابْنِ أَمْرِيءَ مَا إِنْ يَزَالُ يُعَاتِبُهُ
وَلَمَّا رَأَيْتُ قَدْ كَبِرْتُ وَأَنْتَنِي أَخُو الْحَيِّ وَاسْتَغْنَى عَنِ الْمَسْحِ شَارِبُهُ
أَصَاحُ لَغْرِبَانَ النَّجِيِّ وَأَنَّهُ لِأَزُورُ عَنْ بَعْضِ الْمَقَالَةِ جَانِبُهُ¹

قال أبو عبيدة في كتاب النقائض : قال رؤبة بن العجاج : حجَّ سليمان بن عبد الملك ،
وحجَّت معه الشعراء ، فمرَّ بالمدينة منصرفاً ، فأتى بأسرى من الرُّوم نحو أربعمائة ، ففقد
سليمان ، وعنده عبد الله بن حسن بن حسن ، عليهم السلام ، وعليه ثوبان مُمَصَّرَان² ، وهو
أقربهم منه مجلساً ، فأدناؤه إليه بطريقهم ، وهو في جماعة³ ، فقال لعبد الله بن حسن : قم ،
فاضرب عنقه فقام ، فما أعطاه أحد سيفاً ، حتى دفع إليه حَرْسِيَّ سيفاً كليلاً ، فضربه ، فأبان
عنقه وذراعه ، وأطن⁴ ساعده وبعض الغلّ ، فقال له سليمان : والله ما ضربته بسيفك ولكن
بحسبك ، وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه ، فيقتلونهم ، حتى دفع إلى جرير رجلاً منهم ،
فدسَّت إليه بنو عيس سيفاً قاطعاً في قراب أبيض ، فضربه ، فأبان رأسه ، ودُفِعَ إلى الفرزدق
أسير ، فدسَّت إليه القيسيَّة سيفاً كليلاً ، فضرب به الأسير ضربات ، فلم يصنع شيئاً ،
فضحك سليمان وضحك الناس معه . وقيل : إنَّ سليمان لما دفع إليه الأسير دفع إليه سيفاً ،
وقال : اقتله به ، فقال : لا ، بل أقتله بسيف مجاشع ، واختلط سيفه ، فضربه ، فلم يُغْنِ
شيئاً ، فقال سليمان : أما والله لقد بقي عليك عارُها وشنارها ، فقال جرير قصيدته التي
يهجوها فيها ، وأولها :

[من الطويل]

1 غريان النجبي : قرناء السوء .

2 ممصران : مصبوغان : بصيغ أصفر .

3 جماعة : قيد يجمع اليدين إلى الرجلين .

4 أطن : قطع .

ألا حيّ ربعَ المنزل المتقادمِ وما حُلّ مُدّ حَلَّتْ به أمٌ سالمِ
منها :

ألم تشهد الجَوْنَيْنِ والشَّعْبَ ذا العَضَى
تُحَرِّضُ يا ابنَ القَيْنِ قيساً ليجعلوا
بسيْفِ أبي رَغَوَانَ سيفَ مُجاشعِ
ضربتَ به عند الإمامِ فَارْعِشْتَ
فقال الفرزدق يجيب جريراً عن قوله :

وهل ضربةُ الرُّوميِّ جاعلةٌ لكم
كذاك سيوفُ الهندِ تنبو ظُبَاتُها
ولا نقتلُ الأسرى ولكن نفكُّهُمْ
إذا أثقلَ الأعناقَ حملُ المغارمِ

وقال يعرّضُ بسليمانَ ، ويعيّره نُبوَّ سيفِ ورقاءِ بنِ زهير العبسيّ خالد بن جعفر ، وبنو عبس هم أحوال سليمان :

فإن يلكُ سيفُ خانٍ أو قَدَرٌ أبي
فسيفُ بني عبسٍ وقد ضربوا به
كذاك سيوفُ الهندِ تنبو ظُبَاتُها
وتقطعُ أحياناً مناطُ القلائدِ
بتعجيلِ نفسٍ حتفها غيرُ شاهدِ
نبا يبدّي ورقاءَ عن رأسِ خالدِ
وأولها :

تباشرُ يربوعٌ نبوةَ ضربةٍ
ولو شئتُ قدَّ السيفُ ما بين عنقه
ضربتُ بها بين الطُّلا والمُحارِدِ⁵
إلى علّقَ بين الحِجَاجَيْنِ جامِدِ⁶

وقيل : إنَّ الفرزدق قال لسليمان : يا أمير المؤمنين ، هب لي هذا الأسير ، فوهبه له ،

- 1 الجونان : عمرو ومعاوية ابنا الجون . ويوم دير الجماجم يوم مشهور كان بين محمد بن الأسقف الخارج على بني أمية وجيوش بني أمية .
- 2 يوم الأرقام كان بين قيس وبني تغلب .
- 3 أبو رغوان : كنية مجاشع جد الفرزدق . مجاشع : أحد أجداد الفرزدق . وابن ظالم : الحارث بن ظالم من فُتاك العرب المشهورين .
- 4 كليب : جد جرير . ودارم : جد الفرزدق .
- 5 الطُّلا : الأعناق . والمُحارِد : مفاصل الأعناق .
- 6 العلق : ما تجمد من الدم .

فأعتقه ، وقال الأبيات التي منها : [من الطويل]

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكُّهم إذا أثقلَ الأعناقَ حملُ المغارمِ

ثم أقبل على راويته ، فقال : كأنِّي بابتِ المِراغة ، وقد بلغه خبري ، فقال :

بسيفِ أبي رَغَوَانَ سيفٍ مجاشعٍ ضربتَ ولم تضربْ بسيفِ ابنِ ظالمِ

ضربتَ به عندَ الإمامِ فارِعتُ يداكِ وقالوا مُحدثٌ غيرِ صارمِ

فما لبثنا إلَّا أَيْاماً يسيرةً ، حتَّى جاءتنا القصيدة ، وفيها البيتان ، فعجبنا من فطنة الفرزدق ،

وقال أيضاً في ذلك : [من البسيط]

أعجبُ النَّاسُ أنْ أضْحَكْتُ خَيْرَهُمُ خَلِيفَةَ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ

فما نبا السيفُ عن جُبْنٍ وعن ذَهْشٍ عندَ الإمامِ ولكنْ أخَّرَ القَدْرُ

ولو ضربتُ به عَمْدًا مُقْلَدُهُ لَخَرَّ جِثْمَانُهُ مَا فَوْقَهُ شَعْرٌ¹

وما يُقَدِّمُ نَفْسًا قَبْلَ مِيتَتِهَا جَمَعَ الْيَدَيْنِ وَلَا الصَّمْصَمَةَ الذِّكْرُ²

[من شعره في السجن]

وأخبرني عبد الله بن مالك قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، عن أبي عبيدة ، قال : هجا

الفرزدق خالداً القسريّ وذكرَ المبارك : النهرَ الذي حفره بواسط ، فبلغه ذلك ، وكتب خالد

إلى مالك بن المنذر أن احبس الفرزدقَ فإنَّه هجا نهرَ أمير المؤمنين بقوله : [من الطويل]

وأهلكَ مالَ اللَّهِ في غيرِ حقِّه على نهرِكَ المشؤومِ غيرَ المباركِ

الآيات ، فأرسل مالك إلى أيوبَ بن عيسى الضبيّ ، فقال : ائتني بالفرزدق ، فلم يزل

يعمل فيه حتَّى أخذه ، فطلب إليهم أن يَمروا به على بني حنيفة ، فقال الفرزدق : ما زلت

أرجو أن أنجو حتَّى جاوزت بني حنيفة ، فلمَّا قيل للملك : هذا الفرزدق انتفخ وريدُ مالك

غضباً ، فلمَّا أُدْخِلَ عليه قال : [من الطويل]

أقولُ لِنَفْسِي حينَ غَصَّتْ بِرِيقِهَا أَلَا لَيْتَ شَعْرِي مَا لَهَا عِنْدَ مَالِكٍ ؟

لَهَا عِنْدَهُ أَنْ يَرْجِعَ اللَّهُ رُوحَهَا إِلَيْهَا وَتَنْجُو مِنْ جَمِيعِ الْمَهَالِكِ

وَأَنْتَ ابْنُ جَبَّارِي رِبِيعَةً أَدْرَكَتْ بِكَ الشَّمْسُ وَالْخَضِرَاءُ ذَاتَ الْحَبَائِكِ³

1 عمداً في الديوان 291/1 على عمد .

2 صدر البيت في الديوان 291/1 : ما يجعل السيف نفساً قبل ميتتها . الصمصامة : السيف الذي لا يتنيه الضراب .

3 الخضراء : السماء . والحبايك : جمع حبيكة ، وهي مسير النجم .

فسكن مالك ، وأمر به إلى السجن ، فقال يهجو أيوب بن عيسى الضبي : [من الطويل]

فلو كنت قسيّاً إذا ما حبستني ولكن زنجياً غليظاً مشافرة
مَتَّ له بالرحم بيني وبينه فالفيتة مني بعيداً أواصرة
وقلت : امرؤ من آل ضبة فاعتزى لغيرهم لونُ استه ومحاجرة
فسوف يرى النوبي ما اجترحت له يده إذا ما الشعر عيت نوافرة
ستلقي عليك الخنفساء إذا فست عليك من الشعر الذي أنت حاذرة
وتأتي ابن زُب الخنفساء قصيدة تكون له مني عذاباً يباشرة
تعذرت يا ابن الخنفساء ولم تكن لتقبل لابن الخنفساء معاذرة
فإنكما يا بني يسار نزوتما على ثفرها ما حن للزيت عاصرة¹
لزنجة بظراء شقق بظرها زحير بأيوب شديد زوافرة²

ثم مدح خالد بن عبد الله ومالك بن المنذر وهو محبوس مديحاً كثيراً ، فأنشدني يونس في كلمة له طويلة :

يا مال هل هو مهلكي ما لم أقل ولعلمن من القصائد قبلي
يا مال هل لك في كبير قد أتت تسعون فوق يديه غير قليل³
فتجير ناصيتي وتفرج كربتي عني وتطلق لي يدك كبولي⁴
ولقد بنى لكم المعلى ذروة رفعت بناءك في أشم طويل⁵
والخيل تعلم في جذيمة أنها تردى بكل سميدع بهلول⁶
فاسقوا فقد ملأ المعلى حوضكم بذنوب ملتهم الرباب سجيل⁷

وقال يمدح مالكا وكانت أم مالك هذا بنت مالك بن مسمع : [من الوافر]
وقرم بين أولاد المعلى وأولاد المسامعة الكرام

1 الثفر : المهبل .

2 الزحير : أين المرأة عند المخاض .

3 كبير في الديوان 122/2 : أسير .

4 فتجير في الديوان 122/2 : فتجز .

5 الشطر الأول في الديوان 121/2 : ولقد نمت بك للمعلى سورة .

6 تردى في الديوان 123/2 : تعدو .

7 الرباب في الديوان 123/2 : الذناب .

تَحْمَطُ فِي رِبْعَةٍ بَيْنَ بَكَرٍ وَعَبْدِ الْقَيْسِ فِي الْحَسْبِ اللُّهُامُ¹
 فَلَمَّا لَمْ تَنْفَعَهُ مَدِيحَةُ مَالِكٍ ، قَالَ يَمْدَحُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَيَعْتَزِرُ إِلَيْهِ : [مِنَ الطَّوِيلِ]
 أَلْكُنِّي إِلَى رَاعِي الْبَرِيَّةِ وَالَّذِي لَهُ الْعَدْلُ فِي الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ نَوْرًا²
 فَإِنْ تُنْكِرُوا شَعْرِي إِذَا خَرَجْتُ لَهُ بِوَادِرُ لَوْ يُرْمَى بِهَا لَتَفْقَرًا³
 ثَبِيرَ وَلَوْ مَسَّتْ حِرَاءَ لِحَرَكْتِ بِهِ الرَّاسِيَاتِ الصَّمَّ حَتَّى تَكْوَرًا⁴
 إِذَا قَالَ غَاوٍ مِنْ مَعَدٍّ قَصِيدَةً بِهَا حَرْبٌ كَانَتْ وَبَالًا مُدْمَرًا⁵
 أَيْطِقُهَا غَيْرِي وَأُرْمِي بِجُرْمِهَا فَكَيْفَ الْيَوْمَ الدَّهْرَ أَنْ يَتَغَيَّرَا
 لَنْ صَبَرْتُ نَفْسِي لَقَدْ أُمِرْتُ بِهِ وَخَيْرُ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ كَانَ أَصْبَرَا
 وَكُنْتُ ابْنَ أَحْذَارٍ وَلَوْ كُنْتُ خَائِفًا لَكُنْتُ مِنَ الْعَصْمَاءِ فِي الطُّودِ أَحْذَرًا⁶
 وَلَكِنْ أَتَوْنِي آمِنًا لَا أَخَافُهُمْ نَهَارًا وَكَانَ اللَّهُ مَا شَاءَ قَدَرَا

أَخْبَرَنِي أَبُو خَلِيفَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو يَحْيَى قَالَ : قَالَ الْفَرَزْدَقُ لِابْنِهِ لَبْطَةَ وَهُوَ مَحْبُوسٌ اشْخَصْ إِلَى هِشَامٍ ، وَامْدَحْهُ بِقَصِيدَةٍ ، وَقَالَ : اسْتَغْنِ بِالْقَيْسِيَّةِ ، وَلَا يَمْنَعُكَ قَوْلِي فِيهِمْ فَإِنَّهُمْ سَيَغْضَبُونَ لَكَ وَقَالَ :

بَكَتْ عَيْنُ مُحْزُونٍ فَفَاضَ سَجَامُهَا وَطَالَتْ لِيَالِي سَاهِرٍ لَا يَنَامُهَا⁷
 فَإِنْ تَبَكَ لَا تَبَكَ الْمَصِيبَاتُ إِذْ أَتَى بِهَا الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ جَمٌّ خِصَامُهَا
 وَلَكِنَّمَا تَبْكِي تَهْتِكُ خَالِدَ مُحَارَمٍ مِّنَّا لَا يَحِلُّ حَرَامُهَا⁸
 فَقُلْ لِبْنِي مِرْوَانَ : مَا بَالُ ذِمَّةِ وَحَرَمَةِ حَقٍّ لَيْسَ يُرْعَى ذِمَامُهَا⁹
 أَنْتَقَتْلَ فِيكُمْ أَنْ قَتَلْنَا عَدُوَّكُمْ عَلَى دِينِكُمْ وَالْحَرْبِ بَاقٍ قَتَامُهَا

1 الحسب اللّهُام : الذي يلتهم كل حسب غيره ، ويغطي عليه .

2 أَلْكُنِّي : احمل عني ألوكة ؛ رسالة .

3 تفقر : تقسم فقرا .

4 تكور : تهدم .

5 الحَرْب : الويل والهلاك .

6 العصماء : الطيور العصماء : التي في جسمها بياض .

7 ل ، وفي الديوان 2/39 : حادث لا .

8 تهتك في الديوان 2/240 : تهتك .

9 حق في الديوان 2/240 : حل .

أَتَاكَ بِقَتْلِ ابْنِ الْمُهَلَّبِ خَالِدٌ
فَغَيْرٌ ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّهَا
أَرَى مُضَرَ الْمِصْرِينَ قَدْ ذَلَّ نَصْرُهَا
فَمَنْ مُبْلَغٌ بِالشَّامِ قَيْسًا وَخِنْذِفًا
أَحَادِيثُ مَنْ نَشْتَكِيهَا إِلَيْهِمْ
فَإِنْ مَنْ بَهَا لَمْ يُنْكِرِ الضِّيمَ مِنْهُمْ
نَمَتْ مِثْلُهَا مِنْ مِثْلِهِمْ وَتُنَكَّلُوا
بِغِلْبَاءٍ مِنْ جُمُهورِنَا مُضَرِّيَّةٍ
وَيُبِضُ عَلَى هَامِ الرِّجَالِ كَانَتْهَا
غَضِينَا لَكُمْ يَا آلَ مِروَانَ فَاغْضَبُوا
وَلَا تَقْطَعُوا الْأَرْحَامَ مَنْ فَإِنَّهَا
أَلَمْ تَكُ فِي الْأَرْحَامِ مَنْ وَمِنْكُمْ
فَرَعَى قَرِيشٌ مِنْ تَمِيمٍ قَرَابَةً
لَقَدْ عَلِمْتَ أَبْنَاءَ خِنْذَفٍ أَتْنَا
وَقَدْ عَلِمَ الْأَحْيَاءُ مِنْ كُلِّ مَوْطِنٍ
وَأَنَا إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ تَضَرَّمتْ
قَوَامُ قُوى الْإِسْلَامِ وَالْأَمْرِ كُلِّهِ
تَمِيمٌ الَّتِي تَخْشَى مَعَدُّ وَغَيْرُهَا
إِلَى اللَّهِ تَشْكُو عِزَّنَا الْأَرْضُ فَوْقَهَا
شَكْتَنَا إِلَى اللَّهِ الْعَزِيزِ فَاسْمَعْتُ

وَفِينَا بَقِيَّاتُ الْهَدْيِ وَإِمَامُهَا¹
يَمَانِيَّةٌ حَمَقَاءُ أَنْتَ هَشَامُهَا
وَلَكِنْ عَسَى أَنْ لَا يَذِلَّ شَامُهَا²
أَحَادِيثُ مَا يُشْفَى بِبِرِّهِ سَقَامُهَا
وَمُظْلَمَةٌ يَغْشَى الْوُجُوهَ قَتَامُهَا
فَيَغْضَبُ مِنْهَا كَهْلُهَا وَغِلَامُهَا
فَيَعْلَمُ أَهْلُ الْجَوْرِ كَيْفَ انْتِقَامُهَا³
يُزَايِلُ فِيهَا أَذْرَعَ الْقَوْمِ هَامُهَا⁴
كَوَاكِبُ يَحْلُوها لِسَارِ ظِلَامُهَا⁵
عَسَى أَنْ أَرْوَاحًا يَسُوءُ طَعَامُهَا
ذُنُوبٌ مِنَ الْأَعْمَالِ يُخْشَى أَثَامُهَا
حَوَاجِزُ أَيَّامٍ عَزِيزٍ مَرَامُهَا
وَنَجْزَى بِأَيَّامٍ كَرِيمٍ مَقَامُهَا
ذُرَاهَا وَأَنَا عِزُّهَا وَسَنَامُهَا
إِذَا عُذَّتِ الْأَحْيَاءُ أَنَا كَرَامُهَا
نَلِيهَا إِذَا مَا الْحَرْبُ شُبَّ ضَرَامُهَا
وَهَلْ طَاعَةٌ إِلَّا تَمِيمٌ قَوَامُهَا⁶
إِذَا مَا أَبِي أَنْ يَسْتَقِيمَ هَمَامُهَا
وَتَعْلَمُ أَنَا ثِقْلُهَا وَغَرَامُهَا
قَرِيبًا ، وَأَعْيَا مَنْ سِوَاهِ كَلَامُهَا

1 أأتاك في الديوان 240/2 : وثار .

2 عسى في الديوان 240/2 ولكن قيساً .

3 نمت في الديوان 240/2 يعد .

4 هامها في الديوان 240/2 : لاهما .

5 ويبض على هام الرجال في الديوان 240/2 : ويبض علاهن الدجال ، وهو فرند السيف . يحلوها في الديوان : يحلوها .

6 قوى : في الديوان 241/2 : غرى .

نصولُ بحول الله في الأمرِ كلَّه إذا خيف من مصدوعةٍ ما التثامها
فأعانتَه القيسيةُ وقالوا : كلِّما كان ناب من مُضَرَّ أو شاعر أو سيِّد وثب عليه خالد وقال
الفرزدق أبياتاً كتب بها إلى سعيد بن الوليد الأبرش وكلم له هشاماً : [من الطويل]

إلى الأبرشِ الكلبِيَّ أسندتُ حاجةً توأكلها حيّاً تميمٍ ووائل
على حين أن زلت بي النعل زلّةً فأخلف ظنّي كلُّ حافٍ وناعل
فدونكها يا ابن الوليد فإنها مفضّلة أصحابها في المحافل
ودونكها يا ابن الوليد فقم بها قيام امرئ في قومه غير خامل
فكلّم هشاماً وأمر بتخليته فقال يمدح الأبرش : [من الطويل]

لقد وثب الكلبِيُّ وثبةً حازمٍ إلى خير خلق الله نفساً وعُصرا
إلى خير أنباء الخليفة لم يجد لحاجته من دونها متأخراً
أبى حلفُ كلبٍ في تميمٍ وعقدُها كما سنّت الآباء أن يتغيّراً
وكان هذا الحلفُ حلفاً قديماً بين تميم وكتب في الجاهلية ، وذلك قول جرير بن
الخطّفي في الحلف : [من الطويل]

تميمٌ إلى كلبٍ وكتب إليهم أحقُّ وأدنى من صُداءٍ وحِميراً
وقال الفرزدق : [من الطويل]

أشدُّ جبالٍ بين حيّين مِرّةً جبالٌ أُمِرَّت من تميمٍ ومن كلبٍ¹
وليس قُضاعيٌّ لدينا بخائفٍ ولو أصبَحَتْ تغلي القدورُ من الحربِ
وقال أيضاً :

ألم ترَ قيساً قيسَ عيلانَ شمّرتَ لنصري وحاطتني هناك قُرومها
فقد حالفت قيساً على النأي كلُّهم تميماً فهم منها ومنها تميمها
وعادت عدوّي إن قيساً لأسرتي وقومي إذا ما الناسُ عُداً صميمها
[شرطيان يعثنان به]

أخبرني ابن دريد : قال حدثني أبو حاتم ، عن أبي عبيدة ، قال : بينما الفرزدق
جالس بالبصرة أيام زياد في سِكَكةٍ ليس لها منفذ إذ مرّ به رجلان من قومه كانا في الشرطة

وهما راكبان ، فقال أحدهما لصاحبه : هل لك أن أفرّعه ، وكان جبناً ، فحرّكا دابّتيهما نحوه فأدبر مؤلياً فعثر في طرف برده فشقه ، وانقطع شيسعُ نعليه ، وانصرفا عنه ، وعرف أنّهما هزئاً منه فقال : [من الطويل]

لقد خار إذ يُجري عليّ حمّاره ضيرارُ الخنا والعبريُّ بن أخوقا
وما كنتُ لو خوَقْتُماني كلاكما بأميكمَا عُرْيَانَتَيْنِ لأفرقا
ولكنّما خوَقْتُماني بخادر شتيمٍ إذا ما صادف القرن مرّقا¹

[حديثه مع توبة وليل الإخيلية]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدّثنا محمد بن موسى ، قال : حدّثنا القحذمي عن بعض ولد قتيبة بن مسلم بن ابن زالان المازني ، قال : حدّثني الفرزدق ، قال : لما طردني زيادٌ أتيت المدينة وعليها مروان بن الحكم ، فبلغه أنّي خرجت من دار ابن صياد ، وهو رجل يزعم أهل المدينة أنّه الدجال ، فليس يكلمه أحد ، ولا يجالسه أحد ، ولم أكن عرفتُ خبره ، فأرسل إليّ مروان فقال : أتدري ما مثلك . حديث تحدّث به العرب : أن ضُبْعاً مرّت بحيّ قوم ، وقد رحلوا ، فوجدتُ مرّة ، فنظرت وجهها فيها ، فلمّا نظرت قُبْح وجهها ألقتها ، وقالت : من شرّ ما أطرحك أهلك² ، ولكن من شرّ ما أطرحك أميرك ، فلا تقيمَنَّ بالمدينة بعد ثلاثة أيّام ، قال : فخرجتُ أريد اليمن ، حتى إذا صرتُ بأعلى ذي قسيّ ، وهو طريق اليمن من البصرة ، فإذا رجل مقبل ، فقلت : من أين أوضع الراكب³ ؟ قال : من البصرة ، قلت : فما الخبر وراءك ؟ قال : أتانا أن زياداً مات بالكوفة ، قال : فنزلتُ عن راحلتي ، فسجدتُ ، وقلت : لو رجعت ، فمدحتُ عبيد الله بن زياد ، وهجوت مروان بن الحكم ، فقلت : [من الطويل]

وقفتُ بأعلى ذي قسيّ مطيّي أميلُ في مروان وابن زيادِ
فقلت : عبيدُ الله خيرُهما لنا وأدناهما من رافيةٍ وسَدادِ

ومضيت لوجهي ، حتى وطئتُ بلاد بني عُقَيْل فوردت ما بين مياهم فإذا بيتٌ عظيم وإذا فيه امرأةٌ سافرة لم أرَ كحسنها وهيئتها قطّ ، فدنوتُ ، فقلت : أتأذنين في الظلّ ؟ قالت : انزل فلنك الظلّ والقرى ، فأنختُ ، وجلست إليها ، قال : فدعّت جاريةً لها سوداءً كالرّاعية ، فقالت : ألطفه⁴ شيئاً واسعِي إلى الرّاعي ، فرُدّي عليّ شاة ، فاذبحيها له ،

1 الخادر الشّميم : الأسد .

2 مثل : ورد في مجمع الأمثال 310/2 وكتاب الفاجر للمفضل بن سلمة الضبيّ 215 .

3 أوضع الراكب الدابة : حملها على المسير .

4 ألطف فلان فلاناً : أحفقه وبرّه .

وَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ تَمْرًا وَزَبْدًا ، قَالَ : وَحَادِثُهَا فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَهَا قَطُّ ، مَا أَتَشَدَّثُهَا شِعْرًا إِلَّا أَتَشَدَّثُنِي أَحْسَنَ مِنْهُ ، قَالَ : فَأَعْجِبْنِي الْمَجْلِسَ وَالْحَدِيثَ إِذَا أَقْبَلَ رَجُلٌ بَيْنَ بُرْدَيْنِ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ رَمَتْ بِيرْقَعَهَا عَلَى وَجْهِهَا ، وَجَلَسَ وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ بِوَجْهِهَا وَحَدِيثُهَا ، فَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ غِيظٌ ، فَقُلْتُ لِلْحَيِّنِ : هَلْ لَكَ فِي الصَّرَاعِ ؟ فَقَالَ : سَوَاءٌ لَكَ¹ ، إِنَّ الرَّجُلَ لَا يَصَارِعُ ضَيْفَهُ ، قَالَ : فَأَلَحَّحْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَتْ لَهُ : مَا عَلَيْكَ لَوْ لَا عُبَيْتَ ابْنَ عَمِّكَ ؟ فَقَامَ ، وَقَمْتُ ، فَلَمَّا رَمَى بِيرْدَهُ ، إِذَا خَلَقٌ عَجِيبٌ ، فَقُلْتُ : هَلَكْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ، فَقَبِضَ عَلَى يَدِي ، ثُمَّ اخْتَلَجَنِي² إِلَيْهِ ، فَصُرْتُ فِي صَدْرِهِ ، ثُمَّ حَمَلَنِي ، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا أَتَقَيْتُ الْأَرْضَ إِلَّا بظْهِرِ كَبْدِي وَجَلَسَ عَلَى صَدْرِي ، فَمَا مَلَكَتْ نَفْسِي أَنْ ضَرَطْتُ ضَرْطَةً مَنَكْرَةً ، قَالَ : وَثُرْتُ إِلَى جَمْلِي فَقَالَ : أَتَشَدُّكَ اللَّهُ ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : عَافَاكَ اللَّهُ الظِّلَّ وَالْقَرَى ، فَقُلْتُ : أَخْزَى اللَّهُ ظِلَّكُمْ وَقِرَاكُمْ ، وَمَضَيْتُ ، فَبَيْنَا أَسِيرُ إِذْ لَحَقَنِي الْفَتَى عَلَى نَجِيبٍ يَجْنُبُ بُخْتِيًّا³ بِرَحْلِهِ وَزِمَامِهِ ، وَكَانَ رَحْلُهُ مِنْ أَحْسَنِ الرِّحَالِ ، فَقَالَ : يَا هَذَا ، وَاللَّهِ مَا سَرَّنِي مَا كَانَ ، وَقَدْ أَرَاكَ أَبْدَعْتَ أَيَّ كَلَّتْ رِكَابُكَ ، فَخَذَ هَذَا النَّجِيبَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُخَدَّعَ عَنْهُ ، فَقَدْ وَاللَّهِ أُعْطِيتُ بِهِ مَائَتِي دِينَارٍ قُلْتُ : نَعَمْ آخِذْهُ ، وَلَكِنْ أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ ؟ وَمَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ ؟ قَالَ : أَنَا تَوْبَةُ بْنُ الْحُمَيْرِ ، وَتِلْكَ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ عَمِّي .

[رواية أخرى في الخبر السابق]

قَالَ : حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْبَارِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، عَنْ الْأَصْمَعِيِّ ، قَالَ : كَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ عُقَيْلٍ يُقَالُ لَهَا لَيْلَى ، يَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا الشَّبَابُ ، فَدَخَلَ الْفَرَزْدَقُ إِلَيْهَا ، فَجَعَلَ يَحَادِثُهَا ، وَأَقْبَلَ فَتَى مِنْ قَوْمِهَا ، كَانَتْ تَأْلَفُهُ ، وَدَخَلَ إِلَيْهَا فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ بِحَدِيثِهَا ، وَتَرَكْتُ الْفَرَزْدَقَ ، فغَاظَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ لِلرَّجُلِ : أَتُصَارِعُنِي ؟ قَالَ : ذَلِكَ إِلَيْكَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَخَذَ الْفَرَزْدَقَ مِثْلَ الْكَرَةِ فَصَرَعَهُ ، وَجَلَسَ عَلَى صَدْرِهِ ، فَضَرَطَ الْفَرَزْدَقُ ، فَوَثَبَ عَنْهُ الرَّجُلُ خَجَلًا ، وَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : يَا أَبَا فِرَاسٍ ، هَذَا مَقَامُ الْعَاثِدِ بِكَ ، وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِكَ مَا جَرَى ، فَقَالَ : وَيْحَكَ ، مَا بِي أَنْ صَرَعْتَنِي ، وَلَكِنْ كَأَنِّي بَابِنِ الْأَتَانِ جَرِيرٍ ، وَقَدْ بَلَغَهُ خَبْرِي هَذَا ، فَقَالَ يَهْجُونِي :

[من الطويل]

جَلَسْتَ إِلَى لَيْلَى لِتَحْطَى بِقُرْبِهَا فَخَانَكَ دُبُرٌ لَا يَزَالُ يَخُونُ

1 سَوَاءٌ لَكَ : أَتَيْتُ مَا يَشِينُ .

2 اخْتَلَجَهُ : جَذَبَهُ .

3 الْبُخْتِيُّ : وَاحِدُ الْبُخْتِ ، وَهِيَ الْإِبِلُ الْخَرَّاسَانِيَّةُ .

فلو كنتَ ذا حزمٍ شددتَ وكاءها كما شدَّ خرْتاً للدِّلاص قُيون¹

قالوا : فوالله ما مضت أيام حتى بلغ جريراً الخبر ، فقال فيه هذين البيتين .

[يقضي يوماً كيوم دارة جلجل]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثني محمد بن موسى ، قال : حدَّثني القحذمي ، قال : حدَّثني بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن زالان التميمي راوية الفرزدق ، أن الفرزدق قال : أصابنا بالبصرة مطر² جَوْدٌ ليلاً ، فإذا أنا بأثر دوابٍّ قد خرجت ناحية البرية ، فظننت قوماً قد خرجوا لنزهة ، فقلت : خليقُ أن تكون معهم سُفرةً وشرابٌ ، فقصصتُ أثرهم ، حتى وقفت إلى بغال عليها رحائل موقوفة على غدير ، فأغدذت السير نحو الغدير ، فإذا نسوة مستنقعات في الماء ، فقلت : لم أرَ كالיום قطّ ، ولا يوم دارة جُلجل ، وانصرفتُ مستحيّاً منهن ، فناديتني : بالله يا صاحب البغلة ، ارجع نسألك عن شيء ، فانصرفتُ إليهن ، وهنّ في الماء إلى حلوقهنّ ، فقلن : بالله إلا ما خبرتنا بحديث دارة جلجل³ ، فقلت : إن امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عمٍّ له يقال لها عُنيزة ، فطلبها زماناً ، فلم يصل إليها ، وكان في طلب غيرةً ، من أهلها ؛ ليزورها ، فلم يُقض له ، حتى كان يوم الغدير ، وهو يوم دارة جلجل ، وذلك أن الحيّ احتملوا ، فتقدّم الرجال ، وتخلّف النساء والخدم والثقل⁴ ، فلمّا رأى ذلك امرؤ القيس تخلّف بعدما سار مع قومه غلوةً ، فكمن في غيابة من الأرض ، حتى مرّ به النساء فإذا فتيات ، وفيهنّ عُنيزة ، فلمّا وردن الغدير قلن : لو نزلنا فذهب عنا بعض الكلال ، فنزلن إليه ، ونحِنّ العبيد عنهنّ ، ثم تجردن فاغتسبن في الغدير ، كهيتكن الساعة ، فأتاهنّ امرؤ القيس محتالاً كسحو ما أتيكنّ ، وهنّ غوافل ، فأخذ ثيابهنّ ، فجمعها ، ورمى الفرزدق بنفسه عن بغلته فأخذ بعض أثوابهنّ ، فجمعها ، ووضعها على صدره ، وقال لهنّ كما أقول لكنّ : والله لا أعطي جارية منكنّ ثوبها ، ولو أقامت في الغدير يومها ، حتى تخرج مجردةً ، قال الفرزدق : فقالت إحداهنّ ، وكانت أمجنهنّ : ذلك كان عاشقاً لابنة عمّه ، أفعاشق أنت لبعضنا ؟ قال : لا والله ، ما أعشق منكنّ واحدةً ، ولكن أشتهيكنّ ، قال : فنعرن⁵ ، وصفقن

1 الوكاء : الخيط الذي تربط به الصرة أو الكيس ونحوهما . الخرت : الثقب . الدلاص : الدرع اللينة . قيون :

جمع قين ، وهو الحداد .

2 المطر الجود : المطر الغزير .

3 دارة جلجل : مكان أشار إليه امرؤ القيس في معلقته .

4 الثقل : المتاع .

5 نعرن : صوّتن بخياشيمهنّ أصواتاً فيها غنة .

بأيديهنّ ، وقلن : خذ في حديثك ، فليست منصرفاً إلّا بما تحبّ ، قال الفرزدق في حديث امرئ القيس : فتأين ذلك عليه حتى تعالى النهار ، ثم خشين أن يُقصرنّ دون المنزل الذي أردنه ، فخرجت إحداهنّ ، فوضع لها ثوبها ناحية ! فأخذته فليسته ، ثم تتابعن على ذلك حتى بقيت غُنيزة ، فناشدته الله أن يطرح إليها ثوبها ، فقال : دعينا منك ؛ فأنا حرام إن أخذت ثوبك إلّا بيدك ، فخرجت فنظر إليها مقبلة ومدبرة ، فوضع لها ثوبها ، فأخذته ، وأقبلن عليه يُلْمِنه ، ويعذُلّنه ، ويقلن : عريّتنا ، وحسنتنا ، وجوّعنا ، قال : فإن نخرت لكن مطيّتي أتأكلن منها ؟ قلن : نعم ، فاخترط¹ سيفه ، فعقرها ، ونحرها ، وكشطها ، وصاح بالخدم ، فجمعوا له حطباً ، فأجّج ناراً عظيمة ، ثم جعل يقطع لهنّ من سنامها وأطايها وكبدها ، فيُلقيها على الجمر ، فيأكلن ، ويأكل معهن ، ويشرب من ركوة² كانت معه ويغنيهنّ ، وينبذ إلى العبد والخدم من الكباب ، حتى شعبن ، وطربن ، فلمّا أراد الرّحيل قالت إحداهنّ ، أنا أحمل طفنسته³ ، وقالت الأخرى : أنا أحمل رحله ، وقالت الأخرى : أنا أحمل حشيتّه وأنساعه⁴ ، فتقسّمن متاع راحلته بينهنّ ، وبقيت غُنيزة لم يُحملها شيئاً ، فقال لها امرؤ القيس : يا ابنة الكرام ، لا بدّ لك أن تحمليني معك ؛ فإنّي لا أطيق المشي ، وليس من عادتي ، فحملته على غارب بعيرها ، فكان يُدخل رأسه في خدرها ، فيقبلها ، فإذا امتنعت مالَ حُدْجها⁵ ، فنقول : يا مرأ القيس ، عقرت بعيري ، فانزل ، فذلك قوله : [من الطويل]

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً : عقرت بعيري يا مرأ القيس فانزل

فلمّا فرغ الفرزدق من الحديث قالت تلك الماجنة : قاتلك الله ، ما أحسن حديثك يا فتى وأظرفك ، فمن أنت ؟ قال : قلت : من مُضَرّ ، قالت : ومن أيّها ؟ فقلت : من تميم ، قالت : ومن أيّها ؟ قلت : إلى ههنا انتهى الكلام ، قالت : إنخالك والله الفرزدق قلت : الفرزدق شاعر وأنا راوية ، قالت : دعنا من توريتك على نسبك ، أسألك بالله ، أنت هو ؟ قال : أنا هو والله ، قالت : فإن كنت أنت هو فلا أحسبك مفارقاً ثيابنا إلّا عن رضا ، قلت : أجل ، فاصرف وجهك عنّا ساعة وهمست إلى صويحاتها بشيء لم أفهمه ، فغططن في الماء ، فتوارين ، وأبدين رؤوسهنّ ، وخرجن ، ومع كلّ واحدة منهنّ ملء كفيها طيناً ، وجعلت

1 اخترط سيفه : سلّه من غمده .

2 الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء ، أو الدلو الصغير .

3 الطُنْفُسة : الوسادة الصغيرة تجعل تحت الرجل .

4 الأنساع : سيور طويلة عريضة تشدّ بها الحفائب والرّجال .

5 الحُدْج : مركب من مركب من مراكب النساء .

يتعادين نحوي ، فضرَبَنَ بذلك الطين والحماة¹ وجهي ، وملأَن عيني وثيابي ، فوقعتُ على وجهي ، فصرت مشغولاً بعيني وما فيها ، وشددن على ثيابهنّ ، فأخذنها ، وركبت الماجة بغلتي ، وتركتني منبطحاً بأسوأ حال وأخزأها وهي تقول : زعم الفتى أنّه لا بدّ أن ينيكنا ، فما زلت من ذلك المكان حتى غسلت وجهي وثيابي ، وجففتها ، وانصرفت عند مجيء الظلام إلى منزلي على قدمي ، وبغلتي قد وجهن بها إلى منزلي مع رسولهنّ ، وقُلن : قُلْ له تقول لك أخواتك : طلبت منا ما لم يمكننا ، وقد وجهنا إليك بزوجتك ، فيكها سائر ليلتك وهذا كسر² درهم لحمامك إذا أصبحت ، فكان إذا حدث بهذا الحديث يقول : ما مُنيت بمثلهنّ .

[يهجو من يرثي زياداً]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدّثنا أبو مسلم الحرّانيّ ، قال : حدّثني الأصمعيّ ، قال : حدّثنا العلاء بن أسلم ، قال : لما مات زياد رثاه مسكين الدارميّ ، فقال الفرزدق :

أَمْسِكُنْ أَبْكَى اللَّهِ عَيْنِكَ إِنَّمَا جَرَى فِي ضَلَالٍ دَمْعُهَا إِذْ تَحَدَّرَا
بَكَيْتَ امْرَأً مِنْ آلِ مَيْسَانَ كَافِراً كَكَسْرَى عَلَى عِدَانِهِ أَوْ كَقَيْصِرَا³
أَقُولُ لَهُ لَمَّا أَتَانِي نَعْيُهُ : بِهِ لَا بَظْطِي بِالصَّرِيمَةِ أَغْفَرَا⁴

[يهجو ويمدح آل المهلب]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن أبي مسلم الحرّانيّ ، قال : حدّثنا الأصمعيّ ، قال : حدّثنا العلاء بن أسلم ، قال : لما أراد المهلب الخروج إلى الأزارقة لقي الفرزدق جريراً ، فقال له : يا أبا فراس ، هل لك أن تكلم المهلب ، حتى يضع عني البحث ، وأعطيك ألف درهم ، فكلم المهلب ، فأجابه فلامه جُدّيع ، رجل من عشيرته ، وشكا ذلك إلى خيرة امرأة المهلب وقال لها : لا يزال الآن الرجل يجيء فيسأل في عشيرته وصديقه ، فلامته خيرة بنت ضمرة القُشَيْرِيَّة ، فقال المهلب : إنّما اشتريتُ عرضي منه ، فبلغ ذلك

1 الحماة : الطين الأسود الكريه الرائحة .

2 الكسر : القليل .

3 ميسان : كورة بين البصرة وواسط . العِدَان : العهد والزمان .

4 الصريمة : القطعة المنعزلة من الرمل ، والأعفر من الظباء : ما يعلو بياضه حمرة . والمثل «به لا بظطي أعفر» في مجمع الأمثال 90/1 وفي المستقصى 16/2 وفي فصل المقال 100 وكتاب الأمثال للقاسم بن سلام 78 وفي رواية أخرى : «به لا بظطي بالصرائم أعفرا» في جمهرة الأمثال 203/1 ، 207 والأمثال لمجهول 49 .

الفرزدق ، فقال يهجو جذيعاً : [من الكامل]

إن تبّن دارك يا جذيع فما بنى لك يا جذيع أبوك من بُنيانٍ
وأبوك ملتزم السفينة عاقدٌ خُصِيَّته فوق بنائق التُّبان¹
ويظلّ يدفع باسته متقاعساً في البحر معتمداً على السُّكّانِ²
لا تحسبنّ دراهماً جمعتها تمحو مخازيك التي بعمانٍ

وقال يهجو خيرة : [من الوافر]

ألا قشر الإله بني قُشيرٍ كقشر عصا المنقح من مُعالٍ³
أرى رهطاً لخيرة لم يؤؤبوا بسهم في اليمين ولا الشمالِ
إذا رهزت رأيت بني قُشيرٍ من الخيلاء مُنتفشي السبّالِ

فغضب بنو المهلب لما هجا جذيعاً وخيرة ، فقالوا منه ، فهجاهم ، فقال : [من الوافر]

وكأئن للمهلب من نسيبٍ يُرى بلبانه أثرُ الزّيارِ⁴
بخارك لم يُقد فرساً ولكن يقود السّاج بالمسد المغارِ⁵
عمي بالتّنائف حين يُضحّي دليلاً اللّيل في الحجّ الغمارِ
وما لله يسجد إذ يصلي ولكن يسجدون لكلّ نارٍ

فلما ولي يزيد بن المهلب خراسان والعراق بعد أبيه ، ولأه سليمان بن عبد الملك ، خاف الفرزدق من بني المهلب ، فقال يمدحهم : [من الكامل]

فلامدحنّ بني المهلب مدحةً غراء قاهرة على الأشعارِ⁶
مثل النجوم أمامها قمرأوها تجلو العمى وتضيء ليل السّاري
ورثوا الطعان عن المهلب والقرى وخلائقاً كتدفق الأنهارِ

1 بنائق : جمع بنية ، وهي الزيق يخاط في جيب القميص تثبت فيه الأزرار . التبان : سراويل يلبسها الملاحون والفلاحون ونحوهم .

2 التقاعس : بروز الصدر ودخول الظهر في الجسم .

3 نقح العود : قشره . مُعال : أعلى .

4 الزيار : ما يشد به الرجل إلى صدر البعير ، وفي ل : الدّبار .

5 خارك : جزيرة فارسية كان منها أبو المهلب . الساج : شجر تتخذ منه المراكب . والمغار : المحكم الفتل .

6 قاهرة في الديوان 303/1 : ظاهرة .

كان المهلب للعراق وقايةً وحيا الربيع ومَعْقِلَ الفرار¹
 وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهُم خضع الرقاب نواكسَ الأبصار
 ما زال مُدْ شَدَّ الإزار بكفه ودنا فأدرك خمسة الأشبار²
 أيزيدُ إنَّكَ للمهلب أدركت كفَّاكَ خيرَ خلائِقِ الأخيار

[يخشى ناس يزيد بن المهلب]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، قال : حدَّثني الأصمعي ، قال : لما قَدِمَ يزيدُ بنُ المهلبَ واسطاً قال لأُمَيَّةَ بنِ الجعدِ ، وكان صديقَ الفرزدق : إني لأُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي بالفرزدق ، فقال للفرزدق : ماذا فاتك من يزيدَ أعظمَ النَّاسِ عفواً ، وأسخى النَّاسِ كفّاً ، قال : صدقت ، ولكن أخشى أن آتِيَه فأجدَ العمايَّةَ ببابه فيقومُ إليَّ رجلٌ منهم فيقولُ : هذا الفرزدق الذي هجانا ، فيضربَ عنقي ، فيبعثَ إليه يزيد ، فيضربَ عنقه ، ويبعثَ إلى أهلي ديتي ، فإذا يزيدُ قد صار أوفى العرب ، وإذا الفرزدق فيما بين ذلك قد ذهب ، قال : لا والله لا أفعل ، فأخبرَ يزيدَ بما قال ، فقال : أما إذ وقع هذا بنفسه فدعه لعنه الله .

[ماجن يبعث به]

قال ابنُ حبيب : وحدَّثنا يعقوبُ بنُ محمد الزهري³ عن أبيه عن جدِّه قال : دخل الفرزدق مع فتیانٍ من آل المهلب في بركة يتبرّدون فيها ، ومعهم ابنُ أبي علقمة الماجن ، فجعل يتفَلَّت إلى الفرزدق ، فيقولُ : دعوني أنكحُه ، حتى لا يهْجُونَا أبداً ، وكان الفرزدق من أجبن النَّاسِ ، فجعل يستغيث ، ويقول : ويلكم ! لا يمسَّ جلدُه جلدي ، فيبلغَ ذلك جريراً ، فيوجبَ عليَّ أنَّهُ قد كان منه الذي يقول ، فلم يزل يناشدهم حتى كفَّوه عنه .

[يفخر بالمضربة أمام حاكم يمان]

أخبرني عبيد الله قال : حدَّثني محمد بن حبيب قال : حدَّثني موسى بن طلحة قال : لما وَلِيَ خالدُ بن عبد الله العراق ، فقدِمها وكان من أشدَّ خلقِ الله عَصِيَّةً على نزار فقال لبطنة بن الفرزدق : فلبس أبي من صالح ثيابه ؛ وخرج يريد السلام عليه ، فقلت له : يا أبت ، إنَّ هذا الرجلَ يمانِي ، وفيه من العصبيَّة ما قد علمت ، فلو دخلت إليه فأنشدته مدائحك أهلَ اليمن

1 وقاية في الديوان 304/1 : سكية .

2 الشطر الأول في الديوان 305/1 : ما زال مذ عقدت يداه إزاره .

3 ل : الزبير .

لعلَّ اللهُ أن يأتِكَ منه بخير ، فإنَّكَ قد كبرت على الرحلة ، فجعل لا يردُّ عليَّ شيئاً ؛ حتى دُفِعْنَا إلى البَوَّاب ، فأذِنَ له ؛ فدخل ؛ وسلَّم ؛ فاستجلسه ؛ ثم قال : إيه يا أبا فراس ، أنشدنا ممَّا أحدثت ، فأنشدته :

يختلف الناسُ ما لم نجتمعْ لهمُ ولا خلاف إذا ما أجمعتْ مُضْرُ¹
 فينا الكواهلُ والأعناقُ تقدُّمها فيها الرؤوسُ وفيها السَّمْعُ والبصرُ²
 ولا نخالف غيرَ الله من أحد إلَّا السيوفَ إذا ما اغرورقَ النظرُ³
 ومَن يَمَلُ يَمَلُ المأثورُ قلته بحيث يلقى خِفافِي رأسه الشعرُ⁴
 أما الملوكُ فإنَّا لا نلين لهم حتى يلينَ لضرس الماضي الحجرُ⁵

ثم قام ، فخرجنا ، قلت : أهكذا أوصيتك ؟ قال : اسكت ، لا أم لك فما كنت قطُّ أملاً لقلبه مني الساعة .

[يفهم المنذر بن الجارود]

أخبرني عبد الله : قال حدَّثني محمد بن حبيب ، عن موسى بن طلحة قال : كان الفرزدق في حلقة في المسجد الجامع ، وفيها المنذرُ بنُ الجارود العبدي ، فقال المنذر : مَن الذي يقول :

وجدنا في كتاب بني تميم أحقَّ الخيلِ بالركضِ المعارُ¹
 فقال الفرزدق : يا أبا الحكم هو الذي يقول :

أشاربُ قهوةٍ وخدينُ زيرٍ وعَبْدِي لفسوتِه بُخارُ²
 وجدنا الخيلَ في أبناء بكرٍ وأفضلُ خيلهم خشبٌ وقارُ³
 قال : فخجل المنذر ، حتى ما قدرَ على الكلام .

[خليفة أموي يفضله ويصله]

أخبرني عبد الله بن مالك : قال : حدَّثني محمد بن موسى قال : حدَّثنا الأصمعيُّ قال : دخل الفرزدق على بعض خلفاء بني مروان ففاخره قوم من الشعراء فأنشأ يقول :

ما حملتْ ناقةً من معشر رجلاً مثلي إذا الريح لفتني على الكورِ⁵

1 أجمعت في ل : استجمعت .

2 في الديوان 200/1 : والرأس مناً وفيه .

3 قلته في الديوان 200/1 : ذروته .

4 الملوك في الديوان 200/1 : العدو .

5 لفتني في ل : ألفتني . الكور : الرحل .

أَعَزَّ قَوْماً وَأَوْفَى عِنْدَ مَكْرَمَةٍ لِمُعْظَمٍ مِنْ دِمَاءِ الْقَوْمِ مَهْجُورٍ
فَقَالَ لَهُ : يَا ، فَقَالَ :
إِلَّا قُرَيْشاً فَإِنَّ اللَّهَ فَضَّلَهَا عَلَى الْبَرِيَّةِ بِالْإِسْلَامِ وَالْخَيْرِ
تَلْقَى وَجُوهَ بَنِي مَرْوَانَ تَحْسِبُهَا عِنْدَ الْمَلَأَاءِ مَشُوفَاتِ الدَّنَانِيرِ¹
فَفَضَّلَهُ عَلَيْهِمْ ، وَوَصَلَهُ .

[عيسى بن حصيلة يعينه على الفرار من زياد]

قال ابن حبيب : وكان الفرزدق يهاجي الأشهب بن رميلة النهشلي وبني فُقيّم ، فأرث بهم² ، فاستعدوا عليه زياداً ، فحدّثني جابر بن جندل : قال : فأتى عيسى بن حُصَيْلَةَ بن مغيث³ بن نصر بن خالد السُّلَمي ثم من بني بَهْزٍ ، فقال : يا أبا حُصَيْلَةَ ، إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَخَافَنِي ؛ وَقَدْ لَفَظَنِي جَمِيعَ مَنْ كُنْتُ أَرْجُو ، قَالَ : فَمَرْحَباً بِكَ يَا أبا فِرَاسٍ ، فَكَانَ عِنْدَهُ لِيَالِي ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَلْحِقَ بِالشَّامِ ، قَالَ : إِنَّ أَقَمْتَ فِي الرِّحْبِ وَالسَّعَةِ ، وَإِنْ شَخَصْتَ فَهَذِهِ نَاقَةُ أَرْحَبِيَّةٍ⁴ أَمْتَعَكَ بِهَا ، وَأَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَرَكِبَ النَّاقَةَ ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ لَيْلاً ، فَأَرْسَلَ عَيْسَى مَعَهُ مَنْ أَجَازَهُ مِنَ الْبُيُوتِ ؛ فَأَصْبَحَ وَقَدْ جَاوَزَ مَسِيرَةَ ثَلَاثٍ ، فَقَالَ يَمْدَحُهُ : [من الطويل]

كَفَانِي بِهَا الْبَهْزِيُّ حُمْلَانٌ مِنْ أَبِي مِنَ النَّاسِ ، وَالْجَانِي تُخَافُ جِرَائِمُهُ⁵
فَتَى الْجُودِ عَيْسَى وَالْمَكَارِمِ وَالْعُلَا إِذَا الْمَالُ لَمْ يَنْفَعْ بِخَيْلٍ كَرَائِمُهُ⁶
وَمَنْ كَانَ يَا عَيْسَى يُؤْتَبُ ضَيْفُهُ فَضَيْفُكَ يَا عَيْسَى هُنِيءٌ مَطَاعِمُهُ
وَقَالَ : تَعْلَمُ أَنَّهَا أَرْحَبِيَّةٌ وَأَنَّ لَكَ اللَّيْلَ الَّذِي أَنْتَ جَاشِمُهُ⁷
فَأَصْبَحْتُ وَالْمُلْقَى وَرَائِي وَحَبْلٌ وَمَا صَدَرْتُ حَتَّى عَلَا النِّجْمَ عَاتِمُهُ⁸
تَزَاوَرَ فِي آلِ الْحَقِيقِ كَأَنَّهَا ظَلِيمٌ تَبَارَى جُنْحَ لَيْلٍ نَعَائِمُهُ

1 مشوفات الدنانير : الدنانير المجلوة اللامعة .

2 أرث : أفحش .

3 ل : معتب .

4 أرحبية : نسبة إلى أرحب ، وهو فحل أو مكان قبيلة تنسب إليها الإبل الممتازة .

5 البهزي : لقب عيسى بن حصيلة ، الحملان : الدواب تحمل عليها الهدايا .

6 ذو المكارم والعلا .

7 جاشمه : متكلف السير فيه .

8 الملقى وحبل مكانان . في الديوان 205/2 حتى تلا الليل .

رَأَتْ دُونَ عَيْنَيْهَا ثَوْبَةً فَانْجَلَى لَهَا الصَّبْحُ عَنْ صَعْلٍ أُسِيلٍ مَخَاطِمُهُ¹
وَقَالَ :

تَدَارَكْنِي أَسْبَابُ عَيْسَى مِنَ الرَّدَى وَمَنْ يَكُ مَوْلَاهُ فَلَيْسَ بِوَاحِدٍ
نَمْتُهُ النَّوَاصِي مِنْ سُلَيْمٍ إِلَى الْعَلَا وَأَعْرَاقُ صَدَقٍ بَيْنَ نَصْرٍ وَخَالِدٍ
سَأْتَنِي بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَأَرْبُهُ إِذَا الْقَوْمُ عَدُّوا فَضْلَهُمْ فِي الْمَشَاهِدِ
فَلَمَّا بَلَغَ زِيَادًا شَخْوصَهُ أَتَبَعَهُ عَلِيٌّ بْنُ زَهْدَمٍ الْفَقِيمِيُّ : أَحَدَ بَنِي مَوْلةٍ فَلَمْ يَلْحَقْهُ فَقَالَ
الْفَرَزْدَقُ :

فَإِنَّكَ لَوْ لَاقَيْتَنِي يَا ابْنَ زَهْدَمٍ لَأَبْتَ شَعَاعِيًّا عَلَى غَيْرِ تَمَالٍ²
[يلجأ إلى بكر بن وائل]

فَأَتَى بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ ، فَجَاوَرَهُمْ ، فَأَمَّنَ ، فَقَالَ :
وَقَدْ مَثَلْتُ أَيْنَ الْمَسِيرُ فَلَمْ تَجِدْ لَعَوَذَتَهَا كَالْحَيِّ بِكْرَ بْنَ وَائِلٍ³
وَسَارَتْ إِلَى الْأَجْفَانِ خَمْسًا فَأَصْبَحَتْ مَكَانَ الثَّرِيَا مِنْ يَدِ الْمُتَنَوِّلِ
وَمَا ضَرَّهَا إِذْ جَاوَرَتْ فِي بِلَادِهَا بَنِي الْحِصْنِ مَا كَانَ اخْتِلَافُ الْقَبَائِلِ
الْحِصْنُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَكَابَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ .
[يأمن زياداً في حمى سعيد بن العاص]

وَهَرَبَ الْفَرَزْدَقُ مِنْ زِيَادٍ ، فَأَتَى سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِي بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي بْنِ أُمَيَّةَ ، وَهُوَ
عَلَى الْمَدِينَةِ لِمَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، فَأَمَنَهُ سَعِيدٌ ، فَبَلَغَ الْفَرَزْدَقُ أَنَّ زِيَادًا قَالَ : لَوْ أَتَانِي
أُمْنَتُهُ ، وَأَعْطَيْتُهُ ، فَقَالَ فِي كَلِمَةٍ لَهُ :

دَعَانِي زِيَادٌ لِلْعَطَاءِ وَلَمْ أَكُنْ لَأَتِيَهُ مَا سَاقَ ذُو حَسْبٍ وَقَرَأَ
وَعِنْدَ زِيَادٍ لَوْ أَرَادَ عَطَاءَهُمْ رَجَالٌ كَثِيرٌ قَدْ يَرَى بِهِمْ فَقَرَأَ
قَعُودٌ لَدَى الْأَبْوَابِ طُلَابُ حَاجَةٍ عَوَانٍ مِنَ الْحَاجَاتِ أَوْ حَاجَةُ بَكْرَا
فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ أَدَاهُمْ سُودًا أَوْ مُحْدَرَجَةً سُمرًا⁴

1 الشطر الأول في الديوان 205/2 : رأت بين عينيه روبةً فانجلى . وروية ماء . وثوبة : مكان . الصعل : ما دق رأسه من النعام . أسيل : ناعم ، مخاطم : جمع مخطم ، وهو مقدم الأنف .

2 شعاعياً : نسبة إلى الشعاع بمعنى التفرق .

3 مثلت : زالت عن موضعها .

4 أداهم : جمع أدهم ، يريد القيد ، المخدرجة : السياط .

نَمِيتُ إِلَى حَرْفٍ أَضَرَ بَنِيهَا سُرَى اللَّيْلِ وَاسْتِعْرَاضُهَا الْبَلَدَ الْقَفْرًا¹

فَلَمَّا اِطْمَأَنَّ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي بِالْمَدِينَةِ قَالَ : [من الوافر]

أَلَا مَنْ مَبْلَغُ عَنِّي زِيَادًا مُغْلَغَلَةً يَخْبُ بِهَا الْبَرِيدُ²
بَأَنِّي قَدْ فَرَرْتُ إِلَى سَعِيدٍ وَلَا يُسْطَاعُ مَا يَحْمِي سَعِيدُ
فَرَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ لَيْثٍ هَزِيرٍ تَفَادَى عَنْ فَرِيستِهِ الْأَسْوَدُ
فَإِنْ شِئْتُ انْتَمَيْتُ إِلَى النَّصَارَى وَنَاسَبَنِي وَنَاسَبَتِ الْيَهُودُ
وَإِنْ شِئْتُ انْتَسَبْتُ إِلَى فُقَيْمٍ وَنَاسَبَنِي وَنَاسَبَتِ الْقُرُودُ
وَأَبْغَضُهُمْ إِلَيَّ بَنُو فُقَيْمٍ وَلَكِنْ سَوْفَ آتِي مَا تُرِيدُ

فَأَقَامَ الْفَرَزْدَقُ بِالْمَدِينَةِ ؛ فَكَانَ يَدْخُلُ بِهَا عَلَى الْقِيَانِ . فَقَالَ : [من الطويل]

إِذَا شِئْتُ غَنَّانِي مِنَ الْعَاجِ قَاصِفٌ³ عَلَى مَعْصَمِ رِيَّانٍ لَمْ يَتَّخِذْ³
لِبَيْضَاءَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَمْ تَعِشْ بِيُوسٍ وَلَمْ تَتَّبِعْ حُمُولَةَ مُجْجِدٍ⁴
وَقَامَتْ تُخَشِّنِي زِيَادًا وَأَجْفَلْتُ حَوَالِيَّ فِي بُرْدِي يَمَانٍ وَمُجْسَدٍ⁵
فَقُلْتُ : دَعِينِي مِنْ زِيَادٍ فَإِنِّي أَرَى الْمَوْتَ وَقَاعًا عَلَى كُلِّ مَرْصَدٍ

[بينه وبين مسكين الدارمي]

فَلَمَّا هَلَكَ زِيَادُ رِثَاءِ مَسْكِينِ بْنِ عَامِرِ بْنِ شَرِيحِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ عَدَسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمٍ ، فَقَالَ⁶ :

[من الوافر]

رَأَيْتُ زِيَادَةَ الْإِسْلَامِ وَلَّتْ جَهَارًا حِينَ فَارَقَهَا زِيَادُ

فَبَلَغَ ذَلِكَ الْفَرَزْدَقُ ، فَقَالَ :

[من الطويل]

أَمْسِكِينَ أَبْكِي اللَّهَ عَيْنِيكَ إِنَّمَا جَرَى فِي ضَلَالٍ دَمْعُهَا فَتَحَدَّرَا
أَتَبْكِي امْرَأً مِنْ آلِ مَيْسَانَ كَافِرًا كَكِسْرَى عَلَى عِدَّانِهِ أَوْ كَقَيْصِرَا

1 الحرف : الناقة . والتي : الشحم .

2 مغلغلة : أي رسالة مغلغلة : محمولة من بلد إلى بلد .

3 قاصف من العاج : مزهر أو نحوه من آلات الغناء التي تتخذ من العاج .

4 المجحد : القليل الخير .

5 مجسد : مطلي بالجساد وهو الزعفران أو العصفور ونحوهما مما تغطي به الثياب .

6 تقدّمت هذه الأبيات في هذه الترجمة ص 241 .

أَقُولُ لَهُ لَمَّا أَتَانِي نَعْيُهُ : بِهِ لَا بَظْطِي بِالصَّرِيْمَةِ أَغْفَرُ¹

فَقَالَ مَسْكِينٌ :

أَلَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الَّذِي لَسْتُ قَائِماً وَلَا قَاعِداً فِي الْقَوْمِ إِلَّا أَنْبَرَى لِيَا
فَجَعَلَنِي بَعَمٌ مِثْلَ عَمِّي أَوْ أَبٍ كَمِثْلِ أَبِي أَوْ خَالَ صَدَقٍ كَخَالِيَا
بَعَمْرُو بْنُ عَمْرُو أَوْ زُرَّارَةُ ذِي النَّدَى سَمَوْتُ بِهِ حَتَّى فَرَعْتُ الرُّوَابِيَا

فَأَمْسَكَ الْفَرَزْدَقُ عَنْهُ ، وَكَانَ يَقُولُ : نَجَوْتُ مِنْ أَنْ يَهْجُونِي مَسْكِينٌ ، فَإِنْ أَجَبْتَهُ ذَهَبْتُ بِشَطْرِ فَخْرِي ، وَإِنْ أَمْسَكَتْ عَنْهُ كَانَتْ وَصْمَةٌ عَلَى مَدَى الدَّهْرِ .

[تعوذ بقبر غالب]

أَخْبَرَنِي أَبُو خَلِيفَةَ ، فَقَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ سَلَّامٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْحَكَمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَازَنِيُّ ، قَالَ : كَانَ تَمِيمٌ بْنُ زَيْدٍ الْقَضَاعِيُّ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي الْقَيْنِ بْنِ جَسْرٍ غَزَا الْهِنْدَ فِي جَيْشٍ ، فَجَمَّرَهُمْ² ؛ وَفِي جَيْشِهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ حُبَيْشٌ ، فَلَمَّا طَالَتْ غَيْبَتُهُ عَلَى أُمِّهِ اشْتَاقَتْهُ ، فَسَأَلَتْ عَمَّنْ يَكَلِّمُهَا تَمِيمَ بْنَ زَيْدٍ أَنْ يُقْفَلَ ابْنُهَا ، فَقِيلَ لَهَا : عَلَيْكَ بِالْفَرَزْدَقِ ، فَاسْتَجِيرِي بِقَبْرِ أَبِيهِ ، فَأَتَتْ قَبْرَ غَالِبٍ بِكَاطِمَةٍ ، حَتَّى عَلِمَ الْفَرَزْدَقُ مَكَانَهَا .

ثُمَّ أَتَتْهُ ، وَطَلَبَتْ إِلَيْهِ حَاجَتَهَا ، فَكَتَبَ إِلَى تَمِيمَ بْنِ زَيْدٍ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ : [من الطويل]

هَبْ لِي حُبَيْشاً وَاتَّخِذْ فِيهِ مِنَّةً لِعُصَّةٍ أَمْ مَا يَسُوغُ شَرَابُهَا
أَتَنَنِي فَعَاذَتْ يَا تَمِيمُ بِغَالِبٍ وَبِالْخَفَرَةِ السَّافِيِ عَلَيْهَا تُرَابُهَا
تَمِيمُ بْنُ زَيْدٍ لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي بظَهْرِ فَلَا يَخْفَى عَلَيَّ جَوَابُهَا

فَلَمَّا أَتَاهُ كَتَابَهُ لَمْ يَدِرْ مَا اسْمُهُ حُبَيْشٌ أَوْ حُنَيْشٌ ، فَأَخْرَجَ دِيْوَانَهُ ، وَأَقْفَلَ كُلَّ حُبَيْشٍ وَحُنَيْشٍ فِي جَيْشِهِ ، وَهَمَّ عِدَّةً ، وَأَنْفَذَهُمْ إِلَى الْفَرَزْدَقِ .

[مُكَاتَبٌ يَعُودُ بِقَبْرِ غَالِبٍ]

قَالَ أَبُو خَلِيفَةَ : قَالَ ابْنُ سَلَّامٍ : وَحَدَّثَنِي أَبُو يَحْيَى الضَّبِّيُّ ، قَالَ : ضَرَبَ مَكَاتِبَ لَبْنِي مِنْقَرٍ بِسَاطِطاً عَلَى قَبْرِ غَالِبِ أَبِي الْفَرَزْدَقِ ؛ فَقَدِمَ النَّاسُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَكَانِهِ عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِ .

ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ فَقَالَ :

[من الطويل]

1 مثل : أَشْرْنَا إِلَيْهِ ص 241 .

2 جَمَّرَهُمْ : أَطَالَ مَدَّةَ غَزْوِهِمْ .

بقبر ابن لَيْلٍ غالب عُدْتُ بعدما خَشِيت الرَّدَى أو أن أُرَدَّ على قَسْرِ
فأخبرني قبرُ ابنِ لَيْلَى فقال لي : فِكاكَ أن تأتي الفرزدقَ بالمِصْرِ
فقال الفرزدق : صدق أبي ؛ أُنخ ؛ ثم طاف له في النَّاس ؛ حتى جمع له مكاتِبته وفضلاً .
[عائذة أخرى بقبر غالب]

وكان نُفَيْعُ ذو الأهدام : أحد بني جعفر بن كلاب يتعصَّب لجريز بمدحه قيساً ؛ فهجاه
الفرزدق ، فاستجارت أمه بقبر غالب ؛ وعازت من هجاء الفرزدق ؛ فقال : [من الطويل]

| | |
|---|---|
| وَبُنْتُ ذَا الْأَهْدَامِ يَعْوِي وَدُونَهُ | مِنَ الشَّامِ زُرْعَاتُهَا وَقُصُورُهَا |
| عَلَى حِينٍ لَمْ أَتْرُكْ عَلَى الْأَرْضِ حَيَّةً | وَلَا نَاجِئاً إِلَّا اسْتَقَرَّ عَقُورُهَا |
| كَلَابٌ نَبَحْنَ الْحَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ | فَعَادَ عَوَاءً بَعْدَ نَبْحِ هَرِيرُهَا |
| عَجُوزٌ تَصَلِّيَ الْخُمْسَ عَاذَتْ بِغَالِبٍ | فَلَا وَالَّذِي عَاذَتْ بِهِ لَا أَضِيرُهَا |
| لَنْ نَافِعَ لَمْ يَرَعْ أَرْحَامَ أُمِّهِ | وَكُنْتُ كَذَلِكِ لَا يَزَالُ يَعِيرُهَا ¹ |
| لَيْسَ دَمُ الْمَوْلُودِ بَلَّ ثِيَابَهَا | عَشِيَّةً نَادَى بِالْغَلَامِ بِشِيرُهَا |
| وَأَنِّي عَلَى إِشْفَاقِهَا مِنْ مَخَافَتِي | وَأِنْ عَقَّهَا بِي نَافِعٌ لِمَجِيرُهَا |
| وَلَوْ أَنَّ أُمَّ النَّاسِ حَوَاءً جَاوَرَتْ | تَمِيمَ بْنِ مُرٍّ لَمْ تَجِدْ مَنْ يَعِيرُهَا |

وهذا البيت يروى لغيره في غير هذه القصيدة .

[جرير يبيزه]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، قال : حدَّثنا أحمد بن حاتم
المعروف بابن نصر ، عن الأصمعي ، قال : كان عبد الله بن عطية راوية الفرزدق وجرير ،
قال : فدعاني الفرزدق يوماً ، فقال : إني قلت بيت شعر والنَّوَّار طالق إن نقضه ابن المراغة² ،
قلت : ما هو ؟ قال : قلت :

فَأَنِّي أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي هُوَ نَازِلٌ بِنَفْسِكَ فَانْظُرْ كَيْفَ أَنتَ تُحَاوِلُهُ

ارحل إليه بالبيت ، قال : فرحلت إلى اليمامة ، قال : ولقيت جريراً بفناء بيته يعبث
بالرمل ، فقلت : إن الفرزدق قال بيتاً ، وحلف بطلاق النَّوَّار أنك لا تنقضه ، قال :
هيه ، أظنَّ والله ذلك ؟ ما هو ؟ ويليكَ ، فأنشدته إياه ، فجعل يتمرغ في الرمل ، ويخشوه

1 عار : غاب أو أتلَف .

2 المِراغة : الأنان .

على رأسه. وصدره ، حتى كادت الشمس تغرب ، ثم قال : أنا أبو حزره ، طَلَقْتُ امرأة الفاسق ، وقال :

أنا الدهرُ يفنى الموتُ والدهرُ خالدٌ فجنني بمثل الدهرِ شيئاً يطاوله

ارحل إلى الفاسق ، قال : فقدمت على الفرزدق ، فأنشدته إياه ، وأعلمته بما قال ، فقال : أقسمت عليك كما سترت هذا الحديث .

[هناك من هو أجفى منه]

أخبرني عبد الله ، قال : أخبرني محمد بن حبيب ، قال : حدثنا الأصمعي وأبو عبيدة ، قال : دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة وعنده ناس من اليمامة ، فضحكوا فقال : يا أبا فراس أتدري مِمَّ ضحكوا ؟ قال : لا ، قال : من جفائك ، قال : أصلح الله الأمير ، حججت ؛ فإذا أنا برجل منهم على عاتقه الأيمن صبي ، وعلى عاتقه الأيسر صبي ؛ وإذا امرأة آخذة بمئزره ؛ وهو يقول :

أنت وهبت زائداً ومزیداً وكهلاً أولجُ فيها الأجردا

والمرأة تقول من خلفه : إذا شئت ، فسألت : مِمَّن هو ؟ فقيل : من الأشعرين ، أفأنا أجفى أم ذلك ؟ فقال بلال : لا حيَّاك الله ، قد علمت أنهم لن يفلتوا منك .

[تهزمه امرأة]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدثني محمد بن حبيب ، قال : حدثنا موسى بن طلحة ، عن أبي زيد الأنصاري ، قال : ركب الفرزدق بغلته ، فمرّ بنسوة ؛ فلما حاذاهنّ لم تمالك البغلة أن ضرطت ، فضحك منه ، فالتفت إليهنّ ، فقال : لا تضحكن ، فما حملتني أنثى إلا ضرطت ، فقالت له إحداهنّ : ما حملتك أنثى أكثر من أمك ، فأراها قاست منك ضراطاً كثيراً ، فحرّك بغلته ، وهرب منهنّ ، وبهذا الإسناد قال :

[يهجو إبليس]

أتى الفرزدق الحسن البصري فقال : إني قد هجوت إبليس ، فقال : كيف تهجوه وعن لسانه تنطق ؟

[يسأل سائله فيفحمه]

وبهذا الإسناد قال حمزة بن بيض للفرزدق : يا أبا فراس ، أسألك عن مسألة ، قال : سل عما أحببت ، قال : أيما أحب إليك ؟ أتسبق الخير أم يسبقك ؟ قال : إن سبقني فاتي ، وإن سبقته فته ، ولكن نكون معاً ، لا يسبقني ، ولا أسبقه ، ولكن أسألك عن مسألة . قال ابن بيض : سل ، قال : أيما أحب إليك ؟ أن تنصرف إلى منزلك ، فتجد أمراؤك قابضة على أير

رجل ، أم تراه قابضاً على هَنِيْهَا ، قال : فتَحَيَّرَ ، وكان قد نُهي عنهُ ، فلم يَقْبَلْ .
[لا صلح بينه وبين جرير]

أخبرني عبد الله قال : حدَّثني محمد بن عمران الضَّبِّي ، قال : حدَّثني الأصمعي ، قال :
اجتمع الفرزدقُ وجريرُ عند بشر بن مروانَ فرجا أن يُصْلِحَ بينهما حتى يتكافأ ، فقال لهما :
ويحكما ! قد بلغتما من السنَّ ما قد بلغتما ، وقربت آجالكما ؛ فلو اصطلحتما ووهب كلُّ
واحد منكما لصاحبه ذنبه ، فقال جرير : أصْلَحَ اللهُ الأمير ، إنَّه يظلمني ، ويتعدى عليّ ، فقال
الفرزدق : أصْلَحَ اللهُ الأمير ، إنِّي وجدت آبائي يظلمون آباءه . فسلكتُ طريقَهُم في ظلمه ،
فقال بشرٌ : عليكم لعنة الله ، لا تصطلحان واللهُ أبداً .
[يهزأ به وبهجائه]

وأخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن عمران الضَّبِّي ، قال : حدَّثنا
الأصمعي : قال الفرزدق : ما أعياني جواب أحد ما أعياني جواب دهقان مرّة قال لي :
أنت الفرزدق الشاعر ؟ قلت : نعم ؛ قال : أَفَامُوتَ إن هجوتني ؟ قلت : لا ، قال :
أفتموت عَيْشُونَةُ ابنتي ؟ قلت : لا ، قال : فرجلي إلى عنقي في حِرِّ أُمِّكَ ، قال : قلتُ :
ويلك ! لم تركت رأسك ؟ قال : حتى أنظر أي شيء تصنع ؟
[يأمره مجنون فيطيع]

أخبرني عبد الله ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيب عن الأصمعي ، قال : مرَّ الفرزدقُ
بمأجل¹ فيه ماء ، فأشرَعَ بغلته فيه ، فقال له مجنون بالبصرة : يقال له حريش : نَحْ بغلتك ،
جذ الله رجليك ، قال : ولم ؟ ويلك ، قال : لأنك كذوب الخنجرة ، زاني الكَمَرَة ، فقال
الفرزدق لبغلته : عَدَسٌ ومضى ، وكره أن يسمع قوله الناسُ .
[هو وغيره يؤثرون القصائد القصار]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن ابن حبيب ، عن سعدان بن المبارك ، قال : قيل
للفرزدق : ما اختيارك في شعرك للقصار ؟ قال : لأنِّي رأيتها أثبتَ في الصدور ، وفي
المخافِلِ أجولُ ؛ قال : وقيل للخطيئة : ما بالُ قصارك أكثرَ من طوالك ؟ قال : لأنها في
الآذان أولجُ . وفي أفواه الناس أُعلقُ .

أخبرني عبد الله بن حبيب ، عن سعدان بن المبارك ، قال : قيل لعقيل بن عُلفَة : ما لك تُقَصِّرُ
في هجائك ؟ قال : حسبك من القلادة ما أحاط بالرقبة² .

1 المأجل : كل ماء في أصل جبل أو واد .

2 مثل : ورد في مجمع الأمثال 1/196 والمستقصى للزمخشري 2/62 والأمثال لمجهول 57 .

[يتنذر باسمه فيلقمه حجراً]

أخبرني عبد الله ، عن محمد بن علي بن سعيد الترمذي ، عن أحمد بن حاتم : أبي نصر ، قال : قال الجهم بن سويد بن المنذر العُرمي للفُردق : أَمَا وجدتَ أُمَّكَ اسماً لك إلا الفُردق الذي تكسره النساء في سُوقِهَا¹ ؟ قال : والعربُ تسمي خبزَ الفتوت الفُردق فأقبل الفُردقُ على قوم معه في المجلس ، فقال : ما اسمه ؟ فلم يخبروه باسمه ، فقال : والله لئن لم تخبروني لأهجونكم كلَّكم ، قال : الجهمُ بنُ سويد بنُ المنذر ، فقال الفُردق : أحقُّ النَّاسُ ألا يتكلَّم في هذا أنت ؛ لأنَّ اسمك اسمُ متاعِ المرأة ، واسمُ أبيك اسمُ الحمار واسمُ جدِّك اسمُ الكلب .

[بيتان يثيرانه]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن الزُّبير عن عمِّه عن بعض القرويين ، قال : قديم علينا الفُردق ، فقلنا له : قديم علينا جرير ، فأنشدنا قصيدة يمدح بها هؤلاء القوم ، ومضى يريدُهم ، فقال : أنشدونيها ، فأنشدناه قصيدة كثيرٍ التي يقول فيها : [من الوافر]

وما زالت رُفَاك تسُلُّ ضِغْنِي وتخرجُ من مكانها ضِياي²
وَيَرْقِنِي لك الحَاوون حتى أَجَابِكَ حَيَّةٌ تحتِ الحِجَابِ

قال : فجعل وجهه يتغيَّر ، وعندنا كانوا ، ونحن في الشتاء ، فلَمَّا رأينا ما به قلنا : هوُّن عليك يا أبا فراس ، فإنَّما هي لابن أبي جمعة³ ، فأنشئ سريعاً ليسجد ، فأصاب ناحية الكانون وجهه فأدماه .

[مع الحسين بن علي]

أخبرني عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، قال : أخبرني القحزمي ، قال : لقي الفُردق الحسين بن عليَّ عليهما السلام متوجَّهاً إلى الكوفة خارجاً من مكَّة في اليوم السادس من ذي الحِجَّة فقال له الحسين ، صلوات الله عليه وآله : ما وراءك ؟ قال : يا ابن رسول الله ، أنفُسُ النَّاسِ معك ، وأيديهم عليك ؛ قال : وبجك ، معي وقرْ بعير من كتبهم يدعونني ، ويناشدونني الله ، قال : فلَمَّا قتل الحسين ، صلوات الله عليه ، قال الفُردق : انظروا فإن غضبت العرب لابن سيِّدها وخيَّرها فاعلموا أنَّه سيدوم عزُّها ، وتبقى هيبتها ، وإن صبرت عليه ، ولم تتغيَّر لم يزدها الله إلا ذُلًّا إلى آخر الدهر ، وأنشد في

1 السويق : طعام يتخذ من مدقوق الخنطة والشعير .

2 ضباب : جمع ضَبٍّ ، والمقصود الحقد الكامن .

3 إشارة إلى كثير نفسه .

ذلك :

[من الطويل]

فإن أنتم لم تتأروا لابن خيركم فآلقوا السلاح واغزلوا بالمغازل

[حافضة الفرزدق]

أخبرنا عبد الله بن مالك : قال : أخبرني أبو مسلم ؛ قال : حدثني الأصمعي ، قال : أنشد الراعي الفرزدق أربع قصائد ، فقال له الفرزدق : أعيدُها عليك ، لقد أتى عليَّ زمان ، ولو سمعت بيت شعر وأنا أهوي في بئر ما ذهب عني .

[يشرب الخمر ممزوجة بالبن]

أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثني أبو مسلم الحراني عن الأصمعي ، قال : تغدّى الفرزدق عند صديق له . ثم انصرف فمرّ ببني أسد ، فحدثهم ساعة ثم استسقى ماء ، فقال فتى منهم : أو لبناً ، فقال : لبناً ، فقام إلى عُسٍّ¹ ، فصبّ فيه رطلاً من خمر ، ثم حلب عليه ، وناولهُ إِيَّاهُ ، فلما كرع فيه انتفخت أوداجه² ، واحمرّ وجهه ثم ردّ العُسّ ، وقال : جزاك الله خيراً ، فإنّي ما علمتُك تحبّ أن تُخفي³ صديقك ، وتُخفي معروفك ثم مضى .

[النّوار تختل عليه]

وأخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، عن القحذمي ، قال : كان الفرزدق أراد امرأة شريفة على نفسها ، فامتنعت عليه ، وتهدّدها بالهجاء والفضيحة ، فاستغاثت بالنّوار امرأته ، وقصّت عليها القصّة ، فقالت لها : واعدية ليلة ، ثم أعلميني ، ففعلت ، وجاءت النّوار ، فدخلت الحجلة مع المرأة ، فلما دخل الفرزدق البيت أمرت الجارية ، فأطفأت السراج ، وغادرت المرأة الحجلة ، واتبعها الفرزدق ، فصار إلى الحجلة ، وقد انسلت المرأة خلف الحجلة ، وبقيت النّوار فيها ، فوقع بالنّوار وهو لا يشكّ أنّها صاحبتة ، فلما فرغ قالت له : يا عدوّ الله ، يا فاسق ، فعرف نغمتها ، وأنّه خدع ، فقال لها : وأنتِ هي يا سبحان الله ! ما أطيبك حراماً ، وأرداك حلالاً .

[يضنّ عليه ابن سبرة بجارية فيهجوه]

أخبرني عبد الله بن مالك . قال : حدثني محمد بن موسى ، قال : حدثني القحذمي قال : استعمل الحجاج الخيار بن سبرة المجاشعي على عُمان ، فكتب إليه الفرزدق يستهديه جارية

1 العسّ : القدح الكبير .

2 الأوداج : جمع ودج ، وهو عرق في العنق يقطعه الذابح .

3 تخفي : تحتفي .

فكتب إليه الخيار :

[من الوافر]

كُتِبَ إِلَيَّ تَسْتَهْدِي الْجَوَارِي لَقَدْ أَنْعَظَتْ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ

فأجابه الفرزدق :

[من الوافر]

أَلَا قَالَ الْخِيَارُ وَكَانَ جَهْلًا قَدْ اسْتَهْدَى الْفَرَزْدَقُ مِنْ بَعِيدٍ
فَلَوْلَا أَنَّ أُمِّكَ كَانَ عَمِّي أَبَاهَا كُنْتُ أَخْرَسَ بِالنَّشِيدِ
وَأَنْ أَبِي لَعَمُّ أَبِيكَ لَحَا وَأَنْتَ حِينَ أَغْضَبُ مِنْ أُسُودِي¹
إِذَا لَشَدَدْتُ شِدَّةً أَعُوجِي يَدَقُّ شَكِيمَ مَجْدُولِ الْحَدِيدِ²

[لا يستنسخ خطأ في القرآن]

أخبرنا عبد الله بن مالك عن الأصمعي قال : سمع الفرزدق رجلاً يقرأ : والسارقُ
والسارقةُ فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عفوٌ رحيمٌ فقال : لا ينبغي
أن يكون هذا هكذا ، قال : فقليل له : إنما هو ﴿عزير حكيم﴾ قال : هكذا ينبغي أن
يكون .

[يمدح أسماء بن خارجة]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدثنا أبو مسلم ، قال : حدثنا الأصمعي : قال : مرَّ
أسماء بن خارجة الفزاري على الفرزدق ، وهو يهنأ³ بغيراً له بنفسه ، فقال له أسماء : يا فرزدق
كسد شعرك ، واطرحتك الملوك ، فصرت إلى مهنة إبلك ، فقد أمرت لك بمائة بغير ، فقال
الفرزدق فيه يمدحه :

[من البسيط]

إِنَّ السَّمَاحَ الَّذِي فِي النَّاسِ كُلَّهُمْ قَدْ حَازَهُ اللَّهُ لِلْمُفْضَالِ أَسْمَاءُ
يُعْطِي الْجَزِيلَ بَلَا مَنْ يَكْذَرُهُ عَفْوَاً وَيُتْبِعُ آلاءَ بِنِعْمَاءِ
مَا ضَرَّ قَوْماً إِذَا أَمْسَى يَجَاوِرُهُمْ أَلَّا يَكُونُوا ذَوِي إِبِلٍ وَلَا شَاءِ

[ضعف شعره عندما شاخ]

أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى بن طلحة ، قال : قال أبو عبيدة : دخل
الفرزدق على بلال بن أبي بردة ، فأنشده قصيدته المشهورة فيهم التي يقول فيها : [من الطويل]

1 لحا : من لحث القرابة إذا دنت ، والتصقت .

2 الأعوجي : الجواد المنسوب إلى أعوج ، وهو جواد أصيل ينسب إليه الخيول البعيدة .

3 يهنأ بغيراً : يطلبه بالهناء ، وهي القار .

فإنَّ أبا موسى خليلُ محمدٍ وكفَّاهُ يُمنى للهدى وشِمَالُها

فقال ابن أبي بردة : هلكت والله يا أبا فراس ، فارتاع الشيخ ، وقال : كيف ذاك ؟ قال ذهب شعرك ، أين مثلُ شعرك في سعيد ، وفي العباس بن الوليد ، وسمي قوماً فقال : جئني بحسبٍ مثل أحسابهم ، حتى أقول فيك كقولي فيهم ، فغضب بلال حتى دَرَّتْ أوداجه ودُعي له بطست فيه ماء بارد ، فوضع يده فيها ، حتى سكن ، فكلَّمه فيه جلساؤه وقالوا : قد كفَّاك الشيخ نفسه وقلَّ ما يبقى حتى يموت ، فلم يحُلْ عليه الحول حتى مات .
[قواد له من أصحابه]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، عن سعيد بن همام البيمامي ، قال : شرب الفرزدق شرباً باليمامة وهو يريد العراق ، فقال لصاحب له : إنَّ العُلَمة قد آذنتي فأكسيني بغيّاً ، قال : من أين أصيب لك هاهنا بغيّاً ؟ قال : فلا بدَّ لك من أن تحتال ، قال : فمضى الرجل إلى القرية ، وترك الفرزدق ناحية ؛ فقال : هل من امرأة تُقبِّل¹ ، فإنَّ معي امرأتي وقد أخذها الطَّلُق فبعثوا معه امرأة ، فأدخلها على الفرزدق ، وقد غَطَّاه ، فلمَّا دنت منه واثبها . ثم ارتحل مبادراً ، وقال : كائنِي بابه الخبيثة يعني جريراً لو قد بلغه الخبر قد قال :

وكنْتَ إذا حلَلْتَ بدارِ قومٍ رحلتَ بخِزيَّةٍ وتركتَ عارا

قال : فبلغ جريراً الخبر ، فهجاه بهذا الشعر .

[يغتصب بيتاً]

وأخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، قال : قال أبو نهشل : حدَّثنا بعض أصحابنا : قال : وقف الفرزدق على الشمردل ، وهو ينشد قصيدة له ، فمرَّ هذا البيت في بعض قوله :

وما بين مَنْ لم يعطِ سمعاً وطاعةً وبين جريِرٍ غير حَزِّ الحلاقمِ

فقال الفرزدق : يا شمردل ، لتترك هذا البيت لي أو لتترك عرضك ؛ قال : خذه ، لا بارك الله لك فيه فهو في قصيدته التي ذكر فيها قتيبة بن مسلم ، وهي التي أولها قوله : [من الطويل]
تحنُّ إلى زورا اليمامة ناقتسي حينَ عَجولٍ تبتغي البوَّ رائم²

1 تقبل : تشتغل قابلة .

2 زورا اليمامة في الديوان 307/2 : لزوراء المدينة . البوَّ : جلد يحشى تبناً على هيئة الحوار لتدرَّ اللبن حين تراه . رائم : عطوف .

[تستعيز بقبر أبيه]

أخبرنا عبد الله بن مالك قال : حدثنا محمد بن حبيب ، عن الأصمعي ، قال : جاءت امرأة إلى قبر غالب أبي الفرزدق ؛ فضربت عليه فسطاطاً . فأتاها فسألها عن أمرها . فقالت : إني عائذة بقبر غالب من أمرٍ نزل بي ، قال لها : وما هو ، قد ضمنت خلاصك منه ، قالت : إن ابناً لي أغزى إلى السند مع تميم بن زيد ؛ وهو واحدي قال : انصرفي ، فعلي انصرافه إليك إن شاء الله ، قال : وكتب من وقته إلى تميم بقوله :

تميم بن زيد لا تكونن حاجتي بظهرٍ فلا يخفى عليّ جوابها
وهب لي حبيشاً واتخذ فيه منةً لحرمة أمّ ما يسوغ شرابها
أتنتي فعاذت يا تميمُ بغالبٍ وبالحفرة السّافي عليها ترابها

قال : فعرض تميم جميع من معه من الجند ، فلم يدع أحداً اسمه حُبَيْش ، ولا حُبَيْش إلا وصله ، وأذن له في الانصراف إلى أهله .

[ما يشتهي]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : أخبرنا محمد بن حبيب ، عن الأصمعي ، قال : مرّ الفرزدق بصديق له ، فقال له : ما تشتهي يا أبا فراس ؟ قال : أشتهي شواء رَشْرَاشاً ، ونَبِيداً سعيراً¹ ، وغناء يفتق السمع .

الرَشْرَاش : الرطّب ، والسعير : الكثير .

[يترجم بمحبي شعره]

أخبرنا عبد الله بن مالك . قال : حدثنا محمد بن حبيب : قال : حدثني السعدي ، عن أبي مالك الزيدي . قال : أتينا الفرزدق لنسمع منه شيئاً ، فجلسنا ببابه ننتظر ، إذ خرج علينا في ملحفة . فقال لنا : يا أعداء الله ، ما اجتماعكم بيابي ؟ والله لو أردت أن أزني ما قدّرت .

[يعاني في صنع الشعر]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدثنا أبو مسلم ، قال حدثنا الأصمعي عن هشام بن القاسم ، قال : قال الفرزدق : قد علم الناس أنّي فحل الشعراء . وربما أتت علي الساعة لقلع ضرسٍ من أضراسي أهون عليّ من قول بيت شعر .

[يهجو راويته فلا يخالفه]

حدَّثنا عبد الله بن مالك عن أبي مسلم ، عن الأصمعي ، قال : كان الفرزدق وأبو شَقْفَل راويته في المسجد ؛ فدخلت امرأة ، فسألت عن مسألة ، وتوسّمت ؛ فرأت هيئة أبي شَقْفَل ، فسألت عن مسائلها ، فقال الفرزدق :

أبو شَقْفَل شيخ عن الحقّ جائزٌ بباب الهدى والرّشد غيرُ بصيرٍ
فقلت المرأة : سبحان الله ؟ أتقول هذا لمثل هذا الشيخ ؟ فقال أبو شَقْفَل : دعيه فهو أعلم بي .

[سكينة بنت الحسين تنقده وتهبّه جاريته]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن موسى ، قال : حدَّثنا المدائني ، قال : خرج الفرزدق حاجّاً ، فمر بالمدينة ، فأتى سُكَيْنَةَ بنت الحسين صلوات الله عليه وآله ، فقالت : يا فرزدق . مَنْ أشعر النَّاس ؟ قال : أنا ، قالت : كذبت ؛ أشعر منك الذي يقول :

بنفسي مَنْ تجنّبه عزيزٌ عليّ وَمَنْ زيارته لِمَامٍ
وَمَنْ أُمسي وأصبح لا أراه ويطرُقني إذا هجع النيامُ

فقال : والله لو أذنت لي لأسمعتك أحسن منه . فقالت : أقيموه . فأخرج . ثم عاد إليها في اليوم الثاني . فقالت له : يا فرزدق . مَنْ أشعر النَّاس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت ؛ أشعر منك الذي يقول :

لولا الحياءُ لهاجني استعبارُ وكُزرتُ قبركُ والحبيبُ يزارُ
لا يلبث القرناء أن يتفرّقوا ليلٌ يكرّ عليهم ونهارُ
كانت إذا هجر الضجيجُ فراشها كُتِمَ الحديثُ وعُفَّت الأسرارُ

قال : أفأسمعك أحسن منه ؟ قالت : أخرج .

ثم عاد إليها في اليوم الثالث وعلى رأسها جارية كأنها ظبية ، فاشتدّ عجه بها . فقالت : يا فرزدق ، مَنْ أشعر النَّاس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت . أشعر منك الذي يقول : [من البسيط]

إنَّ العيونَ التي في طَرَفِها مَرَضٌ قتلنا ثم لم يُحيين قتلانا
يصرعن ذا اللبِّ حتى لا حراكَ له وهُنَّ أضعفُ خلق الله أركاناً

ثم قالت : قم فأخرج . فقال لها : يا بنت رسول الله ، إن لي عليك لحقاً . إذ كنت إنما جئت مسلماً عليك ، فكان من تكذيبك إياي وصنيعك بي حين أردت أن أسمعك شيئاً من

شعري ما ضاق به صدري . والمنايا تغدو وتروح ، ولا أدري ، لعلّي لا أفارق المدينة حتى أموت . فإن ميتٌ فمُري مَنْ يدفني في حِرِّ هذه الجارية التي على رأسك ، فضحكت سُكينةُ ، حتى كادت تخرج من ثيابها ، وأمرت له بالجارية ، وقالت : أحسن صحبتها ؛ فقد آثرتك بها على نفسي ، قال : فخرج وهو آخذ برِيطتها¹ .

[يطالب معاوية بتراث عمّه]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدّثنا محمد بن موسى ، قال : حدّثنا المدائنيّ قال : وفد الحُتاتُ عمُّ الفرزدق على معاوية ، فخرجت جوائزهم ، فانصرفوا ، ومرض الحُتاتُ ، فأقام عند معاوية حتى مات ، فأمر معاوية بماله ، فأدخل بيتَ المال ، فخرج الفرزدق إلى معاوية ، وهو غلام ، فلما أُذِنَ للناس دخل بين السماطين² ، ومثل بين يدي معاوية ، فقال :

أبوك وعمّي يا معاويَ ورثاً تراثاً فيحتازُ التّراثُ أقاربه³
فما بال ميراثِ الحُتاتِ أكلتهُ وميراثُ حرب جامدٌ لي ذائبه⁴ ؟
فلو كان هذا الأمرُ في جاهليّة علمتَ من المولى القليلُ حلائبه⁵
ولو كان هذا الأمرُ في ملك غيركم لأداه لي أو غصَّ بالماء شاربه⁶

فقال له معاوية : مَنْ أنت ؟ قال : أنا الفرزدق قال : ادفعوا إليه ميراث عمّه الحُتات ، وكان ألف دينار ، فدفع إليه .

[امرأة تهجوه فتوجهه]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن أبي حمزة الأنصاريّ ، قال : أخبرنا أبو زيد ، قال : قال أبو عبيدة .

انصرف الفرزدق من عند بعض الأمراء في غداة باردة ، وأمر بجزور . فنُجرت ثم قُسمت ، فأغفل امرأة من بني فُقيم ، نسيها ، فرجزت به ، فقالت :

[من الرجز]

1 الرِيطَة : الملاءة كلّها نسيج واحد وقطعة واحدة ، أو كل ثوب لين رقيق .

2 السماطين : الصفيّين .

3 يحتاز : يحوز .

4 في الديوان 45/1 : أتاكل ميراث الحُتات ظلاماً .

5 الأمر في الديوان 45/1 : الدين . حلائب : جمع حلوب .

6 أداه لي في الديوان 45/1 : لأبديته .

فَيْسَلَةُ هَدْلَاءُ ذَاتُ شَيْشَقٍ مشرفةُ اليافوخِ والمحوقِ¹
مُدْمَجَةٌ ذَاتُ حِفَافٍ أَخْلَقَ نِيَطَتْ بِحَقْوَيَّ قَطْمٍ عَشَنَقِ²
أَوْلَجْتُهَا فِي سَبَّةِ الْفَرَزْدَقِ³

قال أبو عبيدة : فبلغني أنه هرب منها ، فدخل في بيت حماد بن الهيثم ، ثم إن الفرزدق قال فيها بعد ذلك :

قَتَلْتُ قَتِيلًا لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ أَقْبَلَهُ ذَا تَوَمْتَيْنِ مُسَوَّرًا⁴
حَمَلْتُ عَلَيْهِ حَمَلَتَيْنِ بَطْعَنِي فَعَادَرْتُهُ فَوْقَ الْحَشَايَا مَكُورًا
تَرَى جَرْحَهُ مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ طَعَنْتَهُ يَفُوحُ كَمِثْلِ الْمَسْكِ خَالِطًا عَنَبْرًا
وَمَا هُوَ يَوْمَ الزَّحْفِ بَارِزَ قِرْنِهِ وَلَا هُوَ وَلَّى يَوْمَ لَاقَى فَادْبِرًا
بَنِي دَارِمٍ مَا تَأْمُرُونَ بِشَاعِرٍ بَرُودَ الثَّنَايَا مَا يَزَالُ مَزْعُفَرًا
إِذَا مَا هُوَ اسْتَلْقَى رَأَيْتَ جِهَازَهُ كَمَقْطَعِ عُنُقِ النَّابِ أَسْوَدَ أَحْمَرًا⁵
وَكَيْفَ أَهَاجِي شَاعِرًا رَحْمَهُ اسْتُهُ أَعَدَّ لِيَوْمِ الرَّوْعِ دِرْعًا وَمَجْمَرًا

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : أَلَا لَا أَرَى الرِّجَالَ يَذْكُرُونَ مِنِّي هَذَا ، وَعَاهَدْتَ اللَّهَ أَلَّا تَقُولَ شِعْرًا .

[كَأَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُوتَى]

أخبرنا عبد الله بن مالك بن مسلم ، عن الأصمعي قال : مرَّ الفرزدق يوماً في الأزْد ، فوثب عليه ابن أبي علقمة لينكحه ، وأعانته على ذلك سفهاؤهم ، فجاءت مشايخ الأزْد وأولو النُّهى منهم ، فصاحوا بابن أبي علقمة وبأولئك السفهاء ، فقال لهم ابن أبي علقمة : ويلكم ! أطيعوني اليوم ، واعصوني الدهر ؛ هذا شاعرٌ مضرٌ ولسانها ، قد شتم أغراضكم ، وهجا ساداتكم ، والله لا تنالون من مضر مثلها أبداً ، فحالوا بينه وبينه ، فكان الفرزدق يقول بعد ذلك : قَاتِلْهُ اللَّهُ . إِي وَاللَّهِ ، لَقَدْ كَانَ أَشَارَ عَلَيْهِمُ بِالرَّأْيِ .

[أَنْصَارِيَّ يَتَحَدَّاهُ بِشِعْرِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ ، قَالَ : قَالَ الْكَلْبِيُّ : قَالَ

1 هَدْلَاءُ : طويلة . مشرفة اليافوخ : طويل أعلاها . المحوق : من الحق ، وهو ما أحاط بالكمرة من حوافها .

2 أَخْلَقَ : صلب . الحقو : الخصر . قَطْمٍ : مجيد للنكاح مشتة له . عَشَنَقِ : طويل .

3 السَّبَّةُ : الإلاست .

4 التَّوْمَةُ : لَوْلَةٌ تَحُلَّى بِهَا الْمَرْأَةُ . مُسَوَّرًا : لَابِسًا أَسَاوِرَ .

5 يَرِيدُ بِالْجِهَازِ بَضْعَ الْمَرْأَةِ . وَالنَّابِ : النَّاقَةُ الْمُسَنَّةُ .

إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص . وأخبرنا بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي والأخفش جميعاً ، عن السكري ، عن ابن حبيب ، عن أبي عبيدة والكلبي : قال : وأخبرنا به إبراهيم بن سعدان ، عن أبيه ، عن أبي عبيدة ، قالوا جميعاً : قدِم الفرزدقُ المدينة في إمارة أبان بن عثمان ، فأتى الفرزدق وكثير عزة ، فبينا هما يتناشدان الأشعار إذ طلع عليهما شخت¹ رقيق الأدمة ، في ثوبين مصرين ، فقصد نحونا ، فلم يسلم ، وقال : أيكم الفرزدق ؟ فقلت مخافة أن يكون من قريش : أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها ؟ فقال : لو كان كذلك لم أقل هذا ، فقال له الفرزدق : مَنْ أَنْتَ لا أُمُّ لَكَ ، قال : رجل من الأنصار ، ثم من بني النجار ، ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم ، بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب ، وتزعمه مضر ، وقد قال شاعرنا حسان بن ثابت شعراً ، فأردت أن أعرضه عليك ، وأؤجلك سنة ، فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب ، كما قيل ، وإلا فأنت منتحل كذاب ، ثم أنشده :

ألم تسأل الرَّبْعَ الجديدَ التكلما

حتى بلغ إلى قوله : [من الطويل]

| | |
|---|------------------------------------|
| سيفاً وأدراعاً وجمّاً عرمرما | وأبقى لنا مَرُّ الحروب ورزؤها |
| وغسانَ نمنعُ حوضنا أن يُهدمّا | متى ما تُردُّنا من معدٍّ عصابة |
| شماريخُ رَضوى عِزّةٍ وتكرماً ² | لنا حاضر فعمّ وبادٍ كأنه |
| وقائلُنّا بالعُرفِ إلّا تكلّمّا | أبى فعلُنا المعروفَ أن نطق الخنا |
| قِرَاعُ الكماةِ يرشحُ المسكَ والدِّمّا ³ | بكلِّ فتى عاري الأشاجع لاحه |
| فأكرمَ بذا خالا وأكرمَ بذا أبنا | ولدنا بني العنقاء وابني محرق |
| مروءته فينا وإن كان مُعدّما | يُسودُّ ذا المالِ القليل إذا بدت |
| من الفحَمِ ما أمسى صحيحاً مُسلّما | وإنا لنقرّي الضيفَ إن جاء طارقاً |
| وأسيافنا يقطرن من نجدة دما | لنا الجفّناتُ الغُرُّ يلمعن بالضحي |

فأنشده القصيدة ، وهي نيف وثلاثون بيتاً ، وقال له : قد أجلتك في جوابها حولا ، فانصرف الفرزدق مغضباً ، يسحب رداءه ، وما يدري أية طرقه حتى خرج من المسجد ،

1 الشخت : الضامر النحيف حلقة .

2 فعم : ممتلئ .

3 الأشاجع : أصول الأصابع ، أو عروق ظاهر الكف .

فَأَقْبَلَ عَلَى كَثِيرٍ ، فَقَالَ لَهُ : قَاتَلَ اللَّهُ الْأَنْصَارَ مَا أَفْصَحَ لَهُجَّتَهُمْ ، وَأَوْضَحَ حُجَّتَهُمْ ، وَأَجُودَ شَعْرَهُمْ ، فَلَمْ نَزَلْ فِي حَدِيثِ الْأَنْصَارِ وَالْفَرَزْدَقِ بَقِيَّةَ يَوْمِنَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ خَرَجْتَ مِنْ مَنْزِلِي إِلَى الْمَسْجِدِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ بِالْأَمْسِ ، فَأَتَى كَثِيرٌ ، فَجَلَسَ مَعِيَ ، وَإِنَّا لَنَتَذَكَّرُ الْفَرَزْدَقَ ، وَنَقُولُ : لَيْتَ شَعْرِي مَا صَنَعَ ؟ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا فِي حُلَّةٍ أَفْوَافٍ¹ ، قَدْ أَرْخَى غَدِيرَتَهُ ، حَتَّى جَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ بِالْأَمْسِ ، ثُمَّ قَالَ : مَا فَعَلَ الْأَنْصَارِيُّ ؟ فَنَلْنَا مِنْهُ ، وَشَتَمْنَاهُ ، فَقَالَ : قَاتَلَهُ اللَّهُ : مَا مُنِيتُ بِمَثَلِهِ ، وَلَا سَمِعْتُ بِمَثَلِ شَعْرِهِ ، فَارْقَتَهُ ، وَأَتَيْتُ مَنْزِلِي ، فَأَقْبَلْتُ أَصْعَدُ وَأَصُوبُ فِي كُلِّ فَنٍ مِنَ الشَّعْرِ ، فَكَأَنِّي مَفْحَمٌ لَمْ أَقْلُ شَعْرًا قَطُّ ، حَتَّى إِذَا نَادَى الْمُنَادِيُّ بِالْفَجْرِ رَحَلْتُ نَاقَتِي ، وَأَخَذْتُ بِزِمَامِهَا حَتَّى أَتَيْتُ رِيَّانَا ، وَهُوَ جَبَلٌ بِالْمَدِينَةِ ، ثُمَّ نَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي : أَخَاكُمُ أَخَاكُمُ ، يَعْنِي شَيْطَانَهُ ، فَجَاشَ صَدْرِي كَمَا يَجِيشُ الْمَرْجُلُ ، فَعَقَلْتُ نَاقَتِي وَتَوَسَّدْتُ ذِرَاعَهَا ، فَمَا عَتَمْتُ حَتَّى قَلْتُ مَائَةَ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ وَثَلَاثَةَ عَشْرِ بَيْتًا ، فَبَيْنَا هُوَ يَنْشُدُ إِذْ طَلَعَ الْأَنْصَارِيُّ ، حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَيْنَا سَلَّمَ عَلَيْنَا ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَعْجَلِكَ عَنِ الْأَجَلِ الَّذِي وَقَّتَهُ لَكَ ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَلَّا أُرَاكَ إِلَّا سَأَلْتُكَ : إِيْشَ صَنَعْتَ ؟ فَقَالَ : اجْلِسْ ، وَأَنْشُدْهُ قَوْلَهُ :

عَزَفْتُ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كُنْتُ تَعْرِفُ وَأَنْكَرْتَ مِنْ حُدَرَاءِ مَا كُنْتُ تَعْرِفُ
وَلَجَّ بِكَ الْمَهْجَرَانُ حَتَّى كَأَنَّمَا تَرَى الْمَوْتَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي كُنْتُ تَأْلَفُ

فِي رَوَايَةِ ابْنِ حَبِيبٍ : تَيَلَّفَ حَتَّى بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

تَرَى النَّاسَ مَا سِيرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا
وَأَنْشُدَهَا الْفَرَزْدَقَ ، حَتَّى بَلَغَ إِلَى آخِرِهَا ، فَقَامَ الْأَنْصَارِيُّ كَثِيرًا ، فَلَمَّا تَوَارَى طَلَعَ أَبُوهُ أَبُو بَكْرُ بْنُ حَزْمٍ فِي مَشِيخَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ، وَقَالُوا : يَا أَبَا فِرَاسٍ ، قَدْ عَرَفْتَ حَالَنَا وَمَكَانَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ سَفِيهًا مِنْ سَفَهَائِنَا رُبَّمَا تَعَرَّضَ لَكَ ، فَسَأَلْتُكَ بِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ لِمَا حَفِظْتَ فِينَا وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَوَهَبْنَا لَهُ ، وَلَمْ تَفْضَحْنَا .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ : فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ أَكَلَمَهُ ، فَلَمَّا أَكْثَرْنَا عَلَيْهِ ، قَالَ : اذْهَبُوا ، فَهَبْتُمْ لِهَذَا الْقَرَشِيِّ .

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِلْفَرَزْدَقِ : أَنْشِدْنِي أَجُودَ شَعْرٍ عَمَلْتَهُ ، فَأَنْشُدَهُ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

عَزَفْتُ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كَدْتُ تَعْرِفُ

1 أفواف : ثياب رفاق موشاة مخططة .

فقال : زدني : فأنشده :

[من الوافر]

ثلاثٌ واثنانِ فتلكَ خمسٌ وواحدةٌ تميلُ إلى الشَّمام¹
فبتنَ بجانيبيَّ مصرَّعاتٍ وبتُ أفضُّ أغلاقَ الختامِ²

فقال له سليمان : ما أراك إلا قد أحللتَ نفسك للعقوبة ، أقررتَ بالزنى عندي ، وأنا إمام ، ولا تريد مني إقامة الحدِّ عليك ، فقال : إن أخذتَ في بقول الله عزَّ وجلَّ لم تفعل . قال : وما قال ؟ . قال : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالشَّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ ، فضحك سليمان وقال : تلافيتها ودرأتَ عنك الحدَّ وخلعَ عليه وأجازَه .

[يجتمع وهو وجريـر بالشام]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، عن الأصمعيِّ ، قال : قديم الفرزدق الشام وبها جرير بن الخطفي ، فقال له جرير : ما ظننتك تقدم بلداً أنا فيه ، فقال له الفرزدق : إني طالما أخلفتُ ظنَّ العاجز .

[الفرزدق لعنة وجريـر شهاب]

أخبرنا عبد الله بن مالك قال : حدَّثنا محمد بن موسى بن طلحة : قال : قال أبو مخنف : كان الفرزدق لعنةً ، أي يتلَعَن به كأنه لعنة على قوم ، وكان جرير شهاباً من شهب النار .

[يتنذر بمحمد بن وكيع]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا الأزديُّ : قال : حدَّثنا عمرو بن أبي عمرو عن أبيه ، قال : قال أبو عمرو بن العلاء : مرَّ الفرزدق بمحمد بن وكيع بن أبي سود ، وهو على ناقة فقال له : غدَّني ، قال : ما يحضرني غداء ، قال : فاسقني سويقاً ، قال : ما هو عندي ، قال : فاسقني نبيذاً ، قال : أو صاحبَ نبيذٍ عهدتني ، قال : فما يُقعـدك في الظلِّ ؟ قال : فما أصنع ؟ قال أطلَّ وجهك بدبس³ ، ثم تحوَّل إلى الشمس ، واقعد فيها ، حتى يشبه لونك لون أبيك الذي تزعمه ، قال أبو عمرو : فما زال ولد محمد يُسبُّون بذلك من قول الفرزدق انتهى .

[هاشم بن القاسم يتجاهله]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن ابن حبيب ، عن موسى بن طلحة ، عن أبي عبيدة ،

1 الشام : القبل والترشف وما إليها .

2 فضَّ الأغلاق : أي المضاجعة .

3 الدبس : الأسود من كل شيء .

عن أبي العلاء : قال : أخبرني هاشم بن القاسم العنزي أنه قال : جمعني والفرزدق مجلس ، فتجاهلت عليه ، فقلت له : من أنت ؟ قال : أما تعرفني ؟ قلت : لا ، قال : فأنا أبو فراس ، قلت : ومن أبو فراس ؟ قال : أنا الفرزدق ، قلت : ومن الفرزدق ؟ قال : أو ما تعرف الفرزدق ؟ قلت : أعرف الفرزدق أنه شيء يتخذه النساء عندنا ، يتسمن به وهو الفتوت ، فضحك وقال : الحمد لله الذي جعلني في بطون نساءكم .
[الكليون يعثون به]

أخبرني عبد الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، عن النضر بن حديد ، قال : مرّ الفرزدق بماء لبني كليب مجتازاً ، فأخذوه ، وكان جباناً ، فقالوا : والله لتلقين منا ما تكره ، أو لتنكحن هذه الأتان ، وأتوه بأتان ، فقال : ويلكم ! اتقوا الله ، فإنه شيء ما فعلته قط ، فقالوا : إنه لا ينجيك والله إلا الفعل قال : أما إذا أبيت فأتوني بالصخرة التي يقوم عليها عطية¹ ، فضحكوا ، وقالوا : اذهب لا صحبتك الله .
[أسود يستخف به]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، عن العتيبي قال : دخل الفرزدق على قوم يشربون عند رجل بالبصرة ، وفي صدر مجلسهم فتى أسود ، وعلى رأسه إكليل ، فلم يحفل بالفرزدق ولم يخف به تهاوناً ، فغضب الفرزدق من ذلك وقال : [من الطويل]

جلوسك في صدر الفراش مدلة ورأسك في الإكليل إحدى الكبائر
وما نطفت كأس ولا لذ طعمها ضربت على حافاتها بالمشافر²

[يرثي وكيعاً]

أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى ، عن العتيبي قال : لما مات وكيع بن أبي سود أقبل الفرزدق حين أخرج ، وعليه قميص أسود ، وقد شقه إلى سرتة وهو يقول :

فمات ولم يوتر وما من قبيلة من الناس إلا قد أباءت على وتر
وإن الذي لاقى وكيعاً وناله تناول صديق النبي أباً بكر

قال : فعلق الناس الشعر ، فجعلوا ينشدونه ، حتى دُفن ، وتركوا الاستغفار له .

1 عطية : والد جرير .

2 نطفت الكأس : قطرت .

[مِمْيَتَه المشهورة في علي بن الحسين]

أخبرنا عبد الله بن علي بن الحسن الهاشمي ، عن حيان بن علي العنزي ، عن مجالد ، عن الشعبي قال : حجَّ الفرزدق بعدما كبر ، وقد أتت له سبعون سنة ، وكان هشام بن عبد الملك قد حجَّ في ذلك العام فرأى علي بن الحسين في غمار النَّاس في الطواف ، فقال : مَنْ هذا الشاب الذي تَبْرُقُ أسرة وجهه كأنه مرآة صينية تراءى فيها عذارى الحيَّ وجوهها ؟ فقالوا : هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم ، فقال الفرزدق :

هذا الذي تَعْرِفُ البطحاء وطَّاهُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلَّهم
هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهله
وليس قولك : مَنْ هذا بضائره
إذا رَأَتْه قريشٌ قال قائلها :
يُغْضِي حياءُ وَيُغْضِي من مهابته
بَكْفِه خيزرانٌ رِيحُها عَيْقُ
يكاد يُمسكه عِرْفانَ راحته
اللهُ شَرَّفَه قَدَمًا وَعَظَّمَه
أَيُّ الخلائقِ ليست في رقابهم
مَنْ يشكرُ الله يشكرُ أولَّيةَ ذا
يَنمي إلى ذِروة الدِّين التي قَصُرَتْ
مَنْ جَدُّه دان فَضْلُ الأنبياء له
مُشْتَقَّةٌ من رسول الله نَبْعُهُ
ينشقُّ ثوبُ الدَّجى عن نُورِ غُرَّتِه
مِنْ معشرِ حُبِّهم دينٌ ، وبغضهم
مُقَدَّمٌ بعد ذكر الله ذِكْرَهُمْ

وَالْيَتُّ يَعْرِفُه وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
هذا التَّقِيُّ النَقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
بجَدِّه أنبياءُ الله قد خَتَمُوا
العُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرَتْ وَالْعَجَمُ
إلى مكارمِ هذا ينتهي الكرمُ
فما يُكَلِّمُ إِلَّا حينَ يَنْتَسِمُ
من كفٍّ أروغَ في عِرْنِينِه شَمُّ¹
رُكْنُ الحَطيِّمِ إذا ما جاء يستلمُ
جَرَى بذاك له في لوحه القلمُ
لأَوَّلِيَّةِ هذا أولُّه نِعَمُ
فالدِّين من بيت هذا ناله الأُمُّ
عنها الأكفُّ وعن إدراكها القَدَمُ
وَفَضْلُ أُمَّتِه دانَتْ له الأُمُّ
طابت مغارِسُه وَالخَيْمُ وَالشَّيْمُ²
كالشمس تنجابُ عن إشراقها الظُّلَمُ
كُفِّرَ وَقُرْبُهُمْ مَنْجَى وَمُعْتَصَمُ
في كلِّ بدءٍ ومختومٌ به الكَلِمُ

1 العرنين : الأنف .

2 النبعة : شجرة صلبة الألياف تتخذ منها القسي . الخيم : الأصل والشرف .

إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّقَى كَانُوا أَثْمَتَهُمْ أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ : هُمْ
لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادُ كَنهِ جَوْدِهِمْ وَلَا يَدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا¹
يُسْتَدْفَعُ الشَّرُّ وَالْبَلَوُ بِجَهْمِهِمْ وَيَسْتَرْبُ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنَّعْمُ²

وقد حدثني بهذا الخبر أحمد بن الجعد ، قال : حدثنا أحمد بن القاسم البرتي ، قال :
حدثنا إسحاق بن محمد النخعي ، فذكر أن هشاماً حجَّ في حياة أبيه ، فرأى علي بن
الحسين رضي الله تعالى عنهم ، يطوف بالبيت والناس يُفرجون له . فقال : مَنْ هذا ؟ فقال
الأبرش الكلبي : ما أعرفه ، فقال الفرزدق : ولكنِّي أعرفه ، فقال : مَنْ هو ؟ فقال :
هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأته

وذكر الأبيات . . . إلخ .

قال : فغضب هشامٌ فحبسه بين مكة والمدينة فقال : [من الطويل]

أَتَحْسِنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالَّتِي إِلَيْهَا قُلُوبُ النَّاسِ يَهْوِي مُنِيهَا
يَقْلُبُ رَأْساً لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَعَيْناً لَهُ حَوْلَاءُ بَادٍ عِيوبُهَا
فبلغ شعره هشاماً ، فوجّه ، فأطلقه .

[مع مالك بن المنذر]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، عن الهيثم بن عدي ، قال : أخبرنا أبو
روح الراسبي ، قال : لما ولي خالد بن عبد الله العراق ولَّى مالك بن المنذر شرطة البصرة ،
فقال الفرزدق :

يُبْغِضُ فِينَا شُرْطَةَ الْمَصْرِ أَتَنِي رَأَيْتُ عَلَيْهَا مَالِكاً عَقَبَ الْكَلْبِ

قال ، فقال مالك : عَلَيَّ بِهِ ، فمضوا به إليه ، فقال : [من الطويل]

أَقُولُ لِنَفْسِي إِذْ تَغْصُ بِرِيقِهَا أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَا لَهَا عِنْدَ مَالِكٍ ؟

قال : فسمع قوله حائكٌ يطلع من طرازه ، فقال : [من الطويل]

لَهَا عِنْدَهُ أَنْ يَرْجَعَ اللَّهُ رِيقَهَا إِلَيْهَا وَتَنْجُو مِنْ عَظِيمِ الْمَهَالِكِ

فقال الفرزدق : هذا أشعرُ الناس ، وليعودنَّ مجنوناً ، يصيح الصبيان في أثره فقال : فأروه
بعد ذلك مجنوناً يصيح الصبيان في أثره .

1 كنه في الديوان 181/2 : بعد .

2 يسترب : يسترد وينمي .

أخبرنا عبد الله بن مالك قال : حدثنا محمد بن علي بن سعيد ، قال : حدثنا القحذمي : قال : فلما أتوا مالك بن المنذر بالفرزدق قال : هيه عقيب الكلب ، قال : ليس هذا هكذا قلت ، وإنما قلت :

ألم تَرَنِّي ناديتُ بالصوت مالكاً ليسمعَ لما غصَّ من ريقه الفمُ
أعوذُ بقبر فيه أكفانُ مُنذرٍ فهن لأيدي المستجيرين محرماً¹
قال : قد عذتَ بمعاذ² ، وخلقى سبيله .

أخبرنا عبد الله قال : حدثني محمد بن موسى ، قال : كتب خالد القسريُّ إلى مالك بن المنذر يأمره بطلب الفرزدق ، ويذكر أنه بلغه أنه هجاه ، وهجا نهره المبارك ، وهو النهر الذي بواسط الذي كان خالد حفره ، فاشتدَّ مالك في طلبه حتى ظفر به في البراجم فأخذه وحبسه ومروا به على بني مجاشع ، فقال : يا قوم ، اشهدوا أنه لا خاتم بيدي ، وذلك أنه أخذ عمر بن يزيد بن أسيد ، ثم أمر به فلويَّت عنقه ، ثم أخرجوه ليلاً إلى السجن ، فجعل رأسه يتقلب ، والأعوان يقولون له : قوم رأسك ، فلما أتوا السجن قال : لا أتسلمه منكم ميتاً ، فأخذوا المفاتيح منه ، وأدخلوه الحبس ، وأصبح ميتاً ، فسمعوا أنه مصرَّ خاتمه وكان فيه سم ، وتكلم الناس في أمره ، فدخل لبطة بن الفرزدق على أبيه ، فقال : يا بني ، هل كان من خبر ؟ قال : نعم ، عمر بن يزيد مصرَّ خاتمه في الحبس ، وكان فيه سم ، فمات ، فقال الفرزدق : والله يا بني لئن لم تلحق بواسط ليمصنَّ أبوك خاتمَه ، وقال في ذلك :

ألم يكُ قتلُ عبد الله ظلماً أباً حفص من الحرَم العظامِ
قتيلُ عداوةٍ لم يجنُ ذنباً يُقطَّعُ وهو يهتف للإمامِ

[جرير يشفع له]

قال : وكان عمر عارضاً خالداً وهو يصف لهشام طاعة أهل اليمن وحسن موالاتهم ونصيحتهم ، فصفق عمرو بن يزيد إحدى يديه على الأخرى ، حتى سمع له في الإيوان دويٌّ ، ثم قال : كذب والله يا أمير المؤمنين ، ما أطاعت اليمانية ، ولا نصحت ، أليس هم أعداؤك وأصحابُ يزيد بن المهلب وابن الأشعث ؟ والله ما ينقُ ناعق إلا أسرعوا الوثبة إليه ، فاحذرهم يا أمير المؤمنين قال : فتبين ذلك في وجه هشام ووثب رجل من

1 منذر : أبو مالك .

2 بمعاذ : بذي حرمة .

بني أُمَيَّة ، فقال لعمر بن يزيد : وصل الله رحمك وأحسن جزاءك ، فلقد شددت من أنفك قومك ، وانتهزت الفرصة في وقتها ، ولكن أحسبُ هذا الرجل سيّلي العراق ، وهو منكِرٌ حسود ، وليس يخارُ لك¹ إن ولي ، فلم يرتدغُ عمر بقوله ، وظنَّ أنه لا يُقدم عليه ، فلمّا ولي لم تكن له همّةٌ غيرُهُ ، حتى قتله ، قال : ثم إن مالكا وجهَ الفرزدق إلى خالد ، فلمّا قدم به عليه وجده قد حجّ ، واستخلف أخاه أسد بن عبد الله على العراق ، فحبسه أسد ، ووافق عنده جريراً ، فوثب يشفع له ، وقال : إن رأى الأمير أن يهبه لي ، فقال أسد : أتشفع له يا جرير ؟ فقال : إن ذلك أذلُّ له ، أصلحك الله ، وكلّم أسداً ابنه المنذِرُ ، فخلّى سبيله ، فقال الفرزدق في ذلك :

لا فضلَ إلا فضلُ أمٍّ على ابنها كفضل أبي الأشبال عند الفرزدق
تداركني من هُوّةٍ دون قعرها ثمانون باعاً للطُّوال العَشَق²
وقال جرير يذكر شفاعته له :

وهل لك في عانٍ وليس بشاكرٍ فتطلق عنه عضّ مسّ الحدائد³ ؟
يعودُ وكان الخبثُ منه سجيّةً وإن قال : إني مُنتهٍ غيرَ عائِدِ
[يهجو بني فقيم]

أخبرني عبيد الله ، عن محمد بن موسى ، عن القحذميّ ، قال : كان سببُ هرب الفرزدق من زياد ، وهو على العراق ، أنه كان هجا بني فقيم ، فقال فيهم أبياتاً منها : [من الوافر]

وآب الوفدُ وفدُ بني فُقيمٍ بأخبث ما تثوب به الوفودُ
أتونا بالقرد مُعادلِها فصار الجدُّ للجدِّ السعيدُ

وقال يهجو زيد بن مسعود الفُقيميّ والأشهب بن رميلة بأبيات ، منها قوله : [من الطويل]

تمنى ابنُ مسعودٍ لقائي سفاهةً لقد قال مينا يوم ذاك ومنكرا
غناءً قليلٌ عن فُقيمٍ ونهشلٍ مقامُ هَجينِ ساعةً ثم أدبرا⁴

يعني الأشهب بن رُميلة ، وكان الأشهبُ خطبُ إلى بني فُقيم ، فردّوه ، وقالوا له : اهْجُ الفرزدق حتى نزوّجك ، فرجز به الأشهب ، فقال :

[من الرجز]

1 يخار لك : يختار لك .

2 الطوال والعشَق : الطويل .

3 الحدائد : القيود .

4 الهجين : غير صريح النسب .

يا عجباً هل يركبُ القَيْنُ الفرسَ وَعَرَقُ القَيْنِ على الخيلِ نَجَسٌ¹ ؟
وإنما سلاحُه إذا جَلَسَ الكَلْبَتَانِ والعَلَاةُ والقَبَسُ²

[يهرب من زياد]

فلما بلغ الفرزدق قوله هجاء ، فأرَفَتْ³ له ، وألَحَّ الفرزدق على النهشليين بالهجاء ، فشكوه إلى زياد ، وكان يزيدُ بنُ مسعود ذا منزلة عند زياد ، فطلبه زياد ، فهرب ، فأتى بكر بن وائل ، فأجاروه ، فقال الفرزدق يمدحهم بأبيات :

إنِّي وإن كانت تميمٌ عِمَارَتِي وكنتُ إلى القُرْمُوسِ منها القِمَامِ⁴
لَمْ تُشْرِ على أبناءِ بكرِ بنِ وائلٍ ثناءً يوافي ركبهم في المواسمِ
هو يومِ ذي قارِ أناخوا فجالدوا برأسٍ به تَدْمِي رؤوسُ الصَّلاَدِ⁵
وهرب ، حتى أتى سعيد بن العاصي ، فأقام بالمدينة يشرب ، ويدخل إلى القيان ، وقال :

إذا شئتُ غَنَّاني من العاجِ قاصف على معصمِ رِيَّانٍ لم يتخذِ
ليضاءَ من أهلِ المدينةِ لم تعشُ بيؤسَ ولم تتبعْ حَمولَةَ مُجَحَّدِ
وقامت تخشيني زياداً وأجفلت حوالِيَّ في بُرْدِ يمانٍ ومَجْسَدِ
فقلتُ : دعيني من زياد فإنني أرى الموتَ وَقَافاً على كلِّ مَرْصَدِ

[مروان ينفية ثم يجيزه]

فبلغ شعره مروان ، فدعاه ، وتوعَّده ، وأجلَّه ثلاثاً ، وقال : اخرج عني ، فأنشأ يقول الفرزدق :

دعانا ثم أَجَلَّنَا ثلاثاً كما وُعِدَتْ لِمَهْلِكِهَا ثمودُ
قال مروان : قولوا له عني : إنني أجبتُه ، فقلت :
قل للفرزدق والسِّفَاهَةُ كاسمِها إن كنت تارك ما أمَرْتُكَ فاجلسِ

1 القَيْن : الحداد .

2 الكلبتان : آلة من آلات الحداد ، والعلاة : السندان .

3 أرَفَتْ : أفحش .

4 العمارة : الحي دون القبيلة . القرموس : السيد الرئيس . القمام : الجواد ذو الفضل الغزير .

5 الصلادم : جمع صلدم بمعنى الأسد أو الحجر الصلب .

ودع المدينة إنها محظورة والحق بمكة أو بيت المقدس.

قال : وعزم على الشخوص إلى مكة ، فكتب له مروان إلى بعض عماله ، ما بين مكة والمدينة بمائتي دينار ، فارتاب بكتاب مروان ، فجاء به إليه وقال : [من الكامل]

مروان إن مطيتي معقولة ترجو الحباء ورثها لم يئاس
آتيتني بصحيفة مختومة يخشى علي بها جباء النقرس¹
ألني الصحيفة يا فرزدق لا تكن نكراء مثل صحيفة المتلمس

قال : ورمى بها إلى مروان ، فضحك ، وقال : ويحك ! إنك أمي ، لا تقرأ ، فاذهب بها إلى من يقرؤها ، ثم ردّها ، حتى أختمها ، فذهب بها ، فلما قرئت إذا فيها جائزة ، قال : فردّها إلى مروان ، فختمها ، وأمر له الحسين بن عليّ عليهما السلام بمائتي دينار ، قال : ولما بلغ جبراً أنه أخرج عن المدينة قال :

إذا حلّ المدينة فارجموه ولا تدنوه من جدّث الرسول
فما يحمي عليه شراب حدّ ولا ورهاء غائبه الخليل²

فأجابه الفرزدق ، فقال :

نعت لنا من الورهاء نعتاً قعدت به لأمك بالسبيل
فلا تبغي إذا ما غاب عنها عطية غير نعتك من خليل

[يموت بذات الجنب]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدّثني محمد بن موسى ، قال : حدّثنا أبو عكرمة الضبيّ عن أبي حاتم السجستانيّ ، عن محمد بن عبد الله الأنصاريّ ، قال أبو عكرمة : وحكي لنا عن لبطة بن الفرزدق أن أباه أصابته ذات الجنب ، فكانت سبب وفاته .

قال : ووُصِف له أن يشرب النفط الأبيض ، فجعلناه له في قدح ، وسقيناها إيّاه ، فقال : يا بنيّ عجّلت لأبيك شراب أهل النار ، فقلت له : يا أبت ، قل : لا إله إلا الله ، فجعلت أكرّرها عليه مراراً ، فنظر إليّ وجعل يقول :

فظلّت تعالى باليفاع كأنها رماح نخاها وجهة الرّيح راكز

فكان ذا هجّيراه حتى مات .

1 النقرس : الهلاك أو الداهية ، أو وجع في مفاصل الكفين .

2 الورهاء : الحمقاء .

أخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، قال : حدثني شعيب بن صخر ، قال : دخل بلال بن أبي بردة على الفرزدق في مرضه الذي مات فيه ، وهو يقول : [من الوافر]

أروني مَنْ يقومُ لكم مقامي إذا ما الأمرُ جلَّ عن الخطابِ
البيتين ، فقال بلال : إلى الله ، إلى الله .

[يتمرد في مرض موته]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، عن الأصمعي ، قال : كان الفرزدق قد دبر عبيداً له ، وأوصى بعثتهم بعد موته ، وبدفع شيء من ماله إليهم ، فلما احتضر جمع سائر أهل بيته ، وأنشأ يقول :

أروني مَنْ يقومُ لكم مقامي إذا ما الأمرُ جلَّ عن الخطابِ
إلى مَنْ تفرعون إذا حثوتم بأيديكم عليّ من الترابِ
فقال له بعض عبيده ، الذين أمر بعثتهم : إلى الله ، فأمر ببيعه قبل وفاته ، وأبطل وصيته فيه ، والله أعلم .

أخبرني الحسن بن عليّ ، عن بشر بن مروان ، عن الحميدي ، عن سفيان ، عن لبطة بن الفرزدق قال : لما احتضر أبو فراس قال ، أي لبطة : أبغني كتاباً أكتب فيه وصيتي ، فأثبته بكتاب فكتب وصيته :

أروني مَنْ يقومُ لكم مقامي

البيتين ، فقالت مولاة له ، قد كان أوصى لها بوصية : إلى الله عز وجلّ ، فقال : يا لبطة ، احملها من الوصية .

قال سفيان : نعم ما قالت وبئس ما قال أبو فراس .

[بنظم وصيته شعراً]

وقال عوانة : قيل للفرزدق في مرضه الذي مات فيه أوص ، فقال :

أوصي تميماً إن قضاة ساقها ندى الغيث عن دار بدومة أو جذب
فإنكم الأكفاء والغيث دولة يكون بشرق من بلاد ومن غرب¹
إذا انتجعت كلب عليكم فوسّعوا لها الدار في سهل المقامة والرحب
فأعظم من أحلام عاد حلومهم وأكثرهم عند العديد من الترب

1 دولة : متداولة ، لا تستقر على حال .

أَشَدُّ حِبَالٍ بَعْدَ حَيَيْنٍ مِرَّةً حِبَالٌ أُمِرْتُ مِنْ تَمِيمٍ وَمِنْ كَلْبٍ¹
[غلام له يموت قبله]

قال : وتوفي للفرزدق ابنٌ صغير قبل وفاته بأيام ، وصلى عليه ، ثم التفت إلى الناس ، فقال : [من الطويل]

وَمَا نَحْنُ إِلَّا مِثْلُهُمْ غَيْرَ أَنَّنَا أَقَمْنَا قَلِيلاً بَعْدَهُمْ وَتَقَدَّمُوا
[أنشد عند موته]

قال : فلم يلبث إِلَّا أَيَّاماً حَتَّى مَاتَ : وقال المدائني : قَالَ لَبَطَةُ : أَغْمِيَ عَلَى أَبِي ، فَبَكِينَا ، فَفَتَحَ عَيْنِيهِ ، وَقَالَ : أَعَلَيْ تَبْكُونَ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ ، أَفَعَلَى ابْنِ الْمَرَاغَةِ نَبْكِي ؟ فَقَالَ : وَيَحْكُم ! أَهَذَا مَوْضِعُ ذِكْرِهِ ؟ وَقَالَ :

إِذَا مَا دَبَّتِ الْأَنْقَاءُ فَوْقِي وَصَاحَ صَدَى عَلِيٍّ مَعَ الظَّلَامِ²
فَقَدْ شَمِيتُ أَعَادِيكُمْ وَقَالَتْ : أَدَانِيكُمْ مِنْ أَيْنَ لَنَا الْحَامِي ؟
[وقع نعيه على جرير]

أَخْبَرَنِي أَبُو خَلِيفَةَ الْفَضْلُ بْنُ الْحُبَابِ إِجَازَةً ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْغُرَافِ ، قَالَ : نَعِيَ الْفَرَزْدَقَ لَجْرِيرٍ ، وَهُوَ عِنْدَ الْمُهَاجِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِالْيَمَامَةِ ، فَقَالَ :

مَاتَ الْفَرَزْدَقُ بَعْدَ مَا جَرَّعْتُهُ لَيْسَ الْفَرَزْدَقُ كَانَ عَاشَ قَلِيلاً³

فَقَالَ لَهُ الْمُهَاجِرُ : بئس ما قلت ، أتهجو ابن عمك بعد ما مات ! ولو رثيته كان أحسن بك . فقال : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ بَقَائِي بَعْدَهُ لَقَلِيلٌ ، وَأَنْ نَجْمِي لِمَوَافِقِ لَنَجْمِهِ ، أَفَلَا أَرْتِيهِ ؟ قَالَ : أَبَعْدَ مَا قِيلَ لَكَ : أَلَوْ كُنْتَ بِكَيْتِهِ مَا نَسَيْتُكَ الْعَرَبُ .

قال أبو خليفة : قال ابن سلام : فأنشدني معاوية بن عمرو ، قال : أنشدني عمارة بن عقيل لجرير يرثي الفرزدق بأبيات منها :

فَلَا وَلَدَتْ بَعْدَ الْفَرَزْدَقِ حَامِلٌ وَلَا ذَاتُ بَعْلِ مِنْ نَفَاسٍ تَعَلَّتْ⁴

1 المرة : إحكام الفتل .

2 النقا : الكتيب من الرمل . والصدى : رجع الصوت من الجبل أو نحوه ، أو هو طائر أسطوري يخرج من رأس القتيل طالباً الثأر .

3 جرعته : سقيته المرّ ونحوه .

4 تعلت المرأة من نفاسها : انقضت عنها مدته .

هو الوافد المأمون والرأتق الثأى إذا النعل يوماً بالعشيرة زلت¹

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، عن ابن شبة بخبر جرير لما بلغه وفاة الفرزدق ، وهو عند المهاجر ، فذكر نحوه ما ذكره ابن سلام ، وزاد فيه ، قال : ثم قام ، وبكى ، ونديم ، وقال : ما تقارب رجلان في أمرٍ قط ، فمات أحدهما إلا أوشك صاحبه أن يتبعه .
[في أي سنة مات]

قال أبو زيد : مات الحسن وابن سيرين والفرزدق وجرير في سنة عشر ومائة ، فقبر الفرزدق بالبصرة ، وقبر جرير وأيوب السختياني ومالك بن دينار باليمامة في موضع واحد .

وهذا غلط من أبي زيد عمر بن شبة ، لأن الفرزدق مات بعد يوم كاظمة ، وكان ذلك في سنة اثنتي عشرة ومائة ، وقد قال فيه الفرزدق شعراً ، وذكره في مواضع من قصائده ، ويقوي ذلك ما أخبرنا به وكيع ، قال : حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات ، قال : حدثني ابن النطاح ، عن المدائني ، عن أبي اليقظان وأبي همام المجاشعي : أن الفرزدق مات سنة أربع عشرة ومائة .
[جرير ينعى نفسه ويرثيه]

قال أبو عبيدة : حدثني أبو أيوب بن كسيب من آل الخطفي ، وأمه ابنة جرير بن عطية ، قال : بينا جرير في مجلس بفناء داره بحجر إذ راكب قد أقبل ، فقال له جرير : من أين أوضح الراكب² ؟ قال : من البصرة ، فسأل عن الخبر ، فأخبره بموت الفرزدق ، فقال : [من الكامل]

مات الفرزدق بعد ما جرّعته ليت الفرزدق كان عاش قليلا

ثم سكت ساعة ، فظنناه يقول شعراً ، فدمعت عيناه ، فقال القوم : سبحان الله ، أتبكي على الفرزدق ! فقال : والله ما أبكي إلا على نفسي ، أما والله إن بقائي ؛ خلافة³ لقليل ، إنه قل ما كان مثلنا رجلان يجتمعان على خير أو شر إلا كان أمد ما بينهما قريباً ، ثم أنشأ يقول :

فجئنا بمآل الديات ابن غالب وحامي تميم كلها والبراجم

1 الثأى : الفتق .

2 من أين أوضح الراكب ؟ : من أين طلع .

3 خلافة : بعده .

بكيناكَ حَدَّثَانُ الْفِرَاقِ وَإِنَّمَا بكيناكَ شَجَوًّا لِلْأُمُورِ الْعِظَائِمِ¹
فَلَا حَمَلَتْ بَعْدَ ابْنِ لَيْلَى مَهِيرَةً وَلَا شُدَّ أَنْسَاغُ الْمَطِيِّ الرَّوَاسِمِ²

[يموت بالديبيلة]

وقال البلاذريّ : حَدَّثَنَا أَبُو عَدْنَان ، عَنْ أَبِي الْيَقْظَان ، قَالَ : أَسَنَّ الْفَرَزْدَقَ حَتَّى قَارَبَ الْمِائَةَ فَأَصَابَتْهُ الدُّبَيْلَةُ³ ، وَهُوَ بِالْبَادِيَةِ فَقَدِمَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَاتَى بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي قَيْسٍ مُتَطَبِّبٍ ؛ فَأَشَارَ بِأَنْ يُكْوَى ، وَيَشْرَبَ النَّفْطَ الْأَبْيَضَ ، فَقَالَ : أَتَعَجَّلُونَ لِي طَعَامَ أَهْلِ النَّارِ فِي الدُّنْيَا ؟ وَجَعَلَ يَقُولُ :

أُرُونِي مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي إِذَا مَا الْأَمْرُ جَلَّ عَنْ الْخُطَابِ
[أبو لَيْلَى الْمُجَاشِعِيُّ يَرْتِيهِ]

وقال أَبُو لَيْلَى الْمُجَاشِعِيُّ يَرْتِي الْفَرَزْدَقَ :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْجَى تَمِيمًا وَهَدَّهَا عَلَى نَكَبَاتِ الدَّهْرِ مَوْتَ الْفَرَزْدَقِ
عَشِيَّةً قُدْنَا لِلْفَرَزْدَقِ نَعَشَهُ إِلَى جَدَثٍ فِي هَوَاةِ الْأَرْضِ مُعَمَّقِ
لَقَدْ غَيَّبُوا فِي اللَّحْدِ مَنْ كَانَ يَنْتَمِي إِلَى كُلِّ بَدْرٍ فِي السَّمَاءِ مُحَلَّقِ
ثَوَى حَامِلُ الْأَثْقَالِ عَنْ كُلِّ مُثْقَلٍ وَدَفَّاعُ سُلْطَانِ الْغُشُومِ السَّمَلَقِ⁴
لِسَانُ تَمِيمٍ كُلُّهَا وَعِمَادُهَا وَنَاطِقُهَا الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْمُخَنَّقِ⁵
فَمَنْ لَتَمِيمٍ بَعْدَ مَوْتِ ابْنِ غَالِبٍ إِذَا حَلَّ يَوْمٌ مَظْلَمٌ غَيْرُ مُشْرِقِ
لَتَلْبِكُ النِّسَاءِ الْمُعُولَاتُ ابْنَ غَالِبٍ لَجَانٍ وَعَانٍ فِي السَّلَاسِلِ مُوثِقِ

[أعلام ماتوا سنة موته]

وقال ابن زكريّا الغلابيّ ، عَنْ ابْنِ عَائِشَةَ ، قَالَ : مَاتَ الْفَرَزْدَقُ وَجَرِيرٌ فِي سَنَةِ عَشْرَةِ وَمِائَةٍ ، وَمَاتَ جَرِيرٌ بَعْدَهُ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ ، وَمَاتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَابْنُ سِيرِينَ ، قَالَ : فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ : كَيْفَ يَفْلَحُ بَلَدٌ مَاتَ فُقَيْهَاهُ وَشَاعِرَاهُ فِي سَنَةٍ ؟ وَنَسَبَتْ جَرِيرًا إِلَى الْبَصْرَةِ لَكثْرَةِ قَدُومِهِ إِلَيْهَا مِنَ الْيَمَامَةِ ، وَقَبْرِ جَرِيرٍ بِالْيَمَامَةِ ، وَبِهَا مَاتَ ، وَقَبْرُ

1 حَدَّثَانُ الْفِرَاقِ : أَوَّلُ الْفِرَاقِ وَابْتِدَاؤُهُ .

2 الْمَهِيرَةُ : مِنْ غَوْلِي فِي مَهْرَهَا .

3 الدُّبَيْلَةُ : دَاءٌ مِنَ الْأَدْوَاءِ الَّتِي تُصِيبُ الْجَوْفَ .

4 السَّمَلَقُ : الشَّرْسُ السَّيِّئُ الطَّبْعِ .

5 عِنْدَ الْمُخَنَّقِ : عِنْدَمَا يَمِيتُ الْمَرْءَ عَنِ الْكَلَامِ كَأَنَّهُ مُخَنَّقٌ .

الأعشى أيضاً باليمامة : أعشى بني قيس بن ثعلبة ، وقبر الفرزدق بالبصرة في مقابر بني تميم : وقال جرير لما بلغه موت الفرزدق : قلما تصاول فحلان ، فمات أحدهما إلا أسرع لحاق الآخر به .

ورثاهما جماعة ، فمنهم أبو ليلى الأبيض ، من بني الأبيض بن مجاشع فقال فيهما :
[من الطويل]

لعمري لئن قرما تميم تتابعا مُجِيبَيْن للداعي الذي قد دَعَاهُما
لرُبَّ عَدُوٍّ فَرَّقَ الدَّهْرُ بينه وَبَيْنَهُمَا لَمْ تُشَوِّهُ ضَغْمَتَاهُما¹

[يرأى في المنام]

أخبرني ابن عمّار ، عن يعقوب بن إسرائيل ، عن قعنب بن الحَزْزِ الباهليّ ، عن الأصمعيّ ، عن جرير يعني أبا حازم قال : رُئي الفرزدقُ وجرير في النوم ، فرئي الفرزدق بخير ، وجرير مُعلّق .

قال قعنب : وأخبرني الأصمعيّ ، عن روح الطائيّ ، قال : رُئي الفرزدق في النوم ، فذكر أنّه غفر له بتكبيرة كبرها في المقبرة عند قبر غالب .

قال قَعْنَبُ : وأخبرني أبو عبيدة النحويّ وكيسان بن المعروف النحويّ ، عن لَبْطَةَ بن الفرزدق ، قال : رأيت أبي فيما يرى النائم ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : نَفَعَتْنِي الْكَلِمَةُ التي نازَعْنِيهَا الْحَسَنُ على القبر .

[الحسن البصري في جنازة النوار]

أخبرني وكيع ، عن محمد بن إسماعيل الحسانيّ ، عن عليّ بن عاصم ، عن سفيان بن الحسن ، وأخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام ، والرواية قريب بعضها من بعض : أنّ النّوّار لما حَضَرَهَا الْمَوْتُ أَوْصَتْ الْفَرَزْدَقَ ، وهو ابنُ عمّها ، أن يُصَلِّيَ عليها الحسنُ البصريّ ، فأخبره الفرزدق ، فقال : إذا فرغتم منها فأعلمني ، وأُخْرِجَتْ ، وجاءها الحسن ، وسبقهما النَّاسُ ، فانتظروهما ، فأقبلا ، والنَّاسُ يَنْتَظِرُونَ ، فقال الحسن : ما للنَّاسِ ؟ فقال : يَنْتَظِرُونَ خَيْرَ النَّاسِ وَشَرَّ النَّاسِ ، فقال : إِنِّي لَسْتُ بِخَيْرِهِمْ ، وَلَسْتُ بِشَرِّهِمْ ، وقال له الحسن على قبرها : ما أعددت لهذا المضجع ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة .

هذا لفظ محمد بن سلام . وقال وكيع في خبره : فتشاغل الفرزدق بدفنها ، وجلس

1 أشوى الصائد الصيد : أخطأه . والضغمة : العض العنيف .

الحسنُ يعظُ الناسَ ، فلمّا فرغ الفرزدق وقف على حلقة الحسن ، وقال : [من الطويل]
 لقد خاب من أولاد آدمَ مَنْ مَشَى إلى النارِ مغلولَ القِلادةِ أزرقاً¹
 أخاف وراءَ القبرِ إن لم يُعافِني أشدَّ من القبرِ التهاباً وأضيّقاً
 إذا جاءني يومَ القيامةِ قائدٌ عَنيفٌ وسَوّاقٌ يَقُودُ الفرزدقا

[رواية أخرى له مع الحسن]

أخبرنا أحمد : قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنا حيان بن هلال : قال : حدّثنا خالد بن الحرّ : قال : رأيت الحسنَ في جنازة أبي رجاء العطارديّ ، فقال للفرزدق : ما أعددت لهذا اليوم ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ بضع وتسعين سنة ، قال إذا تنجّو إن صدقت . قال : وقال الفرزدق : في هذه الجنازة خيرُ الناس وشرّ الناس ، فقال الحسن : لست بخير الناس ولست بشرّهم .

[يذكر ذنوبه فينشج]

أخبرنا ابن عمار ، عن أحمد بن إسرائيل ، عن عبيد الله بن محمد القرشي بطوس ، قال : حدّثني يزيد بن هاشم العبديّ : قال : حدّثنا أبي : قال : حدّثنا فضيل الرقاشيّ قال : خرجت في ليلة باردة ، فدخلت المسجد ، فسمعتُ نشيجاً وبكاءً كثيراً ، فلم أعلم مَنْ صاحبُ ذلك ، إلى أن أسفر الصبح ، فإذا الفرزدق ، فقلت : يا أبا فراس ، تركت النّوار ، وهي ليّنة الدّثار دَفْعة الشّعار ، قال : إني والله ذكرت ذنوبي ، فأقلّقتني ، ففرغت إلى الله عز وجلّ .

[في المنام تنجيه شيبته من النار]

أخبرني وكيع ، عن أبي العباس مسعود بن عمرو بن مسعود الجحدريّ قال : حدّثني هلال بن يحيى الرازيّ : قال : حدّثني شيخ كان ينزل سكة قريش : قال : رأيت الفرزدق في النوم فقلت : يا أبا فراس ، ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بإخلاصي يوم الحسن ، وقال : لولا شيبتك لعذبتك بالنار .

[رواية أخرى في لقائه مع الحسين]

أخبرني هاشم الخزاعيّ عن دَمَاز ، عن أبي عبيدة ، عن لبّطة بن الفرزدق ، عن أبيه : قال : لقيت الحسين بن عليّ ، صلوات الله عليهما ، وأصحابه بالصّفاح ، وقد ركبوا الإبل ، وجنّبوا الخيل ، متقلّدين السيوف ، متنكبين القسيّ ، عليهم يلامق² من الدياج ، فسلمت عليه ، وقلت : أين تريد ؟ قال : العراق ، فكيف تركت الناس ؟ قال : تركتُ الناسَ قلوبهم

1 مغلول القِلادة : مطبق الطوق .

2 يلامق : جمع يلمق وهو القباء ، فارسي معرّب .

معك ، وسيوفهم عليك ، والدُّنيا مطلوبة ، وهي في أيدي بني أمية ، والأمر إلى الله عز وجل ،
والقضاء ينزل من السماء بما شاء .
[أبو هريرة يعظه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ ، وأحمد بن عبد العزيز ، عن ابن شبة قال : حدّثني
هارون بن عمر ، عن ضمرة بن شوذب قال : قيل لأبي هريرة : هذا الفرزدق ، قال : هذا
الذي يقذف الحصنات ، ثم قال له : إني أرى عظمك رقيقاً وعِرْقك دقيقاً ، ولا طاقة لك
بالنار ، فُتب ، فإنَّ التوبة مقبولة من ابن آدم حتى يطير غرابه¹ .

أخبرني هاشم بن محمد ، عن الرياشيّ ، عن المنهال بن بحر بن أبي سلمة ، عن صالح
المريّ ، عن حبيب بن أبي محمد ، قال : رأيت الفرزدق بالشام ، فقال : قال لي أبو هريرة : إنه
سيأتيك قوم يؤسّونك من رحمة الله ، فلا تيأس .

[موازنة بينه وبين جرير والأخطل]

قال أبو الفرج : والفرزدق مقدّم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل ، ومحلّه
في الشعر أكبر من أن يُنبّه عليه بقول ، أو يُدلّ على مكانه بوصف ، لأنّ الخاص والعام يعرفانه
بالاسم ، ويعلمان تقدّمه بالخبر الشائع علماً يستغنى به عن الإطالة في الوصف ، وقد تكلم
الناس في هذا قديماً وحديثاً ، وتعصّبوا ، واحتجّوا بما لا مزيد فيه ، واختلفوا بعد اجتماعهم
على تقديم هذه الطبقة في أيّهم أحقّ بالتقدّم على سائرهما ، فأما قدماء أهل العلم والرواية فلم
يسوّوا بينهما وبين الأخطل ؛ لأنّه لم يلحق شأوهما في الشعر ، ولا له مثل ما لهما من فنونه ،
ولا تصرف كتصرفهما في سائرهما ، وزعموا أنّ ربيعة أفرطت فيه ، حتى ألحقته بهما ، وهم
في ذلك طبقتان ، أمّا مَنْ كان يميل إلى جزالة الشعر ، وفخامته ، وشدة أسره ، فيقدّم
الفرزدق ، وأمّا مَنْ كان يميل إلى أشعار المطبوعين ، وإلى الكلام السّمج السهل الغزل
فيقدّم جريراً .

أخبرنا أبو خليفة : قال حدّثنا محمد بن سلام ، قال : سمعت يونس بن حبيب يقول : ما
شهدت مشهداً قطّ ذكر فيه الفرزدق وجرير ، فاجتمع أهل ذلك المجلس على أحدهما . قال ابن
سلام : وكان يونس يقدّم الفرزدق تقدمة بغير إفراط ، وكان المفضل يقدّمه تقدمة شديدة .

قال ابن سلام : وقال ابن دأب ، وسئل عنهما ، فقال : الفرزدق أشعر خاصّةً وجرير
أشعرُ عامّةً .

أخبرني الجوهريّ وحبيب المهلبيّ عن ابن شبة ، عن العلاء بن الفضل : قال : قال لي أبو البيداء : يا أبا الهذيل ، أيهما أشعر ؟ أجريز أم الفرزدق ؟ قال : قلت : ذاك إليك ، ثم قال : أَلَمْ تسمعه يقول :

ما حُمِلَتْ ناقةٌ من معشرٍ رجلاً مثلي إذا الرّيح ألقنتني على الكورِ
إلا قريشاً فإنّ الله فضلها مع النبوة بالإسلام والخيرِ

ويقول جرير :

لا تحسبنّ مِرَاسَ الحرب إذ لَقِحتُ شُرْبَ الكسيس وأكلَ الخبز بالصيّر¹ ؟
سلح والله أبو حزره .

[ثلث اللغة من شعره]

أخبرني هاشم الخزاعي ، عن أبي حاتم السجستانيّ ، عن أبي عبيدة ، قال : سمعت يونس يقول : لولا شعرُ الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب .

[يقرض الشعر في خلافة عثمان وعليّ]

أخبرني هاشم الخزاعيّ ، عن أبي غسان ، عن أبي عبيدة قال : قال يونس أبو البيداء : قال الفرزدق : كنت أهاجي شعراء قومي ، وأنا غلام في خلافة عثمان بن عفّان ، فكان قومي يخشون مَعَرّة لساني منذ يومئذٍ ، ووفد بي أبي إلى عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه عامّ الجمل ، فقال له : إنّ ابني هذا يقول الشعر ، فقال : علّمه القرآن ، فهو خير له .

[خمس وسبعون سنة في مباراة الشعراء]

قال أبو عبيدة : ومات الفرزدق في سنة عشر ومائة ، وقد نيّف على التسعين سنة ، كان منها خمسة وسبعين سنة يباري الشعراء ، ويهجو الأشراف فيغيّضهم ، ما ثبت له أحد منهم قطّ ، إلاّ جريراً .

[يرث الشعر عن خاله]

أخبرني محمد بن عمران الصيّريّ : قال : حدّثنا الحسن بن عليل العنزّيّ ، قال : حدّثني محمد بن معاوية الأسديّ ، قال : حدّثنا ابن الرازيّ ، عن خالد بن كلثوم قال : قيل للفرزدق : ما لك وللشعر ؟ فوالله ما كان أبوك غالب شاعراً ، ولا كان صمصعة شاعراً ، فمن أين لك هذا ؟ قال : من قَبَل خالي ، قيل : أيّ أخوالك ؟ قال : خالي العلاء بن قرظة الذي يقول :

[من الوافر]

1 الكسيس : شراب يتخذ من الشعير والذرة . الصير : السمكات المملوحة .

إذا ما الدهر جرَّ على أناسٍ^١ بكلِّكـله أنـاخ^٢ بآخـرينا^٣
فقل للشامتـين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

[يؤتبه أخواله فيمن عليهم]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، عن العمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، عن حماد الراوية ، وأخبرني هاشم الخزاعيّ : قال : حدَّثنا دَمَاز ، عن أبي عبيدة قال : دخل قوم من بني ضَبَّة على الفرزدق فقالوا له : قَبَّحَكَ اللهُ من ابن أخت ! قد عَرَضْتنا لهذا الكلب السفيف ، يعنون جريراً ، حتى يشتم أعراضنا ، ويذكر نساءنا ، فغضب الفرزدق ، وقال : بل قَبَّحَكُم اللهُ من أخوال ! فوالله لقد شَرَّفَكُم من فخري أكثرُ ممَّا غَضَّكُم من هجاء جرير ، أفأنا ويلكم عَرَضْتكم لسؤيد بن أبي كاهل حيث يقول :

لقد زَرَقْتُ عيناك يا ابن مُكَعْبِرٍ كما كلُّ ضَبِّيٍّ من اللؤمِ أزرَقُ
ترى اللؤمَ فيهم لائِحاً في وجوههم كما لاح في خيل الحلائب أبلقُ^٤

أو أنا عَرَضْتكم للأغلب العَجَلِيّ حيث يقول :

لن تجدَ الضَّبِّيَّ إلَّا فلاَّ عبداً إذانا ولقومٍ ذلّا^٥
مثل قفا المديّة أو أكلاَّ حتى يكون الألامُ الأَقلاَّ

أو أنا عَرَضْتكم له حيث يقول :

إذا رأيت رجلاً من ضَبَّةٍ فنيكه عمداً في سواءِ السبّة^٦
إنَّ اليمانيَّ عِقاَصُ الزبّة^٧

أو أنا عرضتكم لمالك بن نويرة حيث يقول :

ولو يُذْبَحُ الضَّبِّيُّ بالسيف لم تجدْ من اللؤمِ للضَّبِّيِّ لحماً ولا دماً !

والله لما ذكرتُ من شَرَّفَكُم ، وأظهرتُ من أياكم أكثرُ ، ألسْتُ القائل : [من الكامل]

وأنا ابنُ حنظلة الأغرُّ وإني في آل ضَبَّة للمُعِمْ المَحُولُ

1 الكلاكل : عظام الصدر .

2 الحلائب : خيول السباق . والأبلق من الخيل ونحوها : ما اجتمع فيه سواد وبياض .

3 الفلّ : المنهزم .

4 السواء : الوسط ، السبّة : الدبر .

5 العقاص : خيط تربط به الضفيرة . الزبة : ربما جمع زب .

فرعان قد بلغ السماء ذراهما وإليهما من كل خوف يُعقل¹

[بنو حرام يخشون لسانه]

أخبرنا أبو خليفة ، عن ابن سلام ، عن أبي بكر محمد بن واسع وعبد القاهر قالوا : كان فتى في بني حرام بن سمالك شويعر ، قد هجا الفرزدق ، فأخذناه ، فأتينا به الفرزدق ، وقلنا : هو بين يديك ، فإن شئت فاضرب ، وإن شئت فاحلق ، لا عدوى عليك ولا قصاص ، فحلى عنه وقال :

فمن يك خائفاً لأذاة قولي فقد أمن الهجاء بنو حرام
هم قادوا سفيهم وخافوا قلائد مثل أطواق الحمام

[عائذة بقبر غالب]

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، قال : حدثني الحكم بن محمد ، قال : كان رجل من قضاة ثم من بني القين على السند ، وفي حبه رجل يقال له حبيش ، أو خنيس ، وطالت غيبته عن أهله ، فأتت أمه قبر غالب بكاطمة ، فأقامت عليه ، حتى علم الفرزدق بمكانها ، ثم إنهما أتت فطلبت إليه في أمر ابنها ، فكتب إلى تميم القضاعي :

هَبْ لِي خُنَيْسًا وَاتَّخِذْ فِيهِ مَنَّةً لَغُصَّةٌ أُمٌّ مَا يَسُوعُ شَرَابُهَا
أَتَتْنِي فَعَاذَتْ يَا تَمِيمُ بِغَالِبٍ وَبِالْحَفْرَةِ السَّافِي عَلَيْهِ تَرَابُهَا
تَمِيمُ بْنُ زَيْدٍ لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي بَظَهْرِ فَلَا يَخْفَى عَلَيَّ جَوَابُهَا

فلما أتاه الكتاب لم يدر : أحنيس أم حبيش ! فأطلقهما جميعاً .

[مكاتب يعود بقبر غالب]

أخبرني أبو خليفة : قال : حدثنا محمد بن سلام : قال : حدثني أبو يحيى الضبي قال : ضرب مكاتب لبني منقر خيمة على قبر غالب ، فقدم الناس على الفرزدق فأخبروه أنهم رأوا بناء على قبر غالب أبيه ، ثم قدم عليه ، وهو بالمريد فقال :

بقبر ابن ليلى غالب عذت بعدما خشيت الردى أو أن أردد على قسر
فخاطبني قبر ابن ليلى وقال لي : فكأك أن تلقى الفرزدق بالمصر

فقال له الفرزدق : صدق أبي ، أنخ أنخ ، ثم طاف في الناس ، حتى جمع له كتابته وفضلاً .

1 يُعقل : يُلجأ ويُفزع .

[يعتذر عن مناقضته نفسه]

أخبرني ابنُ خلفٍ وكيع ، عن هارونَ بن الزيات ، عن أحمد بن حماد بن جميل ،
قال : حدثنا القحذمي ، عن ابن عيَّاش : قال : لقيتُ الفرزدق فقلتُ له : يا أبا فراس ،
أنت الذي تقول :

فليت الأكفَّ الدافناتِ ابنَ يوسفٍ يُقَطَّعنِ إذ غيَّبن تحت السقائِفِ

فقال : نعم ، أنا ، فقلتُ له : ثم قلتَ بعد ذلك له :

لئن نفرُ الحجاجِ آلُ مُعْتَبٍ لَقُوا ذَوْلَةً كان العدوُّ يُدَالِها¹

لقد أصبح الأحياءُ منهم أذَلَّةً وفي الناسِ موتاهم كلوحاً سبأها²

قال : فقال الفرزدق : نعم ، نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه ، فإذا تخلى منه انقلبنا عليه .

[هل أجاز إياس شهاته ؟]

أخبرنا هاشم بن محمد ، عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي ، عن عمِّه ، عن بعض
أشياخه قال : شهد الفرزدق عند إياس بن معاوية ، فقال : أجزنا شهادة الفرزدق أبي
فراس ، وزيدونا شهوداً ، فقام الفرزدق فرحاً ، فقبل له : أما والله ما أجاز شهادتك قال :
بلى ، قد سمعته يقول : قد قبلنا شهادة أبي فراس ، قالوا : أفما سمعته يستزيد شاهداً آخر ؟
فقال : وما يمنعه ألا يقبلَ شهادتي ، وقد قذفتُ ألفَ محصنة !

[يسرِّدْ هبته]

أخبرنا ابن دُرَيْد ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن يونس : قال : كان عطيةُ بنُ
جُعَالٍ الغدانيّ صديقاً ونديماً للفرزدق ، فبلغ الفرزدق أنَّ رجلاً من بني غُدانةٍ هجاه
وعاون جريراً عليه ، وأنه أراد أن يهجو بني غُدانة ، فأتاه عطيةُ بن جُعَالٍ فسأله أن يصفح
له عن قومه ، ويهبَ له أعراضهم ، ففعل ، ثم قال :

أبني غُدانةِ إِنِّي حرَّرتكم فوهبتكم لعطيةِ بن جُعَالٍ

لولا عطيةُ لاجتَدَعْتُ أنوفكم من بين الأمِّ آنفٍ وسبالٍ

فبلغ ذلك عطية ، فقال : ما أسرع ما أرتجع أخي هبته ، قَبَّحها الله من هبة ممنونة مرتجعة .

1 يُدَالِها : تناح للعدو .

2 السبال : جمع سبلة ، وهي طرف الثارب ، أو طرف اللحية .

[مجنون يعث به]

أخبرني وكيع ، عن هارون بن محمد : قال : حدثني قبيصة بن معاوية المهلبی ، عن المدائني ، عن محمد بن النضر : أن الفرزدق مرَّ بباب المفضل بن المهلب ، فأرسل إليه غلمة ، فاحتملوه ، حتى أدخل إليه بواسط ، وقد خرج من تيار ماء كان فيه ، فأمر به ، فألقي فيه ، بثيابه ، وعنده ابن أبي علقمة اليمامي المجنون ، فسعى إلى الفرزدق ، فقال له المفضل : ما تريد ؟ قال : أريد أن أنيكة وأفضحه ، فوالله لا يهجو بعدها أحداً من الأزد ، فصاح الفرزدق : الله الله أيها الأمير في ، أنا في جوارك وذمتك ؛ فمنع عنه ابن أبي علقمة ، فلما خرج قال : قاتل الله مجنونهم ؛ والله لو مسَّ ثوبه ثوبي لقام بها جرير وقعد ؛ وفضحني في العرب فلم يبق لي فيهم باقية .

وأخبرني بنحو هذا الخبر حبيب المهلبی ، عن ابن شبة ، عن محمد بن يحيى ، عن عبد الحميد ، عن أبيه ، عن جدّه : قال أبو زيد : وأخبرني أبو عاصم عن الحسن بن دينار ، قال : قال لي الفرزدق : ما مرَّ بي يوم قطَّ أشدَّ عليّ من يوم دخلتُ فيه على أبي عيينة بن المهلب ، وكان يوماً شديداً الحرّ ، فما منّا أحد إلا جلس في أبرز¹ . فقلنا له : إن أردت أن تنفعا فابعث إلى ابن أبي علقمة ، فقال : لا تريدوه ؛ فإنه يكدّر علينا مجلسنا ، فقلنا : لا بدّ منه ، فأرسل إليه ، فلما دخل فرآني ؛ قال الفرزدق والله . ووثب إليّ ، وقد أنعظ أيره ، وجعل يصيح : والله لأنيكته ؛ فقلت لأبي عيينة : الله الله في ، أنا في جوارك ، فوالله لئن دنا إليّ لا تبقى لي باقية مع جرير ؛ فلم يتكلّم أبو عيينة ؛ ولم تكن لي همة إلا أن عدوت حتى صعدت إلى السطح ، فاقتحمت الحائط ، فقليل له : ولا يوم زياد كان مثل يومئذ ، فقال : ولا مثل يوم زياد .

[عمر بن عبد العزيز يحيره ، ثم ينفيه]

أخبرني عمي ، عن ابن أبي سعد ، عن أحمد بن عمر ، عن إسحاق بن مروان مولى جهينة وكان يقال له : كوزا الراوية ؛ قال أحمد بن عمر : وأخبرني عثمان بن خالد العثماني : أن الفرزدق قدم المدينة في سنة مُجْدبة حصاء² فمشى أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز ، فقالوا له : أيها الأمير ، إن الفرزدق قدِم مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة التي أهلكت عامة الأموال التي لأهل المدينة ، وليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعراً ، فلو أن الأمير بعث إليه ، فأرضاه ، وتقدّم إليه ألاّ يعرض لأحد بمدح ولا هجاء ؛ فبعث إليه عمر : إنك يا فرزدق قدِم مدينتنا

1 الأبرز : حوض ماء يتخذ من المعدن للاستحمام وهو معرّب .

2 الحصاء : السنة الجرداء لا خير فيها .

هذه في هذه السنة الجدية ، وليس عند أحد ما يعطيه شاعراً ، وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم ؛ فخذها ، ولا تعرض لأحد بمدح ولا هجاء ، فأخذها الفرزدق ، ومرّ بعبد الله بن عمرو بن عثمان ، وهو جالس في سقيفة داره ، وعليه مطّرف¹ خنز أحمر وجبة خنز أحمر ، فوقف عليه ، وقال :

أعبد الله أنت أحقّ ماشٍ وساعٍ بالجماهير الكبار
نما الفاروق أمك وابن أروى أبوك فأنت مُصدِّعُ النهار
هما قَمَرَا السماء وأنت نجمٌ به في الليل يُدلجُ كُلُّ سارٍ

فخلع عليه الجبة والعمامة والمطّرف ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فخرج رجل كان حضر عبد الله والفرزدق عنده ، ورأى ما أعطاه إياه ، وسمع ما أمره عمر به من ألاّ يعرض لأحد ، فدخل إلى عمر بن عبد العزيز ؛ فأخبره ، فبعث إليه عمر : ألم أتقدم إليك يا فرزدق ألاّ تعرض لأحد بمدح ولا هجاء ؟ أخرج ، فقد أجلتك ثلاثاً ، فإن وجدتكَ بعد ثلاث نكّلت بك ؛ فخرج وهو يقول :

فأجلّني وواعدني ثلاثاً كما وعِدْتَ لمهلكها ثمودُ

قال : وقال جرير فيه :

نفاك الأغرُّ ابنُ عبد العزيز ومثلك يُنفى من المسجدِ
وشبّهت نفسك أشقى ثمودَ فقالوا : ضللتَ ولم تهتدي

[يهجو من يستكثر عليه الجائزة]

أخبرني حبيب المهلبيّ ، عن ابن أبي سعد ، عن صباح ، عن النوفليّ بن خاقان ، عن يونس النحويّ قال : مدح الفرزدقُ عمرَ بن مسلم الباهليّ ، فأمر له بثلاثمائة درهم ، وكان عمرو بن عفراء الضبيّ صديقاً لعمر ، فلامه ، وقال : أعطني الفرزدق ثلاثمائة درهم ، وإنّما كان يكفيه عشرون درهماً ، فبلغه ذلك فقال :

نهيتُ ابنَ عَفْرَى أن يعفّرَ أمّه كعفّر السّلا إذ جرّرتَه ثعالبةُ
وإنّ امرءاً يَغْتَابُنِي لم أطأ له حريماً فلا ينهأ عني أقاربهُ
كمحتطبٍ يوماً أساودَ هضبةُ أتاه بها في ظلمة الليل حاطبةُ

أَلَمَّا اسْتَوَى نَابَايَ وَابْيَضَّ مِسْحَلِي وَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الْكُرَى مَنُ أَحَارِبُهُ ؟
 فَلَوْ كَانَ ضَبِّيًّا صَفَحْتُ وَلَوْ سَرْتُ عَلَى قَدَمِي حَيَاتُهُ وَعَقَارِبُهُ
 وَلَكِنْ دِيَايَ أَبُوهُ وَأُمُّهُ بِحَوْرَانٍ يَعَصِرْنَ السَّلِيْطَ قَرَائِبُهُ

صوت

[من الطويل]

ومقالها بالتّعفِ نَعْفٍ مُّحَسَّرٍ لفتاتها : هل تعرفين المُعْرِضَا ؟
 ذاك الذي أعطى موائقَ عَهْدِهِ أَلَّا يَخُونَ وَخِلْتُ أَنْ لَنْ يَنْقُضَا
 فإِنَّ ظَفْرَتُ بِمَثْلِهَا مِنْ مِثْلِهِ يَوْمًا لَيَعْتَرِفَنَّ مَا قَدْ أَقْرَضَا²

الشعر لخالد القسريّ ، والناس ينسبونه إلى عمر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض ، ثقیل
 أوّل بالوسطی ، عن الهشاميّ وابن المكيّ وحيش . وقبل أن أذكر أخباره ونسبه فإنّي أذكر
 الرواية في أنّ هذا الشعر له .

[قصّة تتعلّق بأبيات هذا الصوت]

أخبرنا محمد بن خلف وكيع : قال : أخبرني عبد الواحد بن سعيد ، قال : حدّثني أبو
 بشر ، محمد بن خالد البجليّ : قال : حدّثني أبو الخطّاب بن يزيد بن عبد الرحمن : قال :
 سمعت أبي يحدث : قال : حدّثني مسمع بن مالك بن جحوش البجليّ ، قال : ركب خالد
 عبد الله ، وهو أمير العراق ، وهو يومئذٍ بالكوفة إلى ضيعته التي يقال لها المكرّخة ، وهي من
 الكوفة على أربعة فراسخ ، وركبت معه في زورق ، فقال لي : نشدتك الله بأبن جحوش ، هل
 سمعت غريض مَكَّةَ يتغنّى :

[من الطويل]

ومقالها بالتّعفِ نَعْفٍ مُّحَسَّرٍ لفتاتها : هل تعرفين المُعْرِضَا

قال : قلت : نعم ، قال : الشعر والله لي ، والغناء لغريض مَكَّةَ ، وما وجدت هذا الشعر
 في شيء من دواوين عمر بن أبي ربيعة التي رواها المدنيون والمكيّون ، وإنّما يوجد في الكتب
 المحدثّة والإسنادات المنقطعة ، ثم نرجع الآن إلى ذكره .

* * * *

1 النعف ومحسر : مكانان .

2 أقرض : أسلف .

الفهرس

- [440] - أخبار المنخل ونسبه 5
- [441] - أخبار أمية بن الأسكر ونسبه 11
- [442] - نسب عبدة بن الطيب وأخباره 22
- [443] - أخبار الأغلب ونسبه 25
- [444] - أخبار البحري ونسبه 31
- [445] - ذكر نتف من أخبار عريب مستحسنة 43
- [446] - ذكر معقل بن عيسى 71
- [447] - الأحوص وبعض أخباره 73
- [448] - ذكر عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام ونسبه وأخباره وخبر هذا الشعر 85
- [449] - أخبار تأبط شراً ونسبه 94
- [450] - عمرو بن براق 126
- [451] - أخبار الشنفرى ونسبه 128
- [452] - أخبار الخليل ونسبه 140
- [453] - أخبار علقمة ونسبه 143
- [454] - ذكر أبي خراش الهذلي وأخباره 147
- [455] - أخبار ابن داره ونسبه 164
- [456] - أخبار مسعود بن خرشة 176
- [457] - أخبار بحر ونسبه 178
- [458] - أخبار هذبة بن خشرم ونسبه وقصته في قوله هذا الشعر وخبر مقتله 179
- [459] - نسب الفرزدق وأخباره وذكر مناقضاته 193